شؤون فلسطينية

٢١

ايـــار (مايو) ١٩٧٣

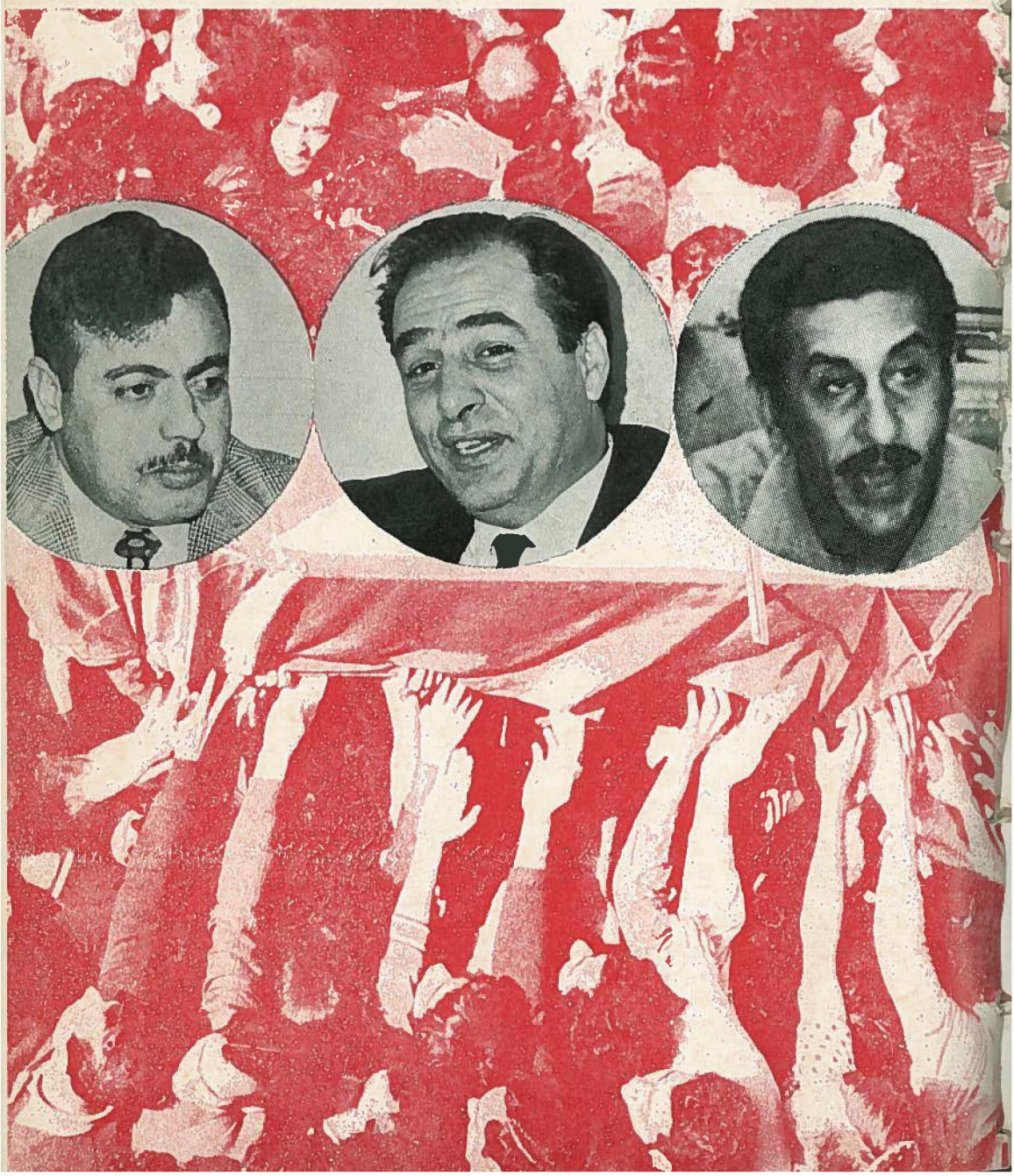

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٢١ — ايار (مايو) ١٩٧٣

دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

هيئة التحرير : المقدم الهيثم الايوبي ، بلال الحسن ، د. سعيد حمود ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، محمود درويش ، د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، منير شفيق ، د. صادق العظم ، ناجي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد المجذوب ، عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ـ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرابحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

صور الغلاف : شهداء الثورة الفلسطينية : ابو يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان .

المحتويـــات

صفحة ٤ **الثورة مستمرة** ، شؤون فلسطينية .

٥ **فلنشدد ضرباتنا** ، ياسر عرفات .

٩ **ابو يوسف ... رمز جيل كامل** ، خالد الحسن .

١١ **كمال عدوان رجل في ثورة وثورة في انسان** ، غاروق قدومي (ابو اللطف) .

١٤ **كمال ناصر ... والثورة مستمرة** ، صلاح خلف (ابو اياد) .

١٨ **كمال ناصر ... شاعر في ورشة الثورة** ، الدكتور كلوفيس مقصود .

٢٢ **طوبى لشيء لم يصل !** محمود درويش .

٢٨ **آخر حديث للشهيد كمال عدوان .**

٣٩ **آخر حديث للشهيد كمال ناصر .**

٤٨ **آخر حديث للشهيد ابو يوسف .**

٥٠ **شؤون فلسطينية** ، الدكتور انيس صايغ .

٥١ **حدود مقفلة وجسور مفتوحة : « واقع الساحة الفلسطينية »** ، الدكتور حسـام الخطيب .

٦٩ **القضية الفلسطينية من ١٩٤٨ الى ١٩٥٠ ودروسها** ، منير شفيق .

٨٢ **سقوط الناصرة والجليل : دور فوج حطين اجنادين** ، أكرم ديري .

٩٢ **سقوط مدينة صفد : من مذكرات حرب فلسطين (جيش الانقاذ)** ، جادو عز الدين .

١٠٤ **فلسطينيون يتكلمون : القتال في سبيل البروة** ، نافذ عبدالله يوسف .

١٠٨ **من ذكريات ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ : هكذا كنا نجمع السلاح** ، عبد الرحمن علي وعبدالله مهنا .

١١٩ **نشرة الثأر : قراءة في مقدمات الفكر المقاوم** ، عصام سخنيني .

١٢٨ **وزارة الخارجية الاميركية وسياستها الفلسطينية** ، مايكل ا. جانسن .

١٣٧ **أضواء حول جذور معطيات الاستراتيجية العسكرية الصهيونية عشية حرب ١٩٤٨** ، محمود عزمي .

١٥٩ **الاغنية الشعبية الفلسطينية من الحزن الى الشوق الى القتال**، نمر سرحان.

١٧٠ **رأيان في كتاب « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » : هل هو نقد لفكر المقاومة حقا ؟** ناجي علوش ووليد نويهض .

١٩٢ **نشريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، بلال الحسن. (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش . مع تقرير عن الدورة الاخيرة لمجلس الجامعة العربية ، مراسل شؤون فلسطينية . (٣) القضية الفلسطينية دوليا ، د. صادق جلال العظم . (٤) المناطق المحتلة، عبد الحفيظ محارب. (٥) القضية الفلسطينية عسكريا ، المقدم الهيثم الايوبي . جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ١٣/٣ ــ ١٣/٤/١٩٧٣ ، غازي خورشيد . تقرير عن تصاعد العمليات في الارض المحتلة ١/٨/١٩٧٢ــ٢٠/٢/١٩٧٣، مركز التخطيط في م.ت.ف.

٢٤٢ **تقريران : الهجوم الاسرائيلي على بيروت (٩ ــ ١٠/٤/١٩٧٣) :** (١) مقدمات ونتائج ، ب. ح. (٢) تقييم عسكري سياسي لعملية ٩ــ١٠ نيسان في بيروت ، هـ. أ.

٢٥٥ **اسرائيليات** ، عماد شقور .

الثورة مستمرة

هذه الصفحات ليست رثاء .

فالانسان يرثي الاموات . ونحن ليس لدينا أموات . بل لدينا ثلاثة رفاق ، رفاق كبار ، موجودون معنا ، وسيظلون معنا ، ما دامت ثورتنا موجودة وباقية ومستمرة .

انهم باقون أبدا ، معنا ، يسيرون في نفس المسيرة ، ويشاركون في الجهاد حتى النصر .

أبو يوسف موجود وباق ، يحمل مشاكل شعبه ويكرس نفسه لثورته ، ولا يتعب ولا يتخاذل ولا يهدأ .

كمال العدوان موجود وباق ، يناقش ويصحح ويوجه ويحذر ويخطط ، بحيوية لا تضعف وديناميكية لا تنفد .

كمال ناصر موجود وباق ، يكتب ويخطب ويوفق ويؤاخي ، قلم لا ينضب لانه يعبر عن قلب دافق بالايمان والحب .

انهم معنا لانهم فينا . وسيظلون معنا لانهم سيظلون فينا .

لذلك نحن لا نرثيهم . ولا نبكيهم . ولا نلبس السواد . ولا نتقبل التعازي .

لكننا نتذكر . ولكننا نتعلم . ولكننا نحاول أن نقتدي . ونحاول أن نتمم الرسالة ونواصل السعي .

شؤون فلسطينية

فلنشدد ضرباتنا ...

ياسر عرفات

رئيس منظمة التحرير الفلسطينية
والقائد العام لقوات الثورة الفلسطينية

كم هي حارة متفجرة دماؤهم لكي تفعل كل ذلك ؟ كم هي سخية معطاء لتتوزع على كل تلك الجماهير من المحيط الى الخليج ، فتسري في شرايينها ، فتجدد دماءها ، فتعطيها نفحة الامل والقوة ، وتشدد من عزيمتها واصرارها على مواصلة العطاء . هل يفعل الموت العظيم كل ذلك النصر العظيم . بلى واكثر . ففي الاستشهاد ، تماما كما في الحياة ، كان أبو يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان رموزا لعظمة شعبنا ، عظمة تضحياته وعظمة انتصاراته . وبظل من هذه العظمة المزدوجة صنع القادة الابطال النصر لثورتهم ولجماهيرها التي خرجت وهي تودعهم لتعلن تجديد بيعتها للثورة ومزيد التحامها بها والتفافها من حولها ، ولتكرس الى الابد من وحي تضحية الابطال المنتصرة أن دماءها ، دماء هذه الجماهير ، هي التي ستسدد الدين للقادة الذين استشهدوا ، وان اجسادها ، أجساد هذه الجماهير ، هي السقف الذي تستظل به الثورة وكل انجازاتها الرائعة .

ذلك هو المعنى الكبير لاستشهاد الاخوة رفاق الدرب الثلاثة: التضحية المنتصرة التي تكبت في القلب تفجرات الحزن وتبريح الالم. وهو المعنى الذي يرفعنا فوق الحزن وفوق الالم على جلال الحزن والالم . ان الانتصار حتى في الموت هو اجلى الحقائق التي تمخضت عنها مسيرتنا التي شارك في ارساء اسسها الاولى الاخوة رفاق الدرب . ومن وحي هذه الحقيقة كان تفجير الثورة في مطلع العام ١٩٦٥ ردا على الضعف والاستخذاء ، وكان استئنافها وتجديدها في آب ١٩٦٧ رفضا للسقوط والهزيمة . لقد ادركت ثورتنا منذ البداية ان قوتها تكمن في التحامها بالجماهير العربية التي احتضنتها بالفعل لانها كانت في الحقيقة تعبيرا عن مشيئتها . فوحدت الثورة ذاتها مع الجماهير

وجاهدت لان تكون في الوقت نفسه بؤرة استقطاب لقواها بحيث تعبر الواحدة من خلال الأخرى عن طموحاتها واهدافها .

وفي اثناء هذا التفاعل لم تكن القوى المعادية بغافلة عما يجري في الساحة العربية. فلاول مرة، منذ زمن طويل، تشهد هذه الساحة مثل هذا الالتقاء الوثيق العرى بين الطلائع المقاتلة والجماهير العريضة على اهداف واضحة وضمن استراتيجية معروفة الابعاد محددة الخطى. وكان هذا الالتقاء الامثل يعني تهديدا حقيقيا وجذريا للقوى المعادية المثلثة الوجوه : الصهيونية وركيزتها اسرائيل ، الاستعمار ومصالحه في المنطقة ، القوى المحلية العميلة التي ربطت مصالحها بمصالح الاستعمار. وكانت هذه القوى مجتمعة تعني ان استمرار الثورة وتصاعدها وشمولها والتحام الجماهير بها وما يمثل ذلك كله من حالة ثورية شاملة ومتقدمة على امتداد الوطن العربي، يعني تصفية للمصالح الاستعمارية في الوطن العربي ووضع حد لنهب خيراته واستغلاله ، كما يعني استحالة تمرير المشاريع الاميركية ـ الاسرائيلية ـ العميلة الهادفة الى اعادة ترتيب الخارطة السياسية في المنطقة العربية بحيث تضمن هذه الخارطة العتيدة تركيع الامة العربية واستسلامها وضرب قوى التحرر فيها لمصلحة العدو المثلث الوجوه وضمان سيطرته ونفوذه .

وفي سبيل المحافظة على المصالح الاستعمارية في المنطقة ، من أجل ان يظل النفط يتدفق في شرايين مستغلي أمتنا ومضطهديها ، من أجل أن تظل الاسواق العربية واجهة استهلاكية لمنتوجات السوق الرأسمالية الدولية ، من اجل ان يظل عمالنا يبيعون جهدهم وعرقهم لتجار هذه السوق وصناعييها بابخس الاثمان ، من اجل تمرير الحلول التصفوية الاستسلامية ولكي تظل اسرائيل حامية لكل هذه المصالح كان لا بد من ان يرافق ازدياد قوة الثورة تصعيد في شراسة الهجمة عليها وعلى جماهيرها العربية والفلسطينية على حد سواء بعد أن توحدت ذات الثورة مع ذات الجماهير . وتوزعت القوى المعادية الادوار فيما بينها ضمن مخطط واسع يستهدف الوجود الثوري نفسه من جهة وارادة الجماهير النضالية من جهة ثانية . وقد اندفعت القوى العميلة في هذا الشوط الى اقصى ما تستطيع ، وكانت الهجمة الشرسة التي قام بها النظام الهاشمي على قواتنا في الاردن حضيض ما انحطت اليه هذه القوى التي تآمرت على أنبل ظاهرة انجبها تاريخ العرب المعاصر .

كما نهجت هذه القوى المعادية منهجا راهنت طويلا على نجاحه عندما سعت جاهدة الى تفكيك عرى التلاحم بين الثورة وجماهيرها العربية. فقام النظام الهاشمي من جانبه بخلق النعرات الاقليمية وتغذيتها بين شعبنا العربي الفلسطيني الاردني الواحد ، كما عمدت اسرائيل على جبهة أخرى وضمن المخطط نفسه الى توجيه ضرباتها الى قرى الجنوب اللبناني بهدف استعداء جماهيرنا هناك على الثورة ومن ثم حرمانها من قواعدها البشرية المتينة .

وعندما فشل هدف اسرائيل في ذلك وظلت جماهيرنا في جنوبنا اللبناني درع الثورة وقاعدتها ، صعدت القوى المعادية من شراسة هجمتها ، فكانت العملية الاخيرة في قلب بيروت مزدوجة الهدف : تصفية بعض قادة الثورة ضمن مخطط تصفية الوجود الثوري نفسه ماديا ، وضرب العمق اللبناني لخلق حالة من التناقض بين مصالح الشعب والثورة . غير أن مراهنة القوى المعادية على نجاح هذين الهدفين كانت مراهنة خاسرة . فدماء ابو يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان ورفاقهم من الشهداء الابطال من فلسطينيين ولبنانيين انسكبت لتخصب تربة اللقاء والتلاحم بين الثورة وجماهيرها العربية ، كما ان ضرب العمق اللبناني حفز كرامة جماهيرنا العربية في لبنان ووضعها بشكل حاسم في مواجهة صدامية مع العدو الذي وضحت من خلال هذه العملية صورته المثلثة الوجوه بعد ان اشارت جميع الدلائل الى ان تنفيذ العملية تم على أيدي القوات الاسرائيلية بمساعدة من الامبريالية الاميركية وعملائها . وبوضع جماهيرنا العربية في مثل هذه المواجهة الصدامية الحاسمة التي عمدت بالدم اللبناني في تلك الليلة حقق ابو يوسف وكمال عدوان وكمال ناصر باستشهادهم انتصارا اخر اضافوه بشرف ونبل الى انتصارات مسيرتنا المظفرة التي اثبت تاريخها وواقعها ان موت الرجال فيها هو قوة لها وتأجيج لعنفوانها وشموخها .

ان الالم بفقد الاخوة الثلاثة كان فاجعا . فابو يوسف كان متميزا بين الرجال ، ابو يوسف الرجل الذي كان يخفي خلف مرونته تصلبا في الحق وتمسكا بالمبدأ قل له نظير ، ابو يوسف سيظل بين الثوار بسلوكيته الصادقة وبتصلبه في الحق ، بعفويته الثورية النقية التي هي تعبير عن عفوية شعبنا وصدقه ، وسيظل الثوار من شعبنا يحملون ابو يوسف بقلوبهم ومع بنادقهم . وكمال ناصر ، ضمير

الثورة ، الرجـــل الذي احب الجميع من ثوارنـــا واحبه الجميع من ثوارنا ، سيظل رمزا كبيرا للنضال من أجل وحدة هؤلاء الثوار التي قاتـــل الضمير من أجل الوصول اليها ، بأنبل دوافـــع الحب للثورة وأظهر الحوافز لتماسكها ووحدتهـــا . وكمال عدوان ، رجل المهمات الدقيقة ، الحاد بذهنية ذات رؤيـــة واضحة تدرك ابعـــاد العنـــف ومدلولاته ونتائجه ، والذي كان وجوده في كل مهمة عهدت اليه كثيفا ممتلئا . كمال عدوان ، مع استشهاده ، سيظل معنا بكل الوجـــود الكثيف الممتلىء الحاضر دوما ، وبكل العنف الثوري الهادف الذي كان كمال احد فرسانه .

الالـــم فـــاجع ، غير أن عظمـــة الثـــورة ، اي ثـــورة ، وجدارتها في الحياة هي في قدرتهـــا على تجـــاوز آلامهـــا والارتقاء فـــوق جراحها . وعلى الرغم من ثخانة الجرح الـــذي خلفه فقدان رفـــاق الدرب فلن نجهر بحزننا . فلقد ادركنـــا منذ الليلة التي التقت فيها بنادقنا لاول مرة واطلقنا فيها الرصاصة الاولى اننا جيل الاضاحي ، جيل الاجساد الممدودة جسورا ليعبر من فوقها العائدون المحررون . غير أن عزاءنا هو في وعينا لحقيقة شعبنا المعطاء السخي برجاله . ذلك هو العزاء الحقيقي الا انه مع كل هذا فان دماء رجالنا ليست رخيصة علينا . ان المسببين ـــ كل المسببين ـــ سيدفعون نزفا في مواردهم البشرية، نزفا في مصالحهم الاقتصادية ، نزفا في مؤسساتهم نفسها مهما كان شراسة هـــذه المؤسسات : احتلالا استيطانيا في ارضنا المغتصبة أم مصالح استعمارية تنهب ثروات امتنا في وطننا الكبير .

فلنشدد ضرباتنا في قلب فلسطين المحتلة ولنبـــدأ نضال جماهيرنـــا العربية في كـــل مكان ضد ركائز الاستعمـــار في المنطقة . هذا هو الشعار ، وهذا هو الرد . ووعدا منا للرجال الذين استشهدوا وهم واثقون : سنكمل المسيرة التي من اجلها استشهدوا ، فالبندقية التي رفعت مرة لن تنخفض مطلقا ، وثورة حتى النصر .

ابو يوسف ... رمز جيل كامل

خالد الحسن

شهيدنا أبو يوسف

كل كتابة عنه ستكون ناقصة ، لان قضيته لم تكتمل بعد .

ذلك أن أبو يوسف ، لم يكن في حياته وفي التزامه مجرد شخص اختار طريق النضال والثورة ، بل كان الى جانب ذلك نموذجا بارزا لجيل فلسطيني كامل . ومن خلال تمثيله لهذا الجيل ، ومن خلال تعبيره عنه ، اكتسب قيمته كمناضل وقائد .

في عام ١٩٤٨ شارك في القتال ضد اغتصاب فلسطين ، وخرج من مشاركته تلك ببتر في يده ، حمله علامة لا تزول تذكره بقضيته وبالثمن الذي تستحقه . وحين وقف عام ١٩٦٥ بين تلك الحفنة المجهولة من الرجال التي اعلنت انبثاق الثورة الفلسطينية وحددت لها هدف التحرير الكامل كان أبو يوسف نموذج التواصل في النضال . ولم يكن بذلك يمثل نفسه ، انما كان يمثل جيله بأكمله . هذا الجيل الذي لـــم يخذله ، فلبى الدعوة حتى أصبحت احدى أقوى حقائق التحدي في المنطقة .

قبل ذلك ، واجه أبو يوسف مثل جيله بأكمله ، التشرد والجوع والفقر . وحين حملته احدى السفن الى سوريا قادما من مخيمات غزة كان بالكاد يملك ما يقيم أوده . ومن خلال نقطة الصفر التي كان عليها انطلق يواجه مشاق الحياة ، واستطاع بجهده وكفاءته أن يبني لنفسه حياة خاصة مريحة تغري اي انسان بالركون للراحة والهدوء . ولكنه أيضا مثل جيله بأكمله ، تخلى بسرعة وبوعي كامل عن كل ما بناه أثناء تلك السنين وقرر الالتحاق بالثورة . وأبرز بقراره هذا حنين الفلسطيني للارض واصراره على النضال من أجل العودة اليها . أثبت أكثر من ذلك ، ان ما خطط لاستيعاب الفلسطيني وتذويبه في مدن العالم ومشاريعه يتهاوى بلحظة واحدة يلوح فيها بريق العمل من أجل فلسطين .

وحين دخل عالم القيادة ، ظهرت من خلال أسلوبه في العمل ميزات تراثه النضالي ، فهو لم يكن ذلك النموذج المتطرف من الرجـــال . ولم يكـــن ذاك النموذج المرن من الرجال . كان مزيجا من التطرف والمرونة ، من الصراحة المطلقة والصمت ، من الايجاز في الحديث والممارسة المستمرة . وبهذه الروحية ، وبهذا الاسلوب، كان يعالج كل مشاكل المسيرة،

وزارة المستقبل

سواء داخل الاطار التنظيمي او في مهماته السياسية . وبقدر ما كان الكثيرون ينزعجون من صراحته ، كان الجميع يحبونه ويقدرونه ، لانهم كانوا يعرفون في النهاية اي رجل صريح ، أي رجل صلب ، اي رجل مرن ، هذا الذي يتعاملون معه .

وقد استشهد أبو يوسف وتركنا فجأة . ولكنها ليست مفاجأة على الاطلاق أن يستشهد أبو يوسف ، فالذي يعيش حياته كلها مناضلا تكون الشهادة نصب عينيه دائما . وحين تأتي ، تأتي كجزء من العمل . تأتي كرمز لهذا العمل ، تماما مثل الرمز الذي حمله معه منذ أن هاجر بعيدا عن الوطن . كل ما فعله أبو يوسف أنه أكمل الرمز حتى النهاية . أكمل حلقة الحياة التي بدأها وهو شاب . وهو بهذا يبتعد قليلا عن جيله . يبتعد خطوة الى الامام ، يطل فيها ويراقب المسيرة . وطالما ان هذه المسيرة ماضية في طريقها ، سيظل هناك ما يكتب عنها . ومتى تكتمل المسيرة ، ستبقى كل كتابة عن أبو يوسف ناقصة . لان قضيته هي قضية المسيرة ، هي قضية الجيل الذي يصنع المسيرة ، وهي قضية لم تكتمل بعد .

كمال عدوان رجل في ثورة وثورة في انسان

فاروق قدومي (ابو اللطف)

لقيته لاول مرة قبل اربعة عشر عاما في مدينة الدمام بالسعودية وكان كلانا يعمل في شؤون البترول . كان رجلا نحيل القامة تبدو في نظراته علائم الذكاء والفطنة وكان شابا في مقتبل عمره سريع الحركة والاشارة . فاذا تكلم تخرج كلماته كالحمم من بركان ثائر، وكالقنابل الزمنية تنفجر عند حدود فمه .

كان كمال شابا في مقتبل العمر جاء الى السعودية ليتدرب في حقل اختصاصه . التقينا معه كما التقينا مع رفاق اخرين ، جمعتنا الثورة وضمتنا الحركة في اطارها .

ومرت السنوات الطويلة لنلتقي مرة اخرى في عمان حيث جاء كمال ليتفرغ بشكل نهائي للعمل النضالي مكرسا كل وقته وجهده للثورة وشؤونها . فلا عجب فقد كان طاقة وطنية متقدة تحتاج لمثلها الثورة .

تسلم كمال مكتب الاعلام فكان مسؤولا دؤوبا في عمله دائم البحث والتنقيب عن كل طاقة ثورية خيرة ليحشدها في هذا المكتب المتواضع واستطاع ان يستقطب الداني والقاصي من الصحفيين ورواد الكلمة من العرب والاجانب وكان يجالس الكثير منهم ويتحدث الى البعض وينقل كل افكاره وتصوراته عارية من الرتوش واساليب المجاملة ، فاذا احس بأن هناك من يحاول ان يحتال على الخبر او يزيف الكلمة انطلق كمال يرشقه بجمل طاحنة لا تجعل لمحدثه مجالا للهروب او التهرب . كانت الحقيقة بارزة في كلمته والفكرة واضحة في حديثه . فلا مكان للمجاملات على حساب الثورة او المبادىء.وكم من الناس من غضب لصراحته او لكلمة حق يقولها . ولكنه لا يخشى لومة لائم ويقيم الدنيا ويقعدها بحجة ثاقبة ورأي حصيف اذا دافع عن قضية او مسألة .

لقد كان في كمال عدوان من صدق الثائر وجرأته ما يعجز الواقع عن تحمله فيثير فيه بكلماته واعماله موجات متلاحقة من التأزم فيجعل هذا الواقع قلقا مستنفرا يبحث عن الحقيقة بكل ما فيها من مرارة وعن الخلاص بكل ما فيه من تضحيات .

كان كمال عدوان صورة من صور الحياة النابضة بالوطنية والطموح الخلاق يرنو الى العلا في كل مجال من مجالاته وينقن فن الثورة ويحفظ دروسها عن ظهر قلب ويلقنها

للناس . لقد كان تلميذا واستاذا في آن واحد وكان قمة في التحدي والتجاوز البناء . لقد عظم الكلمة في فكره وعقيدته وأجل العمل في نضاله وكفاحه اليومي ، واجتاح أرض الثورة بنظره الثاقب فكان فارسا يجيد السباق في كل ميدان من ميادين العمل والمعرفة الوطنية . كان كمال صاحب حجة قوية وعقل منظم وذهن وقاد تتدافع الافكار في رأسه كأمواج البحر تتلاطم بعنف لتعود مرة اخرى الى الاعماق في حركة مد وجزر واعيـة مستمرة لا تنقطع أبدا .

كان كمال بعيدا عن المجاملة في صداقته وصحبته فاذا غبت عنه وعدت اليه تراه هو هو بسجيته وطبيعته لا يعطيك اكثر مما تستحق ولا يأخذ منك الا ما يرى انه في وسعك أن تعطيـه .

وفي عمان رفعت الثورة شعارها « أيها الرفاق اصعدوا الى الجبل » ، فكان أول مـن لبى النداء فقام بتنفيذ الامر وتحقيق الشعار واصبح اعلام الثورة يصدر من جبـال السلط ومن كهوفها .

لقد اخرج جريدة «فتح» وأشرف على ادارتها وعبأ لها الكوادر والكفاءات فكانت واسعة الانتشار توزع عشرات الالاف من النسخ في ساعات قليلة . وكانت تتلقفها ايدي الناس بسرعة مذهلة . وكثيرا ما كان كمال يكتب الافتتاحية بقلم ساخر منتقدا اوضاعا خاطئة او نظاما عربيا متخاذلا فكانت كلماته لاذعة قارصة تجلد الخطيئة في مهدها بأسواط الحق وتكشف الانحرافات بوضع الحقائق عارية تحت نور الشمس . لـم تكن للاعـراف الدبلوماسية حظ وفير في حديث كمال ومقالاته فاذا دافع عن رأي كان دفاعه صلبا عنيدا فيه حدة وفروسية ويندفع الى الامام بجرأة وشجاعة يخوض المعارك غير هياب ولا وجل ولكن اذا صدرت له التعليمات وقف عند حده وكان خير من التزم بها وأول من نفذهـا بدقة واخلاص .

كان مشروع روجرز بداية الانفجار في نفسه وخاض نتيجة ذلك حربا ضروسا ضد كـل الخصوم وفي كل اتجاه حتى فقدنا احدى وسائل اعلامنا الكبرى ، فارتد يبحث عن كـل وسيلة محلية يستخدمها ويطورها ليسد كل عجز في وسائل اعلامه وامكاناته المتوفرة . وكنت أراه يتحرك بسرعة مذهلة يبحث وينقب عن دروب جديدة في العمـل والكفاح .

وفي أيلول كان كمال جنديا مقاتلا شرسا في قتاله وقد عاش في عمان بعد احداث ايلول مع كل الرفاق وعانى ما عاناه اخوته من غدر الحكم الهاشمي وخيانته ، وانتقل بعدها الى جرش ودبين يعمل وينظم ويقود في ايمان وثقة لا تتزعزع . وخرج الى دمشق وبيروت ليعيد بناء الاعلام من جديد وكانت الصحف الصفراء تكيل التهم لقادة الثورة . فحاربها وتغلب عليها بقلمه الجارح وبالحقيقة الناصعة ولم تنل منه هذه التهم ولم تثنه عن عزمه بل زادته ايمانا بنفسه وثورته وقدرته على التغيير والتبديل .

كان كمال يكره التراجع والتردد ويندفع كالسهم يخترق الاجواء ويشد قـــافلة الثورة الى الامـــام .

وكان يتمنى لو استشهدت القيادة لتبقى الثورة في عمان . فالجماهير كفيلة بخلق قيادة جديدة لها .

كان رحمه الله يكره الهزيمة ولا يعرف الاستسلام ويتمنى لو يصبح قنبلة زمنية تنفجر كل يوم وتصيب اعداءه . وفي الاشهر الاخيرة من حياته اشرف كمال على المسيرة النضالية داخل ارضنا المحتلة فكان قائدا فذا في ارادته وصائبا في خططه . وقد تسلم بالاضافة الى مهامه الاساسية مسؤوليات اخرى ، كان يتولاها بطيبة خاطر دون تذمر وينجزها في حينها او قبيل الاوان .

لقد كان كمال مثلا في الالتزام والطاعة وقدوة في العمل والتنظيم وخلية حية متفجرة من خلايا الثورة وكان سيد نفسه في كل موقف لا يمل ولا يكل ، يعطي ولا يبخل حتى كـــان عطاؤه الاخير ، فجاد بروحه ودمه في انصع صورة من صور العطاء .

رحم الله كمال عدوان فقد كان رجلا في ثورة وثورة في انسان .

كمال ناصر ... والثورة مستمرة

صلاح خلف (ابو اياد)

من الصعب ان ارثي الشهيد بالكلمة وهو الذي قال « لقد فقدت الكلمة محتواها » ومن الصعب ان ارثيه بالدمع الساخن لان مآقينا جفت منذ حملنا البندقية ... واصعب من الرثاء ان اكتب عنه بموضوعية تامة لانني افقد موضوعيتي عند الحديث عن كمال الصديق والرفيق ... خاصة وان نفسي تبعثرت بفقده وتمزقت من الطريقة التي تمت بها عملية الغدر والاغتيال هذا فضلا عن استشهاد رفيقين الى جانبه من اعز الرفاق مزق استشهادهم بقايا الحزن في نفوسنا وافئدتنا ... ولكنني رغم كل الاسى والالم والتمزق والبعثرة ما زلت أعيش الحوار المستمر الذي كان يدور في هدأة الليل بيني وبين الشهيد كمال ناصر حول الثورة والقضية وما زال هذا الجانب من الحوار لا تشمله حالة البعثرة النفسية التي أعيشها لانه جانب مشرق بالحقائق الدائمة ومضيء بالحسم الذي لا يمكن للموت ان يمحوه او يؤثر في جوهره .

ولا يمكنني في هذه العجالة ان اكشف كل افكار الحوار المفتوح الذي كان يدور بيننا ولكن أهم القضايا التي كنا نتطرق اليها وتأخذ وقتا طويلا من احاديث الليل كانت تكشف الايمان العجيب الذي يعمر قلب الشهيد بالثورة وقدرتها على تخطي ازماتها الذاتية ومجابهة كافة المؤامرات التي تحاك ضدها... هذا الايمان الذي كان دوما يتناول الازمات ويحللها من الجوانب الايجابية مبددا كل سلبياتها بتفاؤل الثوار في وقت يكون فيه التفاؤل ضربا من الجنون كما يكون الايمان مأساة المؤمنين الصادقين .

وبهذه المعادلة البسيطة الايمان والتفاؤل كان يحاكم كافة القضايا المطروحة في الساحة رغم شراسة الظروف وخطورة الوضع ولا يعني هذا انه كان يبسط الامور ولا يحاكمها محاكمة موضوعية فلقد كنا نلجأ اليه في كافة القضايا الهامة نستطلع رأيه فيها ورؤيته لابعادها فنخالفه او نتفق معه ولكن رأيه في محصلته كان يشكل بالنسبة لنا القرار الحاسم وقلما كان يخطىء في التقييم او يتجاوز الامس . ولم يكن الشهيد مستشارا في الثورة تعرض عليه القضايا ليؤخذ رأيه فيها بل كانت كثير من قضايا الثورة الهامة تعرض من قبله ويؤخذ رأيه وتحليله العلمي والعملي كأساس لاية خطة للمجابهة او التصدي او تشكيل القرار . وكان الشهيد لا يكتفي بعرض وجهة نظره وانما كان يقاتل من أجلها بشجاعة نادرة غير آبه بما يقوله الاصدقاء والاعداء على السواء وكم خاض

المعارك تلو المعارك من أجل مبادئه وافكاره وآرائه في قضايا الثورة الاساسيـــة والفرعية ... ولعل أهم هذه المعارك التي خاضها واستشهد وهو يصب من قلبه دما من أجلها هي قضية الوحدة الوطنية بين فصائل الثورة فقد كان له رأي محدد في هذا المجال لم يهتز ايمانه به الى آخر لحظة في حياته فقد كان يرى « ان القضية الفلسطينية ولدت من جديد من خلال الثورة والكفاح المسلح وان من حق الذين يموتون ويقاتلون ان يقودوا المرحلة وبالتالي فعلى كل حملة البنادق والملتزمين بخط المقاتلين ان يتوحدوا في جبهة واحدة وعلى أرضية واحدة » ورغم كل الخطوات الوحدوية التي خطتها لقاءات المجلس الوطني الفلسطيني الاخير الا انها كانت دون مستوى طموح الشهيد « لن ينتهي الحديث عن الوحدة الوطنية الفلسطينية الا باقامة التنظيم الثوري الموحد ولن ينتهـي النضال الدؤوب من أجل تحقيق وحدة أداة الثورة الفلسطينية الا بخلق التنظيم الثوري الموحد »... هذه كانت آخر نبضات قلبه عن الوحدة الوطنية وايمانه الذي لا يتزعزع بها وكم دفع ثمن هذا الايمان المطلق بهذه القضية عند الكثيرين الذين لم يكونوا يستوعبون مزايا وبعد نظر الشهيد حيث كانت تكال له التهم جزافا عن تجيير معنى الوحدة لصالح هذا التنظيم او ذاك وأشهد كانسان عاصر كل مراحل النضال من اجل الوحدة الوطنية ان كمال ناصر كان متحيزا للثورة الفلسطينية نشيده الكبير وتنظيمه الكبير وأشهد كم كان يتمزق وهو يرى العصبية التنظيمة تضع القناع على العيون لتحجب عنها مخاطر التشرذم والفرقة ولكنه رغم كل معاناته الحقيقية كان لا ييأس ولا يتوقف عن اداء دوره كرسول محبة ووفاق فلا ينقل للاطراف والفصائل الا الصورة المشرقة والكلمة الطيبة التي تفتح القلوب وكان يختزن في اعماقه كل الصور المحزنة المؤسفة والمواقف المنفعلة والمتشنجة من هذا الطرف او ذاك حتى تكاد نبضات قلبه تقف من كثرة معاناته وصبره ومثابرته وعندما كنت أثور عليه وأتساءل مشفقا عليه الم تتعب من هذا الدور يـا ضمير ...؟؟ كانت اجابته الدائمة « أنا لست على هذه الساحة النضالية بالصدفة فأنتم لا تعرفون قيمة ثورتكم كما أعرفها أنا بحسي الناري أرى ان قضية الوحدة هي قضية عمري وسأناضل من أجلها وستنتصر ارادة الوحدة رغم كل المعوقين والحاقدين ... »

وكنت دائما رغم حبي له أتلذذ بتعذيبه بهذا الحوار حول دوره في الثورة وقضاياها لان الثورة كانت حبه الكبير الذي أعطاه عصارة أفكاره وعاطفته وله في حبه ما لكل المحبين من عذابات وجراحات حتى كان الحسم في كافة قضـــاياه الشخصية وجوانب حياته الخاصة عندما يصل الامر الى الخيار بين الثورة وحياته الحضارية كما كان يحلو له ان يسميها وكما ان المحبين تعصر الغيرة قلوبهم كان شهيدنا كمال يغار على الثورة من الحاقدين عليها باسم النقد خاصة اولئكم الذين كانوا يضعون الاخطاء الى جانب الخطايا حيث كان يرى الثورة بكل سلبياتها اشرف مـــا في الساحة العربية لانها تقاتل ولانهـــا نقطة الدم الساخن الذي ينزف بالكبرياء والكرامة ولانها شرف هذه الامة الذي لم يساوم ونبض عزتها الذي لم ينحن واكثر ما كنت اراه غاضبا ساخطا عندما كان يسمع ان زعيما

غريبا يتشدق من فوق المنابر بكلمات النقد والتجريح بالثورة وكان يصرخ من ألمه مجروحا « هؤلاء لا يحق لهم ان ينتقدوا لان انتقاداتهم من موقع التربص وليس من موقع التفهم لواقعنا والالتزام بخطنا » .

ونفس الغضب والثورة الجامحة كانت تلازمه عندما يقرأ ما يكتب على الجرائد او في الكتب من نقد للثورة من بعض المثقفين الذين يصبون أحقادهم على الثورة من خلال « الجمل الثورية » التي يرددونها دون وعي لظروف المرحلة ولما يجب ان يقال ومتى يجب أن يقال حيث كان يصفهم بالمثقفين المترفين الذين لم يمارسوا النضال ممارسة يومية من موقع الالتزام الثوري والمعاناة الحقيقية لظروف الثورة وقضاياها... فيضعون انفسهم من حيث يريدون او لا يريدون ومن حيث يشعرون او لا يشعرون ضمن جوقة الحرب النفسية التي تشنها الدوائر الامبريالية والصهيونيين على الثورة الفلسطينية... لقد كانت الغيرة على الثورة تتعدى هذه المواقف وتتجاوزها وكان ايمانه ينطلق بلا حدود الى حتمية انتصار الانسان العربي على الهجمة الامبريالية الصهيونية الشرسة لان الثورة الفلسطينية كانت بالنسبة له طليعة تفجر مناخ النضال وتعمق ارادة القتال والرفض لدى الجماهير العربية ومن ثم تستطيع هذه الجماهير من خلال ثورتها العارمة ان تمد يدها الى كل القوى الصديقة والمعسكر الاشتراكي وكافة قوى التحرر في العالم من أجل العدالة والحرية والسلام ومن أجل ان ينتصر الانسان المضطهد والمعذب في كل انحاء الارض .

هذه كانت خطوط الرسالة التي حملها الشهيد كمال ناصر وكان ايمانه بحتمية الانتصار العربي ينبع من ثقته بالجماهير التي لا يمكن ان تقبل بعار الهزيمة ولان حركة التاريخ مع الجماهير وخطها السياسي الواضح المؤمن بحرب الشعب الطويلة المدى ولان طليعة هذه الجماهير هم ثوار فلسطين الذين يقاتلون ويصنعون تاريخ امتهم بتضحيـــاتهم وبصلابتهم كان يرى الشهيد ان الثورة الفلسطينية مستمرة ومنتصرة لانها في اتجاه التاريخ الذي لا يخطىء الطريق ولا ينحرف عن اتجاهه السليم مهما تكالبت قوى الشر للانحراف به عن مجراه .

وكما بدأت الحديث اجدني مشدودا في نهايته الى بدايته الصعبة وما ذلك الا لضعفي امام كمال الصديق والرفيق فهو بالنسبة لي كما لغيري كتاب كبير تناولته فجأة ريح عاتية مجرمة فمزقت صفحاته ونشرتها في كل اتجاه فكيف يستطيع الصديق والرفيق ان يجمع هذه الصفحات وهو يعيش حالة الذهول والضياع من خلال الصدمة ولكنني رغم الضياع والحزن والحيرة أجدني مضطرا لان اكرر نفسي وأقول :

لقد فقدت الثورة الفلسطينية والعربية رجلا شجاعا لان الشجاعة في معناها الحقيقي الالتزام بخط الثورة في المحنة والرخاء وكذلك كان كمال ناصر ...

وفقدت الثورة رجلا مفكرا صاحب كلمة شجاعة وهادئة وعاقلة وثورية في نفس الوقت وقيمة الكلمة ان تكون كذلك في مرحلة خطيرة تمر بها الثورة ...

وفقدت الثورة انسانا كان يتعذب بصمت دون ان يجعل الاخرين يحسون بهذه المعاناة القاسية كان بين الحين والحين يتجسس مواقع الخطر فيتحدث ولكن بدون الم وينذر ولكن بلا ضجيج ويحذر ولكن بالتزام كامل ... والانسان الكبير وحده هو الذي يستطيع ان يجترح هذه المعجزة فيصمت عن احزانه ليبدو ايمانه أكبر من جراحاته وليبدو تفاؤله أقوى من واقع آلامه ومعاناته ... والخسارة هنا في كمال لا تعني المدلول المادي للكلمة بقدر ما تشير الى عمق الفراغ الذي سيخلفه غيابه الابدي عنا ...

ولن يحس بهذا الفراغ القاسي الا اولئكم الذين عاشوا مع كمال في أحلك الظروف وأقساها والذين كان يسكب في قلوبهم من حنانه واشراقة محياه ما يجعلهم ينسون أحزانهم . واخيرا ، لقد قتلوك ثم صلبوك وكأنهم يريدون ان ينذروا كل الاديان هذا مصير الفكر والعقيدة ولكنهم ما دروا ان دمك الغالي جعل المسلمين مسيحيين وجعل المسيحيين مسلمين فصلوا عليك في المسجد وصلوا على رفيقيك ابو يوسف وكمال عدوان في الكنيسة ... نعم اغتالوك واغتالوا معك أعز الرفاق وأعظم الرجال وأحب الاخوة والمناضلين ولكنهم لم ولن يغتالوا القضية التي قضيت ورفاقك من أجلها..

لقد تركتنا يا كمال انت ورفاقك لنكتب فيكم الرثاء ونحن نعيش أدق وأخطر مراحل القضية ولكن عزاءنا اننا سنظل على العهد وعلى نفس الطريق واصرار على نفس الخط ثورة مستمرة لن نخون او ننحني او نستسلم وسيظل نضالنا من اجل مبادئكم أكبر من الالم واقوى من الجرح نصارع الاحزان ونحن نردد كلماتك يا كمال :

« أما القيادات فتتغير وأما الاشخاص فسيزولون وتبقى القضية أكبر من القيادات والاشخاص ولا بد ان يذوب الجزء في الكل وان يذوب الكل في الثورة قبل ان تسقط الثورة الاجزاء التي لا تستحق الحياة » .

كمال ناصر ... شاعر في ورشة الثورة

الدكتور كلوفيس مقصود

يبدو أن العدو سبقنا بتقييم أهمية كمال ناصر في حياته حتى أخذنا الآن ندرك حقيقة عظمته بعد استشهاده . فالعدو أدرك أن كمال ناصر كان انسانا بمنتهى الخطورة . لقد أدرك انه وان لم يكن في الجهاز القتالي المباشر للثورة الفلسطينية الا انه كان عاملا رئيسيا في جعل القتال محببا للجماهير، وهذا عنى ان بقاءه سيكون من العوامل المساعدة على ديمومة الجماهير في استعدادها ورغبتها أن تمد الثورة بالمزيد من المقاتلين . كما ان كمال ناصر كان خطرا لأنه في طليعة من ساهموا في تأمين احتضان شعبي واسع ومكثف لفكر المقاومة وممارساتها ، وبالتالي ساهم بشكل رئيسي في دحر المحاولات المتكررة التي لجأ اليها العدو وحلفاؤه بغية عزل المقاومة عن قطاعات الشعب الفلسطيني .

كان كمال ناصر محاورا وملتزما . كان الحوار بالنسبة له تأكيدا للالتزام وقدرة في جعل ما يلتزمه جزءا من قناعات العالم . كان يؤمن بالحوار من أجل اقناع الغير بعدالة وصوابية قضيته بالاضافة الى اعتباره أسلوبا جدليا يثري الالتزام ويطوره . فالالتزام العاجز عن التحاور يصاب حتما بالجمود ويتقوقع في حالة من الترهل والتزمت .

ادرك العدو ايضا أن دور كمال ناصر في كونه شاعرا في ورشة الثورة ، من شأنه أن يرسخ في وجدان الجماهير ديمومة الثورة وحتميتها . وحيث أن الملتزم الذي يعمل في ورشة الثورة يمارس ويفعل وهو عارف مدى ما باستطاعته انجازه مرحليا ، والشاعر في الثورة — أو حتى شاعر الثورة — يسجل أحلام الثورة والثوار فتكون أبياته تعبيرا عن معاناة أو اعلانا عن تأملات مستقبلية ، لكن الشاعر في ورشة الثورة مثلما كان كمال ناصر فهو الذي عنده الاستعداد والرغبة أن يضع يديه ورجليه وأظافر عقله وأسنان ضميره في **ورشة** الثورة . هكذا يدخل الحلم بالموجود فلا يعود الموجود قانعا وكافيا وينتقل المستحيل الى حيز الممكن . فيلتقي في الورشة الثائر بالشاعر في كل انسان فلا يعود الملتزم يكتفي بالممكن ولا أحد يعود يعترف بالمستحيل . كمال ناصر كان نموذجا طليعيا للملتزمين المجددين في الثورة الفلسطينية المعاصرة . من أجل هذا قتلوه لانهم اعتقدوا أنهم اذا اغتالوا النموذج تمكنوا من وقف انتشار العدوى .

كان كمال ناصر واقعيا داخل الثورة وكان بنفس الوقت ثائرا على الواقع . كان يستمد

من الثائرين في الثورة حيوية جددت من فعاليته في الثورة على الواقع . تصور كمال ناصر مهمته كونها ايصال الواقع الى الثورة حتى لا تنقطع الثورة عن الواقع . من خلال معرفته الدقيقة للواقع أدرك كمال ناصر كيف يصبح باستطاعة الثورة أن تغير الواقع . هنا وجد نفسه في مأزق كبير . كانت شاعريته المرهفة تفضل أن يردد انشودة الثورة فيصبح فارسا من فرسان أحلامها الا ان كمال ناصر اختار ورشة العمل يغامر بشاعريته بدلا من المغامرة في ثوريته المتأصلة في كيانه وتاريخه وسيرته . وكم بدا وكأنه مزدوج الشخصية عندما كان يحنو الى ايقاع الحان أشعاره ويتأمل مـــا يمكنه عطاءه في هذا المضمار وفي نفس الوقت يستدرك استباقا منه لهاجس الخوف الحقيقي من أن يؤدي به الحنين الى استعداد نفسي للتخلي عن الممارسة الثورية . كان مكانه الأول والاخير رغم كل الظواهر ، هو في ورشة الثورة .

لم يكن كمال ناصر هكذا في الثورة الفلسطينية المعاصرة فحسب بل كان هكذا في ورشة الثورة العربية التي عاش بكليته تعرجات وتضاريس مسيرتها المتعثرة والمنتكبة .. وكان كمال ناصر يقلق على مصير الورشة وكان يتمزق فهو قد وجد نفسه ـــ ايام البعث ـــ في مواقع التفكير لكنه بعيدا ومبعدا عن مواقع التقرير .. وكانت مأساته ان طلاقا حصل بين مواقع التفكير والتقرير وجسد الضياع وحالة التيه التي عاشها جيله بأمانة كاملة ، لكن في الوقت نفسه كان كمال ناصر يفتش عن طريق وعن منهاج وعن وسيلة يعيد بها بناء ورشة الثورة لان كل سلطة ، بنظره ، دون مستوى الثورة تكون فاقدة للأهلية وللشرعية. كمال ناصر اصر أن لا سلطة خارج الثورة ولا ثورة حقيقية مع سلطة مبتورة.

وجاءت هزيمة ١٩٦٧ ووجد كمال ناصر نفسه وجها لوجه مع العدو فنفذ ببصيرته الى حقيقة مراميه فترسخت قناعاته بضرورة ترميم الثورة .. وحيث كان يفتش كان يغني مآسي شعبه وطموحاته حتى شرده العدو وكان من أوائل من اخرجتهم سلطات الاحتلال واذ به ثاني يوم معركة الكرامة يجد ورشة الثورة فينخرط في صفوفها يحمل اليها تجربة خصبة وتصميما فولاذيا ـــ ظنها الكثيرون نقيضا للشاعرية ـــ على تجنيب ورشة الثورة الجديدة اخطاء وفواجع ورشات الثورات العربية السابقة . وكان لا بد أن يعي ويضغط على أن تكون عناصر التفكير والتقرير في موقع واحد ، وفي خندق واحد .

من أجل ذلك استبقى كمال ناصر استقلاليته التنظيمية اعتقادا منه ان باستطاعته ان يساهم في ابقاء فصائل المقاومة بأوثق وأدفأ العلاقات فيما بينها ومع الملتزمين المصدومين من هزيمة ١٩٦٧ والمؤسسات التي أوصلتنا الى الهزيمة . من هنا كان دور كمال ناصر في أن يبقى مستقلا عن تنظيم الفصائل لكنه بنفس الوقت مؤتمنا على الانضباط في وحدتها الوطنية .

كان جريئا في تصديه للتشرذم ولكل محاولات التفرد في العمل أو المبادرة . في هذا المضمار لعب دورا رئيسيا في ارساء قواعد الوحدة الوطنية ومواثيقها وجعل من دائرة الاعلام

والتوجيه القومي التي كان مسؤولا عنها في منظمة التحرير تنبض بالحيوية التي تختزنها هذه الوحدة . ولما كان مقتنعا ان لا اعلام بدون سياسة ، توجـــه من خـــلال تمرسه بالمسؤولية القيادية المباشرة الى جعل السياسة العامة للثورة متماسكة بحيث تحول دون طغيان أية عصبية تنظيمية أو أية تزمتات مذهبية . لذلك فان استقلاليته الملتزمة كانت بمثابة القاسم المشترك الفكري والسياسي بين الفصائل العاملة في المقاومة مما مكنه من التصرف مع كل منها وكأنه في « بيته » السياسي . هذا ما جعل من لقب « ضمير » الذي حمله لسنوات مصدقا ومقبولا على انه أكثر من مجرد لقب . واذا نحن درسنا ما عانته المقاومة من جراء غياب الوحدة الوطنية لأدركنا الاهمية التاريخية للدور الذي قام به كمال ناصر أثناء ممارساته القيادية .

من موقع كمـــال ناصر في الثورة تمكن أن يوصل اعلاميا ثقـــل المقاومة الـــى مختلف القطاعات . فكانت افتتاحياته في « فلسطين الثورة » بمثابة توجيهات تستهدف تعميق مفاهيم الالتزام بأهداف الثورة الستراتيجية والمرحلية . كان يتعمد أن يشارك المستهدف من اعلام الثورة كل أوجه المعاناة والمراحـــل التفكيرية التي أوصلتـــه الى القناعات والنتائج . فلم يكن ما يقوله أو ما يكتبه هو مجرد محصلة ونتيجة التفكير النهائي للمقاومة بل اشراك القارىء والمستمع بكيفية الوصول الى هذه المحصلة او تلك النتيجة . كانت نظرته في هذا المضمار أن القناعات تتكون من خلال اشراك الناس بخلفية النتائج المتوخاة بدلا من جعل ترديد النتائج أو السياسات معيار الولاء أو الالتزام . الاعلام بنظره لم يكن وسيلة لفرض وصاية فكرية أو سياسية بل تفتيحا لآفاق الملتزمين وجعلهم مجندين من أجل قناعات الثورة وسياساتها .

وعى كمال ناصر تعقيدات التحدي الذي تواجهه الثورة ووعى أهمية دور الاعلام في الاجابة على التحدي. أدرك أنه من الضروري بحث كل البدائل والاحتمالات ليتمكن القرار السياسي أن يكون محيطا بكل المضاعفات المرتقبة ويكون القرار بالتالي محصنا في موقفه وقادرا على الاقتحام وعلى اضاءة طريق المسيرة. من هنا اتاحه في الدرس والاستقصاء وعرض أفكاره على عدد من أصدقائه الملتزمين أو من معاونيـــه في مجلس الاعلام قبل طرحها حتى عندما سجلت كلاما وأحرفا كانت بمنتهى الوضوح والنضج والشمول . وكانت أكثر من ذلك ، كانت بمثابة المواقف التي لا تستقيم ثورة بدونها .

ومع الذين جاؤوا من كل أرجاء العالم يستفسرون عن هذه الثورة التي قامت على أنقاض هزمية ، او مع الذين جاؤوا وهم مختمرون بالمسلمات الصهيونية، أو مع المراقبين الذين يريدون تجميع المعلومات دون التعرف الى معاناة الشعب الفلسطيني ، مع الذين أرادوا منه تلخيص القضية ، بخمس دقائق للتلفيزيون ، مع الكتاب والمعلقين الاجـــانب من أصدقاء ومحايدين وخصوم، كان كمال ناصر يوصل اليهم نزعة التفاؤل التاريخي بمستقبل قضية شعبه . كان يفند بشكل حاد أضاليل الصهاينة وكان يستثير قطاع الوجدان عند

« المراقب » و« المحايد » لان المراقبة والحياد لا يجوزان وغير ممكنان في قضية عادلة كقضية شعب فلسطين . في الخارج مثله في الداخل حبب المقاومة والقضية الى من ظن بأنهم أبعد الناس عن المقاومة وعن القضية .

مرات عديدة كنت أتذمر ان أعدل قضية مخدومة اسوأ خدمة . . . هزه هذا التذمر وعمل، فكان هو من قافلة خدامها الخيرين . . . المتزايدين .

ماذا كان يوصي فداء لاستشهاده . . . مزيد من الثورة وابتعاد عن أساليب الثأر . . . الثورة كانت له أشمل وأعمق من الانتقام . . . من أجل هذا خافه العدو الفاشستي الذي تأنف الثورات مسه لانه متلوث بجاهلية الثأر .

كمال ناصر . . فرع الثوار في ورشة الثورة العظمى .

ثورة مستمرة

طوبى لشيء لم يصل !

محمود درويش

هذا هو العُرس الذي لا ينتهي
في ساحة لا تنتهي
في ليلة لا تنتهي ..
هذا هو العرس الفلسطينيُّ
لا يصل الحبيبُ الى الحبيبْ
إلّا شهيداً أو شريدا

دَمُهم أمامي ..
يسكن اليوم المجاورَ —
صار جسمي وردةً في موتهمْ ..
وذبلتُ في اليوم الذي سَبَقَ الرصاصةَ
وازدهرتُ غداةَ أكملتِ الرصاصةُ جُثّتي..
وجمعتُ صوتي كله لأكون أهدأ من دمٍ
غطّى دمي ...

دَمُهم أمامي
يسكن المدنَ التي اقتربتْ
كأنّ جراحهم سفنُ الرجوعِ
ووحدهم لا يرجعون ...

دَمُهم أمامي ..
لا أراهُ

كأنه وطني
أمامي .. لا أراهُ
كأنه طُرُقات يافا —
لا أراهُ
كأنه قرميد حيفا —
لا أراهُ
كأنّ كل نوافذ الوطن اختفتْ في اللحمِ
وحدهمُ يرون
وحاسّةُ الدم أينعتْ فيهم
وقادتهم الى عشرين عاماً ضائعاً
والآن ، تأخذ شكلها الآتي
حبيبتُهم ..
وترجعهم الى شريانها .

دمهم أمامي ..
لا أراهُ
كأنّ كل شوارع الوطن اختفتْ في اللحمِ
وحدهمُ يرون
لأنهم يتحررون الآن من جلد الهزيمة والمرايا
هاهمُ يتطايرون على سطوحهم القديمةِ
كالسنونو والشظايا
هاهمُ يتحررون ...

طوبى لشيء غامضٍ
طوبى لشيء لم يصل
فكّوا طلاسمه ومزّقَهُمْ

فأرّخْتُ البداية من خطاهم
[ها هي الأشجار تزهرُ
في قيودي]
وانتميت الى رؤاهم
[ها هو الميناء يظهرُ
في حدودي]
والحلم أصدق دائماً . لا فرق بين الحلم
والوطن المرابطِ خلفَهُ ..
الحلم أصدق دائماً . لا فرق بين الحلم
والجسد المخبّأ في شظيّهْ
والحلم أكثر واقعيّه

ألسفحُ اكبر من سواعدهمْ
ولكنْ ..
حاولوا أن يصعدوا
والبحر أبعد من مراحلهم
ولكن ..
حاولوا أن يعبروا
والنجمُ أقرب من منازلهم
ولكن ..
حاولوا أن يفرحوا
والأرض أضيقُ من تصورهم
ولكن ..
حاولوا أن يحلموا

طوبى لشيء غامض
طوبى لشيء لم يصل
فكوا طلاسمه ومزّقهم
فأرّخْتُ البداية من خطاهم

وانتميت الى رؤاهم
آه .. يا أشياء ! كوني مبهمه
لنكون أوضح منك
أفلستِ الحواسُّ وأصبحتْ قيداً على أحلامنا
وعلى حدود القدسِ ،
أفلست الحواس ، وحاسّةُ الدم أينعت فيهم
وقادتهم الى الوجه البعيد
هربت حبيبتهم الى أسوارها وغزاتها
فتمردوا
وتوحدوا
في رمشها المسروق من أجفانهم
وتسلّقوا جدران هذا العصرِ
دقّوا حائط المنفى
أقاموا من سلاسلهم سلالمْ
ليقبّلوا أقدامها
فاكتظّ شعبٌ في أصابعهم خواتمْ
هذا هو العرس الذي لا ينتهي
في ساحة لا تنتهي
هذا هو العُرسُ الفلسطينيُّ
لا يصل الحبيبُ الى الحبيبْ
الاّ شهيداً .. أو شريدا

— من أي عامٍ جاء هذا الحزنُ ؟
— من سَنةٍ فلسطينيةٍ لا تنتهي
وتشابهتْ كل الشهور ، تشابه الموتى

وما حملوا خرائط او رسوماً او اغاني للوطن
حملوا مقابرهم ..
وساروا في مهمتهم
وسرنا في جنازتهم
وكان العالم العربيّ أضيق من توابيت الرجوع.

أنراك يا وطني
لأن عيونهم رسمتْكَ رؤيا .. لا قضية !
أنراك يا وطني
لأن صدورهم مأوى عصافير الجليل وماء وجه المجدلية !
أنراك يا وطني
لأن اصابع الشهداء تحملنا الى صفدٍ
صلاةً .. او هويّة
ماذا تريد الآن منّا
ماذ تريد ؟
خذهم بلا أجرٍ
ووزّعهم على بيّارة جاعت
لعلّ الخضرة انقرضت هناك ...

ألشيءُ .. أم هُمْ ؟
إن جثة حارسٍ صمّامُ هاوية التردّي–
[هكذا صار الشعار ، وهكذا قالوا]
ومرحلةٌ بأكملها أفاقتْ – ذات حلم –
من تدحرجها على بطن الهزيمة ، [هكذا ماتوا]

وهذا الشيء .. هذا الشيء بين البحر
والمدن اللقيطة ساحلٌ لم يتّسع الاّ لموتانا ،
ومروا فيه كالغرباء [ننساهم على مهل]
وهذا الشيء .. هذا الشيء بين البحر
والمدن اللقيطة حارسٌ تعبت يداه من الاشارة
لم يصل احدٌ ومروا من يديه الآن
فاتسعتْ يداهُ
كلُّ شي ينتهي من أجل هذا العرس ..
مرحلة بأكملها أفاقت — ذات موت —
من تدحرجها على بطن الهزيمه ..

أَلشيء .. أم هم ؟
يدخلون الآن في ذرات بعضهم ،
يصير الشي أجساداً ،
وهم يتناثرون الآن بين البحر والمدن
اللقيطة
ساحلاً
أو برتقالاً —
كل شيء ينتهي من أجل هذا العرس
مرحلة بأكملها .. زمانٌ ينتهي
هذا هو العرس الفلسطينيّ
لا يصل الحبيب الى الحبيب
الا شهيداً أو شريداً .

آخر حديث للشهيد كمال عدوان

بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لاغتصاب ارض فلسطين دعا مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية الى ندوة حول المجابهة العربية ــ الاسرائيلية . وقد مثل المقاومة الفلسطينية فيها الاخ الشهيد كمال عدوان . واشترك في الندوة الاخوة الهيثم الايوبي وياسين الحافظ ويوسف صايغ ونديم عبد الصمد وكلوفيس مقصود وعبد الرزاق اليحيى ، وأدارها الاخ ابراهيم العابد . واذ نامل ان ننشر في الاعداد القادمة من « شؤون فلسطينية » مشاركات الاخوان في الندوة ، نقدم فيما يلي نصا حرفيا لمشاركة شهيدنا الكبير كمال عدوان . وتتكون المشاركة من حديث الشهيد ثم ملاحظاته على زملائه ، وقد كان هذا الحديث وهذه الملاحظات آخر مشاركة فكرية لكمال عدوان ، اذ سبقت استشهاده بخمسة ايام فقط .

ــ انا احسدكم لانه سيكون لكم الحظ بمناقشتنا ، والتحكم بنا كما تريدون ، وكنت أتمنى ان أكون واحدا منكم كي اناقش الاخ عبد الرزاق فيما قاله ! كي لا تمر اقواله كمسلمات . احب أن اوضح : انني لست مراقبا ، ولست ناقدا ، ولكني ملتزم ، وبالتالي لا اتحدث من موقع المراقبة او موقع النقد ، لانني اتكلم من الموقع الذي ينوي ان يحرك الاخرين في اتجاه رؤياه .

الموضوع اولا ، لي ملاحظة عليه ، تسميته « بالمجابهة العربية » ، يحتاج لتوضيح ، لانه في الحقيقة لا يوجد شيء اسمه المواجهة العربية ! هنالك نظريتان للمجابهة القائمة الان : **نظرية المجابهة الرسمية ، ونظرية المجابهة الجماهيرية التي تطرحها الثورة الفلسطينية .** ولا يجوز ان يجري الحديث عن النظريتين كشيء واحد وبلا تحديد ، والا اصبح خلطا ، واصبح انشاء . ومن ثم لا يمكن ان نصل الى نتائج صحيحة . وفي المقابل ايضا ان النظريتين في حالة صراع . من منهما النظرية التي يجب ان تتبناها المنطقة ، لكي تصل الى نتائج ؟ فالعملية ليست ترفا ، ولكن هي نتيجة لتحليلات . في الحقيقة هناك اكثر من تحليل ، وكل تحليل قاد ، ويقود ، لشكل المجابهة كما يراها كل طرف . وهذا يستدعي مني ان اقدم تحليلنا ــ كثورة فلسطينية ــ الذي قادنا لاختيار مجابهة من طبيعة مختلفة للمجابهة التي تتولاها الدول العربية الرسمية ، او التي تدعو لها الدول العربية الرسمية . ولا استطيع التحدث عن طرف ثالث ، وهو الطرف الذي : «يعلن يجب ان تعمل الدول العربية كذا وكذا ، ويجب ان يعمل كل مسؤول عربي كيت وكيت . ويجب ان يعمل ... ويجب ان يعمل الخ» . ولكن المسؤول العربي الذي يسمع كل هذه اليجب غير موجود ، وكذلك غير موجودة الدول العربية التي تسمعها . لقد كان عبد الناصر ــ أقوى شخصية عربية موجودة ــ كان غير قادر على تحقيق هذه الطلبات جميعا ، لان الواقع العربي لم يكن يمكنه من تجنيد كافة الامكانيات ، بالاضافة الى ان في تحليله ما هو مختلف عن تحليلنا .

في البداية ، يهمني ان احدد ، في أي صراع ، ما هي عناصر الصراع الرئيسية . بهذا التحديد استطيع ان اصل بالنتيجة التي تقول كيف يجب ان تكون المجابهة .

عناصر أي صراع دائما هي :

١ ـــ قضية الصراع ، واهدافه .

٢ ـــ شكل الصراع واطرافه وادواته .

٣ ـــ ساحة الصراع .

٤ ـــ توقيت الصراع .

ـــ طبعا اسمحوا لي ان استعمل كلمة « صراع » في مكان « مجابهة » ، لانها يمكن ان تؤدي نفس المعنى ، بصورة ادق واشمل .

اولا ـــ قضية الصراع :

في نظرنا ان قضية الصراع تتناول موضوع التناقض الحدي ، بين اطراف الصراع في المنطقة . ان اطراف الصراع يهدفون دائما ، الى معالجة موضوع التناقض القائم . فمن جانبنا ان الوجود الاسرائيلي بالنسبة لنا يشكل حالتين : حالة احتلال استيطاني : انتزع الارض وافرغها ، والحالة الثانية هي : حالة القاعدة . القاعدة لقوى الاستعمار في المنطقة التي تريد ان تستهلك امكانيات المنطقة ، ان تستنزف امكانيات المنطقة . وان تشل امكانيات الفعل في اتجاه التطور والتغيير . يقول الدكتور يوسف صايغ ان الحاجة الاميركية للطاقة في العالم تتزايد ، الحاجة الاميركية للطاقة تستند على الا يتمكن العرب من السيطرة على مصادر الطاقة، الامر الذي يستدعي وجود عناصر تستنزف هذه القوى ، وتشد اهتماماتها وتشل قدرتها على الفعل ، هذا فضلا عن ان تكون مرتكزا للقدرة الاميركية للقفز منها على مصادر الطاقة في أية لحظة . من هنا : كيف يمكننا ان نحدد أهداف الصراع ؟ ما دامت طبيعة الصراع قد اتضحت : ١ ـــ احتلال استيطاني في المجال الفلسطيني ، ٢ ـــ قاعدة لتهديد المنطقة العربية واستنزاف قدراتها . ومن هنا طرحت النظريتان المختلفتان في المنطقة العربية : النظرية التي تقول بتنفيذ قرارات ١٩٤٨ ، والنظرية التي تقول تصفية الوجود الصهيوني . النظرية الاولى تمثل **نظرية الامن الاقليمي** ، اي كل دولة عربية تبحث عن أمنها ضمن حدودها ، وترفع فلسطين من الحساب . المهم ان تصل للاتفاق مع الوجود الصهيوني على ترتيبات أمنية لحدودها، في الاطار الاقليمي . اما النظرية الثانية فتمثل **نظرية الامن القومي** ، والتي تتبناها الثورة الفلسطينية ، والتي تقول : ان الوجود الاسرائيلي على الارض العربية مهما تضاءل حجمه ، لا يقاس بالكيلومترات ، ولكنه يقاس بوجود القاعدة على أي حجم كان ، أي تظل قاعدة مؤهلة لاستنفاذ جهد المنطقة وقاعدة لتهديدها ، وللاستعمال ضدها عند الحاجة . من هنا ، حتى تستطيع ان توفر الامن القومي للمواطن العربي لا بد ان يصفى هذا الوجود . هنا نقطة البداية في الخلاف بين نظريتي المجابهة . نظرية الامن القومي التي تدعو لتحرير كامل الارض الفلسطينية بتصفية هذه القاعدة ، ونظرية الامن الاقليمي التي تدعو للتفاهم مع الاحتلال ، مهما اخذ هذا التفاهم من تسميات ، «تسوية»، « قرار ١٩٤٨ » ، « قرار التقسيم » ، « قرارات الامم المتحدة » ، « قرار مجلس الامن ٢٤٢ » ، « مشروع روجرز » ، ليس المهم التسمية . النتيجة بالتفاهم مع الاحتلال ونعني الاعتراف به .

ثانيا : شكل الصراع :

تحكم الصراع الخصائص الاساسية التي تتمايز بها اطرافه . من هو الذي يريد ان يقود الصراع، ويحاول ان يستثمر امكانياته . ففي المجال الاسرائيلي : يحاولون ان يستثمروا خصائصهم ومميزاتهم.ونحن أيضا مطلوب منا أن نستثمر خصائصنا ومميزاتنا (!) ولهذا فالطرف الذي يستطيع أن يفرض على الاخر شكل الصراع ، بالتأكيد ، سوف يضمن

نتائج الصراع . في الطرف الاسرائيلي ، الخصائص هي : مستوى حضاري متقدم ، جيش ميكانيكي باستراتيجية هجومية ، ندرة في المساحة البشرية والجغرافية — وهذه نقطة الضعف — ، دعم خارجي سريع الحركة . اما من ناحيتنا ، ففي المجال القومي لدينا : عمق جغرافي ، عمق بشري ، تخلف حضاري ، بطء في التحرك الجماهيري العربي . اذا ، في مقابل الدعم الخارجي السريع الحركة ، وحتى نستطيع ان نعبىء الجماهير العربية ، تلزمنا فترة زمنية أطول . لان الجماهير العربية لا تتحرك بقرار ولكنها تتحرك من ضمن حالة جماهيرية ، بينما الجيش الاسرائيلي يتحرك بقرار. من هنا يتحدد شكل الصراع الذي يريد ان يحدده كل طرف . فالطرف الاسرائيلي يختار الحرب الخاطفة ، لان في الحرب الخاطفة ينتصر من يتحرك أسرع ، فينقل المعركة الى خارج حدوده ، فتصبح المعركة في الارض العربية وليس في التجمعات الاسرائيلية . والطرف العربي ، عندما تنقل المعركة الى ارضه ، يصبح في حالة دفاع . كيف اذن ؟. الخيار الوحيد يصبح أمام المنطقة العربية هو الحرب التي تستثمر فيها امكانيات المنطقة وهي الحرب الطويلة الامد ، الحرب التي ينتصر فيها من يصمد أطول ، وليس من يتحرك أسرع . من خلال هذا الصمود تتاح فرصة تحريك الجماهير العربية . ولقد اثبتت تجربة ٦٨ و١٩٦٩ ، ان هناك تحركا جماهيريا في المنطقة قد بدأ يعبر عن نفسه ، وفي المقابل تركز الجهد العربي المعادي للثورة ، تركز في امتصاص هذا التحرك الجماهيري ، وفي سلخه عن الثورة الفلسطينية ، لان هذا التحرك هو الذي سيؤدي الى حالة التغير في المنطقة ، لاحداث حالة تغيير في مواقع القرار العربي ، لاحداث حالة التوحيد للجهد العربي لحساب قضية النضال .

اطراف الصراع : الاستعمار وقاعدته « الطليعية » اسرائيل . الامة العربية وطليعتها الشعب الفلسطيني .

ادوات الصراع : من ؟ الكل يتحدث عن الطرف الثالث دائما ، ليعمل العرب ... ، ليعمل العرب ... ، يعمل العرب ... ، كلا، الجواب : ان تتحرك طليعة متميزة تأخذ على نفسها مسؤولية احداث هذا التغيير وقيادته . قد تبدأ صغيرة ، وقد تبدأ ضئيلة ، وقد تبدأ محدودة الفعل ، ولكنها قادرة على أن تتطور . المهم ان تملك هي زمام القرار والفعل . هي الفاعل ، ولا تتحدث عن الفاعلين . لا تتحدث دائما عن الطرف الثالث . الحديث عن الطرف الثالث هو حديث مراقب. بقينا ننادي بتسليح الفلسطينيين ، « بدنا سلاح ... ، بدنا سلاح ... بدنا سلاح ... » عشرين سنة ، ولم يستجب احد ، واخيرا حملنا السلاح ، بدأت بمحمود حجازي ، « ستن »"صدىء وثلاثين « فشكة » ، وبعد ذلك تدفق السلاح ... واصبح السلاح الذي بأيدينا يعني الكثير ، حالة مختلفة ، لهذا عليك ان تبدأ أنت باعتبارك الفاعل وليس باعتبارك المراقب ، لاحداث هذا التغيير ، ان تبدأ بطليعة متميزة ، تملك قضية وتقود في اتجاهها.

ثالثا : ساحة الصراع : ما هي ؟ اين ؟

يظل كل طرف حريص ان ينقل الصراع خارج دائرته البشرية ، دائما ، حتى يقلل من خسائره ويضع الطرف الاخر في حالة دفاع . اذن اين تكون ساحة الصراع على ضوء هذا ؟ في فلسطين ...، هناك التجمع السكاني المهاجر، الذي احتل الارض واستوطنها، لا بد من ان تكون المعركة هناك . كيف تكون هناك ؟ هنا السؤال ! هل تكون ، « على راي ... بأمر الجنرال فلان ... والجنرال فلان ... والجنرال فلان ... » الجنرالات هذه جميعا عاجزة عن الدفاع عن حدودها . لهذا لا بد من البحث عن صيغة لكيفية نقل الصراع الى الداخل . هنا يأتي دورنا ايضا !.

رابعـــا : توقيت الصراع :

كثيرون يقولون ان عامل الزمن معنا . هذا غير صحيح . ان العامل الزمني مع اسرائيل، اما القول ان العامل الزمني لمصلحتنا ، فهذه عملية تخديرية . العامل الزمني هو في صالح من يستثمره واسرائيل هي التي تستثمر العامل الزمني . تستثمره لتركيز الوجود السكاني والصناعي.تستثمره في بناء المجتمع و«القومية» . وتستثمره في تعمير القدرة الدفاعية والهجومية ، تستثمره في تأمين الحماية الدولية ، الرسمية والرأي العام . و « احنا بنتفرج وبنحكي عن الزمن » .

متى تفقد اسرائيل استثمار الزمن ؟. عندما يصبح الزمن مستثمرا من جانبنا ، في تلك اللحظة يصبح الصراع : من منا يستثمر الزمن أكثر ؟ اسرائيل تستثمر هـــذا الزمن في تحريك النمو في داخلها ، ونحن يجب ان نستثمر الزمن في ايقاف حركة النمو في داخلها وزيادة حركة النمو في داخلنا . كيف نوقف حركة النمو في اسرائيل ؟ هنا السؤال . ما هو محور الاستراتيجية الآسرائيلية ؟ اذا اتجهنا الى محور الاستراتيجية الاسرائيلية ، هناك يمكن ان نوقف حركة النمو . ليس ، بالضرورة ، ان نتمكن فورا من ايقافها نهائيا، ولكن من الممكن ان نحدث تباطؤا ، وهذا التباطوء يزيد بزيادة قدرة الفعل عندنا . تتركز الاستراتيجية الاسرائيلية على الانسان . سواء الانسان بالتوليد او الانسان بالهجرة . ومن هنا تنشأ حاجتها لتوفر لهذا الانسان أمنا وحماية وانتصارا دائما ليظل العنصر المميز . وكذلك خلق الظروف لبناء المجتمع و«القومية»، من خلال صهر مجمل التناقضات في اسرائيل ، ليصبح هذا المجتمع مؤهلا للتوسع والسيطرة والاستيعاب . وبمزيد من هذا التأهيل تتطور قدرته للقفز خارج اطاره . من هنا حددت اسرائيل استراتيجيتها الهجومية ، لكي تؤمن لهذا الانسان حماية وأمنا ، ولكي تخلق حالة نفسية لدى المجتمع الاسرائيلي لتشد اطرافه المتناقضة الى بعضها البعض ليتمكن البرنامج الاسرائيلي من تحقيق التذويب للاختلافات ، وتحقيق التوحيد في المجتمع المحلي . هذه الاستراتيجية تفرض علينا استراتيجية في المقابل : ما دام الانسان هو محور استراتيجيتهم ، فلا بد من ان يكون الانسان ايضا لدينا هو محور استراتيجيتنا . نعود للسؤال ما هي عناصر القوة في الجانب الاسرائيلي ؟ ما هي لكي نرى كيف نستطيع ان نهز هذه القوى ؟ لان أي انسان يريد ان يقود معركة مع أي طرف ، مطلوب منه ان يجعل الطرف الاخر في أضعف حالاته ، حتى تثمر نتائج معركته . اذن لنبحث عن عناصر القوة لدى العدو ، حتى نفكر كيف نضعف منها . طبعا هناك عناصر كثيرة ، وانا الان لا اتكلم بالتفصيل ، اعطي رؤوس اقلام ، عناصر القوة هي : (١) الانسان ، وحالة الشتات ، والهجرة . (٢) المستوى الحضاري والعقل المنظم والمحرك . (٣) الارتباط الخارجي مع الاستعمار العالمي والاستعمار الدولي . (٤) شبكة العلاقات الدولية والاستثمار غير المحدود للرأي العام الدولي . (٥) الاستراتيجية الهجومية التي تنقل المعركة بعيدا عن التجمعـــات البشرية المحلية . طبعا ربما كان هنالك عناصر اخرى كثيرة ، ولكن العناصر التي تعنيني هي التي ذكرت . الآن ، من أجل التصدي لعناصر القوة الاسرائيلية هذه ، يجب بالمقابل : (١) القضاء على شعور الاطمئنان ، ووقف الهجرة . ان القضاء على شعور الاطمئنان يحدد تدريجيا . فتكون المعادلة : يتزايد عدم الاطمئنان = يحد من الهجرة أكثر . اذن ، أحد عوامل وجود الانسان في اسرائيل ، بدأت تهتز فيه . الانسان يوجد في اسرائيل في احدى حالتين : اما بالولادة أو بالهجرة . (أ) بالولادة يحتاج الى ١٧ عاما ، ١٧ عاما لخلق انسان في اسرائيل . (ب) بالهجرة : الهجرة تتم بقرار ، بفعل ارادي . فاذا استطعت أن تهز حالة الامن في اسرائيل ، يمكنك أن تؤثر بداية في الهجرة . ومن ثم تتعامل مع الانسان بالولادة . طبعـــا هذا يعني اصبح الزمن بطيئا بالنسبة لهـــم . (٢) زيادة التناقض بين المواطن العادي وبين المؤسسة العسكرية ، وذلك بتكريس

عجز الجيش عن توفير الحمايات ، ودفع العلاقات الداخلية الى طبيعتها الاساسية المتناقضة بتناقض الاصول التي جاؤوا منها . وعندما يحس المواطن ان الجيش غير قادر على توفير هذه الحماية، تنحل قبضة المؤسسة العسكرية على المواطن في اسرائيل. وتبدأ تنمو ظواهر ايجابية لمصلحتنا ، مطلوب استثمارها والتوسع فيها . (٣) فك ارتباط الاقتصاد الاسرائيلي بالاقتصاد الدولي وتدميره ، وزيادة اعبائه وتكلفته . يجب ان يحس العالم ان ثمن قيام اسرائيل اكثر من ان يحتمل . . . أكثر من ان يحتمل . . . كانت التكلفة في ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ تتزايد ، كانت في اليوم الواحد مليون ونصف مليون دولار . أي أصبحت التكلفة السنوية تعادل تكلفة حرب حزيران . (٤) تعرية الوجه الاسرائيلي في المجال الدولي على حقيقته لافقاده التعاطف الدولي .

في مقابل هذا العرض يتحدد كيف يجب ان تكون الاستراتيجية الفلسطينية في مواجهة الاستراتيجيةالاسرائيلية وذلك لضربها في القلب. ان العدو يفكر باتجاه، وانا افكرباتجاه. ولهذا تتركز الاستراتيجية الفلسطينية في مواجهة عناصر القوة تلك ، بالعمل على تجميد حركة النمو في اسرائيل ، كمقدمة لتحطيم ركائز هذا الوجود وكياناته الاساسية . هذا التركيز على الانسان الاسرائيلي يعكس نفسه فورا على الانسان العربي ، من خلال حالة انتصار تشده الى الثورة مصحوبة بمزيد من الجهد والاستقطاب والتحـــول في نفسية المواطن في اطار الجماعة . التحول في نفسية المواطن ، اعادة صياغة الانسان العربي من خلال المواجهة . الحرب هنا ليست قرارا ، الحرب هنا حالة جماهيرية . من هنا تبدأ بدايات خلق مجتمع الثورة . لقد تكلم د. يوسف عن « المجتمع الاستهلاكي » ، وهذه « قضايا لا تحل بقرارات » ولكنها تحل بالحالات الجماهيرية التي تنشأ . لا تستطيع أن تفرض منع استيراد البرادات في بيروت ! سوف يهربونها .. يشترونها من الســـوق السوداء . ولكن يجب أن تنشأ حالة جماهيرية نفسية هي التي تقود الى تحويل عقلية هذه الجماهير .

منطلقات الثورة الفلسطينية : تنطلق الثورة الفلسطينية في مواقفهـــا ومؤسساتها من قواعد اساسية .

اولا : ان اسرائيل قاعدة للاستعمار في المنطقـــة ، تستنزف جهدها وطاقتهـــا ، وتهدد مستقبل التطور والتغيير فيها ، ولهذا فان الامن القومي يفرض تصفية وجود هذه القاعدة من المنطقة نهائيا لطبيعتها الاستعمارية والعدوانية .

ثانيا : ان الكفاح المسلح من خلال حرب الشعب طويلة الامـــد هو اسلوب المواجهـــة الوحيد ، الذي يستطيع ان يستثمر المزايا والخصائص المتوافرة في المنطقة العربيـــة ، وتعبئة الجماهير وحشدها وتمليكها القوة من خلال القتال لتحقيق الانتصار . وهذا يعني اعادة صياغة الانسان العربي .

ثالثا : ان بروز الشخصية الفلسطينية من خلال المقاتل الفلسطيني ، باعتبار الشـــعب الفلسطيني يمثل حدية التناقض على ساحة الصراع مع الاحتلال الصهيوني ، يشـــكل ضرورة اساسية لمواجهة الجهد المكثف المضاد الذي يحاول تغييب الشعب الفلسطيني من ساحات الصراع المحلي والدولي . ولهذا فان ابراز الشخصية الفلسطينية من خلال المقاتل الفلسطيني يعيد للقضية ، في الاطار الدولي ، حجمها ووجهها الحقيقي .

رابعا : الشعب الفلسطيني يظـــل الطليعة لحـــركة التحرير العربية من اجـــل تحرير فلسطين .

خامسا : استقلالية الثورة الفلسطينية ، ورفض الوصاية العربية الرسمية شرطـــان اساسيان للاحتفاظ بالهوية المميزة للثورة عن واقع الانظمة الرسمي مع كل ما يقـــوده هذا التمايز من حركة تغيير في المنطقة .

ثمة نقطة يمكن ان نراجعها بسرعة . والكل يعرفها ولكن لها مدلولات . وهذه النقطة تتعلق بتطور الصراع العربي الاسرائيلي . كيف تطور الصراع العربي الاسرائيلي ؟ لقد مر الصراع العربي ــ الاسرائيلي في اعقاب سنة ١٩٤٨ في ثلاث مراحل : **المرحلة الاولى** هي مرحلة تغييب الشعب الفلسطيني عن قصد ، لكي يأخذ الصراع طابعا عربيا اسرائيليا في غياب الشعب الفلسطيني ، وكان الحرص على تغييب الشعب الفلسطيني مسألة اساسية من جانب اسرائيل لكي تؤكد ما طرحته في المجال الدولي من نظرية الفراغ في فلسطين . « أرض بلا شعب تعطى لشعب بلا أرض » . لذا كان من الضروري فرض غياب الشعب الفلسطيني . وبقي الشعب الفلسطيني غائبا ما دامت الانظمة العربية ، تحت المظلة الاسرائيلية ، في حالة دفاع . اما **المرحلة الثانية** : فكانت ميلاد الثورة الفلسطينية في عام ١٩٦٥ ، فنشأ واقع جديد . اذ بدأ الصراع يأخذ شكله الحقيقي ، فلسطيني ــ اسرائيلي . ولكن اسرائيل كانت ، منذ اول لحظة ، حريصة على ان لا يتسع او يتأكد هذا الواقع . وبدأت تدفع في الطرف العربي لتغييب الشعب الفلسطيني . ضربات في الجانب العربي لكي يقوم الجانب العربي بضرب الثورة الفلسطينية . وبدأ الصراع يأخذ طابع عربي ــ فلسطيني . فقد ارادت اسرائيل ان تصفي الثورة الفلسطينية بالجهد العربي . واخذ الصراع طابع عربي ــ فلسطيني . واصبحت القيادة العربية الموحدة ، هي السيف المسلط على رقاب الفلسطينيين . طاردتهم واعتقلتهم اينما كانوا باسم القيادة العربية الموحدة ، باسم الجهد العربي الموحد ، باسم التحرير . وجاءت هزيمة حزيران ، واختفت قدرة القمع العربية ، ونشأ واقع جديد وعادت القضية الى صورتها الحقيقية : صراع فلسطيني ــ اسرائيلي من جديد أي دخلت **المرحلة الثالثة** . وقد بدأ هذا الصراع في غياب قدرة الفعل ــ العربية ، في اعقاب هزيمة كافة الافكار والتحليلات العربية . وراحت الجماهير العربية تستقطب وتتحرك باتجاه الرؤية الفلسطينية لاسلوب المواجهة . ولكن لا الطرف العربي الرسمي، ولا القوى المعادية الدولية كان يروقها هذا . ان استقطاب الثورة الفلسطينية للجماهير العربية يقود فورا الى احداث سلسلة من التغيرات في المنطقة العربية ، تهدد مصير « الامر الواقع » في الانظمة العربية . وبالتالي كان لا بد من رفع قدرة التأثير الفلسطيني من الاطار العربي وشلها ، وبالتالي لا بد من ترسيم العلاقات الفلسطينية ــ العربية جماهيريا . ولا حاجة بنا للمجيء بالشواهد لان اكثر من دولة عربية لعبت اللعبة ، الى ان جاء مشروع روجرز . طبعا اثناء الصراع الفلسطيني ــ الاسرائيلي ، كان الصراع العربي ــ الفلسطيني غير مرئي . اخذ اشكالا من الاختراق في الساحة الفلسطينية ، محاولة ايجاد تعدد منظمات في الساحة الفلسطينية . محاولة توليد . محاور متناقضة في الساحة الفلسطينية واغراقها بها . وعندما جاء مشروع روجرز . كان المشروع يمثل حالة الانتكاس العربية الرسمية . كانت الثورة الفلسطينية تراهن على قدرتها على تحريك قدرة القتال في المنطقة العربية . ارادة تحريك ارادة القتال الجماهيرية ، وما يمكن أن تفرزه ارادة القتال الجماهيرية في مواقع قرار التغيير . وكانت الموافقة على مشروع روجرز قرارا بالعجز من واقع القدرة . حيث كانت القدرة الجماهيرية العربية ، او حالة ارادة القتال العربية قد وصلت ، في يونيو ١٩٧٠ ، اقصى ما وصلت اليه طوال مسيرتها . وكان من الممكن لها ان تستمر ، ولكن قبول مشروع روجرز كان كأنه يضع حدا : هنا قف ! لا نريد ان نستمر . فورا دخلت الثورة الفلسطينية في حالة تناقض حاد ، مع الانظمة العربية . مشروع روجرز يمثل العودة الى منطق الامن الاقليمي . نريد ان نسوي الخلاف بالتفاهم لنؤمن حدودا مصرية واردنية وسورية ولبنانية على الحساب الفلسطيني . « خدوا اللي بدكم اياه » . المهم الامن الاقليمي المصري ، الامن الاقليمي الاردني ، الامن الاقليمي السوري ، الامن الاقليمي اللبناني ، أما ثمن هذا الامن الاقليمي في المنطقة العربية ، فيدفع من الرصيد الفلسطيني . طبعا ، هنا بدأ الصراع

الحدي بين نظرية الامن القومي الذي تمثله الثورة الفلسطينية ، والامن الاقليمي الذي تمثله الانظمة العربية . طبعا كان العنصر الذي يحكم الصراع هو ارادتنا كفلسطينيين وارادة الاسرائيليين . نحن نريد ان نحرك ارادة القتال العربية لكي نحشد بها جهدا عربيا يقود الى احداث التغيير في العقلية وفي القرار وفي اتجاه الفعل . والاسرائيليون يريدون تحريك كافة القدرات التي يمكن تجنيدها لمحاصرة قدرة الفعل الفلسطينية وتطويقها وخنقها ، قبل ان تتسع وتتغلغل في عمق الجماهير العربي . كان لا بد من اجل الوصول الى تسوية من تغييب الشعب الفلسطيني ، لتصبح هناك حرية في التصرف ، نيابة عنه ، وعلى حسابه . كان لا بد من اعادة الصراع الى مستواه الرسمي العربي ـــ الاسرائيلي، **بدل أن يكون صراعا بين الجماهير العربية والاحتلال الاسرائيلي** . امام هذا الحصار كان لا بد من نشر النيران في اوسع دائرة ، هم يحاولون ان يخنقوا النار ، ونحن لا بد ان ننشرها في اوسع دائرة . الفانتوم الاسرائيلي نقلت الاستراتيجية الاسرائيلية الى الكويت وعدن. ونحن ملزمون ان ننقل الاستراتيجية الفلسطينية الى المدى الذي لا تصله الفانتوم . هذا المدى هو في عمق الارض المحتلة وفي خارجها . هذا المدى هو في البيت الاسرائيلي . حيث لا تصل الفانتوم . قرار الحرب لا يكفي ولكن المطلوب تحديد هوية الحرب . في حزيران اسرائيل احتلت الارض . ولكن ولدت ارادة شعبنا . واليوم يريدون ان يعيدوا ارضا ليعيدوا شعبنا الى الموت . هذا هو الهدف .

الان ، لو انتهينا من هذا العرض الذي جاء كمقدمة . طبعا كان المقصود ان يطرح خلفية المجابهة . نأتي الى ما هو الموقف الان. هنالك كما يقال مشروعات تسوية، او احتمالات تسوية ، فما هو الهدف ، لماذا ؟ هل صحيح ان التسوية تحقق انتصارا عربيا ؟؟ التسوية هي هروب من المواجهة العربية مع الاحتلال الاسرائيلي ، للتقوقع ضمن اطار المنطق الاقليمي . نحن كثورة فلسطينية نواجه السؤال : اذا تمت التسوية ، مطلوب تصفية الثورة . وحتى لا تتم التسوية مطلوب استمرار الثورة . تصورنا التالي ايضا : ليس هنالك ، حقيقة ، تسوية ، ولكن هناك قطعة حلوى مماثلة لمشروع روجرز ، هدفها العرض الاميركي او الالحاح الاميركي على ضرورة البحث عن تسوية، على ضرورة دخول مفاوضات مباشرة او غير مباشرة . جزئية ضمن حل شامل ، او شاملة ضمن حل جزئي ! هذا الهدف ـــ الهدف الاميركي هو ـــ اولا : نقل القضية من اطارها الدولي ، من اطار اهتمامها الدولي الى اطار الاهتمام المحلي . عندما تبدأ مفاوضات عربية ، تنتقل القضية فورا من الاهتمام الدولي ، الى الاطار الثنائي لاطراف ـــ المفاوضات ـــ . ان اسرائيل تلح منذ مدة طويلة على عملية النقل هذه . اذا تم الدخول في مفاوضات ـــ مباشرة او غير مباشرة ـــ يحدث فورا تناقض ، بين الثورة الفلسطينية والدولة العربية التي ستدخل في اطار المفاوضات . وكان مطلوبا قبل ذهاب الملك حسين ، وحافظ اسماعيل ـــ قبل الحج الى اميركا ـــ كان مطلوبا احداث وئام عربي ، لكي تكون حالة التناقض بين الثورة الفلسطينية ومجمل الواقع العربي الذي ناله الوئام ، حتى تصبح امكانية خنق الثورة الفلسطينية اسهل مما لو بقيت هناك حالة تناقض عربية . المقصود هو (١) جر الطرف العربي الى مفاوضات . (٢) احداث تناقض عربي يقود الى صراع ، هذا الصراع يقود الى انحطاط في القدرة العربية على الجانبين ، على جانب الثورة الفلسطينية ، وعلى الجانب العربي الذي دخل الصراع . (٣) فتح قناة السويس ، ان امكن ، لتفريغ الاهتمام الدولي من اهتماماته بالقضية ، لتعود القضية محلية جدا يتكرس من خلالها امر واقع مماثل لامر واقع الـ ١٩٤٨ . يعني ليس هناك تسوية ، ولكن هناك محاولات اغراء تقود الى تحطيم القدرة القتالية العربية ، او الى مزيد من الانحطاط في القدرة القتالية العربية . طبعا ، لا احد في الواقع الرسمي العربي قادر على استكشاف هذه الحقيقة حتى الان ، والا لقرر ان ست سنوات من المفاوضات كانت كافية ، ولبدأ يبحث عن معالجة بديلة . اما استمرار المعالجة بنفس الاسلوب على

طول السنوات الست فانه يؤكد ان قدرة الاستكشاف العربي لحقيقة ما تريده اميركا واسرائيل في المنطقة لا يزال عاجزا .

من هنا يأتي واجبنا كثورة فلسطينية . الثورة الفلسطينية تضع معادلة : استمرار الثورة يعني لا تسوية ، تمرير التسوية يعني تصفية الثورة الفلسطينية . بالتالي نحن امام واجبات : ان تستمر الثورة حتى لا تمر التسوية . حتى تستمر الثورة مطلوب تحقيق شروط . اما الشروط لاستمرار اية ثورة وطنية فهي شرطان : وجود احتلال تواجهه مقاومة تدفع بالجماهير لتتبنى برنامج ثورة (٢) قيام سلطة وطنية تتبنى برنامج الثورة ، وتدفع بجماهيرها لتتبنى برنامج الثورة ، وتقوم هي بتحمل مسؤولية نتائج هذا التبني .

الشرط الاول : وجود الاحتلال : الاحتلال موجود . فالمطلوب اذن هو اعادة تصحيح هذا الواقع القائم ليظل الصراع صراعا فلسطينيا ــ اسرائيليا على الارض الفلسطينية . وتنمية قدرات الثورة الفلسطينية بشكل يجعلها مشكلة اسرائيلية تقع مسؤولية تصفيتها على سلطات الاحتلال وليس على النظام العربي . وبالتالي سيشكل هذا قيدا على اتجاه اسرائيل نفسها الى التسوية ، الى ما بعد ان تنتهي من تصفية الثورة الفلسطينية . وهنا يأتي القمع الاسرائيلي ، وهذا القمع بالنسبة للثورة الفلسطينية ظاهرة صحية وليس ظاهرة مرضية . ظاهرة صحية لانه يدفع الجماهير للانحياز . عندما صعدنا القتال دخل الجيش الى نابلس ، ودخل القدس ، والاعتقالات تتزايد ، ان الدوريات الان في نابلس . في حين لم يكن احد قبل مدة يرى جيشا اسرائيليا ، الى حد كأنه لا يوجد احتلال ، اي كان احتلالا غير مرئي . أما الان فالاحتلال مرئي وزادت المجابهة .

الشرط الثاني : السلطة الوطنية التي تتبنى برنامج الثورة : هنالك في المنطقة دول الطوق ، وهي الدول المطلوب منها ان تكون اطرافا في التسوية ، اذا لا بد من ان تسقط احدى هذه الدول بيد سلطة وطنية ، تكون هذه السلطة رافضة للاستسلام ، رافضة للتسوية ، وتتبنى برنامج الثورة . الدولة المرشحة رقم واحد ، بغض النظر عن حدود القدرة ، الان او غدا او بعد غد ، هي الاردن . من اجل هذا مطلوب تغيير في واقع السلطة في الاردن .

على هذا الاساس يمكن ان نقول ان مهمات المرحلة ــ كمهمات شاملة وليست تفصيلية ــ هي :

اولا : استمرار الثورة الفلسطينية في التركيز على تنمية البناء الثوري في الارض المحتلة، وترتيب اوضاعها في قواعد الارتكاز .

ثانيا : تبديل القناعات العربية التي لازمت القرار في السنوات الماضية واعادة تركيب الامور على اساس الاقتناعات الجديدة ، التي هي ، بالاصل ، يجب ان تكون على ضوء نظرية المجابهة الفلسطينية . وترتيب الامور على اساسها في قواعد الارتكاز والمواجهة .

ثالثا : تدويل الصراع العربي ــ الاسرائيلي وتوسيع دائرته حتى يتزايد الاهتمام الدولي، ويحس بضخامة الخطر الاسرائيلي واعبائه .

النظام العربي لا يستطيع ان يقاتل ، والمواطن العربي يعيش حياة الاسترخاء .

النظام العربي الذي يخشى ان يرى السلاح في يد جماهيره ، يخشى ان يقاتل والسلاح بيد اعدائه .

المعركة في الاساس معركة جماهير تجري تعبئتها وقيادة نفسيتها وقدراتها في اطار المعركة ، وليست معركة قرار .

النظام الذي يحلم بالحرب الخاطفة هو نظام ذاهب للتسوية او للتسليم ، ليس له من احدهما فرار .

النظام الذي يذهب للحرب بدون جماهيره ، هو نظام ذاهب للتسوية ، ولا يمكن ان يغطي ذلك ، او يخفيه هدير المدافع والطائرات .

ان امكانية تحويل هزيمة التسوية الى انتصار ــ امكانية معدومة . لانهم ان استطاعوا ان يخدعوا شعبهم يوما او يومين ، فلا بد ان تتكشف الحقيقة ، ولا بد ان يتلوها تغيرات اكثر اشراقا من التغيرات التي حدثت بعد ١٩٤٨ .

*

ملاحظـات :

جرى نوعان من الملاحظات ، ملاحظات قدمها الاخ الهيثم الايوبي والاخ كلوفيس مقصود وملاحظات الاستاذ ياسين الحافظ ، وهي من طبيعة مختلفة .

ملاحظات الاستاذ الحافظ كانت تختلف معي بالمنهج جذريا . فالفرضيات التي قدمها ، والتحليلات التي قدمها، لا تلتقي معي مطلقا ولا تقابل بيننا ، ونحن في موقعين متناقضين، والحوار فيه غير مجد . الاستاذ الحافظ قدم ظواهر عجز ، واعتبرها حقائق قائمة لا يمكن التغيير فيها ، واخشى ان يقود هذا الى الاستسلام . **ان كنت انا احمل الاماني ، فهو يحمل اليأس . والافضل ان احمل الاماني وان اصنعها .** فقد كان الحلم الاسرائيلي في سنة ١٨٩٧ اماني غير مرئية ، واصبح في سنة ١٩٤٧ اماني حقيقية ، واقعا يفرض نفسه .

دعني أعش بأماني اصنعها ، خير من أن استسلم ليأسي .

ملاحظات الاخ هيثم والاخ كلوفيس : ليس بيني وبين الاخ هيثم أي تناقض ، ولكن يبدو ان العملية كانت عدم التقاط للكلمات . هو قال انه لا يجوز ان تكون مجابهة بين الشعب الفلسطيني والعدو الاسرائيلي . صحيح ، انا لم اقل هذا . قلت ان المجابهة بين **الاستراتيجية الفلسطينية والاستراتيجية الاسرائيلية** . واوضحت التناقض بين نظريتي المواجهة العربية الرسمية والفلسطينية ، بدليل انني قلت أن اطراف الصراع هي الاستعمار وطليعته اسرائيل من جهة ، والامة العربية وطليعتها الشعب الفلسطيني من جهة ثانية . فأنا لم افصل ، ولكن احببت ان اركز على ان تكون المواجهة من خلال الاستراتيجية الفلسطينية .

اما ملاحظات الاخ كلوفيس فمنها ما يلي : اراد الاخ كلوفيس ان يضيف انه لا يجوز ان يكون نقل مركز الثقل بالعمل الفلسطيني في الارض المحتلة ، هروبا : من تحميل مسؤولية القمع للنظام العربي . لا ، ليس هذا هو الهدف . ليس الهدف في نقل ثقل العمل الفلسطيني الى الارض المحتلة هو الهروب من مواجهة القمع العربي . ولكن لان حركة النضال الفلسطيني في الارض المحتلة لا تتم في الفراغ ، وهي حركة تتفاعل مع الجماهير العربية خارجها . فان خلق حالة الرفض للاحتلال في الداخل وتعميقها ، يخلق بالتالي عند الاحتلال حالة رفض للتسوية . والاحتلال هو الطرف الاقدر للاشتراك في موضوع التسوية . وبالتالي هو لن يمرر التسوية ، وعناصر « عدم الامن » ، كما يسميها ، لا تزال قادرة على الفعل في الارض . من هنا نحن نضمن استمرارية النضال ، **بما يعكسه هذا الاستمرار في النضال على نفسية الجماهير العربية في الارض العربية ، ويمهد بالتالي لاحداث حركة التغير تجاه القرار والفعل في المنطقة .**

تحدث الاستاذ كلوفيس ايضا عن انه يجب الا ننسى المحاولة الجديدة لايران والحبشة . صحيح ، لم ننسها . وبالعكس ، قلنا ان علينا ان ننشر دائرة النيران في اوسع نطاق . قلنا اكثر ، يجب ان ننقل استراتيجيتنا حيث تصل الفانتوم . وكنا اكثر تحديدا في واجبات المرحلة : « الواجب الثالث هو تدويل الصراع العربي ــ الاسرائيلي وتوسيع دائرته ، حتى يتزايد الاهتمام الدولي ويحس بقيمة الخطر الاسرائيلي واعبائه ولست مطالبا بتقديم تفاصيل» . اما ملاحظة الاستاذ كلوفيس على رأيي بالكفاح المسلح بان ذلك يقود الى انهاء النضال السياسي فهي ليست صحيحة . النص هو « الكفاح المسلح بحرب الشعب طويلة الامد هو الاسلوب الوحيد » . هنا حقيقتان : الكفاح المسلح ــ واحد ــ وحرب الشعب طويلة الامد ــ اثنين ــ **حرب الشعب طويلة الامد هي الاسلوب الوحيد . الكفاح المسلح هو المنهج لما يمكن توظيفه لخدمة حرب الشعب** . الكفاح المسلح لا يمكن ان يبدأ من فراغ . لا بد من ان يخلق حالة نفسية ، لخلق اجواء الثورة بداية : **ان اجواء الثورة لا يمكن ان تتم بطريقة ميكانيكية . ولكنها تتم بالتعبئة الجماهيرية . النضال السياسي فيها اساسي** ، وبالتالي ، فان **الكفاح المسلح منهج ، وحرب الشعب طويلة الامد الاسلوب الوحيد** . هنا التمييز .

اما عن موضوع العلاقات الثنائية التي قالها كلوفيس . فيجب ان اوضح : نحن نعي تماما حقيقة الواقع العربي . حقيقة حتى اصدقائنا وحدود التعامل معهم . نحن نعرف ان العلاقات لا تحدد في موعد واحد . للتحليل دائما بعدان ، بعد زماني وبعد مكاني . لو بدأنا سنة ١٩٦٥ نحدد من معنا ومن ضدنا ، لم يكن احد معنا ، اذا لكان انتهى بنا كل شيء . ولكننا كنا نراهن على قدرتنا على احداث التغيير التاريخي : التاريخ المتحرك . في عام ١٩٦٥ لم يكن احد معنا . في سنة ١٩٦٨ كان الكل يبدو كأنه معنا ، **ولكن ، حقيقة ، كانت الجماهير العربية معنا** . نحن نراهن على العمق الزمني الذي نهبط من خلاله نغير في واقع الجماهير العربي ، لكي تحدث هذه الجماهير ، بدورها ، التغير في اطارها المحلي . نحن نعرف الارتباطات في كل الاقطار العربية ، ونعرف الى اي مدى نستطيع ان نتعامل وفي اي حدود . فصداقاتنا غير مباحة ولا مفتوحة وليست مقدمة على بطاقة بيضاء . نعرف ماذا في الجزائر ، نعرف ماذا في السعودية ، ونعرف ماذا في مصر ، ونعرف ماذا في سوريا ، ونعرف ماذا في العراق ، ونعرف ماذا في الاتحاد السوفياتي . لو كان يجب أن نأخذ مواقف من الاخرين ، لكان يجب ان نأخذ موقفا من صديقنا الاتحاد السوفياتي ، بعد قرار الهجرة . وانتم تعرفون الى اي مدى تشارك عملية الهجرة لاسرائيل ، ومن اي اتجاه جاءت ، في دعم الطاقة البشرية الاسرائيلية . ولكننا لا نسمح باستثمار هذا التعارض وهذا التناقض القائم الان بفعل الهجرة . لن نسمح بدفع الامور الى حد التناقض . ولكننا نركز على اصدقائنا ونبذل جهدا معهم ، لوضع حد لهذه الهجرة ، لوقفها ، وللتغيير في مواقفهم ورؤياهم . لو كنا نريد ان نراهن على مواقف الاخرين ، لكان موقف الاتحاد السوفياتي في سنة ١٩٦٩ ، يتطلب منا موقفا غير موقفنا من الاتحاد السوفياتي اليوم . لقد تطورت العلاقة بيننا وبين الاتحاد السوفياتي ــ مثلا ــ مواقفه سنة ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، اما الان فالاتحاد السوفياتي يقف موقفا غير موقفه سنة ١٩٦٩ . ونحن نراهن على تطوير موقف الاتحاد السوفياتي . لا يجوز ان يطالبنا احد بأن نأخذ مواقف حدية من مجرد ظواهر خطأ . اما في اللحظة التي يتحول فيها الخطأ الى خيانة ، في تلك اللحظة نحن مطالبون ان نقف مواقف جدية . ونحن نعرف مواقف الكل بوضوح . سؤال يحتاج الى اجابة : ولكن لماذا هذه العلاقات ؟ من شروط انتصار الثورة الفلسطينية ، من شروط قدرة الثورة الفلسطينية على احداث التغيير هنالك شرط اساسي : **استقلال الثورة وتميزها** . كيف تريدون ان تكون الثورة الفلسطينية مستقلة في وسط عالم يتنازعها فيه كل في اتجاه ، **وهي لا تقف على ارضها ؟ من مداخلنا لتحقيق الاستقلال ، استقلالية الارادة الفلسطينية ، تعدد علاقاتنا وصداقاتنا .**

وذلك لكي لا يتمكن احد منهم ان يملي علينا موقفا . نحن نحاول ، في هذا التعدد في العلاقات ان نضمن موقفا مستقلا نفلت به من محاولة الضغط من اي اتجاه أتى . ولكن يجب ان يعي الجميع بوضوح ان صداقاتنا ليست رخيصة ولا تقدم على طبق من فضة بالمجان .

هناك بعض الملاحظات التي تحتاج مني الى تعليق . قضية النضال العربي من اجل تحرير فلسطين . هذه النقطة التي يلومنا بها البعض هي نقطة قوتنا . هذه النقطة هي بداية المدخل القومي للثورة الفلسطينية . كيف ؟ نحن نعتقد بضرورة توظيف كل الجهد العربي لحساب التحرير . كيف يتم هذا ؟ نحن ننادي بالتغير ، ننادي بالوحدة . **ولكن لا بد لاية حركة تحرير ولا بد لاية وحدة من قضية ، قضية واحدة . ولا بد لهذه القضية من طليعة تتبناها** . لو استعرضنا كافة قضايا الوطن العربي المرشحة للنضال من حولها ، فسنجد ان هناك قضايا كثيرة متعددة . في العراق ، في سوريا ، في عدن ، في الخليج ، في مصر ، في الجزائر ، في لبنان . **ولكن ما هي القضية الحدية ، التي تمثل حدية الصراع . والقضية المؤهلة لاستقطاب الجميع** ؟. يقول الاخ نديم عبد الصمد ان كافة القوى العربية التقت حول تأييد الثورة الفلسطينية ، رغم ان بينها خلافات . وهذا حقيقي . لو باشرت هذه القوى تبحث عن قضية اخرى لتعذر الموقف . ان قضية فلسطين ، هي قضية التناقض الحدي مع الاستعمار ، ومع اسرائيل ، وهي المرشحة لاستقطاب كافة القوى المناضلة ، وكافة الطلائع العربية المناضلة . وكذلك فان اي عمل ، اي تحرك ، اي بناء ، اي اداة ، لا بد لها من بداية . ولا تستطيع ان تنتظر لتنادي وتستنجد وتستحث اطرافا اخرى لتبدأ بدلا منها . لا بد من جهة ما معينة تقوم بالتصدي لهذه المسؤولية . وتقود النضال من اجلها ، وتشكل محور الاستقطاب . **الجهة المرشحة لهذا هي الجهة ذات التماس المباشر مع هذه القضية بداية . ولكن هذا لا يوقف العمل عندها . ولا يحصر اطاره فيها** . ولكنه يعطيها وضع الملزم بحكم تماسه المباشر مع القضية الحدية . من هنا ، **تتوفر القضية ، تتوفر الطليعة ، وتدور حركة النضال ، وتنعكس اثارها على الجماهير العربية ، فتفرز حالة جماهيرية ، تتطلع الى التغيير من خلال الطلائع المحلية في كل قطر . ويتم لقاء كافة هذه الطلائع . حول قضية واحدة ، في معركة واحدة** . فيتم من خلال ذلك توحيد للجهد في شكل توحيد للاداة ، بداية ، من اجل ما نطمح اليه جميعا ، **الوحدة العربية** . من هنا جاء شعارنا : «النضال من أجل فلسطين هو الطريق للوحدة » . عكس الشعار المطروح سابقا : « الوحدة هي طريق العودة » . الوحدة من يقوم بها ؟ وحدة حسابات ؟ قامت وانفصلت . اذا لم تتم الوحدة من خلال تفاعل نضالي ، كيف تتم؟ ان الاستنجاد بالاطراف الاخرى لا يجدي. لا بد من أن تتصدى طليعة لهذه المسؤولية ولهذا الواجب . من هنا، وبهذا النص الدقيق الذي طرحته الثورة الفلسطينية — باعتبارها الطليعة لحركة النضال العربي من اجل تحرير فلسطين — كانت تعكس بعدها القومي . وشكرا .

آخر حديث للشهيد كمال ناصر

فيما يلي ترجمة عربية لاخر حديث أدلى به الشهيد كمال ناصر ، وذلك في مقابلة تلفزيونية جرت في السادس من نيسان (ابريل) في قسم الثقافة الفنية في منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت ، وكانت المقابلة مع مايك والاس مراسل التلفزيون الاميركي سي. بي. اس.

سؤال : استاذ كمال ، ما هو دورك في حركة المقاومة الفلسطينية ؟

جواب : انني عضو اللجنة التنفيذية في منظمة التحرير الفلسطينية والناطق الرسمي باسمها ، وهي تمثل حركة المقاومة الفلسطينية .

س : ما هي م. ت. ف. ؟

ج : هي منظمة انشئت في العام ١٩٦٤ . وفي العام ١٩٦٧ قررت مختلف منظمات المقاومة الفلسطينية ان تعتبر م. ت. ف. ارضية للقاء وتوحيد الجهد في القتال في سبيل تحرير فلسطين .

س : ما هي ضرورة اقامة منظمة مشتركة . الأنه كانت هناك خلافات بين مختلف المنظمات ؟

ج : انها مطلب وطني . فعندما توحد قواك تقوى وتتقدم .

س : هل هناك مقاومة فلسطينية واحدة ؟ ام ان هناك بضع حركات فلسطينية تستخدم وضع الفلسطينيين في صالحها هي ؟

ج : قطعا هناك حركة مقاومة واحدة تمثلها قيادة شرعية منتخبة من قبل المجلس الوطني الفلسطيني .

س : هل أنت عضو في فتح ؟

ج : لا .

س : لا ؟ الست عضوا في فتح ؟

ج : لا . انني فلسطيني مستقل .

س : الم تكن عضوا في فتح قط ؟

ج : ابدا . لقد عملت في السياسة على مدى العشرين سنة الماضية . وانني لست عضوا في فتح . ليس كل فلسطيني يعمل في م. ت. ف. بالضرورة عضوا في منظمة فلسطينية ما . ان م. ت. ف. هي المنظمة الأم . وهي تمثل الكيان الفلسطيني .

س : ماذا تريد المقاومة الفلسطينية ؟

ج : يريد الفلسطينيون ، بكل بساطة ، العودة الى ديارهم فلسطين .

س : تحت أية ظروف ؟

ج : تحت اية ظروف كانت .

س : ما هي صورة الدولة الفلسطينية لديهم ؟

ج : كانت المقاومة الفلسطينية هي الطرف الوحيد في العالم العربي ، بما في ذلك الانظمة العربية كافة ، الذي طرح حلا للمسألة الفلسطينية ، تلك المسألة المعقدة والفريدة من نوعها ، والمعروفة دوليا بأزمة الشرق الاوسط .

لقد طرحنا حلا ينادي بدولة فلسطينية ديمقراطية علمانية حيث تتمتع جميع الطوائف فيها بحقوق متساوية وفي ظل قانون واحد بسلام وانسجام تامين .

س : ما هي الارض التي سوف تعيشون عليها ؟

ج : انها أرض فلسطين .

س : ما هي الارض التي ستضمها ؟

ج : ستضم فلسطين ، فلسطين التي كانت في ظل الانتداب البريطاني . فلسطين التي عاش الفلسطينيون فيها آلاف السنين . وهذا أمر ليس تكتيكا بل هو أمر استراتيجي . ذلك لاننا ننادي منذ أمد بعيد بأننا نفرق بين الصهيونية واليهودية .

س : هل حركة المقاومة الفلسطينية هي حركة قومية ؟ ام قوة ثورية ؟

ج : انها حركة قومية وثورية في آن معا . ولا تناقض بين الاثنين . انه لا يمكنها الا ان تكون قومية لان الفلسطيني جزء من أمة ، وان تكون ثورية لان وسيلتهـــا هي الكفاح المسلح وحرب الشعب في سبيل تحرير وطننا .

س : ثورة ضد من ؟

ج : انها ثورة داخل العالم العربي وداخل صفوف الفلسطينيين لحشد القوى للسير في سبيل تحرير فلسطين . اننا نسميها حركة المقاومة الفلسطينية . ان هدفها هو تحرير الوطن السليب وليس الحرب بحد ذاتها لان أحدا لا يحارب او يقاتل من أجل الحرب أو القتال .

س : عندما نتحدث عن الثورة هل يمكننا القول ان حركة المقاومة الفلسطينية ترغب في اسقاط أي حكومة عربية ؟

ج : في الحقيقة ، لنا مشاكلنا الخاصة في العالم العربي . ان المسألة ليست اسقاط الانظمة العربية انما هي حمل بعض الانظمة العربية المترددة على القتال معنـــا في سبيل تحرير فلسطين . فهناك انظمة عربية معينة تتردد او ربما ليس لديهـــا الامكانيات او الايمان او ارادة القتال الان بينما تؤمن الجماهير العربية بأن فلسطين حق لها وان الصهيونيين معتدون ويغتصبون أرضها .

س : يقال ان هناك داخل حـــركة المقاومة الفلسطينية يمينيين ويساريين وان هنـــاك معركة بين الفلسطينيين . ما رأيك ؟

ج : لا بد ان أقول بوضوح اننا نجمد التناقضات الثانوية داخل صفوفنا ، ذلك لمواجهة التناقض الرئيسي وهو الصهيونية . الا انك لا تستطيع منع الناس من التفكير في مـــا يعتقدون . فهناك وسائل وطرق متنوعة للتحرير . الا اننا في هذه المرحلة القومية نجمد فعلا تناقضاتنا الثانوية في وجه التناقض الرئيسي وهو الصهيونية .

س : هل تقوم المقاومة الفلسطينية حاليا بعمليات عسكريـــة او شبه عسكرية داخـــل اسرائيل ؟

ج : نعم ! اننا نقوم بذلك .

مؤسسة مستند

س : لماذا لا نسمع بها اذن ؟

ج : هناك بعض الاسباب . هناك مثلا الكثير من التعمية التي تفرض على عملياتنا .

س : من يفرض تلك التعمية ؟

ج : وسائل اعلامية متنوعة في العالم .

س : هل تستطيع أن تذكر لنا عمليات ناجحة واحيطت بالتعمية الاعلامية ؟

ج : اعتقد ان عشرات العمليات في الداخل تمت بنجاح جيد جدا واحيطت بالتعمية .

س : مثلا .

ج : لا استطيع ان اذكر الان ولكننا نقوم بعمليات ضد اسرائيل كل يوم وبامكانك الرجوع الى السجلات الاسرائيلية . ان اسرائيل ، بين الفينة والفينة ، لا تذكر العملية الفدائية الا اذا كانت واضحة وبارزة امام الصحافيين . والعمليات الفدائية لا تجري في مكان واحد انما هنا وهناك . اننا نعتقد ان الحكومة الاسرائيلية لا تعلن عن كل عملية فدائية الا اذا كانت معروفة من قبل الصحافيين والشعب . والقيام بذلك هو جزء من الاستراتيجية الاسرائيلية .

س : هل تنظمون عمليات خارج اسرائيل ؟

ج : اننا لا نعمل من الحدود اللبنانية ولكننا نحاول العمل من اي مكان اخر . اننا نحاول أن نعمل في العمق .

س : أسألك مرة أخرى : هل تنظمون عمليات عسكرية او شبه عسكرية داخل اسرائيل؟

ج : نعم .

س : أي نوع ؟

ج : جميع انواع العمليات . ولكن الشيء الرئيسي اننا لا نعمل الان عبر الحدود وانما في العمق واننا نعبر بالطبع الحدود العربية باستثناء الحدود اللبنانية ونعمل في العمق من أي مكان نريد لاننا عندما برزنا كحركة مقاومة لم نستأذن أحدا .

س : اذا كنتم لا تعملون عبر الحدود اللبنانية فانكم تعملون اذن عبر الحدود السورية ؟

ج : اننا نعمل من أي مكان نختاره ولدينا القدرة على ذلك سنعمل حتى تتحرر فلسطين .

س : هل تنظم المقاومة الفلسطينية عمليات خارج اسرائيل ؟

ج : مثل ماذا ؟

س : عمليات من جميع الانواع مثلما تقوم به ايلول الاسود على سبيل المثال .

ج : اننا حركة مقاومة ونؤمن بالكفاح المسلح وحرب الشعب طويلة النفس . ليست هناك منظمة تسمى ايلول الاسود داخل منظمة التحرير الفلسطينية . ان منظمة كتلك لا توجد ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية . انني اعتقد ان منظمة ايلول الاسود كما افهمها هي حالة ذهنية تعيش وتحيا بين الفلسطينيين . انها ظاهرة نرقبها وندرسها بحذر . ان وضع الفلسطينيين يفسر هذه الظاهرة بسهولة . لقد عانى الفلسطينيون في السنوات الخمس والعشرين الاخيرة من الاحباط والمرارة ، لقد فقدوا ارضهم وبعضهم يعيش تحت الاحتلال وبعضهم الاخر لا يزال في الخيام . ويبدو ان العالم بأسره لا يريد فهم هذه المأساة . انه من الطبيعي اذن أن تبرز ظواهر كهذه. الا انني كمسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية اقول لك لن اقبل ابدا أن تكون مثل هذه الظواهر بديلا لحركة المقاومة . ان ظاهرة ايلول الاسود أو غيرها ليست بديلا لحركة المقاومة .

س : ما هي اذن ؟

ج : انني شخصيا لا اتحدث باسمها ونحن في منظمة التحرير الفلسطينية لا نعرفهـــا . انها بالنسبة الينا ظاهرة وقد تكون منظمة أو لا تكون . انني اعتقد ان ظاهرة ايلـــول الاسود يمكن اعتبارها ابنا شرعيا لمجزرة ايلول التي وقعت في الاردن وقد يكون الامر ان عددا من الفلسطينيين شعروا بالاستياء من المذبحة ويريدون العالم اجمع ان يسمعهم ويسمع مشاكلهم ومراراتهم .

س : هل فتح عضو في منظمة التحرير الفلسطينية ؟

ج : ان فتح هي اكبر فصيل في منظمة التحرير الفلسطينية .

س : لقد قال ابو داود وهو عضو في فتح ان ايلول الاسود ليست تنظيما منفصلا وانما هي عبارة عن مجموعة من الناس من فتح ذاتها .

ج : اعتقد ان ابو داود وهـــو سجين في ايدي السلطات الاردنية ربمـــا وضع في ظرف اضطر فيه الى قول ما يملى عليه من قبل النظام الاردني وقد يكون ذلك نتيجة للتعذيب . وهناك طرق كثيرة لحمل الناس على الكلام .

س : لقد قال ابو داود على سبيل المثال ان ابو ايـــاد خطط عملية ميونيخ وابو يوسف خطط عملية اللد وان اناسا اخرين من قيادة فتح يعملون في ايلول الاسود . هل تعتقد ان ذلك غير صحيح ؟

ج : قطعا . انني واثق ان ذلك غير صحيح . لقد قال ابو داود مؤخرا في مقابلـــة مع صحافية امريكية أن فتح ليست ايلول الاسود وان الاسماء التي كان قد ذكرها لم تكن اسماء قادة في ايلول الاسود . ان بعض المتطرفين الفلسطينيين قد يكونون ايلول الاسود ولكن ليس فتح .

س : ان لدينا فلما اعده بيتر سنو المراسل البريطـــاني في مقابلة ابو داود في سجنه في الاردن وانني اعرف ما قاله ومتأكد منه .

ج : ان بيتر سنو معروف تماما بأنه من رجال العائلة المالكة في الاردن وهو يكتب عنهم ويضع سجل حياتهم وتاريخهم .

س : هناك تقرير في صحيفة « الواشنطن بوست » لا بد انك قرأته يقول ان ياسر عرفات زعيم فتح كان في مركز ارسال ايلـــول الاسود في بيروت عندمـــا صدر الامر باعـــدام الديبلوماسيين الثلاثة في الخرطوم في اثناء عملية أيلول الاسود الاخيرة فيها ؟

ج : انني اريدك كما اريد بقية الشعب الامريكي وحتى الحكومـــة الامريكية ايضا ان تعرفوا اننا لو كنا أيلول الاسود ولو كان لنا أية صلة بهم لما خشينا ان نعلن ذلك . وانني اعلن هذه الحقيقة للعالـــم باسره لاننا نناضل ونؤمن بقضيتنـــا وبأي شيء يقربنا من التحرير . انني اؤكد لك ان القوى المضادة للثورة في الغرب وفي العالم العربي تحـــاول ربطنا بايلول الاسود . اننا حركة مقاومة ونعرف معنى ذلك بالضبط .

س : اذا عرفات ليس من ايلول الاسود وليس له صلة بتخطيط الاغتيال او التهنئة به ؟

ج : ان ياسر عرفات هو زعيم حركـــة المقاومة الفلسطينية . انه زعيم منظمة التحرير الفلسطينيـــة ونحن مهتمون بـــأي شيء يبرز في فلسطين وعـــن فلسطين وفي صفوف الفلسطينيين . ولو كان عرفات من أيلول الاسود لقال ذلك للعالم بأسره لان لديه ما فيه الكفاية من الشجاعة والرجولة ليقول ذلك للعالم .

س : لماذا لا يحضر عرفات الى هنا ويقول لنا ذلك ؟

ج : ان ياسر عرفات هنا الان ولكنه قال ذلك اكثر من مرة .

س : لماذا لا يظهر عرفات في المناسبات العامة ؟

ج : ان ياسر عرفات يظهر في المناسبات العامة عندما يكون ذلك ضروريا . ان الرأي العام العالمي مهم بالنسبة لنا . ولكني أؤكد لك انه لا بد للرأي العام من ان يعرفنا معرفة افضل ويفهم خط سيرنا ، عندما يعرف اننا نخوض معركة ونحقق بعض النصر لاننا نفهم ما يقف ضدنا ونعرف ان مسيرتنا طويلة جدا .

س : انك لا تتنصل من عمل ايلول الاسود ؟

ج : انني اتفهمه .

س : افصح .

ج : كما سبق وقلت لك ان تلك الظواهر تبرز في ظروف معينة وتكتسب شعبية اكثر فأكثر .

س : هل تتنصل منظمة التحرير الفلسطينية مما تقوم به ايلول الاسود ؟

ج : ان م. ت. ف. لا تضم منظمة تدعى ايلول الاسود وانا لا اتحدث باسم ايلول الاسود ولكنني مسؤول فلسطيني مهتم بأية ظاهرة تبرز في صفوف الفلسطينيين واستطيع تفهمها تفهما جيدا . لقد عانى الفلسطينيون من الاحباط والمرارة وطردوا من بيوتهم ويعيشون تحت الاحتلال وفي الشتات في العالم باسره . اذن نحن نتفهم ايلول الاسود والظواهر المماثلة لها ونأمل ان يهتم العالم بأسره بهكذا ظواهر ويتفهمها لانها قد تسهل الامور للعالم كله .

س : كيف تسهل ؟

ج : بمعنى ان يصبح العالم اكثر اهتماما بالقضية الفلسطينية . بآلام واحزان الشعب الفلسطيني الذي طرد من وطنه في السنوات الخمس والعشرين الاخيرة .

س : برزت ايلول الاسود في ايلول ١٩٧٠ عندما اهلك الملك حسين معظم تلك الحركة في الاردن .

ج : ان المقاومة لن تهلك ابدا . وربما بدأت هذه الظاهرة علنا في ذلك الوقت .

س : قبل ذلك الوقت بدا ان حركة المقاومة الفلسطينية كانت تحرز تقدما وانها سيطرت على خيال الناس في العالم ولكن في العام ١٩٧٠ وبعد هزيمتكم على يد حسين بدا انكم تخسرون اهتمام العالم ؟

ج : لقد خسرنا في الاردن بلا شك ولكننا نقيس حركة المقاومة عادة بمستقبلها وليس بحاضرها وانتكاساتها . ان حركة المقاومة لم تتوقف قط عن العمل والقتال .

س : من يمول ايلول الاسود ؟ من ينظمها ؟

ج : لقد قلت لك انني لا اتحدث باسمها .

س : وعرفات لا يعرف ؟

ج : قطعا . لو كان لنا صلة بها لما اخفيناها .

س : بمعنى اخر ان هذه المنظمة تخفى عليكم .

ج : قطعا .

س : وتخفى على حكومة اسرائيل ؟

ج : انها خافية على العالم كله . وهذا الظواهر ليست جديدة في تاريخ العالم كله اذا درست تاريخ الثورات وتاريخ الامم تجد دائما اناسا يتبعون العنف في سبيل حمل العالم على الاستماع اليهم . ان فلسطين محتلة والفلسطينيون يعانون من الاحباط والاحتلال . لقد تعبوا وسئموا من هذا الوضع .

س : هناك من يعتقد ان الشبان لجأوا الى ايلول الاسود لان م. ت. ف. لم تكن تعمل شيئا ولم تكن تتقدم تقدما كافيا .

ج : ليست المسألة مسألة صغار وكبار انما هي ان قيادة منظمة التحرير الفلسطينية هي قيادة عسكرية وسياسية تفهم مختلف التيارات في العالم العربي وتعرف النزاعات التي تواجهها وتفهم الامبريالية والصهيونية وتعرف حجم القوى المعادية . اننا نهدف الى بقائنا والحفاظ على أمننا ونؤمن ان الظواهر المشابهة لظاهرة ايلول الاسود واعمالها لن تنجح بتحرير فلسطين . اننا حركة مقاومة تخوض حربا طويلة الامد مع الصهيونية . انني اريد أن اوضح جيدا اننا نحن الفلسطينيين نعتقد ان قدرنا هو تحرير اليهود من الصهيونية واقامة دولة فلسطين الديمقراطية .

س : من هو عدوكم ؟ هل هو اسرائيل ام الولايات المتحدة الامريكية ، ام بعض الدول العربية الاخرى ؟

ج : لا شك اننا نعرف اعداءنا واصدقاءنا .

س : من هو عدوكم ؟

ج : ان عدونا هو الصهيونية وهذا امر واضح لكل فلسطيني واتضح بعد حرب الخامس من حزيران لكل عربي . ولا شك ان الولايات المتحدة منحازة لاسرائيل وتدعمها وهذا واضح جدا بالنسبة لنا .

س : والاردن ؟

ج : لا شك ان هناك بعض الانظمة المحافظة ضدنا ولا تؤمن بالكفاح المسلح ولا تريد محاربة الصهيونية لانها حسب اعتقادنا لا تفهم فعلا مخاطر الصهيونية . ان من واجبنا ايضا حملهم على فهم ذلك .

س : لماذا لا تذكر اسماء هذه الدول التي تشعر انت انها رجعية ؟

ج : لانني لا أرى أي سبب للخوض في تلك التفاصيل معك .

س : ولكنك ذكرت اسرائيل والولايات المتحدة ؟

ج : ان اسرائيل والولايات المتحدة هما عدونا الاساسي وبامكانك ان تقول بعض الانظمة المحافظة . واستطيع ان اقول اننا كطليعة فلسطينية مستاؤون من معظم الانظمة العربية بسبب الطريقة التي يعالجون بها الصهيونية وذلك حسب اعتقادنا لانهم لا يفهمونها .

س : هل تقصد انهم مهتمون بالسلام في الشرق الاوسط ؟

ج : بالنسبة لي انهم ليسوا مهتمين بالسلام لانهم لا يحاولون تحقيق السلام الحقيقي في الشرق الاوسط طالما لم يرض الفلسطينيون فلن يكون سلام في الشرق الاوسط ابدا . ولم يطرح أحد السلام في الشرق الاوسط بصورة جدية . هناك حلول سياسية وقد قبلت بها بعض الانظمة العربية . ولكن السؤال هو هل قبلت اسرائيل أيا من تلك الحلول السياسية والسلمية التي طرحت هنا وهناك .

س : اذن ، لا الفلسطينيون ولا الاسرائيليون يريدون حلا ؟ انهم حلفاء ؟

ج : انني ارفض ان اضع ذلك في تلك الصيغة .

س : ربما كان ذلك هو الامر الواقع ؟

ج : لا يمكننا ان نكون حلفاء للاسرائيليين ابدا . نحن اصدقاء للشعب اليهودي ، ونحن نحب اليهود ولكننا نفرق بين اليهود والصهيونيين كما اننا لا نستطيع ابدا ان نكون حلفاء لدولة توسعية فاشية .

س : لو لم تكن ايلول الاسود موجودة لكان عليكم خلقها ؟

ج : هذا انطباعك انت ؟

س : لا .

ج : تقصد بين الفلسطينيين .

س : نعم ، انك بالتأكيد لا تتنصل مما يفعلون ، انك تقول انك لا تعرفهم ولا تعرف من يمولهم ولا من ينظمهم . لماذا يعتقد اناس كثيرون ومصادر كثيرة لا مصلحة لها في هذا الامر في العالم ان فتح وايلول الاسود هما شيء واحد .

ج : ان هذا سؤال مهم . انني اعتقد ان القوى المضادة للثورة والغرب يحاولان بكل الوسائل تصويرنا في الغرب على اننا ارهابيون ، انهم يحاولون تصفيتنا ، تصفية حركة المقاومة الفلسطينية التي لا يستطيع احد ان يصفيها وهذا ما سيثبته الزمن .

س : لماذا يبدو ان هناك انطباعا بأن فتح وايلول الاسود هما في الواقع شيء واحد . لماذا يوجد الانطباع في العالم بان عددا كبيرا من قادة فتح يخططون لايلول الاسود ويعرفونها ويساعدونها ويمولون عملياتها .

ج : انني اعتقد ان هناك دولا وعلى رأسها الولايات المتحدة الواقعة تحت تأثير الصهيونية تحاول تصفية حركة المقاومة الفلسطينية وان من الممكن جدا انها تريد طرح فتح وحركة المقاومة كحركة ارهابية لتبرير تصفيتها امام العالم . انني اعتقد شخصيا ان لا احد يستطيع تصفية حركة المقاومة الفلسطينية لاننا لسنا ايلول الاسود ولاننا حركة مقاومة . وهنا تكمن عظمة الطليعة الفلسطينية المتواضعة . انه من السهل دائما تصفية ظاهرة من الظواهر ولكنه ليس من السهل تصفية حركة مقاومة يخوضها شعب يؤمن بعدالة قضيته .

س : عندما كانت اسرائيل تحاول ان تصبح امة ساعدت في ذلك منظمات ارهابية صهيونية مثل شتيرن والارغون ويعتقد بعض الناس ان ايلول الاسود تلعب دورا مماثلا . هل ترى تشابها في الحالتين ؟

ج : انني لا اعتقد ان تلك المنظمات الارهابية ساعدت في ولادة اسرائيل . ان اسباب ذلك اعمق واكبر ولا اريد ان اخوض هنا في تفاصيل هذا الامر ، الا انني لا اعتقد ان مثل هذه العصابات ساعدت كثيرا في خلق اسرائيل .

س : الا يثبت التاريخ الى حد ما ان عمليات تلك المنظمات الصهيونية مثل نسف فندق الملك داود في القدس هزت البلاد ؟

ج : ان تلك الظواهر لا تبني دولا ولا تخلق امما . ان ولادة اسرائيل كانت ولادة غير شرعية وتمت على أيدي قوى معروفة لك كما هي معروفة في الغرب .

س : هل الارهاب الذي تقوم به ايلول الاسود هو في مصلحة الفلسطينيين ام ضدها ؟

ج : ليست ايلول الاسود مرتبطة بنا وهذه حالة مختلفة كليا لان شتيرن والارغون وغيرهما من المنظمات الصهيونية الارهابية كانت مرتبطة بالقوات الصهيونية الرسمية .

س : ان ايلول الاسود ترتبط في ذهن الراي العام بحركة المقاومة الفلسطينية فالشبان الذين نفذوا عملية ميونيخ جاءوا من مخيمات اللاجئين في لبنان وهذا امر معروف جيدا .

ج : وان كان اولئك الشبان جزءا من الشعب الفلسطيني فانه لا يعني انهم من ضمن اطار منظمة التحرير الفلسطينية التي تضم مختلف المنظمات الفدائية الفلسطينية . لقد كانت الارغون وشتيرن منظمتين . واعتقد ان ايلول الاسود هي عبارة عن افراد .

س : بعد عملية ميونيخ ذهب الفدائيون الثلاثة الذين نجوا من تلك العملية الى طرابلس الغرب في ليبيا حيث استقبلهم القذافي وحكومته استقبال الابطال ، وقد عقدوا مؤتمرا صحافيا هناك . كيف يمكنك اذن ان تقول انك لا تعرف من هم ومن اين يأتون وانهم ليسوا جزءا من المنظمات الفلسطينية .

ج : انني اعرف، انهم من ابناء الشعب الفلسطيني . ولكنني في الحقيقة لا اعرفهم .نحن فلسطينيون ولا سلطة لنا عليهم ولا نعرف قادتهم . اننا لو اردنا ان نعمل مثلهم لعملنا افضل منهم وبدقة اكثر وفعالية اكبر . اننا لو اردنا الوصول الى تلك المرحلة او لو وصلنا تلك المرحلة اؤكد لك ان لدينا الادمغة للقيام بذلك بفعالية اكبر ولكننا لن نتناقض مع انفسنا ابدا لان لنا ايديولوجيتنا ولدينا حركة مقاومة .

س : هل تعتقد ان قدر الشعب الفلسطيني هو ان ينير الطريق للشعوب العربية ؟

ج : اننا جزء من الشعب العربي ونعتقد اننا اكثر تقدما منهم سياسيا وفكريا ، اكثر تقدما من الانظمة العربية . اننا نؤمن ان الجماهير العربية ستكون في النهاية معنا في مسيرتنا الطويلة .

س : المسيرة الى اين ؟

ج : الى تحرير فلسطين واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية وانقاذ الفلسطينيين واليهود من الصهيونية .

س : وعندما تحتلون مكانكم كدولة في الشرق الاوسط . هل ستصبحون الدولة القائدة في هذه المنطقة ؟

ج : ان ذلك يعتمد على مقدار ما نستطيع نحن واليهود عمله لا نحن والصهيونيين . وذلك امر ليس سهلا ولا يتم في فترة قصيرة .

س : ما هو الذي يعجبك في اليهود ؟

ج : ان المسألة ليست مسألة اعجاب . انني اعتقد حقا اننا كنا دوما نحب اليهود ونعزهم عندما كانوا يعيشون معنا في فلسطين . وقد صعقني ان الحركة الصهيونية زادت المسألة اليهودية تفاقما وزاد ما يسمى بالاضطهاد ضدهم في الغرب .

س : ما يسمى بالاضطهاد ؟ لقد كان هناك اضطهاد .

ج : انني اعتقد انها كانت مأساة وذلك موضوع اخر .

س : ولكن يبدو انك تتحدث عن اليهود باعجاب .

ج : ليست المسألة مسألة اعجاب . انني اعجب بكل الشعوب . ان اليهود اذكياء وربما حل بهم ظلم في اوروبة وامريكة . ولكن لماذا تحل مسألتهم على حسابنا ؟ هذا هو السؤال . لقد عاش اليهود بيننا ، اننا طويلو النفس ، اننا امة عظيمة . اننا سنحل هذه المسألة وليست مهمة الولايات المتحدة حلها . انها لا تحل بالقوة .

س : تقول ايلول الاسود ان اعضاء منظمة التحرير الفلسطينية وقادتها كبار في السن ومعتدلون جدا .

ج : هل قالوا ذلك ؟

س : بعضهم قال .

ج : انني اعتقد ان ايلول الاسود والذين قاموا بعملية ميونيخ لم يريدوا قتل اليهود ، لم يريدوا قتل الاسرائيليين . لقد ارادوا كما تعلم اسرهم من اجل اطلاق سراح رفاقهم المسجونين في اسرائيل . وانني اعتقد ان الحكومتين الالمانية الغربية والاسرائيلية مسؤولتان عما حدث في ميونيخ . أما فدائيو ايلول الاسود فلم يريدوا قتلهم .

س : اعود الى سؤالي : تقول ايلول الاسود ان قيادة منظمة التحرير الفلسطينية معتدلة جدا ، تتحدث وتجلس في المكاتب في بيروت ؟

ج : ان كل معلوماتك عن حركة المقاومة خاطئة ، ان شخصا مثلي قد يأتي الى بيروت بين الفينة والفينة ويجلس الى المكتب لانني مسؤول عن الاعلام اما المقاتلون فلا يفعلون ذلك ولن نسمح لاي كان ان يسيء تمثيل حقيقتنا . اننا حركة مقاومة ونحترم انفسنا ونقاتل واصحاب قضية عادلة نحيا في سبيلها .

س : ان ذلك النوع من الارهاب يبقي الامر في الصفحة الاولى . ويبدو لي ان حركات مثل الجيش الجمهوري الايرلندي وشتيرن وايلول الاسود هي طليعة اية حركة ثورية .

ج : انني طالب تاريخ واذا احتاجت ثورة ان تقاتل بهذا الاسلوب فانها تلجأ اليها . اما نحن فلسنا بحاجة اليه لحد الان وهو ليس ضمن استراتيجيتنا . واذا كان الناس لا يصدقوننا فان ذلك لا يهمنا . ومثل هذه الظواهر ستزول الا ان الغرب يضخمها .

س : كيف يضخمها وقد قتل ديبلوماسيان امريكيان وديبلوماسي بلجيكي .

ج : ان الكثيرين يقتلون في امريكا كل يوم . ان عصابة المافيا تعمل في الولايات المتحدة . ما هو تأثير عملها ؟

س : انني افهم ما تقول . ماذا سيحدث في الخرطوم ؟

ج : لا اعتقد انهم سيقتلوهم .

س : انني افترض ان شخصا ما سيعترف وانني انتظر الاعتراف بشوق .

ج : انهم لا يعرفون اي نوع من الشباب هم . ان هناك اناسا مستعدون لتفجير انفسهم وتفجير الاخرين .

آخر حديث للشهيد أبو يوسف

نص الكلمة التي القاها الشهيد ابو يوسف باسم الثورة الفلسطينية في الاحتفال الذي جرى في بيروت في ذكرى تأسيس حزب البعث العربي الاشتراكي ، وذلك قبل استشهاده بيومين .

حين تقف الثورة الفلسطينية لتحتفل مع البعث في ذكرى مولده فلا بد من أن نشير الى ان ذكرى تأسيس هذا الحزب الذي طرح شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية انما كانت شعارات رفعها مؤسسوه والقوى الدولية في ذلك الحين كانت تعمل جاهدة لتمزيق هذه الامة وتخطط وتنفذ لاقتطاع جزء عزيز من جسدها لتعطيه لقمة سائغة للصهيونية العالمية لتقيم عليه اسرائيل .

ومن هنا فان قيام حزب البعث كان استجابة لعامل البناء والتصدي داخل هذه الامة عملية بناء ضد محاولات التمزيق والاقتطاع وعملية تصدي ايضا لمحاولات التمزيق والاقتطاع .

ويوم ان طرح الحزب شعارات التمرد على الحدود وان رسالته هي استمرار لحمل رسالة امتنا الخالدة فمما لا شك فيه انها كانت عملية خلق جديد في تاريخ امتنا العربية امتدت حتى يومنا هذا ترفع الشعارات فتضم بين جوانحها هذه القلوب المؤمنة بأمتها من محيطها الى خليجها . الا ان قوى الشر المتربصة دوما وباستمرار بهذه الامة وتعرف أن في وحدتها ضمان لوجودها وفي حريتها ضمان لتثبيت هذا الوجود حاولت ولا زالت فصم هذه الوحدة واهدار هذه الحرية في داخل صفوفنا .

ومن هنا فانه لا بد من ان نقرر حقيقة طالما حاول اعداؤنا طمسها، انه في اليوم الذي حلت فيه نكبة الاستعمار بقرار التقسيم واقتطاع الجزء الغالي من وطننا فلسطين كان هذا الحزب يخرج الى النور ، بعد ثلاثين عاما بالضبط وبعد نكسة عام ٦٧ خلقت الثورة الفلسطينية وتجسدت ارادتها بعد أن مهدت لها طلائع شعبنا المكافح في فاتح يناير ٦٥ .

والتقت المسيرتان لتعطي دفعة جديدة لهذه المسيرة وبدأت تحمل لهذه الامة تباشير العودة بأن هذه الرسالة الخالدة لها من يحميها ويذود عنها .

الا انه كالعادة وقفت غربان الشر تحاول من جديد ان تجلل هذه المسيرة بالسواد معتقدة ان عملية تاريخ هذه الامة يمكن ان يعود الى الوراء وانه سيطلب من هذه الجموع التي أصبحت لا تعرف للراحة طعما ما دام في الوطن السليب محتل ان تستسلم . وما دروا ان بحرب التحرير وحرب التحرير الطويلة الامد اصبح كل انسان في هذا الوطن يعيش يومه وغده .

وانه في الوقت الذي تقف فيه غربان هذه الامة بكل أسف تحاول ان تشكك في حماة المسيرة وأبنائها نؤكد انطلاقا من ايمان الرجال كل الرجال أن تاريخا صنعه شهداؤنا وعهدا قطعه من هم على قيد الحياة انهم في سبيل الهدف سيناضلون وعلى العهد سيظلوا قائمين حتى يتحرر الوطن وتعاد لهذه الامة كرامتها وحريتها .

ومن هنا فان من واجبنا في ذكرى مولد البعث ان نطالبه انطلاقا من فهمنا لاخوة السلاح ورفاقية الدرب ان قدره في ان يظل امينا على شعاراته مؤمنا برسالته التي هي رسالتنا تحرير الارض والانسان .

وان من واجبنا ونحن نحيي الذين اخرجوا هذه الشعارات واقاموا تحت ظلها نظما ترعى هذه الشعارات ان يكونوا معنا في حماية المسيرة مسيرة البناء والتصدي لكل اعداء هذه الامة .

ومن هنا فان عبء المرحلة ثقيل وثقيل جدا . ولعل من المفيد ان نقول في هذه الذكرى أن ثورتنا الفلسطينية وهي ترقب بأمل ورغبة ان تأتي هذه الذكرى وقد ضم البعث جناحيه ليرعى أبناء هذه الامة محققا اسمى هدف من أجل تحرير الارض والانسان اللذين هما هدفه وسر وجوده .

ومن هنا فان الثورة الفلسطينية ترى لزاما عليها أن تجدد العهد من جديد امام الشعب كل الشعب في انها ستظل وفية لمبادئها واستراتيجيتها لا تنحرف ولا تخون ولا تهادن على حق وان من يفكر في شيء من هذا فلا شك انها ستلفظه من صفوفها كما يلفظ البحر الكبير الجيفة النجسة .

ومن هنا أيضا فان كل الذين يمكرون ويتآمرون ويدبرون في الخفاء لجر هذه الامة الى مصير مجهول وقذفها في مستنقع آسن تختنق فيه لن يصلوا بحول الله الى ما يريدون وان مؤامرة تحاك هنا او هناك من قوى الاستعمار واربابه لا بد وان تعطينا دفعة جديدة ودما جديدا يبعث فينا الحياة من جديد .

ان مشروعا يحاول فيه حكم العمالة في عمان ان ينهي ثورتنا وحق شعبنا في الوجود والمصير لا بد وان يلقى حتفه .

وان مؤامرة تستهدف ايجاد حلول استسلامية لا بد أن تلقى بالتالي حتفها لان مصير الشعوب لا يرتبط بمتخاذل ولا بمفرط بحق الشعب والامة .

وان مؤامرة تحاك في الارض المحتلة لشراء الاراضي لا بد وان يجند لها كل الجهد والمال لمنع هذا التآمر الجديد ومن هنا نسأل اين المال العربي الذي يتدفق على بنوك العالم ويوضع بطريق غبي جبان في بنوك العدو في اوروبا وامريكا من ان يقف وقفة شجاعة لينقذ الارض والانسان .

ان اعباء جساما ملقاة على عواتقنا فهل سنكون على قدر المسؤولية ؟ ان روح التفاني والتضحية التي لا بد وان يكون ابناء هذه الذكرى ، ذكرى مولد البعث ، مطالبين بها هي ان يكرسوا الحقيقة بنفس المنهج الذي اختطوه لانفسهم منذ ان آمنوا بالمسيرة واهدافها .

ونحن بكل طاقاتنا وامكاناتنا التي هي دماؤنا ولا سواها نقف في هذه الذكرى مع البعث اينما وجد لنحقق نحن واياه عملية البناء والتصدي وخلق جبهة عريضة متراصة في وجه ادوات الاستسلام التي تريد العار والهزيمة لهذه الامة .

فتحية منا للبعث في يوم مولده وتحية منا لكل البنائين في صفوفه والصامدين في جبهته والمرابطين في خنادقه من يوم أن عرفنا البعث يقود التظاهرات من أجل الفتح وفلسطين ومن يوم ان عرفنا جبهة البعث تحمي ثوار فلسطين على حدود العدو من أجل تثبيت الثورة وحمايتها ومن اجل تحرير الارض والانسان .

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

خمس وعشرون سنة ونحن نعيش المأساة . وخمس وعشرون سنة ونحن نتكلم عن المأساة . ومع هذا فان الكثير من حقائق المأساة ، من وقائعها ومن تفاصيلها ومن خلفياتها ومن نتائجها المباشرة ، لا يزال غير مؤرخ ، ذكريات متخفية في الاذهان ومعلومات موزعة لدى شهود عيان مبعثرين .

نحاول شؤون فلسطينية ، في هذه الذكرى الكئيبة لنكبة فلسطين قبل ربع قرن ، ان تلملم بعض هذه المعلومات وان تسجل بعض هذه الذكريات لتكون في النهاية جزءا من مرجع تاريخي يفيد منه الباحثون عندما يفطنون الى ان حقائق النكبة لا تزال بحاجة الى من يسجلها والى من يستنطقها العبر .

وهي ذكريات أليمة ، وذكريات متهمة جارحة . انها ذكريات أيام سود وقعت وما نزال نحصد ثمارها المرة . الا أن من بين أشواكها تنبت ، ولو ببطء شديد ، زهور الامل — الامل بنصر يسترجع الوطن ويعيد الغرسة الفلسطينية الى تربتها التي انتزعت منها طيلة هذه السنوات الخمس والعشرين . وان كان هذا العدد من شؤون فلسطينية قد أفرد صفحات كثيرة لتصوير الاشواك فان غدا مشرقا ، لا بد انه آت ، ستذوي فيه هذه الاشواك ، التي الفناها حتى أصبحت جزءا لا يتجزأ من حياتنا ، وستينع فيه ازاهير النصر والعودة التي ما فتىء الشعب الفلسطيني يتعهدها ويسقيها من دماء بنيه (خيرة بنيه) ومن امثولات نضاله ومن امثاله الكبيرة .

حدود مقفلة وجسور مفتوحة
« واقع الساحة الفلسطينية »

الدكتور حسام الخطيب

١ — تمهيد

منذ أحداث أيلول ١٩٧٠ في الاردن وما نجم عنها من اضطرار الثورة الفلسطينية الى التخلي عن ساحة انطلاقها الرئيسية تدور على السنة الجماهير العربية والشبيبة الواعية والمثقفين الثوريين أسئلة كثيرة حول الوضع الذي انتهت اليه الثورة الفلسطينية والآفاق التي ينتظر أن تتطور التجربة الثورية الفلسطينية باتجاهها سواء أكانت هذه الآفاق وضاءة مبشرة بالنصر أم كالحة ومشحونة بصعوبات وتحديات جديدة .

واليوم بعد انقضاء أكثر من سنتين ونصف السنة على هزيمة أيلول الفلسطينية المحزنة وبعد انقضاء حوالي ست سنوات على هزيمة حزيران العربية المأساوية ، لا بد للمرء من ان يجد عذراً ومسوغا للتساؤلات الكثيرة التي تثار حول مستقبل الثورة الفلسطينية بل حول مستقبل القضية العربية بالمعنى القومي الشامل لهذه الكلمة . ولا شك أن هناك تساؤلات كثيرة نابعة من نوايا تخريبية ومجندة لخدمة حملة التشكيك الكبرى التي يشنها علينا العدو الصهيوني والامبريالية بغية تحطيم ثقة الجماهير العربية بنفسها وخلخلة ولائها لقضيتها وتهيئتها لتقبل مشروعات التصفية والاستسلام . الا أن هذه الحقيقة يجب أن لا تحجب عن أذهاننا أن جانبا كبيرا من التساؤلات التي يسمعها المرء في كل مكان من الوطن العربي انما هو تعبير عن قلق حقيقي على مستقبل هذه الامة وحيرة سياسية وعجز عن اختراق الضباب الذي يلفع المرحلة ويحجب عن العين رؤية الاحتمالات الكثيرة المبشرة التي ينطوي عليها واقع الوطن العربي. على ان الاعتراف بهذا الواقع أو محاولة تجاوزه يجب أن لا يكون مسوغا لاتجاه تبشيري في معالجته او لاتجاه الى تجنب الخوض في المسائل الشائكة المطروحة أمام الوطن العربي بحجة **الحرص على المعنويات** . ان البحث الحالي يحاول تجنب هذه المزالق ولكنه يقوم على دعوى واضحة الحدود ، وهي أن النظرة الواعية الى مستقبل النضال العربي يجب ان تنطلق من معطيات الواقع المر الحالي لتفتق الحجب عن امكانات المستقبل . ان الرؤية المجردة للعوامل الموضوعية على جانبي الصراع لتؤكد ان الطرف العربي يملك من الامكانات ما يؤهله للقبض على زمام الامور وتسيير دفة الصراع لصالح تثبيت الحق العربي الواضح واجتثاث العدوان الصهيوني الامبريالي القائم على منطق القوة والباطل .

ومن الواضح ان البحث الحالي ينحصر في نقطة محددة جدا وهي الواقع الحالي لساحة

---

* وزعت نسخة مختصرة من هذا البحث في مؤتمر الادباء العرب التاسع الذي عقد في تونس بين ١٨ — ٢٥ آذار ١٩٧٢ ، ويعتبر المؤلف النص الحالي للبحث المرجع الوحيد الذي يعترف به .

الثورة الفلسطينية ويتجنب الخوض في المشكلات المتعلقة بقوى الثورة ذاتها ، الا أن التركيز حول هذا الموضوع غير ممكن على الاطلاق دون ربط المسألة باطارها العربي الوثيق من جهة وكذلك باطارها الدولي من جهة أخرى ، وليس بالامكان فصل القضية عن هذين البعدين وذلك لاسباب كثيرة ابرزها المصير المشترك بين الثورة العربية والثورة الفلسطينية من جهة والتلاحم العضوي بين الصهيونية والامبريالية العالمية من جهة أخرى . وكذلك يبدو أنه لا مندوحة لنا عن ربط الحاضر بالماضي على أن تجري الاشارة الى الاطار العام بالقدر الذي يساعد على ايضاح جوانب الحاضر واضاءة الزوايا المهمة التي ستكون بنية المستقبل .

٢ ــ محاولة لفهم ساحة الثورة الفلسطينية

ان الثورة الفلسطينية تمثل حالة فريدة بين الحالات الثورية وساحتها بالضبط ــ ولنقل مجالها المغناطيسي ــ ليست من صنعها وحدها ولا هي من صنع الديالكتيك الطبيعي الذي يقوم بين الخصم والخصم وينتج عنه تركيب معين يكون لكل من الطرفين نصيب واضح في تحديده . ان العوامل المتضاربة العربية والدولية والصهيونية التي تدخل في صنع « التركيب » المسمى بساحة الثورة الفلسطينية تجعل دور الثورة الفلسطينية في تحديد طبيعة ساحتها دورا غير مؤكد وغير مطرد التأثير ومن هنا يبيح هذا البحث لنفسه ان يتحدث عن ثورة من جهة وعن ساحة من جهة أخرى دون أن يسمح بالفصل المصطنع بين الجهتين .

وبعد ان وضعنا الاعتبارات السابقة في الذهن يمكن أن نتساءل : ما معنى ساحة الثورة الفلسطينية وما حدودها وكيف تبدو في هذه الايام وما هي المؤشرات التي تحملها سلبا او ايجابا بالنسبة للاهداف القومية العربية ؟

لنحاول الاعتماد هنا على نوع من التحديد الجغرافي ، فهو يبدو بادىء ذي بدء غاية في السهولة وربما ضربا من المسلمات . ساحة الثورة الفلسطينية هي بالضبط فلسطين بحدودها المعروفة ايام الانتداب (من البحر الابيض غربا الى نهر الاردن شرقا) . ولكن ما أن نضع هذا التحديد حتى نتساءل : ولكن أين الفلسطينيون وهل يستطيعون اثبات وجودهم في هذه الساحة اذا تبنينا مثل هذا التحديد ؟ ان نصف الفلسطينيين يعيشون خارج وطنهم ولذا ينبغي ان تكون الساحة أوسع من ذلك . ولكن هذا العامل ليس هو العامل الوحيد الذي يقتضي توسيع مفهومنا لساحة الثورة ، فهناك عامل آخر لا يقل عنه أهمية من الناحية العملية وهو واقع الاحتلال الصهيوني الذي تجاوز أرض فلسطين واقتطع أجزاء من دول عربية مجاورة ولا بد أن تكون هذه الدول بطبيعة الحال ساحة مباشرة للتحرك ضد العدو . واذا لنقل ان الساحة المباشرة للثورة تشمل أرض فلسطين كلها بالاضافة الى اراضي الدول العربية المحيطة بفلسطين ، وكلها بالفعل تعرضت لخسارة أجزاء بسيطة أو كبيرة من أراضيها حتى الآن وكلها تعيش حالة من التوجس والقلق وتخشى فقدان أجزاء أخرى من أراضيها .

على ان هذا التحديد للساحة المباشرة يبدو عاجزا عن تغطية العامل الاول وهو التشتت الفلسطيني الذي لا يقف عند حد الدول العربية المحيطة باسرائيل بل يمتد شرقا وغربا حتى يتجاوز حدود الوطن العربي الى أقطار أخرى كثيرة من العالم . كذلك يبدو هذا التحديد عاجزا عن تغطية العامل القومي العربي الذي يقوم على فهم أوسع للصراع العربي الاسرائيلي ويتضمن فيما يتضمن وجوب اشتراك الوطن العربي كله في المعركة المصيرية ضد العدو الصهيوني الذي تتناول مطامحه التوسعية المنطقة العربية بأسرها . واذا لكي نراعي هذه العوامل كلها لنقل ان ساحة الثورة الفلسطينية يمكن ان تفهم عمليا ضمن ثلاثة خطوط :

آ ــ ساحة الصدام المباشر ، وتتضمن في المرحلة الحالية أرض فلسطين والمناطق العربية المحيطة بها .

ب ــ الساحة العربية ، وهي تشكل العمق الاستراتيجي للجبهات العربية ، وليست في منأى عن الخطر أبدا ولكن طبيعة اسهامها في المعركة يمكن أن تكون ذات ملامح خاصة ليس من الضروري أن تتطابق تماما مع ملامح ساحة الصدام الفعلي .

جـ ــ الساحة الدولية وهي ليست ساحة ثانوية أبدا وان كانت لها اعتباراتها وقوانينها الخاصة . وتمتد حيثما وجدت المصالح الامبريالية أو الصهيونية وحيثما وجد الصدام بين قوى التحرر وقوى الظلم والاستعمار .

وفي البحث الحالي سيجري التركيز حول ساحة الصدام المباشر وسوف يجري التعرض للبعدين الآخرين للساحة من خلال مقتضيات البحث في النقطة الاولى .

٣ ــ الواقع الحالي للساحة

اذا كانت الصورة الحالية للجانب العربي من الساحة تبدو مريضة ومتدهورة فانها من خلال المنظور الاوسع للجانبين تبدو مشحونة بالمفارقات حتى من زاوية الموقف الفلسطيني نفسه . فعلى الجانب العربي يتلخص الموقف في ان الساحة المحيطة مباشرة بالعدو المحتل قد أغلقت تماما في وجه الحركة الفدائية بحيث أصبح تحرك أي فدائي على الحدود يصطدم بسياج من القوات العربية المرابطة (لا الاسرائيلية) ، وبحيث أصبحت الحركة الفدائية بالتالي خاضعة خضوعا مباشرا لاعتبارات السياسة المحلية في كل قطر من الاقطار العربية ما دام تحرك قواتها باتجاه الهدف مرهونا بارادة هذه الاقطار . وبالمقابل تجري على الساحة المعادية تجربة غريبة من نوعها تحمل مفارقة واضحة لما يجري على الطرف العربي وان كانت هذه المفارقة لا تفهم الا من خلاله . فمقابل قيام القوات العربية باغلاق الحدود امام الفدائيين* تقوم سلطات العدو بتنفيذ سياسة الجسور المفتوحة وتشجع تنقل الفلسطينيين عبر الحدود وتحاول ان تخلق من حول هذا التنقل جوا نفسيا وسياسيا يوحي في الظاهر انه طبيعي وغير مصطنع .

واذا يمكن القول ان ساحة الصدام الفعلي للثورة الفلسطينية تتميز بالموقفين التاليين :

آ ــ الحدود العربية المقفلة في وجه الحركة الفدائية .

ب ــ الجسور الاسرائيلية المفتوحة في وجه الفلسطينيين .

ومن زاوية الثورة الفلسطينية بالذات لا بد أن هذا الامر يبدو مربكا ويقتضي اتخاذ اجراءات وتدابير ذات مستوى غير اعتيادي حتى تتمكن الثورة من الاحتفاظ ولو بالحد الادنى من القدرة على التحرك ومن تأمين الالتفاف الجماهيري حولها .

ولنحاول فهم الموقف من خلال هاتين النقطتين :

آ ــ الحدود العربية المقفلة في وجه الحركة الفدائية

من الواضح ان النتائج التي ترتبت على أحداث أيلول ١٩٧٠ في الاردن كانت بالغة الخطورة على مستقبل الثورة الفلسطينية ، وقد اثبتت أحداث السنتين الماضيتين ان هزيمة الاردن كانت ضربة على المستوى الاستراتيجي لم تستطع الثورة حتى الآن معالجتها أو التعويض عنها بل انها ما زالت تعاني من عقابيلها ، وأبرز هذه النتائج بالنسبة لمصير الثورة هي خسارتها لقاعدة انطلاقها الرئيسية واضطرارها لتوجيه القسم الاكبر من مجهوداتها الحالية من اجل استعادة قاعدتها الرئيسية وهي مجهودات لا تنبىء حتى اليوم بأية درجة ملموسة من درجات التقدم باتجاه هذا الهدف ، وان كان ذلك لا

* لاسباب متفاوتة سنأتي على ذكرها فيما بعد .

بعني استحالة تحقيقه . لقد خسرت الثـــورة في الاردن قاعدة انطلاق وساحة تؤهلها عوامل كثيرة لان تكون ساحة صدام رئيسية ، وأهم هذه العوامل امتداد الجبهة الاردنية مع العدو على طول ٦١٥ كم ، وغياب الحواجز الطبيعية بين الضفة الغربية والارض المحتلة قبل حزيران ١٩٦٧ ، ووجود مجال حيوي للثورة في النقب وايلات بوجه خاص ، وضعف الكثافة السكانية الاسرائيلية على الجانب الآخر من الحدود ، والاتصال البشري الوثيق بين شرق الاردن والضفة الغربية وكذلك بين الاردن وعدد من الاقطار العربية المجاورة ذات الاهمية الاستراتيجية ، والعمق الاستراتيجي للجبهة الاردنية جغرافيا وبشريا ، واخيرا واهم من ذلك كله ـــ كون الاردن هو التجمع الفلسطيني الاكبر خارج الارض المحتلة ووجود هذا التجمع في بيئة متجانسة تماما وموحدة التكوين والمصير .

على أن المسألة ليست نظرية فحسب ، ويزيد الامر خطورة أن الثورة كانت قد أعدت عدتها على أساس أن الاردن هو قاعدة الانطلاق الرئيسية وقطعت في هذا الاعداد شوطا كبيرا ، اذ كدست الساحة الاردنية بالرجال والسلاح والمال وعبأت الجماهير الفلسطينية تعبئة سياسية وعسكرية غيرت من مجرى الحياة اليومية لهذه الجماهير التي دافعت عن نفسها بشكل لم تعرفه منطقة الشرق العربي منذ زمن ، وكانت هدفا أساسيا لحملة الابادة الجماعية التي قامت بها قوات النظام الملكي لصالح المخطط الصهيوني الامبريالي. لقد اتخذت الخسارة الفعلية للثورة نتيجة احداث أيلول شكلا مخيفا لان الثورة أصلا صبت جهودها الرئيسيـــة في الاردن وكرست فيـــه جل مواردهـــا وامكاناتهـــا . وبالطبع ليس المجـــال الآن مجـــال احصاء الخسائـــر لتحليـــل الاسباب وتحـــديد المسؤوليات ، فذلك كلـــه له مجال آخر ، ولكـــن المهـــم الآن ان نتصـــور واقـــع الثورة الحالي بعد أن فقدت الاردن فقدانـــا شبه تـــام . لنتذكر الوضـــع الجغـــرافي للارض المحتلة، في الجنوب وصل الاسرائيليون الى الشواطىء التي تؤلف حاجزا طبيعيا، خليج العقبة والبحر الاحمر وقنال السويس . ومن هنا لا مجال للحديث عـــن العمل الفدائي وحتى لو افترضنا امكان تجاوز هذه الحواجز الطبيعية فان الوضع البشري في شبه جزيرة سيناء وطبيعة أرضها الصحراوية يجعلانها أيضا حاجزا طبيعيا آخر يسهم في محاصرة قطاع غزة ويجعل الاتصال بينه وبين مصر مسألة صعبة جدا في ظل ظروف الاحتلال وتقدم الوسائل التقنية المتوافرة لسلطات العدو العسكرية . اذا ما الذي يتبقى بعد ذلك ؟ هناك طبعا مرتفعات الجولان السورية ولبنان . وبالنسبة للهضبة السورية بالذات تبرز صعوبات واضحة ، فها هنا جيش عربي رابض في كل مكان على الحدود ذات الامتداد المحدود وهو يحمي قطرا عربيا يمثل الصلابة القومية في موقفه من العدو ومن مشروعات التصفية والاستسلام ، وأن أي تحرك فدائي لا يمكن الا أن يسبب له البلبلة وأن يضطره الى البقاء في حالة استنفار كامل وربما جره جرا الى معركة سابقة لاوانها وغير منسقة مع الجبهات العربية الاخرى ، يضاف الى ذلك ان الجيش العربي السوري كان طوال الفترة التي تلت هزيمة حزيران منهمكا باعادة بناء الجبهة ولم يكن ذلك عملا هينا وعلى الرغم من كل ذلك لم تنقطع العمليات الفدائية عبر الجبهة السورية طوال المدة السابقة بل انها في فترات كثيرة تصاعدت تصاعدا واضحا ولكن من المغالطة بالطبع اعتبار هذه العمليات المتقطعة المحدودة بديلا للعمل الفدائي المنشود .

وهكذا لم يبق أمام الحركة الفدائية الفلسطينية سوى لبنان ، وهكذا كان طبيعيا ان ينتقل التركيز الاساسي من الاردن الى لبنان . لقد كان لبنان حلا للازمة وذلك لاسباب كثيرة فلسطينية ولبنانية وعربية واستراتيجية . ولسنا هنا في معرض تحليل هذه الاسباب ولكن لا بد من القاء نظرة سريعة عليها حتى تكتمل الصورة الحالية لوضع المقاومة .

فمن الناحية الفلسطينية ، يسهل على المرء أن يتصور أن المخيمات الفلسطينية في لبنان تشكل تربة خصبة للبؤر الثورية نتيجة لمعاناة سكانها التي استمرت منذ ١٩٤٨ . فلقد

عاش سكان هذه المخيمات تحت وطأة ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية ونفسية قاسية جدا . لقد كانت الجماهير الفلسطينية في لبنان محرومة من أبسط حقوق الانسان، كانت محرومة حتى من حق العمل ولم يكن من السهل ان يحصل اللاجيء الفلسطيني على اجازة عمل وكثيرا ما سمعنا عن مطاردة قوات الامن للعمال الفلسطينيين واصحاب الحوانيت الصغيرة والصيادين بغية منعهم من العمل . وقد وجهت ضغوط مستمرة في الماضي لمنع الجماهير الفلسطينية من ممارسة اي نشاط تنظيمي سواء كان ذا صبغة سياسية أم اجتماعية ، ولم يكن يسمح للشباب الفلسطيني ان ينتسب الى فرقة كشافة او ان يكون فرقة لكرة القدم مثلا . وكانت ظروف الاحتقار والتمييز ضد الفلسطيني تجعله يعيش حالة من النقمة المستمرة ، وهكذا تضافرت الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية لتجعل من (البروليتاريا الدنيا) في المخيمات نواة خصبة مهيأة للانخراط في الثورة وتكوين القاعدة الصلبة لها ، وحين اخذ التركيز الثوري الفلسطيني ينتقل من الاردن الى لبنان وجد التربة مواتية ووجد المخيمات الفلسطينية ، التي كانت قد قطعت شوطا جيدا في الاسهام في الثورة ، وجدها جاهزة لاحتضانه ودعمه. ومن الواضح اليوم ان بروليتاريا المخيمات الفلسطينية التي حصلت على السلاح وذاقت معنى التحرر والانتظام في العمل الثوري هي التي تشكل السياج الواقي للثورة التي ساعدتها على تحقيق انجازات اجتماعية وسياسية واقتصادية ملموسة . ولولا هذه الجماهير لكان ضرب القوات الفدائية المنظمة عملية غير معقدة* .

ومن الناحية اللبنانية لم يكن الوضع السياسي والاجتماعي في لبنان يتضمن عراقيل وتهديدات ذات خطورة اساسية بالنسبة للثورة الفلسطينية . فطبيعة النظام السياسي في لبنان القائم على اللبرالية والتوازن سمحت للثورة الفلسطينية ان تثبت حق وجودها من خلال صراع متواصل ولكنه متفاوت في حدته وضراوته . وعلى الرغم من تفاقم هذا الصراع في المرحلة الحالية ، فمن الواضح ان هناك ادراكا واضحا بأن اي حرب ضد الثورة الفلسطينية ستعني التصدي لمخيمات الفلسطينيين التي تضم حوالي مئتي الف نسمة ومعظم شبابها ورجالها مسلحون ومدربون . وعلى الرغم من الضغوط الاسرائيلية المتواصلة وعلى الرغم من الاعتداءات التي تشنها اسرائيل باستمرار على جنوب لبنان فمن الثابت ان السياسة الاسرائيلية الرامية الى احراج الحكومة اللبنانية ودفعها للدخول في معركة مكشوفة ومفاصلة مع قوات الثورة غير قابلة للتحقيق ، بسبب العوامل التي ذكرناها وعوامل اخرى كثيرة . ومن هنا كان التطور الاخير في طبيعة الاعتداءات الاسرائيلية على الجنوب ولا سيما في النصف الثاني من عام ١٩٧٢ ، اذ يشير مستوى الهجمات وتتابعها ومكوث القوات الاسرائيلية في مواقع لبنانية معينة الى ان القوات الاسرائيلية لم تجد محيصا عن التصدي المباشر للفدائيين وتولي عمليات القمع بنفسها وهو امر حاولت اسرائيل دائما ان تتجنبه لاسباب عسكرية وسياسية ونفسية . وقد نجحت تماما في تجنب المواجهة المباشرة في الاردن بعد ان قامت القوات الملكية بهذا الدور ، ولكنها — فيما يبدو — اضطرت الى اتباع الاسلوب المباشر في لبنان للتوصل الى اقفال الحدود اللبنانية الفلسطينية في وجه الفدائيين .

ومن الناحية العربية بدا جليا ان معظم القوى السياسية المسيطرة على الساحة العربية ادركت بعد تفجر الازمة في الاردن ان الثورة الفلسطينية لا يمكن ان تمحى من الوجود بفعل اية ضربة مهما كانت محكمة وانه لا بد من وجود قاعدة يتمركز فيها النشاط الثوري الفلسطيني ويتخذها متنفسا له ، ولم يكن لدى هذه القوى مانع من اتخاذ لبنان بديلا من الاردن لاعتبارات كثيرة منها الشعور بان حدود لبنان محمية دوليا مما يخفف كثيرا من

---

* للتفصيل في وضع الفلسطينيين في لبنان انظر : الحر ، ليلى : **الفلسطينيون في لبنان** ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ولا سيما ج ٢ (العلاقة مع الدولة اللبنانية) ، ملف **النهار** ، بيروت ، تموز ١٩٧٠ .

احتمال قيام اسرائيل باقتطاع اجزاء من ارضه بعد التذرع بوجود العمل الفدائي فيه ، وهناك اعتبارات اخرى بعضها غير متناقض مع المصلحة القومية وبعضها نابع من دوافع السياسة العربية المحلية .

ومن الناحية الاستراتيجية كانت هناك ايضا عوامل نوعية خاصة تجعل العمل الفدائي على النحو الذي تمارسه الثورة الفلسطينية ممكنا ، فالحدود اللبنانية الفلسطينية متصلة جغرافيا ، وهي غير محصنة تحصينا شديدا على الجانبين وتقل على الجانب الاسرائيلي نسبيا المستعمرات العسكرية خلافا لمناطق الحدود الاخرى في مواجهة الجبهات العربية ، ثم ان بعض مناطق الحدود اللبنانية السورية الفلسطينية كالعرقوب تؤلف مجالا طبيعيا ملائما جدا لتمركز مقاتلي العصابات واختبائهم ومناورتهم ، وقد اثبتت تجارب السنوات الماضية صحة هـذا الحكم اذ اضطر العدو الصهيوني للقيـام بسلسلة من العمليات الانتقامية بدأت اولا بالغارات الجوية الكثيفة وبعـد ان ثبتت ضآلة هذه العمليات قام العدو بعمليات غزو برى على نطاق واسع ، ولم يكن احتلاله لمنطقة معينة بالذات يعني انه قضى على العمل الفدائي ففي كل مرة كـان الفدائيون ينسحبون او يتوارون ثـم يعودون الى التمركز والشروع في عمليات جديدة . ومن هنا اقدم العدو على الاحتفاظ بنقاط مراقبة وتفتيش ثابتة داخـل الاراضي اللبنانية واغلب الظن انه سيحتفظ بهذه النقاط الى ان ينجح في دفع السلطة الى تسلم مهمة بوليس الحدود ومنع الفدائيين من التسلـل كما يحدث في معظم مناطق الحدود العربية الاسرائيلية . وان التطورات التي حدثت في عام ١٩٧٢ لتشير الى ان الطوق الذي يراد احكامه حول الحركة الفدائية قد قارب على الانتهاء وثغرة العرقوب اصبحت بالتدريج ضئيلة الفعالية ، ومن الواضح ان التطورات الداخلية في لبنان وفي الحركة الفدائية الفلسطينية نفسها تشير الى انتهـاء الحدود اللبنانية الى الانغلاق التام ، وبذلك يمكن القول ان السياسة التي رمت اليهـا اسرائيل منذ نشوئها ومنذ أن كانت هناك عمليات تسلل فردية أو منظمة ، هذه السياسة قد نجحت تماما عام ١٩٧٢ واحرزت درجة شبه كاملة من التطبيق ، **ويعني ذلك بالتحديد ان تصبح القوات العربية من حول اسرائيل بمثابة بوليس عربي يحمي الحدود الاسرائيلية من عمليات التسلل الفلسطينية فردية كانت أم منظمة ويوفر على قوات الامن الاسرائيلية مشقة الاحتفاظ بعدد ضخم من القوات في حالة تعبئة كاملة كما يؤمن للسكان الاسرائيليين ـ ولا سيمـا على الحدود ـ فرصة استثمـار الارض والتمركز والعيش الآمـن ،** هذه الامنيات التي طالما حلم بها سكان الحدود الاسرائيليون . ولعل اكبر دليل على اهمية هذه الامنيات بالنسبة لهم ذلك الفرح الذي ظهر في تعليقات الصحف الاسرائيلية على اثر احداث أيلول ١٩٧٠ في الاردن اذ انصبت التعليقات على ما سوف ينتظـر قرى الحدود من أمن واستقرار وهدوء بعد ان تم القضاء على الحركة الفدائية وتولي الجيش العربي المختص مسألة الامن على الحدود .

ب ـ الجسور الاسرائيلية المفتوحة في وجه الفلسطينيين

من خلال التحليل السابق لا بد ان يبرز سؤال حيوي وضروري . مـاذا عن العمل في الداخل ؟. لقد تناول الحديث حتى الان تطورات العمل الفدائي التسللي الذي يتخذ لـه قواعد في الاراضي العربية المجاورة للارض المحتلة . ولكن هذا العمل ليس هو النوع الوحيد من العمل التحرري غير النظامي ، فهناك ايضا رديف هذا العمل (لا بديله بالنسبة للوضع الفلسطيني) وهو المقاومة من الداخل على نحو ما كان يحدث خـلال السنوات الخمس الماضية في قطاع غزة واجزاء مختلفة من الضفة الغربية . لقد اثبت هذا العمل فعالية واهمية من خلال ما احدثه في صفوف العدو من بلبلة ومخـاوف على المستوى الشعبي ومن كلفة وخسائر وتعبئة مستمرة على مستوى قوات الامن ومن فضح للعدو الصهيوني على المستوى الدولي باعتباره غازيـا ومحتلا غاشما لا يتورع عن استخدام

اشد اساليب البطش والابادة لمقاومة حركات التحرير وكبت ارادة الشعوب . ومن جهة اخرى كانت بسالة قطاع غزة بالذات تعطي دفقة معنوية للثوار العرب في كل مكان وتثبت لهم أن العدو ليس ذلك الوحش الاسطوري الذي لا يمكن أن ينال منه او يؤذى وان شعبا صغيرا استطاع ان يتحدى قوات الاحتلال الغاشمة وان يحدث البلبلة في صفوفها على الرغم من انه محصور من جميع الجهات وامكانات امداده ضعيفة جدا والفرص العامة التي تتيحها له المنطقة محدودة جدا . ذلك ان المقاومة في غزة خلال السنتين الاخيرتين كانت النقطة الوحيدة المضيئة في ظلام المنطقة العربية وكان واضحا ان الناس في غزة يحاربون ويقاومون دون ان تلوح لهم في الافق اية بوادر تشير الى تحسن موقفهم السياسي والقتالي او حدوث اي تطورات يمكن ان تؤدي الى تخفيف الضغط عنهم . والواقع أن التحليل الموضوعي كان يفيد دائما ان مستقبل المقاومة في غزة غير مضمون على الاطلاق وانه كان في احيان كثيرة نوعا من العنف الشعبي الذي لا يحمل مؤشرات نمو ثوري منظم وان كان ينطوي على امكانية قوية للعمل الثوري ، وهي حالة حذر لينين وغيره من القادة الثوريين من الركون اليها وتركها دون تطوير وتوجيه(*) .

واليوم بعد انقضاء خمس سنوات على الاحتلال الاسرائيلي لقطاع غزة والضفة الغربية وسيناء والجولان يتساءل المرء : ماذا جرى للمقاومة العربية في الارض المحتلة ؟... وهل صحيح ان العدو الاسرائيلي في حالة ممتازة يحسده عليها اي محتل اخر في العالم من حيث استتباب الامن والهدوء ومن حيث اقبال الناس على التعاون معه اقتصاديا واجتماعيا وبالتالي سياسيا ؟. لا شك ان الصورة العامة قاتمة وليس من الخطأ على الاطلاق الاعتراف بأن المحتل الصهيوني قد حقق نجاحا يتمناه اي محتل في هذا العصر ، بل انه يكون ضربا من الغباء والانتحار السياسي لو تعامى العرب عن هذا الواقع وانكروا وجوده . ولكن — مع ذلك — يجب ان لا تقبل هذه الصورة العامة دون تمحيص ودون تفصيل .

— لنقرر اولا حقيقة ربما كانت لا تحتاج الى براهين كثيرة وهي أن المقاومة في الارض المحتلة وحدها لا تكفي لاحراز اي تبديل جوهري في الواقع العسكري للمحتل الذي يتمتع برجحان ميزان القوى الى جانبه بشكل واضح حتى اليوم .

— ولنقرر ان استمرار اي شعب في المقاومة من خلال واقع لا يبشر بأي تغيير جوهري ربما يتحول الى نوع من الانتحار وقطع الطريق على بروز مقاومة منظمة في المستقبل . وبالنسبة للوضع الفلسطيني بالذات يمكن القول ان المقاومة غير الواعية ربما تؤدي الى اعطاء المحتل مسوغا مستمرا للبطش وتنفيذ خطط التهجير والتدمير والكشف عن الخلايا الثورية قبل نضجها .

— ولنقرر ايضا ان المقاومة الفلسطينية في الضفة الغربية وفي غزة بوجه خاص بلغت الاوج خلال السنة التي تلت مذابح ايلول ١٩٧٠ ، كما لو كان ذلك محاولة لشد ازر

---

* انظر : الخطيب ، د حسام ، **في التجربة الثورية الفلسطينية** ، دمشق ، ١٩٧٢ ، ص ٨٦ — ٨٧ ، حيث جرى تحليل لوضع المقاومة في غزة اختتم بالتعليق التالي « وصحيح ان العنف في غزة ما زال يؤدي وظيفة حساسة في احباط خطط قوات الاحتلال لتطويع المنطقة وهضمها وكذلك في رفع الروح المعنوية لدى المواطنين، الا أن المرء يلمح في هذا النوع ظل الاعراض المرضية التي اتصف بها العمل الفلسطيني بمجمله ، والنمو الكمي في عدد العمليات او جوادث العنف يجب أن لا يصرفنا عن الحقيقة المؤلمة وهي القصور عن احداث تغير نوعي في مستوى العمليات . وغني عن القول ان هذا التغير لا يحدث الا بعد توحيد القوى المقاتلة وتنظيمها ووضع برنامج مرحلي لاهدافها العسكرية والسياسية يرافقه برنامج تدريبي وتنظيمي في مستوى الاهداف المرسومة . واذا لم يتم التحرك بهذا الاتجاه ، واذا لم تساعد المنظمات من الخارج على تطوير الامور بهذا الاتجاه فعلينا ان لا نتوقع استمرار مقاومة غزة الى الابد » .

الثورة والتعويض عن الشلل الذي أصاب قواتها عقب هذه المذابح ، ولنتذكر ان المقاومة اخذت بالتضاؤل في العام الماضي (١٩٧٢) بعد أن ثبت أن الثورة الفلسطينية في المنفى لم تستطع ان تتغلب على عقبتها وبالتالي لن تستطيع ان توجه كامل جهدها للارض المحتلة في وقت قريب ، وكذلك بعد ان ثبت ان الوضع على طرفي الصراع — سياسيا وعسكريا — لا ينبىء بأي تبدل جوهري لمصلحة الجانب العربي في الفترة الحالية . وما دام الحال على هذا المنوال فما الذي يمكن ان ينتظره اي مراقب موضوعي ؟ هل يقول للناس انتحروا مهما كانت الظروف ، والفرج لا بد ان يأتي عاجلا او آجلا . لقد قررنا سابقا ان المقاومة الفلسطينية في الارض المحتلة كانت اقرب الى التلقائية خلال السنوات الماضية فلماذا لا نفترض ان سكوتها اليوم ناجم عن شعور شعبي مشترك بأن المرحلة صعبة وهي تتطلب التريث والصبر وتقوية الخلايا والاستعداد للساعة التي تشير عقاربها الى مواتاة الظروف . لقد ابتلي الشعب الفلسطيني على مدى اجيال متعاقبة بضعف قياداته — بل غيابها عن اي تأثير فعال في كثير من الاحوال — ولكنه استطاع بفضل وعيه التلقائي العام ان يحافظ على وجوده وان يستمر ويعيش رغم كل المخاطر والمؤامرات التي استهدفت انهاء وجوده كشعب . ولنقل ان تصرفه في هذا الموضوع بالذات انما يدل على شعور تلقائي بضرورة التحفز والتربص . ولو كانت هناك قيادة فعلية في الارض المحتلة ربما يتصور المرء انها — من خلال تحليل الظروف المختلفة — قد تنتهي الى اتخاذ قرار بتجميد الوضع أو التريث أو على الاقل بتقنين العمليات .

والمهم — على أي حال — هو ان لا نفسر كل الظروف والتطورات لصالح العدو وان ندرك من خلال رؤية غير وحيدة الجانب ان طاقات شعبنا موجودة وكامنة وانها تنتظر القيادة التي تحسن تعبئتها واعدادها وبالتالي اطلاقها باتجاه هدف التحرير المنشود ، وان فترة الهدوء الحالية هي من نوع الفترات التي تسبق العاصفة عادة .

على ان التأكيد على الحقيقة السابقة يجب ان لا يدفعنا الى الاعتقاد بان الصمت تام ومطبق في الارض المحتلة وان الجو هناك طبيعي والامن مستتب استتبابا تاما كما تحاول اجهزة الدعاية الصهيونية ان تصور الامر . وعلينا ان نذكر انه لا يمضي اسبوع الا وتقع عملية في الارض المحتلة سواء التي احتلت بعد ١٩٤٨ او بعد ١٩٦٧ ، وعلينا ان نفترض كذلك ان هناك عمليات كثيرة تتم وتنقضي دون ان يسمع عنها احد لانها عمليات متفرقة يستطيع العدو خنق اي خبر متعلق بها . ان الانسان لو استقصى عدد هذه العمليات من خلال اخبار الوكالات الاجنبية لوجد انها اكثر مما يعتقد عادة ، والسبب واضح جدا ، وهو ان رقابة هذه العمليات تركت اثرا نفسيا على القارىء العربي بحيث اصبح يتجاهل هذه العمليات حين يجدها في الصحيفة او يسمع عنها في الاذاعة ثم يوهم نفسه بأنها غير موجودة . ويزيد الامر سوءا فقدان قابلية التصديق لدى الفرد العربي لدرجة انه يتشكك حتى فيما تنقله الصحافة الاجنبية ، وربما اعتمد على الاذاعة الاسرائيلية اعتماد المصدق من اجل التأكد من اخبار العمليات ودقة الاصابات والخسائر الناجمة عنها . ان هذا التصرف واضح البطلان ومن الطبيعي ان يفترض المرء ان المصادر لاسرائيلية تحاول دائما اسدال ستار من الصمت حول عمليات الفدائيين ، وان التناقض الذي يظهر دائما بين نص خبر معين في النشرة العربية وفي النشرة الانكليزية أو الفرنسية او العبرية من الاذاعة الاسرائيلية يجب ان يشكل لدى كل مواطن القناعة الطبيعية بأن العدو ، اي عدو ، لا يمكن ان يعتبر مصدر ثقة في مثل هذه الاحوال*.

---

* من أجل متابعة عمليات الثورة الفلسطينية راجع الجداول التي ترد عادة في **شؤون فلسطينية** ، وفي العدد (١٨) مثلا نجد تقريرا حول ١١ عملية بين ٧٢/١٢/١٣ — ١٩٧٣/١/١٢ ، اعترف العدو بعشر منها ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

والامر الذي يجب ان نتأكد منه هو ان المقاومة لم تنعدم تماما كما يحاول العدو ان يوهمنا وان كانت هناك فترة سكون نسبي ناجمة عن الروح التراجعية التي تسود المنطقة العربية وتجعل المقاومة في نظر المواطن العربي في فلسطين المحتلة عملا غير واضح الاهداف وغير مرتبط بتحرك شامل نحو التحرير ، وان المرء اذ يقدر الاسباب الكامنة وراء هذا الركود ، لا بد ان يميز بين نوعين من الركود : — الركود الذي يسبق العاصفة والذي يعبر عن تحفز وتربص والنوع الثاني وهو الركود الناجم عن الارتخاء والاستسلام لخطط العدو واليأس من احداث اي تغيير . وبالطبع ليس من السهل الحكم على الركود العربي في الارض المحتلة بمثل السهولة التي يلجأ اليها المستخفون والانهزاميون حين يصورون المسألة وكأنها قد سويت نهائيا لصالح العدو .

ولنحاول ان نفهم الوضع الحالي على طريقة الاحتمالات المتغيرة بدلا من ان نطلق حكما ثبوتيا يتعارض مع معطيات التاريخ . لنتصور الوضع الحالي معادلة ذات طرفين من الاحتمالات . الطرف الاول ، وهو الطرف العربي الفلسطيني ، تحكمه عوامل داخلية متأثرة تأثرا مباشرا بما يجري في المنطقة العربية ، والطرف الثاني وهو الطرف الصهيوني ، تحكمه قوانينه الخاصة المتأثرة تأثرا مباشرا بالعوامل الخارجية ولا سيما بالولايات المتحدة الاميركية سواء على مستوى السياسة الداخلية فيها أم على مستوى سياستها الامبريالية العالمية . ويبدو الطرف الثاني اكثر قدرة على التخطيط والحركة والمبادرة في الظرف الحالي ، ولذلك كان ضروريا ان يعرض الموقف من زاويته مع بيان الاحتمالات التركيبية التي لا بد ان تنجم من تصادم موقفه مع موقف الطرف العربي الواقع تحت الاحتلال . ولنبدأ بعناصر سياسة العدو في الارض المحتلة .

اولا : ان العدو الاسرائيلي ، كأي محتل في هذا العالم ، يهمه اولا استتباب الامن في المنطقة المحتلة ويهمه ثانيا الاستفادة الاستراتيجية والاقتصادية من المنطقة المحتلة . وفي المجال الاستراتيجي نجد اسرائيل تعمل جاهدة على استكمال مفهوم (الصندوق المحصن) فهي تزرع المستعمرات العسكرية على طول نهر الاردن وعلى حدودها الاخرى مع البلاد العربية بحيث تظل هذه المستعمرات حصونا طبيعية ومراكز هجومية او دفاعية حسبما يقتضي الموقف . والمهم ان هذه المستعمرات تغني اسرائيل عن الاحتفاظ بقوة عسكرية كبيرة ضاربة على الحدود بحيث تستطيع توفير القوة البشرية العاملة والمختصة من اجل تشغيلها في التنمية الاقتصادية بدلا من تجميدها على الحدود كما تفعل الدول العربية ذات الجيوش الكبيرة العدد نسبيا .

ومن الواضح ان هذه الاهداف لا يمكن أن تتحقق الا بممارسة أساليب مختلفة من الضغط والارهاب والانتهاك لحقوق المواطن العربي الراسف في قيود الاحتلال . وقد اثبتت التجربة خلال ربع القرن الماضي ان هذا الهدف الاستراتيجي هو الهدف المقدم على كل هدف آخر ، وان مقتضياته تتحكم تحكما كاملا بالسياسة الاسرائيلية . فمنذ أن قامت الدولة الصهيونية حرصت على اخضاع مناطق الحدود والمناطق التي يسكنها العرب لحكم عسكري غريب من نوعه يعطي السلطة العسكرية صلاحيات مطلقة ويجعل لها اليد العليا في تصريف شؤون المناطق المذكورة ، على الرغم من وجود حكومة مدنية تتولى شؤون سائر البلاد ، وتمتد هذه الصلاحيات لتشمل اغلاق مناطق معينة وتحديد حرية الحركة للمواطنين واعتقال أي مواطن ، وأخيرا — وأهم من ذلك كله — مصادرة الاملاك او اتلافها* .

ولست هنا في مجال استقصاء هذه النقطة فهي مسألة معروفة تماما وقد كتب فيها الكثير ،

---

* من اجل التوسع في فهم طبيعة الحكم العسكري المشار اليه انظر بوجه خاص كتاب جريس ، صبري ، **العرب في اسرائيل** (الجزء الاول) ، مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٦ ص ١٢٠ — ١٢٢ .

وانما أود أن أشير الى بعض الامثلة الصارخة التي تثبت ان الضرورة العسكرية او الامنية تتحكم بأي عامل آخر في السياسة الاسرائيلية سواء بالنسبة للاراضي المحتلة بعد عام ١٩٤٨ أو بعد عام ١٩٦٧ . وان قضية الاستيطان اليهودي في مشارف رفح هي من أهم الامثلة التي توضح هذه السياسة . ففي عام ١٩٧٢ جرى تشريد آلاف البدو العرب من المنطقة الواقعة بين قطاع غزة والعريش ، وأقيمت عدة سياجات أمنية أولها سياج الامن البالغ طوله نحو ثلاثين كيلومترا بمحاذاة الحدود القديمة ، وسياج آخر في القسم الجنوبي من رفح صادرت السلطات العسكرية بموجبه ٢٦ ألف دونم ، ثم السياج الاخير الذي تم تحت ستاره تهجير آلاف العرب ومصادرة أربعين ألف دونم . وقد منعت الرقابة العسكرية نشر الانباء حول هذه الاجراءات الى أن وصلت الى الصليب الاحمر الدولي ، وحينها أعلنت الحكومة الاسرائيلية أنها لم تكن على علم باجراءات التسييج والمصادرة والتهجير ، وأسفرت التحقيقات التي اجرتها الحكومة على توبيخ ونقل بعض الضباط*. وهناك حدث آخر لا يقل أهمية عن الحدث السابق ويتعلق بالاراضي المحتلة بعد سنة ١٩٤٨، وهو اقدام السلطات الاسرائيلية اثر الاحتلال مباشرة على اخلاء قريتي كفر برعم وأقرت الواقعتين على الحدود الفلسطينية اللبنانية واجبار سكانهما من العرب المسيحيين على ترك أراضيهم بالقوة واعتبار القريتين من ضمن مناطق الامن التي لا يجوز لاصحابها العرب العودة اليها . وعلى الرغم من الضجة الكبرى التي أعقبت هذه العملية ، وعلى الرغم من استمرار نضال الاهالي للعودة منذ أوائل الخمسينات حتى هذه الايام ، وعلى الرغم من تدخل سلطات دينية مسيحية على أعلى مستوى واتصال بعض هذه السلطات بكبار الحاخامين في نيويورك ، وعلى الرغم من استمرار استغلال فئات من المعارضة الاسرائيلية لهذه القضية ، فان الحكومة الاسرائيلية لم تتزحزح قيد شعرة عن موقفها المتصلب بل انها لم تصغ الى قرار محكمة العدل العليا التي أصدرت في ٣١ — ٧ — ١٩٥١ بناء على شكوى قدمها أهالي أقرت قرارا ينص على « أنه لا يوجد أي عائق قانوني لاعادة المشتكين الى قريتهم » . كما أصدرت في أول أيلول ١٩٥٣ قرارا مماثلا بالنسبة لاهالي قرية كفر برعم . ومنذ ذلك التاريخ رفضت سلطات الامن تنفيذ هذين القرارين وأعلنت اراضي القريتين «مناطق امن» ونسفتهما**. وحتى اليوم تصر سلطات الامن والحكومة والصحافة الاسرائيلية على ضرورة الوقوف في وجه أية محاولات يقوم بها العرب الذين يحملون الجنسية الاسرائيلية من أجل العودة . وتشير جميع ردود الفعل الاسرائيلية الرسمية الى هذا الاتجاه ، ويكفي أن نقتطف التعليق التالي لحاييم بارليف حول هذه المسألة :

« قبل كل شيء هناك قضية أمنية . توجد أهمية كبرى لعدد قرى الاقليات مع الحدود اللبنانية ، ويجب عدم زيادة هذا العدد . وبالاضافة الى الناحية الامنية هناك قضية أخرى تتعلق بسكان أبعدوا هم أيضا عن قراهم مثل أهالي كفر برعم أثناء حرب ٤٨ . ان هذا الوضع يشكل مأساة بالنسبة لهؤلاء ، وقضية صعبة ومستعصية بالنسبة لدولة اسرائيل . فاذا ما قمنا باعادة أهالي كفر برعم الان فاننا نكون قد سجلنا سابقة . وهناك قرى أخرى لا أعرف بالضبط عددها أبعد أهاليها . فماذا نقول لهم ؟ هل نقول لهم اننا

---

* من مقال للسيد محمد ابو عزة بعنوان « الاستراتيجية الصهيونية وعرب الارض المحتلة » ، جريدة **البعث** السورية ، ١٩٧٣/٢/١١ ، وبسند كاتب المقال معلوماته الى **هآرتس** الاسرائيلية (١٩٧٢/٥/١٨) . راجع ايضا نشرة م. د. ف. ١٩٧٢/٧/١٦ .

** أجلي سكان اقرت في ١٩٤٨/١١/١٥ وسكان كفر برعم في ١٩٤٩/١١/١٥ ، ونسفت القريتان بعد ذلك . من أجل تفصيلات وافية عن هذه القضية راجع نشرة م. د. ف ١٩٧٢/٧/١٦ .

سمحنا لاهالي كفر برعم بالعودة لانهم موارنة ، ولن نسمح لكم لانكم مسلمون »* .

ويتضح من مراجعة الموقف الاسرائيلي تجاه هذه القضية بالذات ان المسألة ليست مسألة أمن فحسب بل هناك مقتضيات الاستيطان اليهودي التي تتخذ من « الامن » ذريعة لاغتصاب مناطق عربية مقصودة وطرد سكانها . ويقدر صبري جريس الاراضي التي تمت مصادرتها تحت ذريعة المقتضيات العسكرية أو غيرها بمليون دونم** . على ان الاعتراف بالدوافع الاستيطانية والاقتصادية يجب أن لا ينسينا مطلقا أن الاعتبارات العسكرية والامنية تفوق كل اعتبار آخر عند العدو ، بل لقد دلت تجربة ربع القرن الاخير ان المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تظل لها اليد العليا في تقرير وتنفيذ اية سياسة متعلقة بالعرب والاراضي العربية واذا كان النظام السياسي الاسرائيلي يسمح لقوى سياسية بمزاحمة المؤسسة العسكرية فيما يتعلق بالشؤون الاسرائيلية فان الشؤون العربية بقيت حتى الآن وبشكل تام بيد السلطة العسكرية وقادة المناطق المحتلة أو الحكم العسكري بوجه خاص .

ومغزى هذا الكلام بالنسبة لما تحاول أن تصل اليه هذه الدراسة هو ان اية سياسة للتهدئة يمكن أن يتبعها المحتل الاسرائيلي في المناطق المحتلة لا يمكن أن تكون فعالة على المدى البعيد لانها تتصادم أصلا مع اعتبارات الامن العسكري للعدو ومقتضيات مطامحه التوسعية .

ثانيا : وفي المجال الاقتصادي ، وعلى الرغم من اعتراضات محلية كثيرة ، تعمل اسرائيل على الحاق اقتصاد الضفة الغربية بمصالح الاقتصاد الاستعماري الاسرائيلي واستيعاب القوة العاملة العربية بأرخص الاثمان ، ذلك ان المجتمع الاسرائيلي كغيره من المجتمعات المتقدمة صناعيا يحتاج الى طبقة عاملة رخيصة تساعده على انتاج سلع رخيصة يمكن أن تدخل سوق المنافسة الدولية . وتتطلع اسرائيل بوجه خاص الى غزو الاسواق في بلدان آسيا وافريقيا مستفيدة من قربها الجغرافي من معظم هذه البلدان وكذلك من معرفتها لطبيعة الانتاج المرغوب نفسيا في بلدان آسيا وافريقيا .

وقد وجدت بعد انتصارها في حرب ١٩٦٧ فرصة مؤاتية لتنفيذ مرحلة جديدة من مراحل توسعها الاقتصادي فأخذت تزيد من الطاقة الانتاجية لمصانعها التي صممت أصلا لتلبية حاجات التوسع الاقتصادي والتي لم تكن تعمل بكامل طاقتها الانتاجية في المراحل السابقة . وقد استغل الرأسمال الصهيوني فرصة وجود آلاف العمال المتعطلين في الاراضي المحتلة وعمد الى تشغيلهم في المصانع بأجور منخفضة جدا بالنسبة لمستوى معيشة العامل الاسرائيلي ، ومرتفعة جدا بالنسبة لمستوى المعيشة في المجتمعات العربية المحتلة*** . ومن هنا يسمع المرء كثيرا عن ارتفاع اجور العمال العرب من أبناء الضفة الغربية الذين يعملون في المصانع الاسرائيلية ، ويسمع أكثر عن انتشار نوع من أنواع الرخاء الاقتصادي هناك ، ويتوهم الكثيرون ان هذه الحالة دائمة ويعتبرونها مؤشرا مظلما بالنسبة لمستقبل القضية العربية .

ومن الاسف ان حالة اليأس التي تخيم على مجتمعنا تيسر الانتشار لمثل هذه الافكار التي تتنافى مع الواقع الموضوعي للمجتمع الصهيوني الرأسمالي في الاراضي المحتلة . وحتى

---

* انظر : درويش ، محمود : لا دولة صهيونية بدون طرد العرب ومصادرة اراضيهم ، **شؤون فلسطينية** ، عدد ١٣ ، حيث ورد هذا النص ونصوص اخرى مشابهة تمثل الموقف الاسرائيلي المشار اليه .

** جريس ، صبري ، **العرب في اسرائيل** ، الجزء الاول ، ص ١٦٤ — ١٦٧ .

*** الرقم الرسمي لعدد العمال العرب من المناطق المحتلة الذين يعملون في اسرائيل هو ٥٣٠٠٠ . انظر نشرة م. د. ف. ، ١٩٧٢/١٢/١٦ . وتشير الصحف الاسرائيلية عادة الى وجود اعداد اخرى من العمال الذين يعملون بصورة غير قانونية .

تكون الصورة واضحة ومستكملة يجب أن نتذكر أن العدو الصهيوني متأثر بالعوامل الدولية تأثرا مباشرا وفريدا من نوعه في العالم المعاصر . ان اسرائيل ـــ اكثر من اية دولة اخرى في العالم ـــ تعتمد في وجودها وقوتها على مقومات خارجية كالحركة الصهيونية العالمية والامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية . وهي تتلقى قدرا ـــن المساعدات المالية والاقتصادية يصل الى درجة خيالية ولا نكاد نعرف له مثيلا في العصر الحديث ، وعلى الرغم من اعترافنا بأن العدو الصهيوني قد قطع شوطا كبيرا منذ سنة ١٩٤٨ حتى الآن في تثبيت أقدامه وتحقيق نوع من المقومات الداخلية للاستمرار فاننا يجب ان لا ننسى أبدا أن ارتباط اسرائيل العضوي بالامبريالية هو عامل قوة وعامل ضعف في وقت واحد ولا بد أن تكون له انعكاسات في المستقبل طبقا لتطور المعركة ذات الوجوه المتعددة (السياسية والاجتماعية والاقتصادية) بين حركات التحرر الوطني والقوى الامبريالية على مستوى العالم كله .

واذا أردنا لكلامنا أن يكون أكثر دقة وتخصيصا فلنقل أن نجاح سياسة العدو الاقتصادية او اخفاقها سوف يعتمد على عوامل دولية كثيرة ، وفشل اسرائيل مثلا في ايجاد أسواق خارجية لسلعها أو دخولها في منافسات حامية في المستقبل مع دول رأسمالية أخرى سوف يعرض اقتصادها للاعراض المرضية المعروفة عامة في العالم الرأسمالي ، واذا قدر لازمة الدولار الحالية أن تتطور تطورات حاسمة بالنسبة لاقتصاد الولايات المتحدة الامريكية فان الاقتصاد الرأسمالي التابع في اسرائيل سوف يعاني من ضربة محققة لانه أقل تحملا للصدمات من الاقتصاد الام ، وسوف تكون البطالة بين العمال من ابرز مظاهرها ، ويتوقع المرء أن اية موجة قادمة من البطالة في الارض المحتلة سوف تقلب الميزان في الارض المحتلة وتفقد المحتل الاسرائيلي كثيرا من المواقع الداخلية التي اكتسبها مؤقتا ، وقد تجعل الوضع أسوأ مما كان عليه في فترة الاحتلال الاولي ، ذلك ان العرب سيكونون أول المطرودين من اعمالهم كما تقول **دافار*** ، واذا قدر لموجة البطالة ان تتفشى تفشيا قويا فانها ستهيىء الطبقة العاملة الفلسطينية لربط مصيرها بمصير الثورة ، وهو أمر تفرضه طبيعة الامور وسوف تعجل الظروف الاقتصادية السيئة بتحقيقه ، وعند ذاك سيكون العامل العربي أكثر فعالية وقدرة على النيل من العدو وذلك بفضل ما اكتسبه من خبرات نجمت عن تغلغله في المؤسسات الاقتصادية الاسرائيلية . وان المناقشات الحالية الدائرة بين الاحزاب السياسية الاسرائيلية حول مستقبل الاراضي المحتلة لتشير بوضوح الى تخوف الاسرائيليين من هذه النتيجة** . ويجب ان لا يفهم من هذا الكلام طبعا أن اشتغال العمال العرب في المصانع الاسرائيلية مسألة يمكن أن تكون في صالح الثورة أوتوماتيكيا ، بل هو دعوة الى الاستفادة من الامـــر الواقع وقلبه لصالح الثورة وهذه بالاصل هي وظيفة الثورة ، وقد سبق للثورة الجزائرية أن خاضت تجربة في هذا المجال ، اذ حاولت منع العمال الجزائريين من العمل مع المستوطنين الفرنسيين وحين رأت ان الامر غير ممكن أطلقت شعار (خذ الغلة وسب الملا) وانصرفت الى تجنيد هؤلاء العمال في صفوف الثورة . كما ان التحليل السابق لا يعني ان ارتباط الطبقة العاملة العربية بالثورة متوقف فقط على الهزات الاقتصادية المرتقبـــة في اسرائيل . ان هذه

---

* نقلا عن **المصدر السابق** .

** أوضح يوسف الموعي ، وزير العمل الاسرائيلي ، في دورة نقاش اجريت في سكرتارية حزب العمل أن نسبة العمال العرب العاملين في اعمال بناء فعلية في اسرائيل تصل الى ٣٥٪ ، بينما تصل نسبتهم في قطاع البناء الى ٦٠٪ ، وتبلغ نسبة العمال العرب العاملين في الزراعة في اسرائيل ٣٠٪ ، وفي الصناعة ٥٪ . ويقول الموعي : « حان الوقت للحيلولة دون زيادة نسبة العرب العاملين في اسرائيل ، ان الكمية تتحـــول الى نوعية ، واذا ارتفعت هذه النسبة نكون قد زرعنا لانفسنا لغما موقوتا يشكل خطرا على مجتمعنا » . راجع نشرة م.د.ف. ١٩٧٢/١٢/١٦ حيث نقل هذا الكلام عن **معاريف** ، ١٩٧٢/٩/٢٢ .

الهزات سوف تقرب من أمد هذا الارتباط وتعطيه دفعا وقوة ولكنها ليست الاحتمال الوحيد ، وهناك احتمالات كثيرة سوف تنجم عن الوضع البشري والاقتصادي الجديد في الاراضي العربية المحتلة ، والفارق الملحوظ في مستوى المعيشة على الجانبين العربي والاسرائيلي سوف يكون في المستقبل عاملا قويا يمكن أن تستغله الثورة استغلالا منظما وفعالا . ومن المهم أن ننبه منذ الآن ان العدو الصهيوني غير غافل عن هذه النقطة بالذات . وهناك أخبار عن مجموعة اسرائيلية تسمى « ريحوفوت » قامت بوضع برنامج يهدف الى رفع مستوى المعيشة في الضفة الغربية والى التقليل من الفارق في مستوى المعيشة بين العرب واليهود وذلك بهدف جعل التوحيد بين الاقتصاد الاسرائيلي واقتصاد الضفة الغربية ممكنا أو بعبارة أصح اخضاع اقتصاد الضفة الغربية كلية لمتطلبات الاقتصاد الاسرائيلي وذلك عن طريق انشاء مشاريع متعددة صناعية واقتصادية وزراعية وسياحية بالاضافة الى مشاريع أخرى متصلة بالخدمات العامة ، وتلقى هذه المشاريع اهتماما متزايدا من السلطات الاسرائيلية التي بدأت بوضع بعض هذه المشاريع في حيز التنفيذ*.

ومهما يكن من أمر التطورات الاقتصادية المتوقعة التي يمكن ان تؤثر في فعالية خطط العدو فلا بد من الاشارة هنا الى ظاهرة ارتفاع تكاليف المعيشة التي بدأت تعاني منها الضفة الغربية . صحيح ان اجور العمال ارتفعت لدرجة ان بعض حملة الشهادات وبعض مالكي الاراضي الصغار (الكولاك) اصبحوا يفضلون الالتحاق بالمعامل والتخلي عن الوظيفة أو الارض ، ولكنه صحيح ايضا ان ارتفاع تكاليف المعيشة في الضفة الغربية آخذ بالازدياد وفقا لنسب غير طبيعية أبدا وسوف تتلاشى في القريب العاجل نظرة المقارنة بين الماضي والحاضر او بين الضفة الشرقية والضفة الغربية لتفسح المجال لنوع من النقمة العامة على الاوضاع الاقتصادية الاجتماعية الجديدة التي تحيط بالسكان العرب .

وأخيرا لا تكتمل صورة الوضع الاقتصادي دون الاشارة الى ناحية مهمة معروفة في تاريخ الاحتلال ، ومتمثلة بشكل أحد وأقوى في حالة الضفة الغربية وهي التناقض الموضوعي بين مصلحة المحتل ومصلحة الشعب الواقع تحت وطأة الاحتلال . وفي حالة الاحتلال الاسرائيلي لا بد أن يؤدي هذا التناقض الى صدام حتمي ، ذلك ان الاطماع الاسرائيلية في الارض لا تقف عند حد أبدا ، ولدى الاسرائيليين خطط ثابتة للاستيلاء على الارض العربية وفقا لضرورات اقتصادية او استراتيجية . وعلى الرغم من سياسة التهدئة العامة التي تنتهجها السلطة الاسرائيلية فان ذلك لم يمنعها من تنفيذ مخططها لتهويد منطقة القدس والاراضي المحيطة بها ويتخذ هذا التهويد شكل اغتصاب قسري للارض عن طريق الجمعيات أو شكل مصادرة عن طريق الدولة ، ويمكن للانسان أن يتصور حالة الفلاح الذي تغتصب أرضه وكثيرا ما تكون خصبة أو ذات أهمية معينة ، وكثيرا ما يصبح المالك عاملا في الارض ذاتها .

وبمناسبة الكلام عن موقف الفلاح من الارض يجدر بنا أن نتذكر حوادث كثيرة في الضفة الغربية انطوت على استعمال العنف أو التدابير الجذرية ضد الفلاحين الذين رفضوا العمل في المشروعات الاقتصادية الاسرائيلية ، اذ أحرقت السلطة مزروعاتهم ومنعتهم من فلاحة أرضهم وقطعت عنهم اية فرصة لكسب الرزق حتى يكون العمل في المشروعات الاسرائيلية (وأحيانا في الموسم الزراعي المنافس لمحصولهم نفسه) هو الاختيار الوحيد

---

* للتوسع في هذه النقطة وفي موضوع السياسة الاسرائيلية في الضفة الغربية راجع : عنبتاوي ، د. منذر ، « بمناسبة الانتخابات البلدية في الضفة الغربية : اسرائيل ودبلوماسية البنغ بونغ » ، مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ٨ ، نيسان ١٩٧٢ ، ص ١٥ — ٢٧ .

امامهم . ومن امثلة ذلك الاستيلاء القسري على اراضي قرية عقربة وقطع اشجار البيارات في قلقيلية بالجرارات لاكراه العرب على هجر الارض واخبار هذه الحوادث ميسورة في الصحف الاسرائيلية. **لقد أوردنا كل تلك الشواهد لنؤكد على حقيقة يتجاهلها الكثيرون في هذه الايام وهي انه مهما بلغت سياسة التهدئة الاسرائيلية من براعة ومرونة فان الظروف الاقتصادية نفسها في الضفة الغربية ــ بصرف النظر عن العوامل الاخرى الوطنية والنفسية ــ سوف تمثل بالتدريج عاملا حادا من عوامل التناقض الابدي بين مصالح العدو المستعمر ومصالح الشعب المغلوب على أمره ، وان وصول هذا التناقض الى درجة معينة سيكون عاملاً من عوامل تهيئة المناخ الثوري الذي يمكن ان تستغله الثورة بشكل واع ومنظم .**

ثالثا : وبالاضافة الى الهدفين الاستراتيجي والاقتصادي تعمل السياسة الاسرائيلية على **استيعاب المناطق المحتلة** وتطويعها واستخدامها جسرا للوصول الى اهدافها البعيدة وهي خلق حالة طبيعية من التعامل مع الوطن العربي تتوج الانتصارات العسكرية الاسرائيلية وتجعل الوطن العربي مجالا حيويا لمطامح الصهيونية السياسية والعسكرية والاقتصادية دون ان تقيد اسرائيل نفسها بمعاهدات وحدود دولية. وفي البدء لجأ العدو المحتل الى أقصى درجات القمع والارهاب ، وبعد أن أتيح له كسر شوكة المقاومة اثر أحداث أيلول ١٩٧٠ في الاردن نهج نهجا جديدا قائما على التهدئة العامة في الضفة الغربية ويتمثل هذا النهج رسميا بسياسة (الجسور المفتوحة) التي أصابت حتى الآن نصيبا من النجاح ومن أهم مظاهر هذه السياسة :

١ ــ ابقاء الجسور مفتوحة بين الضفتين وتسهيل خروج السكان ودخولهم منها ضمن قيود معينة جرى تخفيفها تدريجيا حتى أصبح التنقل بين الضفتين أسهل بكثير من التنقل بين بلد عربي وآخر بل بين المدن الاردنية نفسها . ٢ ــ السماح لزوار الضفة الغربية بدخول الاراضي المحتلة منذ سنة ١٩٤٨ بأذون خاصة في بادىء الامر ثم بدون اذن وعلى مدار السنة ابتداء من ١ ــ ٧ ــ ١٩٧١ . ٣ ــ السماح لابناء المناطق المحتلة المقيمين في الخارج بزيارة اقاربهم وأصدقائهم داخل هذه المناطق خلال الصيف وقد سمح ابتداء من ١٩٧٢/١/٢٥ للفلسطينيين المقيمين في الاقطار العربية بزيارة الضفة الغربية طوال العام . ٤ ــ السماح للعمال العرب بالعمل في مجالات متعددة داخل اسرائيل . ٥ ــ السماح لابناء الضفة الغربية بتصريف منتجاتهم الزراعية والصناعية في الضفة الشرقية او عبرها . ٦ ــ ادارة البلاد فيما عدا الشؤون المتصلة بالامن ، من خلال الموظفين العرب الاعضاء أصلا في جهاز الدولة الاردنية والسماح لهؤلاء باستمرار قبض رواتبهم الاردنية رغم منحهم رواتب أخرى مساوية لها . ٧ ــ الابقاء على المجالس البلدية التي كانت قائمة عند الاحتلال وتجديد انتخاباتها وفقا للقوانين الاردنية . ٨ ــ الافراج عن عدد من الفدائيين الذين اجتازوا الضفة الغربية خلال أحداث ١٩٧٠ في الاردن تلبية لالتماسات استعراضية من جانب الزعامات التقليدية في الضفة الغربية*.

لقد كسب العدو الصهيوني كثيرا من وراء هذه السياسة ذات المظهر اللبرالي ولا سيما ما يتعلق منها بتسهيلات التنقل والسفر لانها تعد حدثا جديدا في المنطقة العربية التي يعاني سكانها من عقدة الاجراءات البليدة على الحدود بين كل قطر عربي وآخر. ويتحدث الناس كثيرا عن سهولة المرور عبر الجسور وعن سهولة التجول في الضفة الغربية وجميع المناطق في فلسطين المحتلة ويضفي الحديث عادة على هذا الامر هالة أسطورية. ويستطيع المرء أن يفهم هذا الموضوع تماما ولكن المواطن الواعي ــ ولنقل المراقب البصير ــ يجب ان لا يؤخذ بهذه الامور . صحيح ان الاسرائيليين يسمحون لمعظم

---

* نقلا عن **المصدر السابق** ص ١٦ ــ ١٧ مع تعديلات طفيفة .

الراغبين بالعبور ـ ولا سيما أولئك القادمين من عملهم في بلدان الخليج من أجل قضاء اجازة شهر أو شهرين ، وصحيح انه في حالات كثيرة جدا أعطيت اجازات مرور لاناس عرف عنهم الانتماء للمنظمات الفدائية او لاقارب زعماء فلسطينيين عاملين أو لزوجاتهم ، وصحيح أن بعض هؤلاء لا يتعرضون لاي ضغط ظاهري في اسرائيل ، ولكن الاعتراف بكل هذه الامور يجب ان لا يلفتنا عن حقيقة الفارق التكنيكي الكبير بين اساليب الامن المتخلفة في بلادنا العربية وبين الاساليب المتطورة التي يستخدمها العدو . وبالنسبة للمواطن العربي البسيط في هذه المرحلة ربما بدا الامر نوعا من المعجزة نظرا للمشقات الهائلة والتعقيدات السمجة التي يعاني منها أي مواطن عربي تقتضي ظروفه ان ينتقل عبر الحدود العربية من دولة لاخرى ، ويزداد الامر تعقيدا حين يكون هذا المواطن فلسطينيا اذ تسد في وجهه معظم الحدود . ان المسألة يجب أن لا تفهم الا على اساس تقدم في وسائل الامن ، فالدولة التي لا تطمئن لكفاءة أجهزة المراقبة الخفية عندها تغلق حدودها وتختلق الصعوبات اللازمة أحيانا وغير اللازمة في أحيان أخرى من أجل احكام الرقابة في الداخل وعلى الحدود . ان المواطنين في أوروبا يتجولون عبر حدود الدول المختلفة دون أية معاناة ، ولكن هذا لا يعني على الاطلاق ان المراقبة معدومة بل هي خفية وذكية . والاختصاصيون طبعا يستطيعون أن يتحدثوا طويلا في هذه النقطة ، نزيد على ذلك ايضا رغبة اسرائيل في الظهور بمظهر الدولة المنفتحة الواثقة من نفسها ، ولنا ان نتصور طبعا كم تكلفها هذه السياسة من استخدام لوسائل أمن متقدمة جدا . ويستطيع المرء بسهولة أن يفترض أن أي نجاح عربي في الاستفادة من سياسة الجسور المفتوحة لخلق جو من الاضطراب في اسرائيل سوف يضطر سلطات الاحتلال لتغيير هذا الموقف الذي يتزيا بزي الليبرالية .

على أن الصورة العامة التي تتناقلها الالسن عن تسهيلات العبور في اسرائيل ليست كاملة أيضا ولا دقيقة . صحيح ان سلطات الامن تحاول دائما عدم التعرض للمواطنين الا عندما تقتضي الحاجة الملحة ذلك ، ولكنه صحيح ايضا ان سلطات الامن توجه اهتماما خاصا للشباب ولا يكاد يدخل شاب جامعي مثلا الى الارض المحتلة حتى يتعرض لساعات من الاستجواب وأحيانا يعتقل أو يطرد خارج البلاد . وتمارس على الشباب أساليب نفسية مستندة الى غنى المعلومات التي توفرها المخابرات الاسرائيلية عن هؤلاء الشباب بحيث يواجه الشاب بتفصيلات متعلقة بحياته اليومية في البلدان العربية بغية تحطيم معنوياته ودفعه الى الافضاء بما عنده من معلومات أو ـ اذا أمكن ـ تجنيده في جيش المخبرين العاديين الذي تعنى السلطات الاسرائيلية بتوسيعه وبثه في كل مكان . وان حوادث التحقيق اليومية التي تجري مع الشباب هي دليل آخر على عدم اطمئنان العدو الى فعالية سياسة التهدئة واضطراره المستمر الى استخدام الاساليب القمعية المعروفة في تاريخ أي احتلال .

وأخيرا يجدر بالمرء كلما تحدث عن النجاح النسبي الذي حققه العدو في تطبيق سياسة (الجسور المفتوحة) ، ان يضع هذا النجاح في أطار من واقع الضفة الغربية قبل الاحتلال حتى لا يقع في منزلق المبالغة في تقييم هذا النجاح . ان العدو الاسرائيلي يمكن ان يعتبر من اسعد المحتلين في التاريخ المعاصر لان الظروف العامة على الطرف الآخر كانت مؤاتية له باستمرار ، ولم يكن عليه سوى أن يستعين بوسائله المتقدمة سياسيا وتقنيا ليقطف ثمار التخلف العربي . وفي حالة الضفة الغربية بالذات تسلم الاسرائيليون المنطقة دون مقاومة تذكر من السلطات الملكية الاردنية التي كانت تمثل نوعا من الحكم المتخلف القائم على الارهاب وكبت الحريات والرشوة والفساد . وقد احتفظ الاسرائيليون بالقوانين الملكية واستخدموها من أجل تشديد قبضتهم على الضفة الغربية مستخدمين نفس الطبقة الاقطاعية ـ البرجوازية التي كان يعتمد عليها الملك . وبالنسبة للجماهير

المسحوقة ــ اذا افترضنا امكان عزل العامل القومي ــ كانت المسألة استبدال سلطة غاشمة بسلطة غاشمة لا أكثر ، والمآسي التي خلفها الحكم الملكي في الضفة الغربية لم تساعد الناس كثيرا على الشعور بضرورة الاستبسال في مقاومة العدو وزاد الامر سوءا وجود شعور مشترك بغموض الهدف من النضال التحريري : هل يحارب المواطنون ويضحون بأرواحهم من أجل اعادة السلطة الملكية ؟ أم يحاربون من أجل تحرير فلسطين الكامل ؟ أم من أجل اقامة الدولة الفلسطينية ؟ وما هو شكل هذه الدولة ؟ وهل من المصلحة ان تقوم ؟ ان هذه الاسئلة ومثيلاتها ما زالت قائمة ويجب أن تدفعنا الى الاسراع في تحديد استراتيجية التحرير ومضمون التحرير ، أي نوع المجتمع المحرر الذي نسعى اليه .

لقد وجد الاسرائيليون بعد نجاح المؤامرة الامبريالية في اقصاء الثورة الفلسطينية عن الاردن الجو مهيأ للعمل على ايجاد مناخ جديد في المناطق المحتلة . وقد بدأوا بالطبقة الحاكمة نفسها التي كان الحكم الملكي يستعين بها فشجعوا الزعامات التقليدية المتمثلة بالاقطاعيين ورؤساء البلديات وكبار برجوازيي المدن ــ وهم الذين كانوا يشكلون عماد الحكم الملكي ، ومنحوهم الامتيازات الكافية واستطاعوا أن يخلقوا بواسطتهم جوا من الهدوء أخذ يعيد مجاري الحياة الى طبيعتها ــ وقد أردفوا ذلك بتشغيل العمال العرب في المصانع الاسرائيلية وخلقوا بالتدريج جوا اقتصاديا جديدا يمكن تسميته بالرخاء النسبي اذا تذكرنا الشروط القاسية التي كانت تكتنف حياة الطبقة العاملة العربية في ظل الحكم الملكي الاقطاعي وخلاصة القول أن سياسة الاستيعاب الاسرائيلية تتخذ طريقين : الاول : طريق الطبقات الاقطاعية البورجوازية وكبار موظفي العهد الملكي ، والثاني : طريق الطبقة العاملة يضاف الى ذلك أن هناك محاولات لاسترضاء الفلاحين الذين لا تدخل أراضيهم ضمن مخطط الاستيلاء الاسرائيلي وذلك عن طريق تقديم خدمات زراعية توجيهية وأخرى وقائية لحماية المحاصيل بالاضافة الى افساح مجالات عديدة لتصريف هذه المحاصيل . ويكمن في هذا التخاطب المنظم مع الطبقات المختلفة سر النجاح النسبي الذي حققه العدو في ادارة الضفة الغربية بوجه خاص . وتشير التطورات الجديدة الى أن العدو أخذ يحاول تطبيق سياسة مماثلة في قطاع غزة بعد ان بلغ الاضطهاد هناك مستويات مخيفة . وتبدأ هذه السياسة باستخدام الزعامات التقليدية وتحريكها داخليا وعربيا لتنفيذ مآرب السلطات الصهيونية واذا لم تحدث تغيرات هامة في الوضع على الجانب العربي من خط المواجهة فان المرء يستطيع أن يتصور ان السياسة الاسرائيلية في الاراضي المحتلة ستأخذ طريقها الى التنفيذ معتمدة على التعاون الكامل الذي يبديه النظام الملكي الاردني بشكل سافر وأنظمة عربية أخرى بشكل مكشوف . وسواء استمر الوضع الاحتلالي على ما هو عليه أم تمخض عن انشاء كيان فلسطيني هزيل مرتبط بالاردن أو باسرائيل فان مفتاح الاراضي المحتلة يظل متعلقا من زاوية العمل العربي بأمرين : **الاول** : مقدار ما يسهم به الوضع العربي من حول الاراضي المحتلة من فتح آفاق جديدة من الامل بالنصر أمام الجماهير المسحوقة تحت وطأة الاحتلال والواقعة تحت ضغط اختيارات محدودة جدا وغير مبشرة حاليا على الاقل . **الثاني** : مقدار ما تستطيع أن تقوم به الثورة من نشاط تنظيمي في الداخل معتمد على تأييد وتفهم شعبيين .

*

ان سياسة الجسور المفتوحة منسجمة تماما مع المخطط الاسرائيلي الهادف الى خلق جو طبيعي من العلاقات مع الجانب العربي يمكن اسرائيل من تنفيذ مآربها السياسية والاقتصادية في المنطقة ، بل ان هذه السياسة تبدو بديلا لسياسة الصلح الرسمية لانها ستمكن الاسرائيليين من اقامة صلات تدريجية مع المنطقة العربية من خلال الجسور

المفتوحة ، وجر المنطقة بالتدريج الى التعامل اليومي المباشر بصرف النظر عن الموقف السياسي العام ، وهي مسألة خطيرة جدا ما زال القادة العرب ينظرون اليها من خلال النافذتين الصغيرتين لجسري اللنبي ودامية على ان هذه السياسة في الوقت نفسه تبدو متعارضة مع العناصر الاخرى للسياسة الاسرائيلية جزئيا او كليا . فبالنسبة **للهدف الاستراتيجي** يظل صحيحا أن وجود حالة من الهدوء والنظام الطبيعي للحياة مسألة ضرورية لاي محتل لانها تؤمن له فرصة تحريك قواته حسب مقتضيات مخططاته الخاصة لا حسب ردود الفعل في الاراضي المحتلة ، ولكن الهدف الاستراتيجي نفسه في حالة الاحتلال الصهيوني ينافي سياسة التهدئة ، فاحاطة المناطق العربية بالمستعمرات الاسرائيلية من كل جانب واجلاء السكان عن أراضيهم وتغيير معالم القرى العربية ومسح بعضها من الوجود ، هذه التدابير ومثيلاتها تجعل الطريق مسدودا أمام اية تهدئة وحتى لو حصلت هذه التهدئة فانها تظل موقوتة .

ثم ان **العنصر الاقتصادي** نفسه ينافي العنصرين الامني والاستراتيجي ذلك ان السماح لالوف العمال العرب بالعمل في المصانع ومراكز الانتاج الاسرائيلية يحمل في ذاته خطرا مباشرا على الامن داخل اسرائيل والاراضي المحتلة لان امكانية استغلال هذا الوضع من قبل حركة ثورية منظمة امكانية واردة كما اسلفنا ، وهو يشكل كذلك خطرا على المدى البعيد بما يتيحه من احتكاك وتفاعل بين الطبقة العاملة العربية والاسرائيلية من جهة وبما يتضمنه من جهة أخرى من خرق لمبدأ الانغلاقية الذي تقوم عليه الدولة الصهيونية اذ يجد اليهود أنفسهم ثانية مشتركين بالمعيشة اليومية مع غير اليهود ، ومثل ذلك يمكن أن يقال عن سياسة الجسور المفتوحة. ان المناقشات التي تدور في اسرائيل حول الوضع في الاراضي المحتلة تدل فعلا على أن العدو واع لصعوبة التوفيق بين هذه العناصر المتضاربة*. وعلى الرغم من المقدرة التي ابداها العدو في تحقيق مخططاته حتى الان فمن الواضح أن سياسته تتضمن ثغرات وتناقضات تتيح للجانب العربي امكانات عمل كبيرة ، وهناك أقوال ومواقف اسرائيلية كثيرة تشير الى هذا الوضع ليس آخرها ما كتبه يشعياهو بن فورات في صحيفة **يديعوت احرونوت** (١٩٧٢/٧/١٤) دعما لموقف غولدا مائير المتعنت من قضية اقرت وكفر برعم :

« من واجب القادة الاسرائيليين أن يفهموا الجمهور ، بصراحة وشجاعة ، عددا من الحقائق طمست بمرور الزمن ، وأولها أنه ليست هنالك صهيونيـة ، وليس هنالك استيطان ولا دولة يهودية بدون طرد العرب وبدون مصادرة أراض »**.

ولنحاول أن نتصور كم تكون النتيجة ايجابية لو كانت هناك حركة فدائية منظمة قادرة على ارسال العناصر الى الداخل وتنظيم الشبكات والتهيئة لمقاومة داخلية فعالة .

ان سياسة الجسور المفتوحة وسياسة تشغيل العمال في المصانع الاسرائيلية وغيرها من سياسات العدو تشكل أمرا واقعا يستقي اهميته عند العدو من عجز الجانب العربي وضعف تحركه التنظيمي ونكوصه عن الاستفادة من الفرص ، ولكن هذا الوضع غير دائم ، والجانب العربي يستطيع في أية لحظة استغلال هذا الامر الواقع الذي يشكل بطبعه وضعا ذا حدين وتحويل عناصره لصالح عمل نضالي منظم وهادف .

---

* يمكن للمرء ان يتابع هذه المناقشات في الصحافة الاسرائيلية حيث تبدو التناقضات التي اشرنا اليه بـارزة بل اكثر حدة مما ذكر في هذا البحث . انظر على سبيل المثال نشرة م. د. ف. ، ١٩٧٢/١٢/١٦ التي تظهر حدة هذه المناقشات وتباعد وجهات النظر المتمثلة فيها .

** نشرة م. د. ف. ، ١٩٧٢/١٢/١٦ .

خاتمة

هكذا يتبين لنا من استعراض عناصر المرحلة الحالية ان الثورة الفلسطينية في موقف لا تحسد عليه اطلاقا . فظروف الساحة العملية لا تتيح لها أي تحرك فعال من شأنه أن ينقذها من التوقف أو يعيد اليها ثقة الجماهير الفلسطينية والعربية بها كما يبدو ان هذه الجماهير معرضة لتجربة خطيرة يقوم بها العدو المحتل بغية هز قناعاتها ووضعها في جو اقتصادي واجتماعي ونفسي يباعد ما بينها وبين الانخراط في المقاومة ويجعلها تتوهم ولو الى حين أن أمامها أختيارات أخرى غير اختيارات الصمود والمواجهة . ومن الواضح ان الثورة الفلسطينية تواجه اليوم هذا الوضع الصعب الذي هو ناجم في جزء كبير منه عن صعوبة المرحلة الحالية وتعقيداتها . ومن هنا يجب ان لا يساء فهم طبيعة المعضلة التي وقعت بها الثورة الفلسطينية، واذا كان صحيحا أن جزءا من المسؤولية عن هذه المعضلة هو من صنع الثورة فان جزءا كبيرا أيضا لم يكن من صنعها بل كان من صنع الوسط الرسمي العربي وقوى وظروف محلية ودولية لا تدخل ضمن نطاق امكانات الثورة .

على ان الاعتراف بهذا الواقع كله يجب ان لا يحجب بصرنا عن رؤية الامكانات الغنية التي يزخر بها الموقف العربي . **وقد حاولنا خلال السطور الماضية أن نؤكد على حقيقة علمية لا شأن لها بالتوجيه أو التبشير وهي ان الواقع القائم ليس ثبوتيا ولا نهائيا بل هو واقع دينامي مليء بعناصر التغيير وأن مؤشرات هذا التغير لن تستمر في صالح العدوان والاحتلال** ، وان موقف العدو على الرغم من نجاحه الموقوت لا ينطوي على عناصر القوة الجوهرية التي يحلو له أن يتظاهر بها والتي أخذ بها الكثيرون في بلادنـــا على المستوى الرسمي والشعبي ، بل ان عناصر سياسته نفسها تحمل بذور التناقض والتضارب . ان اغلاق الحدود في وجه الحركة الفدائية لا يمكن ان يستمر الى الابد لسبب بسيط هو أن الدول العربية المجاورة لا يمكن الا أن تكون طرفا مباشرا وفعالا في الصراع ولا بد ان تؤدي بها التطورات المقبلة الى مراجعة هذا الموقف ولا سيما ان الاحداث تحمل لنا كل يوم دليلا جديدا على عمق التناقض بين الطرفين العربي والاسرائيلي واستحالة التوفيق بين الحق العربي والباطل الصهيوني الاستعماري ، وذلك بالاعتراف المستمر لسعاة التسوية السلمية أنفسهم . وحتى لو أمكن للمساعي الدولية أن تثمر في أي شكل من أشكال توقف الصراع العسكري بين اسرائيل وطرف عربي واحد أو أكثر فان هذا الامر ـــ على خطورته ـــ ليس مدعاة لليأس لان كل المؤشرات تدل على انه لا بد أن يكون موقوتا وغير ثابت . ان الصراع بين الاستعمار وبين حق الشعوب يبقى رغما عن كل المطفات والوساطات مسألة تناقض حيوي اي مسألة حياة أو موت ولا سيما في حالة التصارع العربي مع المطامع الواسعة للاستعمار الصهيوني الاستيطاني . ودون لجوء الى العواطف أو الخيال بامكاننا أن نتصور الضرر الذي يمكن ان يلحق بكيان هش مثل اسرائيل اذا استطعنا خلق حركة مقاومة جدية داخـــل الاراضي المحتلة . ان التنبؤ والتنجيم ليسا من صفات أي بحث جدي ولكن الاستسلام لمعطيات واقع معين والعجز عن ادراك ما ينطوي عليه الواقع من مؤشرات للتغير هما أخطر بكثير من التنبؤ والتنجيم. ان أية محاولة لتجاوز ضباب الواقع الحالي من شأنها أن تتيح لنا أن نتخيل الشعب العربي في الاراضي المحتلة ، سواء أبقيت رقعتها على حالها أم تغيرت ، وقد انتظم خلال سنوات معدودات في حركة مقاومة بطولية تحقق التواصل الثوري بين القوى الشعبية داخل سور الاحتلال وبين قوات الثورة الفلسطينية خارج هذا السور ، وعند ذاك بالفعل تصبح الثورة الفلسطينية طليعة الثورة العربية والشرارة التي تشعل النار في الحقل كله.

القضية الفلسطينية
من ١٩٤٨ الى ١٩٥٠ ودروسها

منير شفيق

اعلن قيام دولة الكيان الصهيوني ــ « دولة اسرائيل » ــ في الرابع عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨ ، اي قبل يوم واحد من انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين . وكان رد فعل الشعب العربي الفلسطيني عنيفا ضد اعلان قيام دولة الكيان الصهيوني الذي جاء تتويجا لقرار تقسيم فلسطين الصادر عن هيئة الامم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ . ولم يكن رد فعل الجماهير العربية بأقل من ذلك ، لان قرار تقسيم فلسطين ، واعلان قيام دولة الكيان الصهيوني جاءا متعارضين تماما مع المصلحة الوطنية والاماني القومية للشعب الفلسطيني والامة العربية . وما كان بمقدور احد ان يعطي لهذين الاجرائين اي مسوغ يخفف من رفض الشعب العربي الفلسطيني والامة العربية لهما . وحتى غروميكو الذي فاجأ العالم بالتحول لتأييد قرار تقسيم فلسطين ، مندوبا عن الاتحاد السوفياتي ، وصف القرار بانه « احسن حل سيء » .

لقد كان من الواضح تماما ان قرار تقسيم فلسطين ، وفرض اقامة «وطن قومي لليهود» ، بصورة ظاهرة الاصطناع ، في فلسطين ، جاءا نتيجة تآمر الامبريالية العالمية والصهيونية العالمية على الشعب الفلسطيني والامة العربية . وهو تآمر لم يكن وليد عامي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، وانما امتد وتواصل منذ اواخر القرن التاسع عشر ، وبرز ، بشكل سافر ، في وعد بلفور ١٩١٧ ، وكرس تنفيذه ، بكل اساليب الخداع والقوة والارهاب ، من قبل الامبريالية البريطانية خلال فترة سيطرتها المباشرة على فلسطين (١٩١٧ ــ ١٩٤٨) ، ولاقى مختلف اشكال الدعم والتأييد من قبل الامبرياليتين الامريكية والفرنسية ، دون ان تكون الامبرياليتان النازية والفاشية بعيدتين عن دعمه ، بصورة غير مباشرة ، ــ من خلال الضغط لتشجيع الهجرة . وقد قوبل ذلك التآمر ، طول تلك الفترة ، بنضالات مستمرة ضده شنتها الجماهير الفلسطينية والعربية ، الامر الذي ولد وعيا جماهيريا عميقا ــ عربيا وفلسطينيا ــ ضد قيام كيان صهيوني في فلسطين . ومن هنا اعتبر قرار تقسيم فلسطين ، واعلان قيام دولة الكيان الصهيوني ، منذ اللحظة الاولى ، اجراءين معاديين لمصلحة الجماهير العربية في فلسطين والبلاد العربية ، متعارضين مع الاماني القومية لتلك الجماهير ، الى حد لم يكن من الممكن معه زعزعة موقف الجماهير هذا من قبل اي طرف كان سواء جاء ذلك الطرف من الداخل او من الخارج ، ومهما تكن هويته السياسية ، او الطبقية .

كان الشعب العربي الفلسطيني قبيل صدور قرار التقسيم قد امتلك الدلائل التي تؤكد على ان الخطوة الاخيرة من تنفيذ المؤامرة الكبرى ضده قد اصبحت قريبة جدا ، فراح يحاول الاستعداد لمواجهة العاصفة القادمة ، فأخذ ، بمبادرة جماهيرية ، يسعى للتسلح ويطالب بالاعداد للمعركة ، الى حد اصبحت معه ظاهرة بيع الفلاح والعامل لحلي

النساء واثاث البيت من اجل شراء قطعة سلاح ، ظاهرة عامة في القرى وفي الاحياء الفقيرة من المدن . كان الشعب قد لمس بتجربته المباشرة ان عدوه الصهيوني قد تدجج بالسلاح ، وانتظم في سرايا وكتائب ، وواظب على التدرب العسكري بلا كلل ، الامر الذي دفع مسألة تسليح الشعب الفلسطيني ، الى المقدمة ، كمطلب جماهيري فلسطيني وعربي . وما كان من مجلس الجامعة العربية المنعقد في عاليه ، في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧ ، امام هذا الضغط ، الا ان يوافق على تقرير الخبراء العسكريين بوضع عرب فلسطين تحت السلاح ، كما هو الحال بالنسبة للعدو الصهيوني ، ومساعدتهم على تحصين مدنهم وقراهم . كما قرر الا تدخل الجيوش العربية الى فلسطين ، والاكتفاء بالمرابطة على حدود فلسطين . وبهذا اتخذت اللجنة العسكرية العربية دمشق مقرا لها، وخصصت معسكر قطنة السوري لتدريب الفلسطينيين . وفعلا بدأ التدريب بألف متطوع فلسطيني . ولكن سرعان ما تدخلت بريطانيا وبعثت برسالة الى الامانة العامة للجامعة اعتبرت فيها تسليح الفلسطينيين وتدريبهم « عملا غير ودي » ، وذكرت انها ما زالت منتدبة على فلسطين . وفورا اسرعت الجامعة لوقف تدريب الفلسطينيين في معسكر قطنة ونزعت سلاحهم . وراحت تكوم الاسلحة في المخازن في وقت كان الشعب الفلسطيني يتحرق فيه للحصول على قطعة سلاح .

على ان جامعة الدول العربية خوفا من نقمة الجماهير العربية على حجب السلاح عن الفلسطينيين قامت بتشكيل جيش الانقاذ على ان تكون اغلبيته من متطوعين عرب ، وتحت اشرافها مباشرة ، وتحت قيادة ضباط اعيروا له من الجيوش العربية . ودخل جيش الانقاذ الى فلسطين ، وهو يحمل تعهدا لبريطانيا ، كما ورد ، ضمنا ، في تصريح وزير المستعمرات البريطاني ، في ١٢ شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، على عدم القتال قبل انتهاء الانتداب البريطاني . وفعلا نفذ جيش الانقاذ هذا التعهد . فلم يخض قتالا طوال الفترة حتى نهاية الانتداب ، رغم رؤيته ، بالعين المجردة ، تدهور وضع المناضلين الفلسطينيين ، وسقوط بعض المواقع بيد القوات الصهيونية . وعندما انتهى الانتداب ودخلت الجيوش العربية انسحب جيش الانقاذ الى شمال فلسطين حيث دخل معارك جزئية محدودة ولكنه عاد فانسحب من الشمال الفلسطيني ، بلا قتال ، وفي ظروف « غامضة » — اشتهرت تحت عبارة « اوامر عليا » — وكان ذلك في اثناء سريان مفعول الهدنة الثانية ١٩٤٨ ، تاركا الارض للعدو الصهيوني .

كان الشعب الفلسطيني ، بعد صدور قرار التقسيم ، قد ألح في طلب السلاح الذي حجبته عنه الدول العربية ، ورغم ذلك اعلن الثورة في ٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ ، فشكلت الهيئة العربية العليا جيش الجهاد المقدس . وبدأ هذا الجيش الذي انخرط فيه الاف المتطوعين من ابناء الشعب الفلسطيني يدافع عن القرى والاحياء والمدن العربية التي كانت تتعرض باستمرار لعمليات ارهابية وتدميرية وتوسعية من المنظمات الارهابية الصهيونية وجيش الهاغاناه . (من ١٩٤٧/١٢/١٣ الى ١٩٤٨/٢/١٠ القيت سلسلة من القنابل والبراميل المتفجرة على مقاه واسواق وشوارع عامة عربية اسفرت عن استشهاد ١٠٥ اشخاص وجرح ٢٩٢ شخصا . ومن ١١ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ الى ٣١ اذار (مارس) ١٩٤٨ هوجمت شاحنات ركاب عربية ونسفت قطارات ركاب اسفرت عن ١٠٩ شهداء و ١٩٥ جريحا . وما بين ٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ الى ١٩ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ نسفت بيوت وفنادق عربية اسفرت عن ١٦٧ شهيدا و ٩٧ جريحا) . كما تعرضت ثماني عشرة قرية فلسطينية لهجمات شرسة ومجازر ما بين ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ و ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ ، بلغت ضحاياها ٤٨٩ شهيدا و ١٩٦ جريحا . ولكن رغم كل هذه الغارات استطاع جيش الجهاد المقدس بالجماهير الفلسطينية ان يدافع عن المناطق العربية ، ويمنع توسع العدو الصهيوني ،

بفضل وحدة الشعب واستعداده الجماعي للقتال والتضحية . وهكذا بقي القسم الاعظم من فلسطين بيد العرب الى ان بدأ التدهور الذي يمكن أن نحدد علامته ١٧ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ ، وهو ذكرى استشهاد القائد الوطني البارز عبد القادر الحسيني الذي كان يقود جيش الجهاد المقدس ، وقد قرر في ذلك اليوم خوض معركة انتحارية (معركة القسطل) كاحتجاج على الدول العربية فور عودته من زيارة لها ، رفضت فيها ، باصرار ، ان تقدم له السلاح .

والجدير بالذكر هنا ان الشعب الفلسطيني قاتل في ظروف صعبة تميزت بتآمر الحكومات العربية عليه فضلا عن التآمر الامبريالي والصهيوني ، وعن تهرؤ قيادته السياسية . وقد كان تسلحه ضعيفا للغاية مؤلفا من خليط عجيب من البنادق والمسدسات التي جعلت قوة نيرانه ضعيفة ، وحالت دون امداده بالذخيرة ، بصورة جيدة ، فقد كان سلاح الفصيل الواحد مشكلا كما اتفق من بنادق طليانية وفرنسية وكندية تعود تواريخ صناعتها لما قبل الحرب العالمية الاولى . هذا من جهة اما من الجهة الاخرى فقد كانت السلطات البريطانية في فلسطين قد جردته من السلاح في فترة الحرب العالمية الثانية ومن بعدها ، حيث سنت ضده قوانين صارمة ، طبقتها فعلا ، تقضي بانزال عقوبة الاعدام بكل فلسطيني يوجد في حوزته سلاح ، ولو كان بلا ذخيرة . ولهذا كان الحصول على السلاح سباقا مع الزمن ويتم بمبادرات فردية اساسا ، وبشق النفس ، وباثمان غالية ، وتحت طائلة عقوبة الاعدام .

بدأ وضع المقاومة الفلسطينية يتدهور ، كما ذكر ، بعد ١٩٤٨/٤/١٧ ، فمن جهة حصلت الوكالة اليهودية على كميات كبيرة من الاسلحة بعضها من الجيش البريطاني الذي كان يعد العدة للانسحاب من فلسطين ، وبعضها جاء عن طريق التهريب امام بصر السلطات البريطانية ومراقبتها . ومن جهة ثانية ، اتضح للشعب العربي الفلسطيني ان لا امل له بوصول اسلحة من الدول العربية . اما من الجهة الثالثة ، فقد اخذت الحكومات العربية تطمئن الفلسطينيين والعرب الا يقلقوا لان جيوشها ستتدخل ، وسيتم التحرير ، وقد جاء تبديل قرار الحكومات العربية من تزويد الشعب الفلسطيني بالسلاح والمرابطة على الحدود فقط ، الى حجب الاسلحة عن الفلسطينيين وقرار التدخل المباشر ، ضربة ساعدت على تدهور الاوضاع تحت التعلل « بأمل » الخلاص القريب . وهكذا تضافرت تلك العوامل مع تصاعد المجازر التي قامت بها المنظمات الصهيونية الارهابية تحت مظلة جيش الهاغاناه والجيش البريطاني ، ضد المدنيين الفلسطينيين العزل من السلاح في القرى والمدن ، وكان ابرزها مذبحة دير ياسين (٢٥٤ شهيدا بتاريخ ٩ و ١٠ نيسان ١٩٤٨) ، الى اجبار اعداد كبيرة من الفلسطينيين على هجر قراهم ومدنهم ، خاصة ، تفريغها من النساء والاطفال . ولكن اذا كان الوضع العسكري قد اخذ يتدهور الا انه لم يسفر عن تخلي المقاتلين الفلسطينيين عن اكثر مواقعهم التي راحوا يذودون عنها ببسالة ممزوجة باليأس .

أمام الغضب العارم الذي عم الشعب العربي في فلسطين وفي سائر البلاد العربية ، على قرار التقسيم ، واعلان قيام دولة الكيان الصهيوني ، وانتشار اخبار تدهور الوضع في فلسطين نتيجة حجب الحكومات العربية للسلاح عن الفلسطينيين ، وجدت الحكومات العربية نفسها ، في ذلك الحين ، مضطرة الى الاعلان عن انها سترسل جيوشها الى فلسطين ، بحجة مساعدة الشعب الفلسطيني على تحرير وطنه ، ومنع قيام دولة العدو الصهيوني . ولكن الاهم ان اكثر تلك الدول ، خاصة مصر التي لم تكن راغبة في ارسال جيشها الى فلسطين ، وقعت تحت ضغط بريطاني لادخال جيوشها الى فلسطين ، فقد كانت الدول الامبريالية ، خاصة بريطانيا وامريكا ، تريد من دخول الجيوش العربية : (١) ابعاد الشعب الفلسطيني عن القتال وتحويل القضية الى قضية بين الحكومات

العربية الخاضعة للامبريالية وبين الكيان الصهيوني حيث تصبح عملية تمرير المؤامرة الكبرى مضمونة (٢) عودة النفوذ البريطاني الى فلسطين من خلال الجيش الاردني حيث تعاد السيطرة على المناطق العربية التي ستكون خارج دولة الكيان الصهيوني ، وبهذا يحطم الشعب الفلسطيني عن طريق سلطات عربية ، بقوة الارهاب والبطش والتذويب ، بعد تجريده من السلاح ، وتمزيق مؤسساته الوطنية .

وفعلا ، في الخامس عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨ ، دخلت الجيوش العربية الى فلسطين واشتبكت مع جيش الهاغاناه الصهيوني ، بعدة معارك ، واخذت تتقدم ، خاصة الجيش المصري ، وبدا واضحا ان ميزان القوى العسكرية كان يميل لمصلحة الجيوش العربية ، مما دفع وزارة العدو الصهيوني الى ان تطلب من امريكا وبريطانيا وفرنسا ضرورة الضغط على الحكومات العربية لعقد هدنة ووقف القتال . فبادرت الدول الامبريالية من خلال مجلس الامن ، دون ان تبرز فيه معارضة ، تضغط على الدول العربية بوقف القتال وعقد هدنة . وقبلت الحكومات العربية العميلة فورا وقف اطلاق النار وعقدت الهدنة الاولى في ١١ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ لمدة اربعة اسابيع تحت حجة ان مجلس الامن سيعيد النظر بقرار التقسيم . ولكن هذه الهدنة كانت تعني كسب الوقت بالنسبة للعدو الصهيوني لاعادة تنظيم صفوفه ، وجلب صفقات اسلحة تدفقت عليه من اوروبا وامريكا وتشيكوسلوفاكيا ، ومعها عدد كبير من العسكريين الغربيين . وكان من بين تلك الاسلحة آليات وطائرات ومدفعية ثقيلة ، فضلا عن دخول عشرة الاف مهاجر يهودي جديد كانوا ينتظرون في قبرص . حدث كل ذلك خلال الاسابيع الاربعة التي تلت توقيع الهدنة الاولى ، في حين لم تفد الجيوش العربية شيئا من مدة الهدنة بل زاد ضغط حكوماتها عليها بالتراخي . وتقدم الكونت ف. برنادوت بعد اجتماعه بممثلي الدول العربية والكيان الصهيوني في رودس ، بمشروع الى مجلس الامن في ٢٧ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ . وقد اقره في ٤ تموز (يوليو) ١٩٤٨ . ولكن الطرفين رفضاه ، فقد كان يقضي بتوحيد فلسطين وشرقي الاردن بحيث تقام دولتان احداهما عربية والاخرى الكيان الصهيوني يربط بينهما اتحاد فيدرالي . وتحرك مجلس الامن في السابع من تموز (يوليو) ١٩٤٨ يطلب تمديد الهدنة ، ولكن الدول العربية رفضت حين اصبح واضحا ان وضعها العسكري قد ساء بعد ان تعزز جيش العدو الصهيوني عسكريا . وبهذا استؤنف القتال في ٩ تموز لكي تنتقل هذه الجيوش الى الهزيمة بعد ان كانت ، قبل الهدنة ، في وضع عسكري متفوق . وفي ١٨ تموز ١٩٤٨ بعد فقدان الكثير من المواقع قبلت الدول العربية بالهدنة الثانية ، في وقت مضى الجيش الصهيوني يتوسع فيه تدريجا ، وبصورة حثيثة ، حتى في اثناء مفاوضات توقيع اتفاقيات الهدنة الدائمة في ربيع ١٩٤٩ . عندما توقف اطلاق النار في ١٨ تموز ١٩٤٨ في الجبهة الشرقية وتقيد به الجيش الاردني والعراقي تقيدا صارما ، تحول الجيش الصهيوني الى الجنوب واشتبك مع الجيش المصري ، واصدر مجلس الامن قرارا في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ بوقف القتال والانسحاب لخطوط الهدنة الثانية ، لكن جيش العدو الصهيوني استمر في التقدم . فاصدر مجلس الامن قرارا اخر يطلب فيه وقف القتال والانسحاب الى خطوط ما قبل ٤ تشرين الاول . ولكن العدو استمر ايضا بالتقدم ، الامر الذي دعا مجلس الامن لاصدار قرار اخر في ٢٩ كانون الاول ١٩٤٨ يطلب فيه وقف القتال ، وكأنه كان يطلب من جيش العدو ان يتقدم . واستمر القتال حتى ٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ حيث توقف بعد ان كان العدو قد احتل جنوب فلسطين والنقب ولم يبق بيد الجيش المصري غير قطاع غزه الحالي . وعلى هذا الاساس وقعت اتفاقات الهدنة مع مصر في ١٩٤٩/٢/٢٤ في رودس ، ثم مع لبنان في ١٩٤٩/٣/٢٣ في الناقورة . اما مع الاردن فقد احتلت اسرائيل اثناء الاجتماعات في رودس شريطا على البحر الاحمر عرضه ١٥ كلم عرف فيما بعد باسم «ايلات»، ووقع اتفاق الهدنة في نيسان (ابريل) ١٩٤٩ بعد ان تنازل المفاوض الاردني عن اراضي

المثلث الخصيب في وسط فلسطين . واخيرا تم توقيع اتفاقيات الهدنة مع سوريا في ٢٠ تموز (يوليو) ١٩٤٩ ، في جسر بنات يعقوب . ويبدو من الواضح بعد كل هذا ان مجلس الامن كان يكرس في كل مرة طلب فيها وقف اطلاق النار ما حققه العدو الصهيوني من توسع ومكاسب . وقد توج ذلك ، في تلك المرحلة ، بتشكيل لجنة التوفيق الدولية من (فرنسا وامريكا وتركيا) في ١٩٤٨/١٢/١١ لتبحث الوضع الناشيء وتجد له حلا . وجاءت الى المنطقة في ١٩٤٩/٣/٢١ لاستطلاع آراء الاطراف المعنية ، وخرجت باقتراح يدعو لعقد مؤتمر فيلوزان في سويسرا في١٩٤٩/٤/٢٦ يضمالدول العربية و«اسرائيل» . وقد كان خط لجنة التوفيق الدولية منسجما مع خط الدول الامبريالية في تغييب الشعب الفلسطيني عن قضيته ، وتحويل المسألة الى مفاوضات بين الدول العربية والكيان الصهيوني . وقد لقي هذا الخط الذي كان يتطلب تصفية المقاومة الفلسطينية ، ومختلف المؤسسات الفلسطينية ، تجاوبا لدى الدول العربية ، وحماسة منقطعة النظير من الملك عبد الله الذي كان متهالكا على توسيع مملكته . وتقدم الكيان الصهيوني خلال انعقاد مؤتمر لوزان بطلب الى الامم المتحدة للانضمام لعضويتها ، وقبل عضوا بعد ان تعهد بتطبيق قرارات الامم المتحدة بشأن فلسطين ومسألة اللاجئين . وهكذا لم تشترط هيئة الامم على الكيان الصهيوني ان ينفذ قراراتها كشرط مسبق لقبول عضويته ولكنها ناورت معه على اخذ التعهد الشكلي . وبعد توقيع بروتوكول لوزان في ١٩٤٩/٥/١٢ الذي ينص على تطبيق قرار ١٩٤٨/١٢/١١ ، قبل الكيان الصهيوني عضوا في الامم المتحدة . وما ان تم له ذلك حتى اعلن ان بروتوكول لوزان غير عملي ، وعاد يتحدث عن الصلح والمفاوضات المباشرة . وهكذا انفض اجتماع لوزان بعد ان عقد ثانية في ١٨ تموز (يوليو) ١٩٤٩ . واصبحت سياسة لجنة التوفيق الدولية البحث عن توطين اللاجئين . ولم يبق بنظرها من القضية غير قضية اللاجئين الفلسطينيين . وشكلت لجنة فنية لهذا الغرض برئاسة غوردون كلاب (امريكي) ، وعضوية مندوبين عن فرنسا وتركيا وبريطانيا . وكانت توصية هذه اللجنة التي رفعتها للجنة التوفيق الدولية هي تشكيل « وكالة الامم المتحدة لاغاثة اللاجئين الفلسطينيين وتشغيلهم » . ثم رفعت التوصية للجمعية العمومية فاقرتها في ١٩٤٩/١٢/٨ .

الوضع بعد اتفاقيات الهدنة الدائمة ١٩٤٩

مع توقيع اتفاقيات الهدنة المشار اليها اعلاه اصبح الوضع في فلسطين : (ا) ٨٤٪ من فلسطين تحت احتلال الكيان الصهيوني ، (ب) الضفة الغربية (تضم منطقة نابلس والقدس والخليل — القدس القديمة وجزءا صغيرا من شرقيها وشمالها بيد العرب اما القسم الاعظم فكان تحت سيطرة العدو الصهيوني) ، وقعت تحت احتلال الجيش الاردني الذي كان على رأسه الجنرال البريطاني غلوب باشا ، (ج) قطاع غزة تحت حكم الجيش المصري (د) فصلت الاراضي التي شملها الكيان الصهيوني بين قطاع غزة وبين الضفة الغربية ، اي اصبح الكيان الصهيوني يقطع الطريق البرية التي تصل مصر والسودان والبلاد العربية في شمال افريقيا من جهة مع بلاد المشرق العربي (فلسطين، الاردن ، سوريا ، لبنان ، العراق) من الجهة الاخرى .

لقد اصبح هذا التوزيع اساس اتفاقيات الهدنة ١٩٤٩ ، والذي بقي حتى حرب حزيران ١٩٦٧ . ولكن هذا التجزيء لفلسطين والشعب الفلسطيني لم يكن مجرد تجزئة جغرافية — طوبغرافية سكانية — دولية فحسب ، وانما امتد ايضا الى جذور المجتمع العربي الفلسطيني والكيان الفلسطيني ومزقهما شر ممزق في كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والقانونية الخ . ومن ثم احدث في الوضع السابق تغييرات كيفية خطيرة . فقد تخلخل المجتمع الفلسطيني ، واضطرت اعداد ضخمة من الفلسطينيين (حوالي مليون وربع المليون نسمة) لهجرة المناطق التي تحت احتلال جيش

الكيان الصهيوني . وعلى الرغم من انها فعلت ذلك تحت الارهاب ، والخوف من خطر التعرض للمذابح الجماعية وللاعتداء على الاعراض ، فقد اثبتت التجربة فيما بعد ان قبول التعرض لكل ذلك اهون شرا من الهجرة وتفريغ الارض . وبهذه الهجرة التي كان بعضها تهجيرا جماعيا بالقوة كما حدث لاهالي اللد والرملة ، لم يبق من السكان العرب ضمن ما يسمى بالكيان الصهيوني غير ١٠٪ من الشعب الفلسطيني اي ما يعادل ١٥٠ الى ١٧٠ الفا . اما المليون وربع المليون فلسطيني الذين طردوا من بيوتهم واراضيهم ، فقد توزعوا بين ما يسمى الان بالضفة الغربية ، وقطاع غزة ، فضلا عن شرقي الاردن ولبنان وسوريا والعراق . وبهذا فقد الفلسطينيون وجودهم على وطنهم الذي اغتصبه العدو الصهيوني وتمزقوا الى كتل منفصلة عن بعضها بعضا ، تعيش كل منها ضمن ظروف واوضاع اقتصادية وسياسية وقانونية وجغرافية خاصة متمايزة (حوالي ٩٠٠ الف في شرقي الاردن والضفة الغربية ، وثلث مليون في قطاع غزة ، وثلث مليون في لبنان وسورية ، وبضع عشرات من الالوف في العراق والاقطار العربية الاخرى) . والذين بقوا على ضفتي الاردن رزحوا تحت سيطرة الحكم الهاشمي ، واصبحوا تلقائيا تحت المعاهدة البريطانية الهاشمية . والذين كانوا في قطاع غزة اصبحوا تحت سلطة الحكم العسكري المصري ، اي حكم الملك فاروق الذي كان مرتبطا مع بريطانيا بمعاهدة ايضا . اما الاخرون الذين توزعوا في لبنان وسوريا والعراق وسائر البلاد العربية فقد اصبحوا تحت سلطة تلك الدول مباشرة ، واعتبروا مهاجرين لاجئين خاضعين لحكم المخابرات والشرطة . وكانت كل تلك النتائج مصحوبة مع سياسة هادفة ترمي الى الامعان في تصفية كل المؤسسات الفلسطينية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والنقابية والعسكرية . فمن جهة عمدت دولة الكيان الصهيوني الى اقتلاع المجتمع الفلسطيني من جذوره ، والقته خارج مناطق سيطرتها ، وانتهجت سياسة قمع وتصفية لكل ما هو فلسطيني فيما بين الفلسطينيين الذين بقوا تحت سيطرتها ، حيث ابقتهم تحت الاحكام العسكرية العرفية ، والغت قانونيا شخصيتهم الفلسطينية والحقتهم بكيانها « كمواطنين » من الدرجة الثالثة . اما في الضفة الغربية وشرقي الاردن فقد عمد الملك عبد الله وغلوب باشا الى تصفية كل ما هو فلسطيني عن طريق الغاء كل ما تبقى من مؤسسات فلسطينية وضم الضفة الغربية قانونيا وسياسيا ودوليا الى المملكة الهاشمية. كما عمد حكم الملك فاروق الى حكم قطاع غزة بوساطة حاكم عسكري مصري ، وهنا تجدر الاشارة الى ان قطاع غزة بقي محتفظا بطابع فلسطيني نوعا ما ولكنه مفرغ من كل مضمون سياسي .

قطاع غزة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠

كانت الهيئة العربية العليا قد حاولت تشكيل حكومة فلسطينية يعلن عنها فور انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين . ولكن هذه المحاولة اصطدمت بمعارضة شديدة من قبل الجامعة العربية . ولم تكن اصابع بريطانيا وامريكا بعيدة عن الضغط على الدول العربية بهذا الاتجاه ، خوفا من ان تضطر هيئة الامم للاعتراف بها بموجب قرار التقسيم. كما كان ذلك تمهيدا لعزل الشعب الفلسطيني كلية كطرف في الصراع ضد الكيان الصهيوني . ولكن دخول الملك عبدالله الى فلسطين ، وبدءه العمل باتجاهين : الاول ضم الاجزاء العربية المتبقية من فلسطين ، والتي تحت سيطرة جيش غلوب باشا ، الى مملكته ، والثاني : العمل على التفاوض والصلح مع حكومة الكيان الصهيوني ، ثم مجيء بعثة الوسيط الدولي الكونت ف. برنادوت تعزيزا لسياسة الملك عبدالله اذ اقترح ، كأساس لمفاوضات « السلام » ان « تشكل فلسطين وشرقي الاردن اتحادا يمثله عضوان احدهما عربي والاخر يهودي » (ايلول ــ سبتمبر ١٩٤٨) ، أدى الى ان تلقى تلك السياسة معارضة من بعض الدول العربية التي كانت تخشى من اطماع الملك

عبدالله . ولهذا تحركت الجامعة العربية للرد على سياسة الملك عبدالله بمناورة سياسية صرف فأعلنت عن قيام ادارة فلسطينية ، حرصت على ان تكون مؤسسة اسمية تخدم فقط اغراض المساومة مع الملك عبدالله . ولكن الحاج امين الحسيني الذي شعر أن مخطط الملك عبدالله من جهة ، وسياسات الجامعة العربية من جهة ثانية ، ستفضيان الى انهاء زعامته واخراجه من حلبة الصراع السياسي كممثل لشعب فلسطين ، بادر الى تجديد دعوته السابقة لتشكيل حكومة فلسطينية ، تقوم على اساس انتخاب جمعية عمومية . وقد جاءت تلك الدعوة في ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ ، قبيل اجتماع الجمعية العمومية في هيئة الامم المتحدة لمناقشة مشروع الكونت ف. برنادوت آنف الذكر . ولم يكن الحاج امين ، في ذلك الوقت ، قد فقد نفوذه كلية ، او فقد زعامته على الهيئة العربية العليا ، مما اضطر الجامعة العربية ، في تلك الظروف ، للموافقة على تشكيل حكومة عموم فلسطين برئاسة احمد حلمي عبد الباقي . وجاء ذلك تشجيعا للحاج امين ليخطو الخطوة الثانية فتحرك الى غزة في ١٩٤٨/٩/٢٨ حيث دعت الهيئة العربية الى عقد مؤتمر فلسطيني ، عقد فعلا في شهر اكتوبر — تشرين اول ١٩٤٨ وقرر انتخاب الحاج امين الحسيني رئيسا له ، واعلن تأييده لحكومة عموم فلسطين ، كما اعلن استقلال فلسطين ، واقرار دستور مؤقت لحين التمكن من اجراء انتخابات عامة . ولكن ذلك كله ازعج الجامعة العربية وحرك بريطانيا لتمارس ضغطا على حكومة النقراشي في مصر . ودفع الملك عبدالله ليقوم بخطوات مضادة سيأتي ذكرها فيما بعد . وبهذا امر النقراشي باستدعاء الحاج امين الى القاهرة ، وابعاده عن غزة ، وهكذا سحب الحاج امين في ليلة ٧/٦/ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ الى القاهرة شبه مخفور ، وبعد ذلك سحبت حكومة عموم فلسطين من غزة لتستقر في القاهرة مع الهيئة العربية العليا . ولم يبق لهاتين المؤسستين المتبقيتين من المؤسسات الفلسطينية سوى الوجود الاسمي ، واصدار البيانات بكل مناسبة دون ان يكترث احد بتلك البيانات التي اصبحت اجراء شكليا ميتا .

والجدير بالذكر هنا ان نلاحظ ان خط الامبريالية العالمية والحكومات العربية العميلة قد هدف الى تغييب الشعب الفلسطيني عن مسرح الصراع ، وعمد الى تصفية مؤسساته على اختلاف انواعها ، بما في ذلك الهيئة العربية العليا ، رغم قيادتها المتخلفة التي كانت تمثل الزعامات العائلية وكبار ملاك الارض والتجار ، ولكن باتجاه وطني معاد للصهيونية والامبريالية . لقد كان من الواضح ان تلك السياسة هدفت الى تصفية كل المؤسسات والمنظمات الفلسطينية مهما كان طابعها الطبقي او السياسي .

الضفة الغربية تحت حكم الملك عبد الله وغلوب باشا

لقد واظب الملك عبدالله وغلوب باشا ، منذ اليوم الاول ، لدخول الجيش الاردني فلسطين ، على العمل باتجاهين : (١) ضم ما هو تحت سيطرة الجيش الاردني الى المملكة الاردنية الهاشمية . (٢) العمل على التفاوض والصلح مع الحكومة الصهيونية في فلسطين . ولكن هذه السياسة قوبلت بمعارضة ، بادىء الامر ، من قبل الجامعة العربية وبعض الدول العربية ، خاصة مصر .

عندما دخل الجيش الاردني ارض فلسطين كان احمد حلمي عبد الباقي ، الذي اصبح رئيس حكومة عموم فلسطين فيما بعد ، حاكما عسكريا لمدينة القدس . ولكن لم يأت شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ حتى كان خارج الحدود وقد عين الملك عبدالله الكولونيل عبدالله التل حاكما عسكريا مكانه ، ثم توالت الضغوط لفرض الاستقالة على قادة جيش الجهاد المقدس ، فاستقال في ٢٢ تشرين اول (اكتوبر) ١٩٤٨ محمد طارق الافريقي الذي كان يقود المناضلين الفلسطينيين في مدينة القدس القديمة . وكان الملك عبدالله في تلك الفترة قد قرر اتخاذ خطوات سريعة للرد على حكومة عموم فلسطين والمؤتمر

الفلسطيني الذي عقد في غزة ، فاوعز الى الزعامات الفلسطينية المعارضة تاريخيا للحاج امين ، والتي كان لاكثرها ارتباطات مشبوهة بالامبريالية البريطانية والحكومات العربية العميلة ، لعقد مؤتمر فلسطيني في عمان ، حيث قرر المؤتمرون مبايعة الملك عبدالله على فلسطين ، واستنكار مؤتمر غزة ، وحكومة عموم فلسطين . فاتخذ الملك عبدالله مقررات هذا المؤتمر كجسر يعبر عليه لشن هجمة شرسة ضد المؤسسات الفلسطينية المتبقية في الضفة الغربية ، خاصة ، عناصر الجهاد المقدس . فجرت اعتقالات واسعة ، تبعها فورا اعلان من وزارة الدفاع الاردنية بتجريد الفلسطينيين من السلاح . وفعلا قام الجيش الاردني بحملات تمشيط واسعة لجمع الاسلحة تحت شعار « من يريد القتال فلينضم للجيش الاردني » . وتمكن الملك عبدالله وغلوب باشا من المضي بعيدا في تحقيق التصفية لمؤسسات الشعب الفلسطيني واحداث انقسام في الصف الفلسطيني . وقد ساعدهما على ذلك تخلي الزعامة الوطنية التقليدية — الهيئة العربية العليا — عمليا ، وان لم يكن قولا ، عن الكفاح المسلح الفلسطيني ضد العدو الصهيوني، وتحولها الى اداة بيد الجامعة العربية ، رهن الاعتقال ، في ركض محموم لاقامة حكومة فلسطينية اسمية . فكانت تطلب من الجامعة العربية ومن الدول العربية السماح للشعب الفلسطيني بالاستمرار في تنظيم نفسه ، وتولي قضيته ومتابعة القتال . ولكنها لم تتعد حدود المطالبة ، فاذا لم يؤذن لها في ذلك ، قبلت في وضعها المقيد « مغلوبا » على امرها ، وكأنما من يريد القتال وتنظيم الشعب الفلسطيني لا يستطيع ان يفعل ذلك الا بأذن من الجامعة العربية والدول العربية . بيد ان الجامعة العربية والدول العربية لم تشأ ان تأذن في ذلك ، فما كان من الهيئة العربية الا التخلي عمليا عن مواصلة القتال ، الامر الذي ترك الجماهير الفلسطينية في حيرة من امرها لا تدري ماذا تفعل ، وهي تحت الارهاب والقهر من كل جهة ، ما دامت البنادق قد نكست ، وسحبت الاسلحة ، ولم تتحرك طلائع وطنية جديدة لمواصلة الكفاح المسلح .

لقد ادى هذا الوضع الى تشجيع الملك عبدالله للاقدام خطوة اخرى في طريق تصفية الوجود الفلسطيني ، بعد مؤتمر عمان وحملة الاعتقالات وضرب العناصر الوطنية ، فاوعز الى عملائه من الفلسطينيين ، مجموعة مؤتمر عمان نفسها ، لدعوة مؤتمر فلسطيني اخر يعقد في أريحا ، في الاول من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ . وعقد في ذلك التاريخ ، وقرر مبايعة الملك عبدالله ملكا على كل فلسطين ودعا الى انتخاب ممثلين عن الشعب الفلسطيني . وقد لاقت مقررات مؤتمر أريحا معارضة من الشعب الفلسطيني . ولكن الملك عبدالله رفع مقررات مؤتمر أريحا للبرلمان الاردني الذي صادق عليها . وتشكلت لجان لوضع مسودة الدستور الجديد ، والتحضير للانتخابات العامة في الضفتين الغربية والشرقية ، في حين صعد الحكم العسكري في الضفة الغربية اعمال البطش والاعتقالات ، وسحب الاسلحة . واعلن في اذار (مارس) ١٩٤٩ ، استبدال الحاكم العسكري للضفة الغربية بحاكم مدني . ثم أعلن في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٩ عن منح كل الفلسطينيين الجنسية الاردنية . وفرض على فلسطينيي الضفة الغربية ، ومعهم الفلسطينيون النازحون الى الضفة الشرقية ، التخلي عن الهوية الفلسطينية ، والتجنس بالجنسية الاردنية . واصبحت الضفة الغربية ، عمليا ، جزءا من المملكة الاردنية الهاشمية .

جرت الانتخابات البرلمانية الاولى للضفتين ، في نيسان (ابريل) ١٩٥٠ ، في ظروف الارهاب الشديد والاعتقالات الجماعية . ورغم ذلك ، فقد سارت تظاهرة في نابلس ضدها ، واصدرت عصبة التحرر الوطني بيانا يدعو لمقاطعتها ، مما صعد حملات الاعتقال ، وقد امر الملك عبد الله بجلب مجموعة من الشباب الذين قادوا تظاهرة نابلس ، الى عمان سيرا على الاقدام مقيدين تجرهم خيول « الفرسان » . وقد استشهد

احدهم مما اوقف المسيرة ، ثم نقلوا الى المعتقلات الصحراوية . وكانت هذه هي التظاهرة الثانية التي يقوم بها الفلسطينيون بعد دخول الجيش الاردني ، اذ كانت التظاهرة الاولى قد اندلعت من مدينة السلط في شرقي الاردن اثر انسحاب الجيش الاردني من اللد والرملة ، حيث تجمع عدد كبير من النازحين الفلسطينيين ، وتوجهوا الى قصر بسمان (قصر الملك عبدالله) وهم يهتفون « يا بايع اللد والرملة » . ويرجع السبب في استخدام الجماهير لعبارة بيع اللد والرملة ، ان غلوب باشا قائد الجيش الاردني جرد قوات الجهاد المقدس المرابطة في مطار اللد ، ومحطة السكة الحديد ، ومناطق اخرى ، من السلاح ، تحت ذريعة المحافظة على الهدنة الاولى ، مع وعد بارجاع الاسلحة فور انتهاء الهدنة . ولكن لم تكد تنتهي تلك الهدنة في تموز (يوليو) ١٩٤٨ حتى سحب غلوب باشا الجيش الاردني من منطقة اللد والرملة فجأة ، وبلا قتال ، ودون ان يعيد السلاح المصادر لقوات الجيش المقدس والمناضلين الفلسطينيين ، فسقطت اللد والرملة ، بلا قتال ، ومعهما عشرات القرى ، ليضاف الى النازحين الفلسطينيين مائة وخمسون الف نازح جديد من بينهم خمسون الفا نزحوا لمدينتي اللد والرملة من يافا .

عندما انعقد البرلمان الجديد الذي تمخض عن انتخابات نيسان (ابريل) ١٩٥٠ ، اعلن وحدة الضفتين تحت اسم المملكة الاردنية الهاشمية . ولم تكد هذه القرارات تعلن حتى بادرت كل من حكومات بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، في شهر ايار (مايو) ١٩٥٠ ، باصدار بيان مشترك تعهدت فيه بصيانة الامن والسلام في الشرق الاوسط والمحافظة على الوضع القائم ، الراهن ، فيه اي الاعتراف بدولة اسرائيل والمملكة الاردنية الهاشمية ، اساسا ، وفقا للحدود التي اقرتها اتفاقات الهدنة ١٩٤٩ . ثم تبع ذلك اعتراف الامم المتحدة بالمملكة الاردنية الهاشمية . وهكذا صهر الجزء الفلسطيني المسمى بالضفة الغربية الان ، في شرقي الاردن انصهارا كاملا ، ثم اعترف بهذا الصهر دوليا وعربيا .

امام اجراءات الملك عبدالله وغلوب باشا في ضم الجزء الفلسطيني المسمى الان بالضفة الغربية ، وامام الدعم الذي قدمته الامبرياليات البريطانية والامريكية والفرنسية لتلك الاجراءات ، قامت الجامعة العربية بمناورة تهدد فيها بطرد المملكة الاردنية الهاشمية من الجامعة العربية . ولكن سرعان ما توصل الطرفان (الجامعة العربية والمملكة الاردنية الهاشمية) الى اتفاق يقضي ، من جانب الملك عبدالله ، بالتخلي عن مساعيه الرامية الى الصلح مع الكيان الصهيوني ، في حين توافق الجامعة العربية ، من جانبها ، على ضم الضفة الغربية للمملكة الاردنية الهاشمية كعهدة لدى الملك عبدالله الى حين تحرير كامل التراب الفلسطيني . وبهذا اعترفت الدول العربية « بالامر الواقع » ، واصبحت المهمة المشتركة هي تكريس هذا الامر الواقع من خلال الاستمرار في العمل على محو الشخصية الفلسطينية ، وكل وجود فلسطيني مستقل . فشنت حملات ارهاب على الفلسطينيين في قطاع غزه وفي مخيماتهم في لبنان وسوريا والعراق ، وسنت ضدهم قوانين محلية تحرم عليهم التنقل بين الدول العربية ، او القيام باي تنظيم سياسي او نقابي ، واعتبارهم لاجئين مؤقتين لا حقوق مدنية او سياسية لهم . وقد جرى ذلك كله في ظل الاحكام العرفية ، والبطش بالحركة الوطنية والجماهير العربية في البلاد العربية.

مقارنة

على الرغم من خطأ الموضوعة التي تقول ان التاريخ يعيد نفسه ، الا ان استمرار بعض الملامح الاساسية في اوضاع معينة في مرحلة تاريخية محددة يجعل من الممكن ولادة احداث تاريخية توحي وكأن التاريخ اخذ يعيد نفسه — ولكن طبعا ضمن الملامح الاساسية في اوضاع معينة ، ومع أخذ الفارق وملاحظته ، ورصد التغيرات التي وقعت

الى جانب استمرار الملامح الاساسية . ولهذا قبل عقد المقارنة بين تلك الفترة الزمنية القصيرة التي تناولناها وبين الفترة الزمنية التي نعيشها ، لا بد من ان تحدد الاسباب التي جعلت كثيرا من السياسات والاحداث تعيد نفسها مع الفارق : (١) استمرار الكيان الصهيوني ، بكل طبيعته وسماته التي تكون عليها في ١٩٤٨ — ١٩٥٠ ، (٢) استمرار شرقي الاردن محكوما من قبل العائلة الهاشمية ممثلة لطبقة الاقطاع والكومبرادور وعميلة للامبريالية العالمية (٣) استمرار النفوذ الامبريالي والاطماع الامبريالية في البلاد العربية ، واستمرار تحالف الامبريالية الامريكية مع العدو الصهيوني. (٤) استمرار التجزئة العربية والاوضاع الاقليمية من جهة ، واستمرار وجود حكومات عربية عميلة للامبريالية من جهة اخرى .

ولكن قبل عقد المقارنة ، لا بد من التأكيد على ان استخلاص الدروس هو الشيء الاهم . الان ، اين يمكن ان تعقد المقارنة ؟ وما هي دروس تلك التجربة التي يمكن ان تفيدنا في الوقت الحاضر ، وفي المستقبل ؟

اذا تذكرنا الاحداث التي وقعت ما بين ١٩٤٨ — ١٩٥٠ ، ولخصنا الادوار التي لعبتها كل من دولة الكيان الصهيوني ، والدول الامبريالية ، وهيئة الامم المتحدة ، ومجلس الامن ، والدول العربية ، والجامعة العربية ، والمملكة الاردنية الهاشمية ، فسنجد شبها قويا في الجوهر بين ادوار تلك الدول والهيئات وبين ادوارها في مرحلة ١٩٧٠ — ١٩٧٣ .

اولا : كما فعلت دولة الكيان الصهيوني ١٩٤٨ — ١٩٥٠ تفعل الان ، فهي من جهة تفرض الحدود التي تريد بينها وبين الدول العربية . وهي التي تقرر متى يقف اطلاق النار . وهي من جهة ثانية ، تعمد لتكريس وجودها فوق المناطق العربية والفلسطينية التي تحت سيطرتها باتجاه التهويد ، وازاحة الشعب الفلسطيني ، وتحطيم مؤسساته ، ورفض الاعتراف بوجوده ، وحقه في تقرير المصير ، مدعومة من الامبريالية العالمية ، وعلى التحديد من الامبريالية الامريكية ، بصورة رئيسية . الى جانب العمل المشترك مع الامبريالية العالمية لاخضاع الدول العربية ودفعها لتصفية الثورة الفلسطينية وتغييب الشعب الفلسطيني وقبول الامر الواقع ، ودعم الحكومات العميلة العربية الموالية للامبريالية لضرب حركة الجماهير العربيه وحركة التحرر الوطني في اقطارها .

ثانيا : كما فعلت الدول الامبريالية — الامبريالية الامريكية اساسا في اعوام ١٩٤٨ — ١٩٥٠ تفعل في المرحلة الراهنة ، فهي من جهة تقدم الدعم المادي والسياسي والعسكري والتقني للعدو الصهيوني وتؤيده في كل سياساته ، وهي من جهة ثانية تضغط على الدول العربية ، مبتدئة بالدول العميلة لها ، لضرب الثورة الفلسطينية وتغييب الشعب العربي الفلسطيني ، ومهادنة العدو الصهيوني وحماية حدوده . وهي من جهة ثالثة ، تعمل على التسلل الى كل الدول العربية ، بما في ذلك تلك التي خرجت من ربقة السيطرة الاستعمارية ، لتدخلها في مناطق نفوذها وتحولها الى دول عميلة تضرب حركة التحرر الوطني وتسحق الحركة الجماهيرية ، وتقبل بالتسوية ، المكتوبة او غير المكتوبة ، مع العدو الصهيوني .

واذا كانت الامبريالية الامريكية في الاعوام ١٩٤٨ — ١٩٥٠ قد تحركت بالمناورات والمبادرات تحت ستار لجنة التوفيق الدولية ، والوسطاء الدوليين التابعين للامم المتحدة، من اجل تمييع الوضع القتالي ضد العدو الصهيوني ، وترك المنطقة تتنفس بانتظار حل عن طريق تلك المناورات والمبادرات ، واعطاء الفرصة الكافية للعدو الصهيوني لترسيخ مكاسبه ومضاعفة قوته واعطاء فرصة كافية للحكومات العربية العميلة لتصفية الثورة الفلسطينية والمؤسسات الفلسطينية وحركة التحرر الوطني في بلادها ، فانها — اي الامبريالية الامريكية — تتحرك الان من خلال مبعوثيها المباشرين ومشاريعها مباشرة —

مشروع روجرز ، وزيارات سيسكو ، وما يسمى بالمبادرة الامريكية الجديدة لتلعب الدور السابق نفسه .

ثالثا : كما وقف مجلس الامن الدولي وهيئة الامم في الاعوام ١٩٤٨ — ١٩٥٠ عاجزين عن تنفيذ قراراتهما كذلك يقفان الان اشد عجزا . وكما لعبا في ذلك الوقت دورا ضاغطا على الدول العربية لقبول وقف اطلاق النار ، في حين تركا للعدو الصهيوني ، عمليا ، الحق في ان يقرر هو متى يوقف اطلاق النار والتوسع ، يلعبان الان الدور نفسه ، الى جانب ابقاء المنطقة تحت الشعور بقرب تنفيذ قراراتهما والتوصل لحل من خلال استخدام المبعوثين والبعثات الدولية كستار لهذه المناورة في حين يستمر العدو في تنفيذ مخططاته، في فترة ١٩٤٨ — ١٩٥٠ كان برنادوت ورالف بانش ولجنة التوفيق الدولية ، وفي هذه الفترة يارينغ وفالدهايم . وفي الفترة السابقة مؤتمر لوزان وفي هذه الفترة اقتراحات عقد مؤتمر السلام .

رابعا : كما لعبت حكومة المملكة الاردنية الهاشمية بقيادة الملك عبدالله في فترة ١٩٤٨ — ١٩٥٠ دورا رئيسيا في تصفية الثورة الفلسطينية وتجريد الفلسطينيين من السلاح ، والقضاء على الشخصية الفلسطينية ، واردنة ما بين ايديها من ارض فلسطين وشعب فلسطين ، والادعاء بتمثيل الشعب الفلسطيني جنبا الى جنب مع السعي لعقد صلح منفرد مع العدو الصهيوني ، كذلك لعبت وتلعب حكومة المملكة الاردنية الهاشمية بقيادة حفيد الملك عبدالله — الملك حسين — في فترة ١٩٧٠ — ١٩٧٢ ، وفي الوقت الحاضر ، ذلك الدور نفسه .

خامسا : كما تبنت الدول العربية والجامعة العربية في فترة ١٩٤٨ — ١٩٥٠ سياسة التضييق على الشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية ، والاقرار ، بعد معارضة شكلية ، بالوضع الراهن ، خاصة ، فيما يتعلق بأجراءات حكومة المملكة الاردنية الهاشمية ، ومن ثم تصفية المؤسسات الفلسطينية واحتواء المنظمة الفلسطينية الرئيسية القائدة لكفاح الشعب الفلسطيني وتحويلها الى اداة صورية بعد عزلها وتجريدها من كل نفوذ وصلاحية ، مع تكريس هدنة دائمة مع العدو وتهدئة الحدود ومنع اي تحرك عبرها ، كذلك مطلوب الان منها ان تتبنى تلك السياسة نفسها وتلعب الدور نفسه ، وكان اتجاه مؤتمر مجلس الدفاع العربي المشترك الذي انعقد في القاهرة ، ما بين ١٩٧٣/١/٢٧ و ١٩٧٣/١/٣٠ مؤشرا قويا لتكرار الدور السابق حيث بدا من الواضح، عودة المصالحة مع حكومة المملكة الاردنية الهاشمية بعد ازمة جاءت نتيجة مجازر تموز ١٩٧١ واخراج الثورة من الاردن ، ثم طرح الملك حسين لمشروعه ، وزيادة مساعيه للتفاهم مع العدو الصهيوني . والى جانب المصالحة كشف مجلس الدفاع عن نيته باحتواء الثورة الفلسطينية تحت شعار احياء الجبهة الشرقية ، ووضعها تحت امرة القائد العام لجيوش الجبهة الشرقية . ولكن وجود بعض التمايز في الدول العربية الان عن وضعها في فترة ١٩٤٨ — ١٩٥٠ ، لان هنالك دولا ترفض لعب ذلك الدور ، الى جانب استمرار الثورة الفلسطينية واصرارها على عدم الرضوخ للضغوط مدعومة من جانب الحركة الوطنية العربية والجماهير العربية ، قد افشل الى حد ما اتجاه مؤتمر مجلس الدفاع العربي المشترك في هذه المرحلة ، دون ان يلغي ذلك الاتجاه الذي ما زال قائما .

نتيجة : استخلاص دروس

ان مراجعة الفترة التاريخية ١٩٤٨ — ١٩٥٠ ، مع المقارنة اعلاه ، تكسبان اهمية خاصة ، في هذه المرحلة ، لما تحتويانه من دروس ثمينة يجب ان تفيد منها الثورة الفلسطينية والثورة العربية والجماهير العربية الفلسطينية والجماهير العربية ، من

أجل المساعدة في مواجهة المؤامرات والمخاطر التي تتعرض لها الان من الكيان الصهيوني والامبريالية الامريكية والقوى العربية المضادة للثورة.وهنا أيضا يمكن استقاء الدروس من التجربة السابقة ــ فترة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ ــ التي مرت بها الحركة الوطنية الفلسطينية والجماهير الفلسطينية والحركة الوطنية العربية والجماهير العربية .

اولا : لقد رضخت الهيئة العربية العليا في الفترة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ وما بعد ، لضغوط الدول العربية والجامعة العربية ، واستسلمت ، عمليا ، لاجراءات ضم الضفة الغربية، وقبلت لنفسها ان تعزل عن الجماهير الفلسطينية وتتخلى عن الكفاح المسلح ، وتتحول هي وحكومة عموم فلسطين الى الوجود الاسمي الصوري . وكان لهذا الموقف المتخاذل اكبر الاثر في تمرير المؤامرة التي رأيناها تتحقق ما بين ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ . وكأن قيادة الشعب وممارسة الكفاح المسلح يجب ان تأذن بهما الدول العربية . فاذا كان من الطبيعي ان يسعى الكيان الصهيوني والامبريالية العالمية والدول العربية العميلة ، وخاصة ، حكومة المملكة الاردنية الهاشمية في فترة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ ، لوقف الكفاح المسلح الفلسطيني وسحب الاسلحة من المناضلين الفلسطينيين ومحو الشخصية الفلسطينية ، بل فلسطين كلها من الخارطة ، فان هذا لا يعني ان يتم الرضوخ والاستسلام لهذا الواقع ، وانما يفرض على القيادة الفلسطينية ان تتحدى وتستمر في القتال تحت كل الظروف ، ما دام هنالك احتلال من قبل عدو قومي لارض فلسطين .

ان هذا الدرس يوضح الطريق امام منظمة التحرير الفلسطينية في المرحلة الحالية التي تدور فيها كل المحاولات لجعل مصيرها كمصير الهيئة العربية العليا وحكومة عموم فلسطين . الامر الذي يتطلب من منظمات المقاومة وقيادة الثورة الفلسطينية ان تضع على رأس مهماتها رفض الرضوخ للضغوط التي تريد لها ذلك المصير ، بحيث تكون مستعدة للتحدي ، مهما كلف الثمن ، ولمواصلة الكفاح المسلح تحت اقسى الظروف وأصعبها .

ثانيا : لقد تناولت احدى خطوات المؤامرة في فترة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ احداث شرخ في صفوف الشعب الفلسطيني كما تجلى في مؤتمري عمان واريحا مقابل مؤتمر غزة . وهذا ما تحاول المؤامرة انجازه في هذه المرحلة من خلال مشروع الملك حسين ، او من خلال تقسيم الشعب الفلسطيني الى قسم يضم اولئك الذين تحت الاحتلال والى قسم يضم اولئك الذين خارج الاحتلال . وبدهي ان تفسيخ صفوف اي شعب يناضل من أجل تحرير وطنه يؤدي الى افشال كفاحه ، وتمرير المؤامرات المعادية عليه وعلى وطنه وقضيته . ولهذا فان على رأس المهمات التي تواجه شعبنا الفلسطيني في هذه المرحلة هي مهمة المحافظة على وحدته تحت الاحتلال وخارجه ، وترسيخ هذه الوحدة اكثر فأكثر ، والنضال بكل قوة ، وبكل اشكال النضال ، لافشال محاولات شق وحدة الشعب الفلسطيني سواء جاءت عن طريق مشروع الملك حسين او عن اي طريق آخر .

ثالثا : لقد نفذت مؤامرة ١٩٤٨ ــ ١٩٥٠ عن طريق تجريد الشعب الفلسطيني من السلاح وتصفية ثورته ومن ثم الغاء شخصيته وهويته ومؤسساته ، الامر الذي ادى الى تغييبه عن الكفاح لتحرير وطنه ، وساعد على تكريس تمزقه والامعان في اذلاله ، والقائه في حومة الضياع والعجز والتسول . وهذا ما تسعى لتحقيقه ، من جديد ، المؤامرة التي يواجهها الشعب العربي الفلسطيني في هذه المرحلة التاريخية التي نعيشها، الامر الذي يفرض على الجماهير الفلسطينية ان تدافع عن بنادقها ومواقعها وثورتها ، مهما كلف الثمن ، وترفض تجريدها من السلاح ، مهما كانت قسوة المعارك المقبلة ، ومهما كلف ذلك من تضحيات . الامر الذي يلقي على طلائع الشعب الفلسطيني مهمة البقاء في المعركة ومواصلاتها ، اي **ان تتولد ، باستمرار ، الطلائع التي تواصل القتال .**

رابعا : ان تصفية الثورة الفلسطينية وتغييب الشعب الفلسطيني في فترة ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ وتحويل الصراع حول القضية الفلسطينية الى صراع عربي رسمي ـ اسرائيلي، أدى في الوقت نفسه الى تغييب الجماهير العربية والثورة العربية عن معركة التحرير ضد العدو الصهيوني ، وقد صحب ذلك حملة بطش بالجماهير العربية وحركة التحرر العربي في اكثر الاقطار العربية في ظل احكام عرفية شرسة . في حين ترك العدو الصهيوني يمضي ، بأمان ، في تكريس وجوده والتحضير لتوسع جديد ، مدعوما من الامبريالية العالمية التي راحت بدورها تحكم سيطرتها ، من خلال عملائها ، على البلاد العربية ، وان هذا كله هو ما تهدف اليه المؤامرة في المرحلة الراهنة ايضا .

ان ادراك هذا الدرس يؤكد صحة الموضوعة التي ترى الترابط العضوي بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية ، هذا الترابط الذي تدركه الامبريالية العالمية والعدو الصهيوني والقوى العربية المضادة للثورة ، والذي يترجم الى اصرار دائم على تغييب الشعب الفلسطيني عن تولي زمام قضيته ، وعلى تصفية الثورة الفلسطينية المسلحة ، وتحويل الصراع الى صراع عربي **رسمي** ـ اسرائيلي **لان ذلك يعني ، فيما يعنيه ، تغييبا للجماهير العربية والثورة العربية عن معركة التحرير أيضا . وتمهيدا للسيطرة على البلاد العربية كل قطر على حدة .**

ان ادراك هذا الدرس يطرح على الثورة الفلسطينية الان مهمة تعميق تلاحمها مع الجماهير العربية وفصائل الثورة العربية ، كما يطرح على الجماهير العربية وفصائل الثورة العربية مهمة الدفاع عن الثورة الفلسطينية ، ورفض تغييب الشعب الفلسطيني، بما في ذلك اللجوء الى السلاح جنبا الى جنب مع التهيئة للمشاركة الفعالة في الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني . على الا تكون المشاركة تعنى التضامن المعنوي فقط ، او تكون التهيئة شعارا مؤجل التنفيذ الى ما لا نهاية .

سقوط الناصرة والجليل :
دور فوج حطين ــ اجنادين

أكرم ديري

هذا جزء من مذكرات عن حرب فلسطين ١٩٤٨ يعدها الكاتب العسكري العربي السيد أكرم ديري الذي اشترك في هذه الحرب كضابط في جيش الانقاذ ثم شغل بعد ذلك العديد من المناصب العسكرية والسياسية الهامة .

الوضع العام قبل ١٠ حزيران ١٩٤٨

كانت بعض قوات الانقاذ وقوات حرس البادية السورية وفوج ــ من الجيش اللبناني مدعم ببعض المفارز الهندسية قد استعادت المالكية وقدس بهجوم ناجح مدعوم بالطيران السوري والمدفعية اللبنانية وبطارية مدفعية سورية .

وفي يوم ١٩٣٩/٦/١٠ تلقى فوج حطين ــ الذي اشترك في هذه المعركة بامرة الرئيس (النقيب)مدلول عباس ــ الامر بالحركة والتجمع في الرامة . وتحرك فعلا اليها . وفي صباح هذا اليوم اعلمني قائد الفوج بصفتي مساعدا له ان بعض القوات الاخرى ستلتحق بنا ، وأننا سنتحرك غدا لكي نصل قبل موعد وقف اطلاق النار (الهدنة الاولى) الى مشارف مستعمرة العفولة بعد أن نتجمع في المغار . وسنضرب هذه المستعمرة بمدفعيتنا ان لم نتمكن من احتلالها وتحقيق الاتصال مع الجيش العراقي الموجود في منطقة المثلث العربي (جنين) .

وفي صباح ١٩٤٨/٦/١١ تأخرت حركتنا من الرامة واعتراها بعض الاضطراب . اذ تأخر تموين آلياتنا المستأجرة بالمحروقات وكان تموينها من مسؤولية الجيش اللبناني . وتحركنا اخيرا ، وما كاد رتل الفوج يصل الى مفترق طريق المغار ــ طبريا ــ الناصرة حتى تعرض لنيران حامية من الرشاشات ومدافع الهاون . فترجل جنود الفوج بسرعة من السيارات وبدأوا يتسلقون تلال الشجرة . وانتشرت المدفعية في الخلف وأخذت تقصف مواقع الاسرائيليين بعنف . وكانت هذه المعركة من أسرع المعارك التي خاضها جيش الانقاذ واكثرها حسما . وما كدت أصل مع السرية الخلفية الى المفترق حتى وجدت الرئيس (النقيب) مدلول عباس قائد الفوج والمقدم عامر حسك من اركان فوزي القاوقجي والدكتور امين رويحه وهما على حافة الطريق يقودون عملية تسلق المرتفعات واحتلالها . وترجلت من السيارة ، فما كان من عامر حسك الا ان طلب الي عدم التوقف بتاتا ومتابعة التقدم مع بقايا الفوج الى الناصرة بأسرع ما يمكن للوصول اليها قبل حلول موعد وقف اطلاق النار . وامتطى سيارة مصفحة ، وتحركنا خلفه ووصلنا الناصرة حوالي الساعة العاشرة . وفي حوالي الساعة ١٢،٠٠ من ذلك اليوم (١١ حزيران) وصل فوزي القاوقجي والامير مجيد ارسلان الى مقر المجلس البلدي بعد أن استقبلهما سكان الناصرة استقبالا حافلا . وأخذنا نستمع الى تبادل الكلمات الحماسية والبليغة من كلا الطرفين .

الدفـــاع عن الناصرة

كان فوج حطين برغم الخسائر التي تعرض لهـــا في **معركة الشجرة الاولـــى** واحتلاله لمرتفعاتها (٤٣ بين قتيل وجريح) قد أوكلت اليه جبهة طولها ٦٠ كم تمتد من شفاعمرو غربا الى قرية حطين شرقا (الموقع التاريخي المشهور) . وخلال فترة الهدنة بقيـــت السرايا التي اشتبكت في معركة الشجرة في مواقعها . الا انه أجري فيها بعض التبديل، وزودت بعدد محدود من أدوات الحفر اليدوية لتحصين مواقعها الدفاعية وذلك بحفر الخنادق ووضع مساتر من الرمل او الحجارة نظرا لعدم توفر اية امكانية لتحصـــين وتحكيم فنيين . وبعد عدة أيام من حلول الهدنة قدم الى الناصرة المقدم الركـــن عامر حسك مندوبا عن القاوقجي ومعه ضابط عراقي آخر ، وجرى الاتفـــاق معهما علـــى اجراء التوزيع التالي للقوات بعد استطلاع الناصرة وكل النقاط الحاكمة فيها :

١ ــ سرية مشاة ومقر قيادة فوج حطين في الناصرة ذاتها على ان تتولى هذه القوات الدفاع عن جبل القفزة ــ طريق العفولة والمرتفعات الواقعة على طريق يافا ــ المجيدل ــ معلولا مقابل مستعمرة نهلال ومستعمرة رامات دافيد ، والدفاع عن مركز البوليس في المدينة . ٢ ــ ١٥٠ شرطيا فلسطينيا في المدينة ذاتها . ٣ ــ ســـرية ابو ابراهيم الصغير التابعة للهيئة العربية العليا ــ ويبلغ عدد افرادها حوالي ١٢٠ مسلحـــا ــ للدفاع عن غربي المدينة مقابل مستعمرة كفار هاخوريش (كانت هذه القوة موجودة قبل وصول قوات الانقاذ)(١). ٤ ــ سرية فلسطينية برئاسة النقيب ابـــو محمـــود الصفوري الذي كان ضابطا سابقا في حرس الحدود وتضم ١٥٠ مسلحا وتملك بعض الالغام والمتفجرات بالاضافة الى دعم كل سكان القـــرية الذين كان معظمهم مسلحين وكانت تابعة للهيئة العربية العليا(٢). وتتولى هذه السرية حماية الناصرة مـــن طريق حيفا ــ شفاعمرو ــ صفورية ــ الناصرة (كانت هذه القـــوة موجودة قبل وصـــول قوات الانقاذ) . ٥ ــ فصيلة مشاة في شفاعمرو من فوج حطين بقيـــادة ضابط صف متطوع من الجيش السوري . ٦ ــ سرية مشاة من فوج حطين في مرتفعات الشجرة معززة بفصيلة في قرية لوبيا ، وفصيلة مشاة أخرى معززة برشاش في قـــرية حطين الواقعة على بعد ثلاثة كيلومترات الى الشرق من طبريا .

وعززت هذه القوات قريبا من مفترق طريق الشجرة ــ طبريا ببعض المصفحات التـــي كان جيش الانقاذ قد استولى عليها من الاسرائيليين او من قوات الانتداب البريطانية ، يقودها بعض المتطوعين من اليوغوسلافيين بقيادة النقيب عز الدين الجراح .

عوامل الضعف في هذا التوزيع

يتضح من هذا التوزيع لفوج لا يملك اكثر من ٤٠٠ مقاتل هم في الاساس جنود غـــير نظاميين ما يلي : ١ ــ عدم وجود جهد رئيسي للدفاع ، بل كان هناك توزيع غير ملائم لقوة صغيرة مخصصة اساسا لاعمال الازعاج والكمائن والاغارات . ولو أن قيـــادة قوات الانقاذ كانت تملك خطة متكاملة وصائبة للدفاع عن هذا الجزء لاقتضى ان يوجه هذا الجهد الدفاعي الرئيسي اساسا في هذه المنطقة على مرتفعات الشجرة لمنع عـــزل الناصرة عن لواء الجليل وسحب كل قوات فوج حطين اليها ، علما بان فوج حطين لم يزد القوة الدفاعية الاساسية للناصرة ذاتها بأكثر من ١٠٠ مقاتل . ٢ ــ اطالة خطوط المواصلات بين مقر القيادة العامة لقوات جيش الانقاذ وبين فوج حطين ، حتـــى أن التموين اليومي لهذه القوات كان يقتضي جهدا بالغا علما بأن تموين الناصرة (المقر في

١ ــ كانت هذه المجموعة تتقاضى ميزانية ٣٠٠ مقاتل من الجامعة العربية . وقد طلب اليها العمل على تجنيد ما يعادل هذا العدد .

٢ ــ كانت تتلقى مساعدات من الجامعة العربية ومن جيش الانقاذ ايضا .

مركز البوليس) كان يتطلب يوما كاملا اذ كان التموين بالخبز والخضار يأتي يوميا من مدينة صور وجويا اللبنانيتين . ٣ ــ عدم وجود اتصالات سلكية او لاسلكية بين قيادة الفوج والسرايا والفصائل ، حتى ان فصيلة شفاعمرو والفصائل الاخرى الموزعة حول الناصرة كانت تتصرف كوحدات مستقلة ومنعزلة . ٤ ــ عدم وجود اتصال سلكي بين الناصرة والقيادة العامة لقوات جيش الانقاذ . ٥ ــ الافتقار الى ذخيرة كافية من الطراز الفرنسي مع أن معظم أسلحة الفوج كانت فرنسية قديمة مع بعض الاسلحة الالمانية القديمة . ٦ ــ عدم وجود أسلحة ثقيلة ــ وكان الفوج كله يملك فصيلة هاون ٨١ مم (سلاح متوسط) تمركزت في الشجرة . ٧ ــ كانت مستعمرة كفار هاخوريش تمثل نقطة ضعف أساسية في مدينة الناصرة . ومع انها مستعمرة صغيرة الا أنها متصلة عبر السفوح الجبلية بمستعمرات مرج ابن عامر . وتشكل نقطة مراقبة وتجسس على المدينة ، ونقطة وثوب خطرة . وكان من واجب قوات الانقاذ احتلالها ولكن هذه القوات تمسكت بنصوص الهدنة . ٨ ــ كانت العفولة وهي أهم مركز سياسي وعسكري وسط مرج ابن عامر لا تبعد عن الناصرة أكثر من ثمانية كيلومترات .

اثر الهدنة على الوضع في الناصرة

مما لا شك فيه ان هدنة الاسابيع الاربعة التي وقعها العرب لم تزد قوة فوج حطين ، بل زادته ضعفا . فلم تستغل هذه الفترة في التدريب والتسليح واعادة التنظيم نظرا لانتشار الفوج وافتقار قواته أساسا للسلاح . ففي الوقت الذي اتضح فيه أن الاسرائيليين يحصنون مواقعهم في كل مكان ويستخدمون معدات التحكيم ويزرعون الالغام امام خنادق الشجرة ، وينصبون الاسلاك الشائكة ، ويقتربون من خنادق قواتنا ليحدثوا الجنود ويمارسوا ضدهم حربا نفسية ، كانت قوات حطين في عطالة تامة . ومارس الاسرائيليون ايضا طيلة هذه الفترة حربا نفسية في قرية شفاعمرو مستغلين انعزال فصيلة من فوج حطين وبعدها عن مقر قيادتها حوالي ٢٠ كم ، وتمكنوا من ضم نائب قائد الفصيلة اليهم . كما وقعت حوادث كثيرة بين جنود جيش الانقاذ والسكان سببها عدم الانضباط ، والافتقار الى التلاحم بين قوات الانقاذ وسكان المدينة نظرا لتعدد التنظيمات الحزبية فيها وعدم وجود جبهة وطنية داخلية تمارس أثرها السياسي .

ورغم زيارة العميد الركن طه الهاشمي مفتش المتطوعين العام للناصرة وكل مراكزها العسكرية ووصوله الى شفاعمرو واطلاله على سهل حيفا ، ووقوفه على تل القفزة (التل الذي قفز منه المسيح عندما كان اليهود يطاردونه) واشرافه منه على العفولة ومرج ابن عامر ، الا ان هذه الزيارة لم تحدث أي تغيير او تبديل في مواقع القوات ، ولم تعززها بالعتاد والسلاح والاليات ، او على الاقل لم تغير من استراتيجيتها الخاطئة .

سقوط الناصرة والشجرة

ما كاد يوم ٩ تموز ١٩٤٨ يطل ويطل معه موعد استئناف القتال حتى اشتعلت جبهة قوات جيش الانقاذ في كل مكان . وبدأت **معركة الشجرة الثانية** التي حشد فيها جيش الانقاذ معظم قواته الجاهزة وغير المشغولة بواجبات دفاعية في قطاعات اخرى . وزج فوج حطين بقيادة الرئيس (النقيب) مدلول عباس بكامله في هذه المعركة التي استنزفت كل قوى الفوج ما عدا فصيلة شفاعمرو ، وفصيلة المرتفعات المطلة على مستعمرة نهلال ، وفصيلة أخرى في الناصرة وسرية المقر التي بقيت في مركز البوليس بقيادة الملازم الاول الفلسطيني اسماعيل طهبوب . وأخذت مواكب الجرحى والقتلى تتوالى على مستشفى الناصرة الذي بذل فيه اطباؤه وسيدات الناصرة وممرضاتها وعلى رأسهن صبا الفاهوم جهودا جبارة نظرا لافتقار المستشفى الى المواد التموينية والطبية،

علما بأن قيادة فوج حطين كانت تزوده بكل ما تستطيع من المواد التموينية ، وتم نقل الكثير من الجرحى والقتلى الى مستشفى الانقاذ في الرامة او مستشفيات صور وصيدا وبيروت ودمشق .

ووصلتنا أوامر سرية بالتزام الدفاع في كل المواقع نظرا لعدم توفر الذخيرة الفرنسية لاسلحتنا ، وضرورة استخدام القوات المزودة ببنادق المانية الصنع .

وفي فترة ٩ — ١٣ تموز جرح في معركة الشجرة قائد الفوج الرئيس (النقيب) مدلول عباس جروحا بليغة ، كما جرح اقدم ضابط في الفوج بعده وهو النقيب كمال العبدالله، واستشهد الضابط الشاعر الفلسطيني الملازم عبد الرحيم محمود ، وأصيب بجرح طفيف في قدمي بقيت بسببه في المستشفى لمدة ٤٨ ساعة فقط. وبلغ ما خسره الفوج أكثر من مائتين بين قتيل وجريح . وتكبدت قوات جيش الانقاذ الاخرى عددا مماثلا من القتلى والجرحى من الضباط والجنود. وبتاريخ ١٢ تموز قدم الى الناصرة الدكتور امين رويحه ومساعده الدكتور احمد السواح وقاما باخلاء بعض الجرحى ، وأرادا اخلائي فرفضت.

وبتاريخ ١٤ تموز وصل الى الناصرة المقدم اديب الشيشكلي قائد لواء اليرموك لاستطلاع منطقة الناصرة اذ كانت القيادة تنوي تبديل فوج حطين (الذي لم يبق فيه سوى ضابطين على قيد الحياة هما اسماعيل طهبوب وأنا وحوالي ٢٠٠ جندي موزعين بين الشجرة وشفاعمرو) بلواء اليرموك . وطلب مني مرافقته على أن لا أنزل من سيارته مراعاة لوضعي الصحي ولتزويده بفكرة عن الموقف . وبعد أن قمنا بزيارة كل المواقع حول الناصرة ، تحركنا معا الى صفورية . والتقينا بقائد السرية النقيب ابو محمود الصفوري واخذنا نناقش معه كل خطته الدفاعية ، فلاحظنا خطأ المواقع التي يحتلها ليلا ونهارا . وبعد مناقشة كل الترتيبات التي ينبغي ان يتخذها ، طلبنا اليه تغيير مواقعه ، ولغم بعض المنعطفات وحراستها، والححنا على ضرورة تحقيق الاتصال مع شفاعمرو رغم بعدها عنه . وكان احساسنا ان صفورية بما تملك من سلاح لدى السكان ، وبما تملك من الغام ومتفجرات لا يمكن ان تسقط بيد العدو بسهولة . ونبهنا قائدها الى اهمية موقعها لانها لا تتحكم بطريق الناصرة فحسب ، بل تتحكم بمحور صفورية — كفركنه الذي يعزل قوات الناصرة عن قوات الشجرة لو تمكن الاسرائيليون من السيطرة عليه .

وتابعنا طريقنا الى شفاعمرو . وهناك على مقربة من المرتفعات القريبة منها لاحظنا تحركا مشبوها ، وكان الوقت قد شارف الغروب . واخذنا نتساءل ماذا يعني هذا التحرك . وعدنا فورا الى صفورية ونبهنا قائد الحامية وطلبنا منه فورا زرع الالغام ولغم الطريق وحراسة المواقع الحاكمة وارسال بعض الرصاد الاماميين ، وأكدنا على ضرورة الاتصال المستمر معنا ، وضرورة تنفيذ ما اتفقنا عليه فورا .

وعاد المقدم أديب الشيشكلي الى مقره في الرامة بعد أن أوصلني الى مقر القيادة في مركز البوليس . وكان أول عمل لي في مركز القيادة هو شرح الموقف لقائد الفوج بالوكالة الملازم الاول اسماعيل طهبوب . وبدأنا الاتصال بحامية شفاعمرو فلم ننلق منها أي رد . كان الاتصال غامضا ومشوشا ولم نستطع أن نتحدث مع قائد الفصيلة .

وفي صباح يوم ١٥ تموز وصل الينا أحد الجنود من فصيلة شفاعمرو وأعلمنا ان قائد فصيلة شفاعمرو ومراسله بوغتا بالدبابات تحاصر مقرهما ففرا وانه لا يدري شيئا عن مصير الفصيلة والقرية . وقد أذاعت محطة اسرائيل يوم ١٥ مساء سقوط شفاعمرو بدون قتال .

وبدأنا نتخذ الترتيبات في مواجهة كفار هاخوريش وطريق صفورية . وكان قائدا الحاميتين على اتصال دائم بي اذ تربطهما بي صداقة واحترام متبادلين استمرا الى ما بعد حرب ١٩٤٨ بسنوات .

وفي ليلة ١٥ ــ ١٦ بدأ العدو بمهاجمة صفورية وارسل قائد الحامية مراسلا الينا . وكانت لدينا مصفحة واحدة (ج. م. س) فجمعت في الساعة الواحدة من صباح ١٦ تموز ما استطعت جمعه من قوات لا تزيد عن ثلاثين جنديا وأركبت قسما منهم المصفحة، وركب الباقون احدى السيارات وتحركت بمنتهى الحذر باتجاه صفورية . وعندما اقتربت منها ترجل الجنود وبدأوا بالتحرك على المرتفعات يمين ويسار الطريق ، وقوبلنا بنيران هائلة وبمدفعية مضادة للدروع منطلقة من المرتفعات والمنعطفات التي كنا ــ المقدم اديب الشيشكلي وانا ــ قد طلبنا وضع قوات لاشغالها ولغم مناطق التقرب اليها . وتوقفت حركتنا تماما على بعد مئتي متر من القرية بنيران مضادة للدروع . وتسللت مع مجموعة فلسطينية بسيارة جيب الى داخل القرية من مسلك خلفي في الساعة الخامسة صباحا وقبل شروق الشمس . كان الصمت والسكون يخيم على القرية من الداخل . لم يكن هناك اي أثر فيها للاحتلال الاسرائيلي ، ويبدو ان حاميتها انسحبت باتجاه كفر كنه مع معظم سكان القرية . وعدت للتمركز خلف المرتفعات وفي حماية بعض المنعطفات . وعندما اشرق يوم ١٦ تبلور الوضع . كانت القوات الاسرائيلية تحتل المرتفعات المشرفة على صفورية فقط . فعدت الى مقر الفوج واعلمت قائده بالوضع وأخذنا نتبادل وجهات النظر حول الموقف، فلم نجد امامنا اي سبيل سوى تعزيز الدفاعات حول الناصرة ذاتها . كان موقفنا كالتالي : ١ ــ مفرزة صغيرة في التلال جنوبي صفورية ، ٢ ــ سرية ابو ابراهيم الصغير في مواجهة كفر هاخوريش ، ٣ ــ ٣٥ جنديا في جبل شنلر شمال المدينة ، ٤ ــ مفرزة صغيرة على طريق العفولة ، ٥ ــ ٨٥ جنديا بما فيهم عناصر مقر الفوج بين يافا ــ الناصرة ــ المجيدل .

وما كاد النهار ينتصف حتى جاءنا المقدم عامر حسك واعلمنا بأن مصفحات جيش الانقاذ قد وصلت الى مدخل الناصرة من جهة الشجرة وانها ستقوم بهجوم معاكس لاسترجاع صفورية . وكنا قد ارسلنا برقية بواسطة لاسلكي البوليس الفلسطيني الى القيادة العراقية في جنين لتقوم بقصف جوي ومدفعي للعفولة وقصف جوي لشفاعمرو وطريق صفورية فتلقينا جوابا مشجعا عليها . ولكن دهشتنا كانت كبيرة عندما وصلتنا برقية من السلاح الجوي السوري يعلمنا فيها بأنه هاجم بعض الاهداف على طريق شفاعمرو وشاهد رتلا كبيرا من السيارات ودبابات تشرشل في المقدمة على طريق شفاعمرو ــ الناصرة . وكانت راجمات الالغام قد بدأت باطلاق نيرانها من مرتفعات كفار هاخوريش على مركز البوليس الذي كنا نتمركز فيه وكان اخر معقل من معاقلنا . وابتدأ المركز يتصدع وينهار من القصف . ورددنا على نيران راجمات الالغام بالرشاشات الموجودة بحوزتنا ومن سطح المركز ، ولكن كفار هاخوريش كانت في مرمى سرية ابو ابراهيم الصغير لا في مرمى مركز البوليس ، ولهذا كنا نتعرض للقصف ونحن عاجزون عن الرد . وكان القتلى والجرحى يتساقطون . فقررنا استطلاع الموقف في المدينة . ولهذا ارسل الملازم الاول اسماعيل طهبوب قائد الحامية دورية الى مدخل المدينة الشمالي ــ الشرقي فعادت الدورية لتؤكد بأن النيران تنطلق في المدينة من كل مكان ، ولم تتمكن الدورية من تحديد ما اذا كان العدو قد احتل بعض الدور العليا من المدينة او أن طابورا خامسا يقوم بهذه الاعمال . واكدت الدورية ان المصفحات بقيادة النقيب عزالدين الجراح والتي كان من المقرر ان تقوم بهجوم معاكس على صفورية قد احترق معظمها ، وقتل عدد من جنودها وتشتت الباقون . وكان الجنود قد ترجلوا دون أن

يقدروا خطورة الموقف وبدأوا في عملية فك المدافع والرشاشات وتنظيفها . فباغتتهم المصفحات والدبابات اليهودية وقطعت الطريق الى الناصرة وعزلتها تماما .

ازاء هذا الموقف وبعد محاولات عقيمة للاتصال بالقيادة العامة وجدنا ان من الافضل ان نخرج من المعسكر الى الخلاء لان ذلك افضل ، وخرجنا من معسكر البوليس عند الغروب . وكان القصف ما زال مستمرا ، والمناوشات مستمرة ومسموعة في كل مكان . وفي حوالي الساعة ١٨،٠٠ تسللنا بما امكننا من السلاح والعتاد متجهين الى مرتفعات الشجرة عبر المنطقة الجبلية الموازية لمحور الناصرة — مفترق لوبيا . ووصلنا على مقربة منها حوالي الساعة الرابعة صباح ١٦ تموز . وكانت المنطقة خالية من القوات . اذ انسحبت جميع القوات دون ان تخطر قوات الناصرة ، ولم تكن القوات الاسرائيلية قد احتلت هذه المناطق بعد . فاتجهنا من المرتفعات وتسللنا الى طرعان جنوبي سهل البطوف .

وبعد مسيرة طويلة وصلنا الى المغار يوم ١٦ تموز ظهرا . والجدير بالذكر ان بقايا فوج حطين وقوات الهيئة العربية العليا التقت في طريق الانسحاب بما فيها قوات ابو ابراهيم الصغير ، وشاهدنا بأم اعيننا بقايا المصفحات مع سيارة الجيب التابعة للمقدم عامر حسك بعد أن تعطلت ولم تتمكن من السير في الجبال .

وبعد أن تجمعت بقايا فوج حطين يوم ١٦ و١٧ نقلت الى معسكر خيام بالقرب من سعسع للاستراحة ، وأعيد تنظيمها وتشكيلها من جديد تحت اسم **فوج أجنادين برئاسة النقيب كمال العبدالله** ، الذي تسنم القيادة بعد شفائه وخروجه من المستشفى .

أسباب سقوط الناصرة

١ — كان الدخول الى الناصرة حركة تظاهرية لا تتضمن أي محتوى سياسي . وحتى لو انها كانت تشكل هدفا سياسيا في ذلك الوقت ، فان تحقيق هذا الهدف لا يتلاءم مع امكانات قوات الانقاذ ووسائله ، فجيش الانقاذ بكل قواته لا يشكل في جيش نظامي أكثر من لواء مشاة يفتقر الى وسائل النقل والاسلحة الثقيلة . ٢ — عدم وجود اتصال وارتباط بين القوات المدافعة عن مرتفعات الشجرة وحامية الناصرة سواء كانت تابعة لجيش الانقاذ او للهيئة العربية العليا . ٣ — كان من الواجب بقاء فوج حطين كله للدفاع عن مرتفعات الشجرة وترك أمر الدفاع عن الناصرة للسكان المدنيين . ٤ — عدم وجود مفارز هندسية والغام للغم المحاور الرئيسية . ٥ — عدم كفاءة قوات الانقاذ في الدفاع نظرا لعدم توفر تدريب وعتاد واسلحة ثقيلة واسلحة مضادة للدروع . ٦ — سقوط شفاعمرو بدون قتال مما ترك محور شفاعمرو — الناصرة مفتوحا امام الخصم . ٧ — سقوط صفورية بدون قتال حقيقي رغم ان قوة صفورية الفلسطينية المحلية تشكل اقوى وأكبر حامية في قوات الناصرة . ٨ — انسحاب سرية ابو ابراهيم الصغير دون أوامر . ورغم انقطاع الاتصالات الهاتفية بين قائد حامية الناصرة وبينها الا انها انسحبت قبل أن تنسحب بقايا فوج حطين ، والتقت هذه المفارز ببعضها في طريق الانسحاب ، في حين بقيت الفصائل المنعزلة التي انقطع معها الاتصال الهاتفي في مواقعها طيلة يوم ١٦ . ٩ — وصول مصفحات قيادة جيش الانقاذ متأخرة جدا ، ودون أن تكون معدة اعدادا كافيا للدخول في معركة تصادمية مباشرة . وكان من الواجب وصولها مع بعض المفارز الهندسية (التي لا يملكها جيش الانقاذ) في صباح ١٥ تموز . ١٠ — عدم امكان الركون في الدفاع لقطعات محلية تسكن عائلاتها على مقربة منها الا اذا كان شعارها « البحر من ورائكم والعدو أمامكم » .

الخلاصة : استنزفت قوات الانقاذ استنزافا كاملا في مرتفعات الشجرة . ولو ان حامية صفورية بقيت في مواقعها وصمدت معها سرية أبو ابراهيم الصغير لما سقطت الناصرة

لان هذه القوات كانت سليمة . وقد تمكنت القوات الاسرائيلية من مشاغلة قوات الانقاذ في مجد الكروم والرامة . وحسمت معركة الناصرة على مرتفعات الشجرة .

سقوط الجليل

الموقف العام

رغم توقيع اتفاقية **الهدنة الثانية** استمرت الاشتباكات مع القوات الاسرائيلية بعد ان تمركزت قوات جيش الانقاذ بين منطقة الرامة والمغار ومنطقة ميرون ـ صفصاف ـ ترشيحا ـ المالكية ـ قدس على الحدود اللبنانية . وكان واضحا ان العدو على علم بموعد الهدنة الثانية قبل وقوعها ، لهذا عزز مواقعه في كل القطاعات ، وراح يحتل مزيدا من المواقع الحاكمة .

وكان المقدم عامر حسك قد استلم قيادة لواء اليرموك ، بعد ان استقال قائده السابق المقدم محمد صفا والتحق بالجيش السوري . ويعتبر هذا اللواء من افضل قطعات جيش الانقاذ وأحسنها تنظيما نظرا لما اتسم به المقدم صفا من مزايا قيادية وكفاءة عسكرية . واحتل هذا اللواء قطاعا كبيرا يمتد من مجد الكروم وشعب وسخنين وكفرمندا وكوكب وعيلبون الى كفر عنان والسموعي . وقد دعم هذا اللواء بفصيلة مدفعية بامرة الملازم الاول فايز قصري (كان في الحقيقة مسؤولا عن فصيلة مدفعية ترشيحا ايضا يعاونه الملازم محمود صبري السيد) . والى يمين هذا القطاع كان فوج اجنادين (فوج حطين سابقا بعد اعادة تشكيله وضم سرية فلسطينية محلية من أهالي ترشيحا اليه) يدافع عن قطاع ترشيحا الذي يواجه مستعمرات الساحل الفلسطيني من الزيب شمالا الى جنوبي مستعمرة نهاريا .

والى يسار قطاع لواء اليرموك الاول كان الفوج العلوي بقيادة النقيب غسان جديد يدافع عن قطاع ميرون وصفصاف والجش غربي صفد .

كانت مواقع جيش الانقاذ في الجليل تشكل خطرا هاما على القوات الاسرائيلية . وكان أمام هذه القوات الاختيار الاستراتيجي التالي على ضوء التصور الاستراتيجي العام للجبهتين العربيتين : السورية واللبنانية . ١ ـ القيام بهجوم باتجاه المنطقة الساحلية نهاريا ـ عكا بالارتباط مع الجيش اللبناني . ٢ ـ القيام بهجوم باتجاه وادي الحولة بالارتباط مع الجيش السوري وتحقيق الاتصال معه .

وكانت المنطقة التي يحتلها جيش الانقاذ ملائمة جدا لحرب العصابات وصالحة عموما للدفاع ، لان أرضها تتمتع بالتضاريس الجبلية والمضائق والمناطق المشجرة . بيد ان عيبها الاساسي هو انه لا يمكن أن يستخدم فيها الا طريق وحيد في الاتجاه شمال جنوب وأربع طرق في الاتجاه شرق غرب . وتصب كل المحاور التي تمركز عليها جيش الانقاذ في القطاع الغربي او الشرقي (غربي صفد) في ملتقى طرق أساسي هو قرية سعسع يمر منها محور الطريق الوحيد الى الحدود اللبنانية ويعتبر طريقا للتموين والانسحاب . ولهذا كان ينبغي ان يركز جهد الدفاع الاساسي لقوات الانقاذ على محور الجش ـ سعسع ـ سحماتا ، وأن يتمفصل الترتيب الدفاعي لهذه القوات على خط المالكية ـ صالحه ـ سعسع ـ الجش ـ الصفصاف ـ فراضية ـ المغار . وكان من الواجب ان يمارس جيش الانقاذ ، بدءا من هذه النقاط ، حرب عصابات في القطاع الغربي تربيخا ـ معليا ـ ترشيحا ـ يانوح ـ مجد الكروم ـ وسخنين وكفر منده ـ طريق شفاعمرو ، وعلى القطاع الشرقي في مواجهة صفد بدءا من الجش والصفصاف وميرون والسموعي وجبل الجرمق .

وسأقتصر في هذه المذكرات على ذكر دور فوج اجنادين عند هجوم العدو على الجليل .

الهجوم المزدوج

الموقف قبل الهجوم

كانت قوات فوج اجنادين تشتبك بصورة متواصلة بالقوات الاسرائيليـــة . ولم تكن اسرائيل تحترم وقف اطلاق النار على هذه الجبهة . وقد خاض هذا الفوج عدة معارك ناجحة في التل الاحمر غربي معليا وفي خربة جدين جنوب غربي ترشيحا مقابل مستعمرة جدين ، خلال فترة الهدنة حضرها المراقبون الدوليون والمفتش العام لقوات الانقـــاذ العقيد محمود الهندي والدكتور أمين رويحه وخاضت بقية قوات الانقاذ معارك في عدة مواقع أشهرها معركة المنارة يوم ٢١ و ٢٢ تشرين الاول غنمت فيها قوات الانقاذ كثيرا من السلاح وأوقعت باسرائيل كثيرا من الخسائر .

الهجوم

في الساعة ١٦،٠٠ من يوم ٢٧ تشرين الاول كنت عائدا مع المقدم مهدي صالح قائد قطاع ترشيحا من عين ابل مقر قيادة فوزي القاوقجي . واثناء عودتنا في طريق ترابي كنا قد حاولنا شقه بمعونة السكان يربط سحماتا بدير القاسي عبر منطقة جبلية الى رميش وعين ابل في الاراضي اللبنانية ، فاجأتنا الطائرات القاذفة الاسرائيلية التي كانت تقصف المنطقة وتركز قصفها بشكل خاص على ترشيحا وسحماتا . وما أن وصلنا الى مقر قيادة القطاع في سحماتا حتى بدأنا تقدير الموقف .

وكانت خلاصة تقديرنا هي التالية : اذا استمر القصف الجوي ، وتبعه قصف مدفعي ينبغي أن نتوقع هجوما شاملا على القطاع ، والا فان من الممكن تفسير القصف بأنه قصف يستهدف تدمير قواتنا وتشتيت تجمعاتنا القتالية .

كان فوجنا مؤلفا من ثلاث سرايا : ١ ــ سرية فلسطينية محلية تدافع عـــن الطريق الرئيسي معليا ــ الكابري ــ نهاريا . ٢ ــ السرية الاولى اليمنية تدافع عن التل الاحمر . ٣ ــ السرية الثانية تدافع عن خربة جدين والوديان المحيطة بها جنوب طريق نهاريا ــ ترشيحا . ٤ ــ السرية الثالثة وتدافع عن قرية ينوح على يسار السرية الثانية وهناك فرجة بينهما تفصلها الوديان والمرتفعات المشجرة يبلغ عرضها أكثر من ثلاثة كيلومترات . ٥ ــ سرية المقر مع فصيلة هاون ٨١ مم في مركز بوليس ترشيحا وتدافع عن مرتفع غرب القرية ، ومستشفى قوات الانقاذ برئاسة الدكتور أمين رويحه . ٦ ــ مقر قيادة القطاع في سحماتا ، وفصيلة المدفعية بامرة الملازم محمود صبري السيد .

والتحقت بالسرية الثانية فورا لان قائدها كان قد حصل على اجازة طويلة . وكنت قد استلمت قيادتها بالوكالة طيلة مدة غيابه . وكانت هذه السرية تضم عددا من ضباط الصف الفلسطينيين الاكفاء ، وتحتل قطاعا من أهم وأخطر القطاعات في ترشيحا .

كان القصف المدفعي قد بدأ وكانت القنابل تستهدف خربة جدين ومقر القيادة وترشيحا ذاتها وسحماتا . واستمر التمهيد المدفعي مدة طويلة . وفي الساعة ٢٠،٠٠ ليلا كنت قد غيرت تمفصل السرية بشكل كمائن حول المداخل الرئيسية للوديان الصالحة للتسلل ، وأمنت الاتصال بين المفارز بواسطة المراسلين واتفقت معهم علـــى السلوك الواجب اتباعه . الا أنني لم أتمكن من الاتصال بالسرايا الموجودة الى يميني ويساري ، وكنت أكتفي بالاتصال بقائد الفوج النقيب كمال عبدالله الذي اعطى صلاحية كاملة لفصيل المدفعية ليكون تحت تصرفي لتحديد الاهداف على جبهة القطاع كله طبقا لتقديري للموقف كله . واتخذت مكاني في خربة جدين التي كنا قد قمنا بحفر الخنادق فيها وتحصينها بالمواد المحلية المتوفرة .

وحوالي الساعة ٢٢،٠٠ بدأ قصف مدافع الهاون الاسرائيلية بالاضافـــة الى قصف

المدفعية . واكتشفت لاول مرة في حياتي العسكرية اتجاه هجوم العدو الذي كان يستهدف نقطة الاتصال بيني وبين سرية ترشيحا من خلال تحديد محوره ببعض الطلقات النارية وقنابل الهاون المضيئة . فاتصلت بقائد الفوج كمال عبدالله وأعلمته رأيي بأن الهجوم يستهدف احتلال ترشيحا في منطقة حدود السريتين باعتبار ان هذه المنطقة أضعف المناطق دفاعيا ، ورجوته اتخاذ بعض الاجراءات خلفهما . وكانت قذائف الهاون مركزة على خربة جدين بصورة خاصة الا أن طبيعة الارض ساعدتنا الى حد كبير . وضبط الجنود أعصابهم وفق التعليمات المحددة . وبدأ الهجوم الاسرائيلي يشق تقدمه عبر الصخور والارض الوعرة مثبتا تلة جدين وسرية ترشيحا بنيرانه ، يحاول التقدم في الفرجة الفاصلة بين السريتين . وكانت الاوامر قد أعطيت للكمائن بعدم فتح النار الا عندما أبدأ باعطاء الاشارة المتفق عليها من خربة جدين . وعندما انسحبت الكمائن بما فيه الكفاية وتوغل هجوم العدو داخل الارض الوعرة أمرت بفتح النيران واتصلت بالملازم محمود صبري السيد الذي فتح نار مدفعيته على الاهداف التي كنت أحددها . وكنا نشاهد أشباحهم ونسمع صرخاتهم من خربة جدين . واستمر الاشتباك حتى الساعة الرابعة صباحا فقمنا بهجمات مضادة صغيرة طردنا بها فلول العدو . وما أن بزغ الفجر حتى كانت سرية ينوح تتعرض لهجوم جديد . لقد بوغتت السرية من مسافة أمتار ولكن بطولة قائدها الملازم فتحي (من الخليل) جعلت السرية تصمد وتوقف الهجوم الذي استمر أكثر من ساعتين . وكان الاسرائيليون قد تسللوا عبر أرض وعرة ومشجرة وتسلقوا سفوح ينوح الا انهم باءوا بفشل ذريع . وقد أصيب الملازم فتحي بجرح في يده ، وسقط بين صفوف سريته عدد صغير من القتلى والجرحى .

وعند الفجر أرسلنا بعض الدوريات الى أمام فغنمنا كثيرا من الاسلحة والبنكلور والمتفجرات ، والخرائط ، وجمعنا كثيرا من الوثائق والاوراق ، والبطاقات الشخصية للقتلى . وكانت أرض الاشتباك مضرجة بالدماء .

ومضى يوم ٢٨ وكان هادئا جدا يتخلله بعض طلقات المدفعية وغارات الطيران فقط . ولكن معنوياتنا كانت عالية جدا لولا خوفنا من نقص الذخيرة الفرنسية . وفي المساء تجدد الهجوم المعادي على كل سرايا الفوج ولكن كان هجوما ضعيفا ومترددا نظرا لما أصابه في الليلة السابقة . وصمدنا في مواقعنا حتى الساعة الرابعة صباحا . فاتصل بي قائد الفوج كمال عبدالله وأعلمني بأن الجش والصفصاف سقطتا وان فوجا سوريا قام بهجوم مضاد فأسرت بعض قواته وان سمسع قد سقطت بيد الاسرائيليين وان ترشيحا قد دمر معظمها بقنابل الطائرات والمدفعية ، وان معظم أفراد سرية ترشيحا التي تدافع عن المحور الرئيسي قد انسحبت تحت ضغط المصفحات الاسرائيلية ونظرا لاصابة منازلهم في القرية ، وبغرض ترحيل عائلاتهم . وطلب الي البدء بالانسحاب ومقابلته في سحماتا . وانسحبنا مشيا على الاقدام بعد أن جمعنا خيامنا ومعظم تجهيزاتنا . ولم يكن انسحابنا تحت ضغط العدو . وفي سحماتا كانت كل هذه القوات تتجمع لتسير نحو الاراضي اللبنانية بحماية بعض وحدات لواء اليرموك الثاني التي انسحبت من الرامة وحماية فصيلة المدفعية بقيادة الملازم الاول فايز قصري الذي أبدى شجاعة فائقة في مواجهة المصفحات الاسرائيلية يوم ٢٩ ظهرا بمعونة بعض مفارز لواء اليرموك . وتجمعنا في رميش على الحدود اللبنانية بعد مسيرة طويلة على الاقدام استمرت يوما وليلة .

وهكذا نجح الهجوم الاسرائيلي المزدوج الذي استهدف احتلال ترشيحا في القطاع الغربي بذراع من ذراعي كماشة القوات الاسرائيلية ، بينما قام الذراع الاخر بهجوم آخر من صفد باتجاه سمسع النقطة الحيوية الاساسية في لواء الجليل ، مع هجوم ثانوي تشتيتي في الجنوب والجنوب الغربي .

أسباب سقوط الجليل

١ ــ عدم وجود اختيار استراتيجي للاهداف الحيوية التي ينبغي الدفاع عنها ، فقد أراد جيش الانقاذ حماية كل المواقع فخسرها كلها .

٢ ــ عدم تلاؤم الهدف مع الامكانيات والوسائل .

٣ ــ عدم اتباع نموذج استراتيجي ملائم لامكانيات قوات الانقاذ ووسائلها .

٤ ــ عدم تعاون الجيشين السوري واللبناني من جبهتيهما مع جيش الانقاذ عند احتدام المعركة . وبالرغم من أن الجيش السوري زج بفوج من قواته ليلة سقوط الجش والصفصاف ، وأسر قسم منه نظرا لعدم معرفته بالمنطقة وخوضه المعركة ليلا ، وزج الجيش السوري بفوج آخر عزز فيه الحدود اللبنانية ، الا انه كان من الافضل أن يقوم الجيش السوري بهجوم معاكس من جبهته . وكان بوسع الجيش اللبناني القيام بهجمات معاكسة من الشمال لتخفيف الضغط عن ترشيحا لان قوات ترشيحا كانت صامدة ، الا أن مقاومتها لا يمكن ان تستمر نظرا للنقص الفادح في الذخيرة الفرنسية .

٥ ــ عدم وجود آليات لنقل لواء اليرموك الثاني الذي كان بوسعه القيام بهجوم معاكس من فراضية ، كما كان بوسعه استعادة سعسع .

٦ ــ عدم وجود ذخيرة فرنسية كافية لان معظم قوات الانقاذ سلحت بأسلحة فرنسية قديمة من مخلفات الجيش السوري ، علما بأن أسلحة الجيش السوري ذاتها كانت من مخلفات أسلحة الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الثانية .

٧ ــ رغم الانسحاب كان بوسع قوات الانقاذ العودة لاحتلال تربيخا ــ الصالحه وتشكيل جيب مقاومة داخل الارض الفلسطينية يمكن منه التسلل الى الجليل لممارسة حرب العصابات واستعادة سعسع ، واقامة قواعد للمقاومة على أسس جديدة . وكان من الممكن لمثل هذه الاستراتيجية أن يكون لها أثرها في تهديد خطوط المواصلات المعادية ومنع استيطان الاسرائيليين للجليل . بيد أن أوامر عليا صدرت لقوات الانقاذ بعدم القتال على الحدود اللبنانية . فتجمعت هذه القوات ، وأعيد تنظيمها في لواء بامرة الزعيم (العميد) أنور بنود من الجيش السوري، وأوكلت اليها مهمة الدفاع عن القطاع الاوسط من الجبهة اللبنانية يعززها فوج سوري نظامي .

وبضياع الجليل فقد العرب أهم قاعدة في المستقبل لحرب التحرير الشعبية ، ولو بقي الجليل عربيا حتى الان لتغير مجرى تاريخ القضية الفلسطينية من أساسه .

ان كل هذه الهزائم تثبت بما لا يدع مجالا للشك الى أن العرب لم يهزموا سياسيا فحسب ، بل انهم هزموا في كل المجالات لانهم لم يتفقوا على تصور سياسي موحد ، واستراتيجية سياسية وعسكرية موحدتين . ولو انهم نجحوا في هذا لتمكنوا من الدفاع عن المعاقل الحيوية الاساسية في فلسطين ، ولما تمكنت اسرائيل من احتلال أراض تتجاوز خدود مشروع التقسيم .

سقوط مدينة صفد :
من مذكرات حرب فلسطين (جيش الانقاذ)

جادو عز الدين

هذا جزء من مذكرات عن حرب فلسطين ١٩٤٨ يعدها الكاتب العسكري العربي السيد جادو عزالدين الذي اشترك في هذه الحرب كضابط في جيش الانقاذ ثم شغل بعد ذلك العديد من المناصب العسكرية والسياسية الهامة .

مقدمة :

كنا مجموعة من الضباط جميعنا برتبة ملازم ورفاق دورة واحدة . ثم تعينا فور تخرجنا من الكلية العسكرية في مركز تشكيل وتدريب جيش الانقاذ . وكان التحاقنا في هذا المركز في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ . وتبع ذلك أن تطوع(١) معظمنا في وحدات هذا الجيش ، ودخل كل منا فلسطين مع الوحدة التي عين فيهـــا ليشترك في الواجبـــات والعمليات التي كلفت بها وحدته . وبعد ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ ، تاريخ دخول الجيوش العربية فلسطين ، أخذت رئاسة الاركان العامة في سوريا تعيدنا تباعـــا الى وحدات الجيش السوري . وقد استمر بعضنا في جيش الانقاذ حتى آخر عملياته التي خاضها في خريف ١٩٤٨ ضد الهجوم الاسرائيلي الشامل على منطقة الجليل . هذا الهجوم الذي انتهى بسقوط هذه المنطقة الحيوية والهامة في يد القوات الاسرائيلية وانسحاب قوات الانقاذ الى معسكرات قطنا حيث تم تسريحها وتصفيتها . وسقط في معارك جيش الانقاذ وفي جميع بقاع فلسطين الحبيبة المئات من الشهداء الابرار وفاز بالشهادة على أرضها رفاق أعزاء كانوا وسيظلون مثالا للبطولة والتضحية في سبيل استعادة حق سليب وأرض عربية مغتصبة .

دخلت فلسطين ليلة ١٦ كانون الاول (ديسمبر)١٩٤٧ مع السرية الاولى من فوج الحسين الاول(٢) وهي سرية عراقية. وقد كان قائدها ضابط عراقي برتبة ملازم اول وكنت معاونا لقائد هـــذه السرية(٣). وعبرنا نهر الاردن ليلا الى الضفة الغربية ، من مخاضـــة

---

١ ــ المتطوعون هم : جودت أتاسي ، أكرم ديري ، جادو عز الدين ، جمال الصوفي ، عبد الحميد السراج ، شفيق عبيسي ، عدنان مراد ، سالم اتاسي ، مصطفى الدواليبي .

٢ ــ تم تشكيل هذا الفوج من متطوعين عراقيين وعين لقيادته الرئيس الاول الطيار (الرائد) محمود الهندي وهو ضابط عراقي . وكان الفوج يضم ثلاث سرايا مشاة فقط ولم يكن في تشكيله وحدة اسناد او أية أسلحة ثقيلة (رشاشات ــ هاون ٨١ ــ أسلحة ضد الدروع) .

٣ ــ كان تشكيل السرية من أربع فصائل ، ثلاث منها من العراقيين والفصيلة الرابعة من الفلسطينيين . وقد روعي ذلك في تشكيل جميع سرايا الفوج للمساعدة في التعرف على المناطق وتيسير التعامل مع السكان . وكان تسليح السرية مقتصرا على البنادق والرشاشات الخفيفة مع عدد محدود من القنابل اليدوية .

تقع الى الجنوب من جسر المالح . وتابعنا مسيرتنا بواسطة أدلاء الى قريتي نياسير وطوباس حيث كان مقررا أن يكون تمركز السرية في هاتين القريتين الواقعتين ما بين جنين ونابلس .

وكلفت السرية خلال وجودها في هذه المنطقة والذي امتد ثلاثة أشهر كاملة بكثير من المهمات . وكانت معركة الزراعة أهم العمليات التي شاركت فيها السرية . وقد خطط لهذه المعركة وقاد تنفيذها المقدم محمد صفا . وتم وضع السرية الاولى من فوج الحسين تحت تصرفه لتعزيز الفوج الذي كان يقوده في عملية الهجوم على مستعمرة الزراعة . وكانت خسائر السرية في هذه المعركة خمسة عشر قتيلا وثمانية وعشرين جريحا .

الانتقال الى منطقة الجليل :

في النصف الثاني من شهر آذار (مارس) ١٩٤٨ تلقت السرية أمرا بالتحرك الى شمال فلسطين لتنضم الى وحدات الانقاذ الموجودة في منطقة الجليل بقيادة المقدم أديب الشيشكلي ، الذي كان يتولى مسؤولية العمليات في هذه المنطقة الهامة . ولتنفيذ هذه الحركة من المثلث العربي في الضفة الغربية الى شمال فلسطين كان لا بد من العودة الى شرقي الاردن والتحرك الى سوريا فلبنان ثم الجليل ذلك لان سهل مرج ابن عامر الواصل بين شمال فلسطين وجنوبها واقع بأكمله تحت سيطرة المستعمرات اليهودية المتحكمة بشبكة الطرق التي تخترقه .

وفي ليلة ٢٠ آذار (مارس) ١٩٤٨ تحركت السرية الى الاردن فسوريا ، حيث قضت يومين للراحة في معسكرات قطنا . وفي ليلة ٢٣ آذار (مارس) تابعت حركتها الى الجليل سالكة طريق دمشق — بيروت — صيدا — صور — بنت جبيل — المالكية — كفر برعم — الصفصاف (شمال غربي صفد) والتي كانت وقتئذ مقرا لقيادة المنطقة ، فبلغناها قبيل الفجر . وتمركزت السرية فيها تمركزا موقتا انتظارا للتعليمات التي تحدد منطقة عملها ومهامها .

وفي ليلة ١٩٤٨/٣/٢٥ قام الصهيونيون بهجوم كثيف على مركز بوليس النبي يوشع الواقع شرق قرية قدس بغرض احتلاله ، فتلقت السرية أمرا بالحركة الى قرية قدس لنجدة قوات المركز وفك الحصار عنها . وكانت هذه أول عملية شاركت السرية فيها بعد وصولها لهذه المنطقة بأقل من ثماني واربعين ساعة . وقد دخلت ارض المعركة دون أن يكون لديها فكرة عن طبيعتها لانها لم تكن قامت بأية استطلاعات في هذه المنطقة ، واعتمدت السرية في تقدمها نحو قرية قدس على بعض الادلاء المتطوعين الفلسطينيين الذين قادوها الى منطقة عملها وخط انطلاقها وأرشدوها الى أهدافها. وقد انتهت معركة النبي يوشع هذه بفشل قوات العدو وانسحابها بعد أن تركت على أرض المعركة ما يقرب من الاربعين قتيلا بعضهم على الاسلاك الشائكة المحيطة بالمركز وبعضهم قريبا من بابه وجدرانه ، وكانت قوة الدفاع عن مركز النبي يوشع بقيادة الملازم شفيق عبيسي،وقد بقي في هذا المركز يصد كل الهجمات اليهودية المتكررة عليه حتى سقط فيه شهيدا في ليلة ١٦ أيار (مايو) ١٩٤٨ .

منطقة تمركز السرية ومهمتها :

بعد انتهاء معركة النبي يوشع انسحبت السرية الى قرية قدس وكانت تتمركز في هذه القرية وحدة متطوعين بقيادة الملازم صلاح الشيشكلي . وفي قدس تلقت السرية انذارا لان تكون مستعدة للحركة لاماكن تمركز جديدة .

وبعد استراحة قصيرة أرسل المقدم أديب الشيشكلي يستدعي قائد السرية ويستدعيني واصطحبنا معه الى مركز بوليس قرية سعسع ثم الى قرية طربيخا ومركز بوليس قرية اقرت .

وكان هذان المركزان مشغولين بعدد محدود جداً من المقاتلين المدنيين من سكان قريتي سعسع واقرت . فأوضح لنا أهمية هذين المركزين وقرر أن يكون تمركز السرية فيهما محدداً مهمتها بالآتي :

منع محور الكابري ـــ البصة ـــ اقرت ـــ طربيخا ـــ سعسع .

ولتنفيذ هذه المهمة كان المطلوب احتلال مركزي بوليس قرية سعسع وقريـــة اقـــرت . والحفاظ على هذين المركزين الاساسيين وعدم تمكين العدو من احتلال أي منهما بالدفاع عنهما حتى آخر طلقة ، والدفاع عن قريتي اقرت وطربيخا بعناصر المقاومة الشعبية بعد تعزيزها ببعض أسلحة السرية بالاضافة الى تعزيزها بعدد من أصحاب بعض الرتب حتى ولو كانت رتبهم صغيرة لتتولى قيادة ومسؤولية الدفاع عن المراكز الرئيسية في كل قرية .

وفي أول ليل ٢٦ آذار (مارس) تحركت السرية الى منطقة عملها . وأتمت احتلالها لمراكزها قبل الفجر . واثناء ذلك اليوم واليومين التاليين جرى استطلاع المنطقة والتعرف عليها وتعديل توزيع السرية وفقا لمقتضيات وأهمية واجباتها وتم تدعيم المقاومة الشعبية في قريتي اقرت وطربيخا . ولم تمض أيام قليلة على تمركز السرية في مواقعها حتى صدر أمر من قيادة جيش الانقاذ في دمشق (طه الهاشمي) بنقل قائد السرية الملازم الاول حسين عبداللطيف الى قيادة فوج الحسين معاونا لقائده فانفك عن قيادة السرية يوم ٥ نيسان (ابريل) ١٩٤٨ وتسلمت بدءا من هذا التاريخ قيادتها حتى ٢ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ، وهو تاريخ اعادتي الى الجيش السوري حيث تلقيت أمر تعييني في فوج المشاة الاول ، الذي كان وقتئذ في منطقة القنيطرة ، قائداً للسرية الاولى فيه اعتبارا مـــن ١١ حزيران (يونيو) ١٩٤٨ .

لقد كان تعداد السرية حين التحاقها في منطقة الجليل تسعين مقاتلا فقط وذلك نتيجة للخسائر التي كانت قد اصيبت بها وهي في منطقة نابلس ، فأعيد تشكيلها بثلاث فصائل تعداد الواحدة منها خمسة وعشرون فردا : ـــ الفصيلة الاولى بقيادة الملازم علي عراك . ـــ الفصيلة الثانية بقيادة الملازم عبدالعزيز ... ـــ الفصيلة الثالثة ويقودها الملازم سيد قريشي . ـــ حضيرة قيادة (خدمات السرية) بقيادة رئيس عرفاء يدعى جهاد .

لقد قامت هذه السرية منذ تاريخ التحاقها بمنطقة الجليـــل الى تاريخ اعادتها الـــى معسكرات قطنا في سوريا يوم ٢٩ أيار (مايو) ١٩٤٨ بالواجبات التي أسندت اليها ، واشتركت مع سواها من قوات الانقاذ التي كانت في المنطقة نفسها طوال هذه الفترة (على الرغم من قلة عدد هذه القوات وهزالة تسليحها) في عمليات عدة أهمها : ـــ صد الهجوم المعادي على النبي يوشع . ـــ الهجوم على مستعمرة الهرّاوي . ـــ معركة مدينة صفد وسنتكلم عنها تفصيلاً . ـــ معركة المالكية وقدس ضد الهجوم الصهيوني على هاتين القريتين ليلة ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨ .

معركة مدينة صفد وسقوطها بيد العدو :

كانت مدينة صفد ذات أهمية استراتيجية كبيرة بالنسبة للعرب وبالنسبة للصهيونيين أيضا . وكان كل من الطرفين حريصا على انتزاعها من خصمه والسيطرة الكاملة عليها . وقد بدأت الاشتباكات المسلحة في هذه المدينة الهامة عقب صدور قرار هيئة الامم المتحدة بتقسيم فلسطين وانشاء الكيان الاسرائيلي في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ . وكان القتال داخلها يزداد عنفا يوما بعد يوم حتى سقطت بيد العدو في ليلة العاشر من ايار (مايو) ١٩٤٨ . علما بأن صفد لم تكن في قرار التقسيم داخل المنطقة اليهودية .

واني اذ اكتب عن المعركة التي انتهت بسقوط هذه المدينة أرى لزاما عليّ أن أنبه مقدما الى النقاط التالية :

ـــ اني لم اكن قائدا لهذه المعركة لاكون ملما بكل جوانبها وتفصيلاتها الكاملة بل كنت أحد الضباط الذين شاركوا في الاعدادات التي اتخذت لانقاذ هذه المدينة ، وشهدوا عن قرب تطورات الحوادث ومجرياتها ونهايتها البائسة .

ان ما اكتبه انما هو ذكريات أعتمد في ايرادها على الذاكرة . اذ ليس بوسعي الاعتماد على سجل للوقائع كالذي يكون عادة لكل معركة . لان معارك جيش الانقاذ لم تعرف للاسف مثل هذا التنظيم الذي يؤرخ لكل معركة هدفها وفكرتها وخطتها وتنفيذها ويحفظ لها تاريخها دقيقا وبعيدا عن كل تشويه .

ـــ اني أدعو كل الاحياء الذين كانوا في هذه المعركة وشهدوا احداث هذه المأساة أن يبادروا لتوضيح ما قد أكون قصرت فيه أو تصحيح ما كتبت اذا ما ارتكبت خطأ أو اغفلت واقعة ، ففي ذلك خدمة جليلة ومطلوبة لمعرفة حقيقة أحداث جسام تستحق التسجيل والدراسة لانها تشكل جزءا من تاريخ أمتنا خلال حقبة من الزمن .

ـــ ان الاحداث التي أتناولها هنـــا انما هي احداث الايام الاخيرة مـــن هذه المعركة ، وبالتحديد الاحداث التي وقعت ما بين الاول من أيار (مايو) ١٩٤٨ والعاشر منه وهو تاريخ سقوط المدينة ونزوح العديد من أهلها وانسحاب القوات المدافعة عنها .

حامية المدينة في ١ أيار (مايو) ١٩٤٨ :

كانت القوة المكلفة بالدفاع عن المدينة تتألف من : ـــ سرية متطوعـــين أردنيين بقيادة الرئيس (النقيب) ساري الفنيش من الجيش الاردني . وكان يساعده في قيادة السرية الملازم اميل جميعان وهو ضابط أردني أيضا . ـــ ما يعادل فصيلتين من المشاة أو بقية سرية متطوعين سوريين من فوج المقدم أديب الشيشكلي كانت قد دخلت مدينة صفد لتعزيز الدفاع عنها منذ الايام الاولى لدخول قوات الانقاذ الى منطقة الجليل . وكان يقود هاتين الفصيلتين الملازم هشام العظم . ـــ ما يقارب الثلاثمائة مسلح من أهالي صفد بقيادة صبحي الخضرا ، يفتقدون الى التنظيم والتدريب والانضباط ، وهي عوامل أنقصت من قدرتهم على المساهمة بصورة فعالة في واجب الدفاع عن مدينتهم وحمايتها .

ولقد كانت حامية صفد كلها بقيادة الرئيس (النقيب) ساري الفنيش ولم يكن هذا الضابط حسبما اتضح من مجريات الاحداث أهلا لمثل هذه القيادة أو قادرا على حمل مسؤولياتها أو حتى التحسس بها . وكان ساري الفنيش ومعاونه أميل جميعان موضـــع شكوى مستمرة لتقاعسهما واستهتارهما وتغيبهما المتكرر عن مقرهما القيادي وتركهما المدينة أحيانا خلال الاشتباكات .

المراكز الاساسية ومسؤولية الدفاع عنها :

كانت المراكز الحيوية والاساسية في المدينة تحت سيطرة القوات العربية . واهم هذه المراكز : القلعة القديمة ـــ مركز البوليس ـــ مقر رئاسة البلدية ـــ مستشفى المدينة ـــ نقاط عديدة مشرفة على الحي اليهودي .

أما الواجبات فقد كانت موزعة كالآتي : ـــ الدفاع عن القلعة مـــن مسؤولية سرية المتطوعين السوريين . ـــ الدفاع عن مبنى رئاسة البلدية وعن مركـــز البوليس مـــن مسؤولية السرية الاردنية . ـــ الدفاع عن الاماكن الحساسة في المدينة (مفارق ـــ أماكن حاكمة ـــ منافذ ...) من مسؤولية المقاومة الشعبية من ابناء صفد . وعلى صورة مخافر قتال موزعة في كل انحاء المدينة . وكانت المخافر ذات الاهمية الخاصة معززة ببعض الافراد وبعض الاسلحة من السرية الاردنية او سرية المتطوعين السوريين . كان واجب الدفاع عن المستشفى ملقى على عاتق مفرزة صغيرة لا تتجـــاوز الحضيرة

(عشرة أشخاص) من السرية السورية مدعمة بعدد من المقاومة الشعبية . والمجموعة بقيادة الدكتور فيصل ركبي .

وكانت القلعة هي المركز الاكثر أهمية في جميع دفاعات المدينة لانها الموقع الاكثر مناعة والذي يؤمن سيطرة كبيرة على كثير من المنافذ والاجزاء الهامة من المدينة .

الموقف القتالي وتطوره :

كان القتال في صفد يزداد ضراوة يوما بعد اخر . وتبلور موقف حاميتها في التزامها جانب الدفاع الثابت لانعدام قدرتها على القيام بأية عملية هجومية مهما كان حجمها صغيرا . بينما أصبح الموقف بالنسبة للعدو على النقيض من ذلك فقد انتقل الى وضع الهجوم . ولم تكن تنقضي ليلة واحدة دون ان يقوم الاسرائيليون فيهـا بعملية هجومية على اكثر من مركز من الدفاعات العربية . وكان اصرارهم قويا على احتلال القلعة لان سقوط هذا الهدف المنيع في ايديهم سيكون بداية سيطرتهم الكاملة على المدينة وكل ما سيتبع نجاحهم في معركة القلعة من قتال لن يكون بنظرهم اكثر من عمليـات تطهير لجيوب مقاومة لن تستطيع الاستمرار طويلا .

وكانت هنالك مشكلة ظلت قائمة على الدوام دون ايجاد حل لهـا . وهي مشكلة تنوع الاسلحة الموجودة في ايدي قوات الحامية العربية فاسلحة السريـة الاردنية (بنادق ـ رشيشات ـ قنابل يدوية) مختلفة عنها لـدى سرية المتطوعين السوريين ومختلفة ايضا عن اسلحة المقاومة الشعبية من اهالي صفد . ناهيك عن نقص الذخيرة بالنسبة لكل انواع الاسلحة ، الامر الذي كان يزيد من صعوبة القتال ويجعل ادارة المعركة اكثر تعقيدا .

وهكذا اخذ موقف حامية صفد يزداد حراجة في مواجهة القوة المعادية التي كانت تملك التفوق في نوع الاسلحة المستخدمة في القتال وعددها وحداثتها . فالهجمات الاسرائيلية متكررة كل ليلة دون انقطاع . والخسائـر في الوحدات العربية المـدافعة في تزايد . وتناقص هذه الوحدات مستمر نظرا لعدم امكان تعويض العناصر التي تخرج من القتال بسبب اصابتها . وفترات الراحة مفقودة بسبب استمرار الاشتباكات حتى أثناء النهار الامر الذي كان يزيد من تعب المقاتلين .وذخيرة المدافعين في كثير من الاشتباكات في تناقص الى الحد الذي يقارب نفادها . وكانت هذه المشكلة شديدة التأثير على المقاتل . في حين كانت قيادة المنطقة تبذل جهودا كبيرة حتى تيسر الامـداد بالذخيرة بالقدر الذي تتطلبه المعركة .

وكانت الهجمات الاسرائيلية تتميز بكثافة نارية غير عادية . اما الاسلحة المستخدمة فيها فهي البنادق والرشاشات الخفيفة والمتوسطة وكلها حديثة بالقياس الى الاسلحة المماثلة لدى المجاهدين العرب . واستخدم الاسرائيليون وبكثرة مدفع الهـاون ٣٢ بوصة في دعم هجماتهم ، واستخدموا اخيرا في معركة صفد وليلة سقوطها ما يسمونه « براجمة الالغام » ، وهو جهاز يطلق قذائف ذات صوت انفجاري ضخم دون أن يكون لها تأثير تدميري ملحوظ . وقد كان لراجمات الالغام اثر سيء كبير على معنويات المقاتلين الذين فوجئوا بهذا السلاح ، ولم يكونوا قد سمعوا عنه شيئا أو عرفوا خصائصه او خبروا تأثيره .

عرض الموقف في صفد على القيادة العامة لجيش الانقاذ :

لقد كان المقدم اديب الشيشكلي قلقا للغاية بسبب تردي الموقف في مدينة صفد وكذلـك بالنسبة للوضع في مدينة عكا الذي لم يكن اقل سوءا . فسافر الى دمشق في ايار (مايو) ١٩٤٨ ليعرض الوضع بكل تفصيلاته على قيادة جيش الانقاذ (العميد طه الهاشمي)

أملا في الحصول على بعض القوات والاسلحة والذخيرة لتعزيز وحداته المبعثرة في انحاء الجليل من عكـــا الى صفد الى المالكية الى قرب الناقورة وهي منطقة يقارب عرضهـــا الخمسين كيلو مترا وعمقها كذلك .

فكرة التمسك بمدينة صفد وتعزيز حاميتها :

بتاريخ ٧ ايار (مايو) ١٩٤٨ كانت السرية العراقية التي أقودها متمركزة في منطقـــة اقرت ـــ طربيخا كما سبقت الاشارة الى ذلك . وفي ظهر ذلك اليوم تلقيت برقيـــة انذار صادرة من قيادة منطقة الجليل تقضي باعداد السرية للحركة مع ابقاء اقل عدد ممكن في مركزي بوليس سعسع واقرت ـــ بينما تعود السرية من مهمتها أو تلتحق بها العناصر المتخلفة .

ومع فجر في ايار (مايو) ١٩٤٨ وصل المقدم أديب الشيشكلي فجـــأة الى مركز بوليس اقرت ومعه فقط جندي مرافق وابلغني فور وصوله التعليمات التالية : ـــ ان السريـــة ستتحرك الى صفد لتدخلها اثناء الليل . ـــ انه سيقوم بذاته باصطحابي وقادة الفصائل اثناء النهار الى صفد لاستطلاع طريق دخول السرية والاجتماع بقائد حامية المدينة ليطلع منه على اخر تطورات الموقف فيها . وليحدد لنا واجبات السرية والتعرف بصورة أولية على القطاع الذي ستحتله في اطار المخطط الدفاعي عن المدينة .

ـــ وفي اليوم التالي وبعد دخول المدينة تستكمـــل السرية استطلاعاتهـــا تفصيلا ويتم توزيعها على مراكزها الجديدة . ويتم ايضا تحديد المهمة القتالية لكل مفرزة من مفـــارز السرية بشكل واضح ودقيق . وحوالي الساعة السابعة من صباح اليوم نفسه وصلت الى مقر السرية اربع سيارات نقل مدنية مستأجـــرة فتم تحميل التجهيزات والذخيرة واركاب الجنود والتوجه الى قرية ميرون . واصطحبني المقدم شيشكلي معه في سيارته وسبقنا القافلة ليتسنى لنا بلوغ ميرون قبلها بوقت كاف لتحديد منطقة ترجل السريـــة ومنطقة تمركزها المؤقت ليمكن التوجه بعد ذلك الى صفد .

وعلمت منه أن فصيلة مدفعية ميدان عيار ٧٥ مم بقيادة الملازم أول فايز قصري كانت قد وصلت بالامس وانها اخذت مرابضها شرقي ميرون . وتكلم طويلا عن حراجة الموقف في صفد وصعوبة وضع الوحدات المدافعة عنها وتآكلهـــا المستمـــر بسبب عدم امكانية تبديلها او تعويض خسائرهـــا . وشكا من قائد الحـــامية الرئيس ساري الفنيش ومن تصرفاته التي لا تدل على تقدير مسؤولية القيادة التي يتولاها . ولم يخف تخوفه مما قد يقدم عليه ساري الفنيش فيؤدي تصرفه الى ضياع مدينة صفد وسقوطها في يد العدو . خاصة وان هذا الضابط يجاهر في كل مجلس ويردد بين جنوده وأمام أهالي صفد ان استمرار الدفاع عن هذه المدينة أمسى عملية انتحارية دون ثمن ، وان الاحتفاظ بهـــا ضرب من المحال .

وتساءلت ان كان يجوز ابقاء هذا الضابط في هذه القيادة الحساسة فأجاب المقدم اديب الشيشكلي انه فكر في ابعاده وحاول تنفيذ فكرته فتعذر عليه ذلـــك للاسباب التالية : ـــ لان ساري الفنيش برتبة رئيس (نقيب) بينما لا يوجد في وحدات الانقاذ العاملة في الجليل وقتئذ من هو أقدم منه أو حتى برتبته . ـــ لان سحب ساري الفنيش من مدينة صفد يقتضي سحب السرية الاردنية التي يقودها ، والوضع الدفاعي في المدينة اضعف من ان يحتمل هذا الاجراء ما دام النقص الذي تعانيه القيادة في الوحدات المقاتلة يجعل من المتعذر تيسير سرية بديلة . ـــ لان السرية الاردنية ليست ـــ في الاصل ـــ من قوة الانقاذ بل كانت ملحقة بها ووجودها في صفد كان بتعليمات من قيادة جيش الانقاذ بالذات ومراعاة لرغبة قيادة الجيش الاردني .

وأضاف المقدم الشيشكلي بانه يأمل ان يصبح دفـــاع صفد أفضل بعد دخـــول السرية

العراقية اليها كما سيغدو أقدر على الصمود أمام الهجمات الاسرائيلية المتكررة كل ليلة بغرض احتلال المدينة قبل ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ وهو تاريخ دخول الجيوش العربية فلسطين فيتحول الموقف لصالحنا بعد هذا التاريخ .

وبلغنا حوالي الساعة التاسعة صباحا قرية الصفصاف (مقر القيادة) فوجدنا فيها المقدم عامر حسك وهو ضابط عراقي وصل منذ بضعة ايام الى المنطقة وعين رئيسا لاركان القوات العاملة في الجليل . فاعلم المقدم اديب الشيشكلي ان هناك سرية متطوعين على وشك الوصول الى الصفصاف . وان هذه السرية من المتطوعين الاردنيين وأن قائدها الملازم الاول عز الدين التل وهو ايضا ضابط اردني . فأعطى المقدم الشيشكلي تعليماته بأن توجه السرية الى قرية ميرون كما اوعز الى المقدم عامر حسك بالمجيء معنا الى ميرون ، وهناك انصرفت الى استطلاع عاجل لاماكن التمركز المؤقت للسرية التي لم تتأخر في الوصول ، وبعد اتمام توزيع السرية على مواضعها صعدت الى قرية ميرون وتقع على قمة عالية ومشرفة على مدينة صفد وعلى مستعمرة عين زيتيم القريبة من مدخل المدينة والمتحكمة بالطريق العام الموصل اليها . وأبلغت المقدم الشيشكلي بوصول السرية فطلب أن اظل وقادة الفصائل جاهزين للتحرك الى صفد لاجراء الاستطلاع الذي أخطرني به .

وقبل ظهر ذلك اليوم ١٩٤٨/٥/٨ وصلت سرية المتطوعين الاردنيين بقيادة الملازم الاول عز الدين التل وكانت تتألف من أربع فصائل كاملة . وكان تعدادها في حدود المائة والثلاثين مقاتلا . وقد ترجلت السرية في منطقة ميرون للاستراحة وانتظار الاوامر .

قرار القيام بالهجوم على الحي اليهودي وتصفية الموقف في المدينة :

وفي ميرون تداول المقدم اديب الشيشكلي والمقدم عامر حسك في الموقف وذلك بحضوري والملازم الاول عز الدين التل والملازم الاول فايز القصري . وانتهى ، بعد أن تيسرت لديه القوات المذكورة الى القرار الاتي : ــ القيام بهجوم من داخل صفد بالتعاون مع هجوم من خارجها على الحي اليهودي فيها لتصفية التهديد الذي كان يمثله . وفي نجاح هذه العملية يتحول الموقف القائم في منطقة الجليل كلها وتنتقل المبادأة الى يد العرب بعد أن كانت حتى ذاك التاريخ بيد العدو .

وقد يصبح ممكنا بعد ذلك عمل شيء مؤثر لانقاذ عكا(١) من الخطر الذي كان يتهددها بالاحتلال الكامل . ومن أجل نجاح عملية صفد الهجومية نسب المقدم اديب الشيشكلي : ــ ان تدخل السرية الاردنية التي يقودها الملازم عز الدين التل الى صفد بدلا من السرية العراقية التي كانت بقيادتي . والسبب في هذا التعديل هو تأمين أكبر قدر من التجانس بين الوحدات العاملة داخل المدينة ما دام موجودا فيها بالاصل سرية اردنية وقائد الحامية كلها ضابط اردني . ثم ان السرية الاردنية اكثر تعدادا وأكمل تسليحا من السرية العراقية .

وفي اليوم ذاته ٨ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ توجه المقدم الشيشكلي الى مدينة صفد عن طريق مركز بوليس الظاهرية(٢) واصطحب معه الملازم الاول عز الدين التل ومعظم قادة فصائل السرية الاردنية ليطلع على اخر تطورات الموقف وابلاغ قائد الحامية بقراره الاخير

---

١ ــ كانت حاميتها بقيادة الملازم عدنان مراد وتتألف من : فصيلتين من المتطوعين السوريين بقيادة المحامي خليل الكلاس ومن سرية من ست مصفحات من مخلفات الجيش الفرنسي مسلحة بمدافع ٣٧مم يقودها الملازم عدنان مراد . وغالبا ما كانت مهمة هذه السرية تأمين حماية القوافل .

٢ ــ غربي صفد ويقابل الجزء الجنوبي منها ويبعد عنها حوالى ٢٫٥ كيلومتر تقطع سيرا على الاقدام لعدم وجود طريق صالحة لمرور السيارات .

واعطائه اوامره المتعلقة بمهمته، واعطاء الملازم الاول التل الفرصة للقيام بالاستطلاعات الاولية التي تقتضيها مهمة سريته . وعاد المقدم الشيشكلي مع غروب ذلك اليوم الى ميرون ومعه بعض قادة الفصائل وبعض الادلاء ليساعدوا في عملية توجيه السرية وادخالها الى صفد بعد أن استبقى فيها قائد السرية . وتحركت السرية مع آخر ضوء الى مركز بوليس الظاهرية وتم ادخالها فصيلة بعد الاخرى الى المدينة مستخدمة الرواحل لنقل الذخيرة وبعض تجهيزات السرية . وهكذا كانت السرية بكاملها قبل فجر ٩ — ٥ — ١٩٤٨ داخل صفد وكان أمامها النهار كله لاستكمال استطلاعاتها وتلقي واجباتها حتى تبدأ مع اخر ضوء ذلك اليوم احتلال مراكزها الى جوار السرية الاردنية الثانية ضمن ترتيب الهجوم المقرر تنفيذه في الليلة ذاتها(١) (ليلة ١٠ — ٥ — ١٩٤٨) .

وكنت بعد أن استقر الرأي على ادخال سرية الملازم الاول عز الدين التل الى صفد قد تلقيت امرا بابقاء السرية في ميرون انتظارا للاوامر التفصيلية التي ستعطى لنا في اليوم التالي . مع اعطائي واجب يقتصر على حماية فصيلة المدفعية .

خطة الهجوم :

في صباح ٩ ايار (مايو) ١٩٤٨ استدعيت والملازم الاول فايز قصري الى قرية الصفصاف (مقر القيادة) وكان هنالك المقدم عامر حسك والملازم عبد الحميد السراج حيث اصدر المقدم اديب الشيشكلي تعليماته النهائية بقرار الهجوم على صفد . متضمنة ما يلي :

١ — **فكرة الهجوم** : القيام بهجوم من داخل صفد على الحي اليهودي فيها متعاونا مع هجوم من خارج المدينة هدفه الحي اليهودي ايضا بغرض احتلاله بعد القضاء على كل مقاومة فيه وتطهيره .

٢ — **الوسائط** : أ — **الوسائط المخصصة للهجوم من داخل المدينة :**

(١) **الوحدات المهاجمة :**

— السرية الاردنية التي يقودها الرئيس ساري الفنيش .

— السرية الاردنية التي يقودها الملازم الاول عز الدين التل .

— ما يعادل سرية من المقاومة الشعبية بقيادة صبحي الخضرا .

(٢) **الوحدات الثابتة كقاعدة للهجوم** (للمشاركة في الدعم الناري — تلقي الاخلاء — حماية ارتداد الوحدات المهاجمة في حالة فشل الهجوم) .

— سرية المتطوعين السوريين المتمركزة في العلقة بقيادة الملازم هشام العظم .

— بقية قوة المقاومة الشعبية (ما يعادل سرية تقريبا) .

(٣) **الدعم الناري** : يكون لفترة محدودة قبل انطلاق الهجوم . أما اثناء الهجوم فحسبما تسمح وسائل الاتصال بذلك . ويتألف هذا الدعم من :

— نيران فصيلة مدفعية الميدان بقيادة الملازم الاول فايز قصري .

— نيران الاسلحة الموجودة في القلعة وعلى المراكز الواقعة في متناولها .

(٤) **توزيع المهمات بالتفصيل** : من مسؤولية الرئيس ساري الفنيش قائد الحامية وقائد الهجوم داخل المدينة .

---

١ — رؤي ان يتم الهجوم دون تأخيره عن التاريخ المذكور اعلاه لمفاجأة العدو وعدم اتاحة الوقت له باستقدام قوات اضافية .

ب ــ **الوسائط المخصصة للهجوم من خارج المدينة :**

(١) **الوحدات المهاجمة :**

ــ سرية مصفحات(١) من ٦ مصفحات (بقيادة الملازم عبد الحميد السراج) .

ــ سرية مشاة بقيادة جادو عزالدين .

(٢) **الدعم الناري :**

ــ نيران فصيلة مدفعية الميدان (المكلفة بدعم الهجوم من داخل المدينة) ووفقا للتعليمات نفسها .

(٣) **توزيع المهمات :**

لسرية المصفحات :

ــ التقدم على طريق مستعمرة عين زيتيم ــ صفد .

ــ القضاء على المقاومات التي تعترض تقدم السرية وشق طريقها الى مدخل صفد بما أمكن من السرعة .

لسرية المشاة :

ــ الانطلاق من قاعدة هجومها (الهضبة شرق قرية ميرون والمطلة على مدخل صفد من جهة الحي اليهودي) .

ــ التقدم يمين سرية المصفحات مع عدم الاقتراب من مستعمرة عين زيتيم ــ تحاشيا لنيرانها كي لا تتأخر حركة السرية الى هدفها الرئيسي .

ــ دخول الحي اليهودي والقضاء على كل مقاومة بالتعاون مع سرية المصفحات .

ــ تحقيق الاتصال والتعاون مع القوات المهاجمة من الداخل .

٣ ــ **تاريخ الهجوم : يوم ١٠ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ :**

٤ ــ **ساعة الصفر** : لجميع الوحدات المهاجمة الساعة ٤٣٠ . (أول ضوء) ما عدا سرية المشاة المتقدمة من شرقي قرية ميرون فقد كانت ساعة الصفر بالنسبة لها الساعة ٤٠٠ . لتكون مع اول ضوء على مقربة من هدفها لان المسافة بين خط انطلاق السرية وتخوم الحي اليهودي حوالي ٢٫٥ كيلو متر .

وقد قامت فصيلة المدفعية عصر يوم ٩ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ باحكام رماياتها على عدة نقاط من الحي اليهودي تسهيلا لعمليات الدعم التي قد تطلب منها أثناء الهجوم .

تطورات الاحداث وسقوط المدينة المفاجيء بيد اليهود :

ظل المقدم أديب الشيشكلي طوال يوم ٩ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ يتتبع الوضع في صفد مستعلما عن مدى تنفيذ تعليماته الخاصة بالهجوم ومؤكدا على دقتها ؛ ومهتما بمعرفة أية معلومات عن تعزيزات معادية للمدينة . ومع أخر ضوء هذا اليوم بدأت سريتا المشاة والمصفحات الموجودتين في ميرون باحتلال قاعدتي هجومهما .

ــ سرية المشاة في الهضبة الواقعة شرقي ميرون وخلف خط تبدل الانحدار المطل على صفد .

---

١ ــ هي السرية ذاتها الموجودة في عكا . فلقد تم استقدامها للاشتراك في الهجوم واسندت قيادتها الى الملازم عبد الحميد السراج .

ـ سرية المصفحات : الى يسار (شمال) سرية المشاة وعلى طرفي طريق مستعمرة عين زيتيم ـ صفد .

ـ فصيلة المدفعية : في مرابضها غربي الطريق العام المار شرقي ميرون .

ومر المقدم الشيشكلي على هذه الوحدات بعد انتشارها والتقى بقادتها وعاد ليظل على اتصال مستمر بصفد ومتتبعا الوضع داخلها .

وفي الساعة العاشرة مساء من ليلة ١٠ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ بدأت الاشتباكات في صفد وقد كان مقدرا ان يقوم الاسرائيليون مثل كل ليلة بمحاولات هجومية على بعض المراكز العربية وخاصة القلعة ولكن الاطمئنان كان كبيرا الى أن هذه الهجمات ستتكسر وترتد بعد الوضع الجديد لحامية المدينة .

ونظرا لاننا كنا خارج المدينة وفي اماكن مشرفة عليها وقريبة منها فقد كنا نلاحظ المعركة بمجملها ونراها بصورة شاملة . وبعد أقل من ساعة اتسعت الاشتباكات حتى شملت كل المواقع العربية وبدا القتال عنيفا لكثافة النيران المتبادلة . وحوالي الساعة الثانية عشر ليلا بدأ العدو بقصف مواقعنا بالهاون وبراجمات الالغام التي استعملها لاول مرة تلك الليلة وقد اتضح بعد انتهاء القتال انه كان لها تأثير سيء للغاية على معنويات المدافعين . وقرابة الساعة الواحدة من صباح تلك الليلة (ليلة ١٠ ـ ٥ ـ ١٩٤٨) هدأت الانفجارات وخفت حدة الاشتباكات مع استمرار تبادل النيران بصورة متقطعة .

وحوالي الساعة الثانية والنصف صباحا جاءني مراسل من المقدم اديب الشيشكلي يستدعيني اليه ويرشدني الى مكانه على الطريق العام قريبا من فصيلة المدفعية حيث وجدت ايضا الملازم الاول فايز قصري والملازم عبد الحميد السراج . وكان المقدم الشيشكلي في غاية الالم والتأثر يحاول جهده ان يتمالك نفسه . فأعلمنا بأن مدينة صفد سقطت بيد العدو . واعتذر ساعتها عن ان يتكلم عن كيفية سقوطها واكتفى بابلاغنا ايقاف عملية الهجوم مع اضافة التعليمات التالية :

ـ تكلف مجموعة ميرون (المشاة ـ المصفحات ـ المدفعية) بتأمين الحماية للنازحين من أهالي صفد خشية أن يقوم العدو بعملية ملاحقة للمدنيين .

ـ من أجل تنفيذ هذه المهمة تعدل سرية المشاة تمركزها الى موقع يشرف على الوادي الممتد بين مركز بوليس الظاهرية ومدخل صفد من الجنوب (طريق الانسحاب) .

ـ تبقى سرية المصفحات وفصيلة المدفعية في اماكنهما جاهزتين لتنفيذ اية اوامر بشأن هذه المهمة . ومع اول ضوء بدأت سرية المشاة تعديل وضعها وكانت قبل شروق الشمس في مراكزها الجديدة .

لقد كان سقوط صفد بيد العدو نكسة كبيرة ذات اصداء واسعة وآثار سيئة على المعنويات بالنسبة للفلسطينيين ولقوات الانقاذ وبالنسبة للعرب جميعا . وكان منظر الاف النازحين من نساء واطفال وشيوخ مؤلما ومحزنا . وكان منظر الكثيرين من شباب صفد المنسحبين بسلاحهم واحزمتهم ملأى بالذخيرة مثيرا للتساؤل وباعثا على اليأس . واستمر هذا السيل المتدفق بمناظره القاسية من فجر ١٠ ـ ٥ ـ ١٩٤٨ حتى مسائه .

وبعد ظهر ذلك اليوم اعطى المقدم اديب الشيشكلي اوامره الى مجموعة ميرون بالانسحاب الى الاماكن التالية وبالترتيب التالي :

١ ـ فصيلة المدفعية تنسحب الى منطقة قدس ـ المالكية . وتتمركز قريبا من مدخل قدس من جهة المالكية .

٢ ـ سرية المصفحات تنسحب الى المالكية .

٣ ــ سرية المشاة تنسحب الى قرية قدس ولكنها لا تنفك عن مواقعها الا بعد حلـــول الظلام تماما فتتحرك بعدئذ الى مركزي بوليس سعسع واقرت لاخذ عناصرها التي كانت لا تزال في هذين المركزين ثم تلتحق بقدس على ان تبلغها قبل أول ضوء من يوم ١١ ايار (مايو) ١٩٤٨ .

وبما ان حركة السرية كانت اثناء الليل فقد تصور بعض المجاهدين في منطقة سعسع ، نتيجة للهزة المعنوية التي خلفها سقوط صفد ، أن هذه الاليات المتحركة ليلا انما هي قوة اسرائيلية فنصبوا لها كمينا كاد يقضي على السرية لولا ان أمكن التعارف بكثير من المشقة قبل اطلاق النار .

وبلغت السرية قرية قدس مع الفجر وتمركزت فيهـــا وقامت بالدفاع عنهـــا عندما شن الاسرائيليون هجومهم على المالكية وقدس ليلة دخول الجيوش العربية فلسطين في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، وتركت هذه السرية على ارض قرية قدس في ذاك اليوم سبعة قتلى احدهم ضابط واحد عشر جريحا .

اسباب سقوط صفد :

كان الامل كبيرا في نجاح الهجوم العربي وتحقيق السيطرة الكاملة على هذه المدينة ولم يكن باقيا على ذلك الا ساعـــات قليلة . غير ان الاسرائيليين كـــانوا اسبق بالهجـــوم واستطاعوا انتزاع المدينة من أيدي المدافعين عنها واحتلالهـــا بالكامل . وليس سهلا معرفة الاسباب التي أدت الى تلـــك المأساة . ولكـــن وفقا لما افصح عنه المقدم اديب الشيشكلي فيما بعد وما ذكره بعض الذين كانوا داخل المدينة ليلة المعركة يمكن ان نعزو سقوط المدينة الى الاسباب التالية :

١ ــ شعور الاسرائيليين بالتعزيزات العربية التي وصلت الى منطقة صفد . واستقدامهم تعزيزات من جانبهم وسبقهم بالهجوم على المدينة واحتلالها .

٢ ــ استهتار قائد حامية المدينة ــ الرئيس ساري الفنيش ــ وعدم شعوره بواجبه ، وعدم تقديره لمسؤوليته . وكان هذا يتمثل بغيابه المتكرر عن المدينة دون العودة للقيادة المرتبط بها .

٣ ــ تبني قائد الحامية فكرة عدم جدوى الاستمرار في الدفاع ومناداته بذلك بين الضباط والجنود واهالي المدينة دون ان يلقى حسابا على هذا السلوك الانهزامي .

٤ ــ تجاهله كـــل الاوامر المعطاة له بشأن الهجـــوم المقرر تنفيذه داخـــل المدينة ليلة ١٠ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ . وعدم تنفيذه للتعليمات المتعلقة بذلك . وقد اتضحت بعد ايام من سقوط المدينة الحوادث التالية :

ــ عدم قيامه بتعديل التمركز وفقا لتعليمات الهجوم وبروح الحرص على انجاحه .

ــ قيامه ليلة ١٠ ــ ٥ ــ ١٩٤٨ بعملية تبديل سريته وتسليم جميع مراكزها الى سرية الملازم الاول عزالدين التل بتعليمات دفاعية . وهذا مخالف لما حددته واجبات الهجوم .

ــ قيامه بسحب سريته الى جنوب صفد بدلا من تعديل تمركزها وفقـــا لترتيب الهجوم المقرر لتقوم بتنفيذ الواجبات المحددة لها فيه .

ــ عندما قام الاسرائيليون بهجومهم على مواقع سرية الملازم الاول عز الدين التل (التي لم تكن قد ألفت القتال) لم تستطع الصمود للصدمة وتراجع جنودها دون انتظام . ولم يبادر الرئيس ساري الفنيش وهو المسؤول الاول عن صفد الى نجدة سرية عز الدين التل او التدخل بسريته المجتمعة لوقف الهجوم المعادي . بل سحب جنوده وترك المدينة دون أمر وتابع انسحابه الى دمشق دون ان يعلم احد بشيء مما اقدم عليه .

وكـــان أول اشعار تلقاه المقـــدم أديب الشيشكلي عن سقوط صفد من حـــامية القلعة (المزودة بلاسلكي) والتي كانت تقاوم الهجوم عليها بثبات .

٥ ــ كـــان لسقوط بعض الدفاعات بيد العدو أثـــر معنوي سيىء وسريع السريان بين الاهلين، ولما شاع ايضا ان الرئيس ساري الفنيش قائد الحامية انسحب هو وجنوده وتخلى عن المدينة ، ضعفت روح المقاومة عند المتطوعين المدنيين من السكان وبـــدأوا يتخلون عن مراكزهم . ودبت روح الفوضى وبدأت عملية النزوح القاسية . ولـــو ان المقاومة الشعبية تشبثت بمواقعها ودافعت عنها باصرار ربما أمكن وقف تقـــدم العدو وحصره في أضيق الحدود ، وربما امكن في اليوم التالي اعادة الوضع الى ما كان عليه . خاصة وأن القلعة بقيت صامدة ولم تتلق حاميتها امرا بالانسحـــاب الا بعد ان تبين ان الموقف يائس بلا أمل .

وترددت في ذلك الحين شائعة تقول ان انسحاب ساري الفنيش من صفـــد انما كان بالامـــر . وفقا للرواية التي قالت انه بتاريـــخ ٩ ايار (مايو) ١٩٤٨ وهو اليوم التالي لزيارة المقدم أديب الشيشكلي الى صفد وادخالـــه سرية عز الدين التل اليها واعطائه تعليمات الهجوم ، ذهب الملازم اميل جميعان معاون الرئيس ساري الفنيش الى بيروت وعاد في اليوم نفسه الى صفد ومعه برقية من جهة اردنية (لم تحدد) فيهـــا التعليمات التي تصرف الرئيس ساري الفنيش بموجبها .

والجدير بالذكر أنه تم القبض على الرئيس ساري الفنيش فور وصوله لدمشق وأودع سجن المزة ليقدم للمحاكمة باعتباره المسؤول عن هزيمة صفد وسقوطها . الا انه لم يبق طويلا في السجن ولم يقدم للمحاكمة !!

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب باللغة الانجليزية بعنوان

غسان كنفاني

بقـــلم

آني كنفـــاني

اربعون صفحة مدعومة بالصور عن حياة الشهيد غسان كنفاني : غسان المناضل ، غسان الاب والزوج والكاتب والفنـــان .

اطلب الكتاب من : قسم التوزيع في مركز الابحاث الفلسطيني ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت

سعر النسخة ليرتان لبنانيتان
تضاف اليها اجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي،
٢٠٠ ق.ل. في اوروبة ، ٤٠٠ ق.ل. في العالم الغربي .

فلسطينيون يتكلمون : القتال في سبيل البروة

نافذ يوسف عبدالله

لقد رفضنا ان نستسلم ويلحق بنا العار امام اخواننا العرب الذيـن كنا نثق بانهم سيحررون قريتنا .

البروة قرية فلسطينية على طريق عكا ــ صفد ، وتقع على بعد ١٠ كلم شرقي مدينة عكا . كان عدد سكانها في اواسط الاربعينات ١٤٦٠ عربيا ومساحتها ١٣٥٤٢ دونما يمتلك منها المسلمون والمسيحيون العرب ١٢٩٣٩ دونما ، بينما يمتلك اليهود ٥٤٦ دونما ، و٥٧ دونما املاك عامة(١) .

كان معظم اهالي البروة مزارعين يحرثون ارضهم . وكانت هذه القرية ، مثل معظم القرى الفلسطينية ، مستقلة تقريبا وتتمتع باكتفاء ذاتي . ورغم أن فائض المحصول كان يرسل الى مدينتي عكا وحيفا ، فان عددا قليلا من اهالي القرية كان يجد ما يدعوه لمغادرة قريته . فالسفر كان نادرا وكان اذا تم فانما لهدف ، أي يكون المسافر « قاصدا او خاطرا » . ولم يكن السفر لحب الاستطلاع أبدا .

تتبع اهالي البروة انباء الحرب عام ١٩٤٨ بقلق . فقد سمعوا باحتلال اليهود لطبريا وحيفا وصفد عبر جهاز راديو يملكه حسن درويش ، مختار القرية . كما سمعوا من اهالي قرية تمره ان « اليهود كانوا شريرين يسيئون معاملة الكهول والنساء والاطفال ... وانهم قتلوا امرأة وطفلها من قريتهم » . وحالا قفزت مذبحة دير ياسين الى اذهانهم .

في ١٨ أيار ١٩٤٨ سقطت مدينة عكا في أيدي اليهود . وعلى اثر ذلك سقطت القرى التي تقع شمال ــ غرب قرية البروة وهي : المكر ، جديدة ، جوليس ، كفر ياسيف ، وابو سنان . واصبح الخطر يتهدد قرية البروة فأرسل اهلها وفدا الى القرى المجاورة ــ وهي شعب، ميعار ، مجد الكروم، البعنه ، دير الاسد ، والنهر ــ لاخبارها بالخطر المقبل واقتراح انشاء خط دفاعي موحد لمجابهة الهجوم الاسرائيلي الذي لن يتقدم ما لم تسقط البروة . وقد رفضت القرى المجاورة الخطة المقترحة تاركة لكل قرية مسؤولية الدفاع عن نفسها . وفي نفس الوقت استقبلت البروة وفدا درزيا من القرى التي استسلمت لارسلته اسرائيل لكي يقنع سكان البروة بالاستسلام وتجنب الهجوم الاسرائيلي وما سينتج عنه من دمار حتمي . ولم يستطع اهل البروة التوصل الى اجماع حول الامر لان ولاءاتهم كانت موزعة بين عائلات درويش وسعد والكيال . كان بعضهم يخشى من تفوق قوة العدو وكان بعضهم الاخر يرفض الاستسلام ويرغب في القتال حتى الموت .

لم يكن أهل البروة مهيئين للصمود أمام هجوم اسرائيلي . وكانت قوتهم تقدر بأربعين من رجال الميليشيا(٢) المسلحين بأنواع مختلفة من البنادق ورشاش واحد . وكان لدى كل رجل منهم ما بين ثلاثين وخمسين رصاصة كان قد ابتاعها حسب مقدرته المالية(٣) .

وقد استعد أهل البروة لمواجهة الهجوم الاسرائيلي باخراج الكهول والنساء والاطفال من القرية . مثلا ، قام الحاج علي فياض باخراج عائلته من القرية في ٢٣ أيار ونقلهم الى قرية البعنه التي تبعد عشرة كيلومترات الى الشرق . وقام عبد حسين بشر بارسال احدى زوجتيه مع ستة من اولاده الى بيروت في ٢٤ أيار ، ثم أرسل خلفها زوجته الثانية مع اربعة من اولاده بعد أسبوع واحد . وقام محمود سعد بارسال عائلته الى البعنه في ١ حزيران ، بينما ارسل نجيب سعد عائلته في ٦ حزيران . وقد بقي في القرية ٣٠ ــ ٤٠ رجلا مسلحا ، بينما تجمع حوالي ٤٥ كهلا مسلما ومسيحيا في كنيسة القرية مع الاب جبران .

بعد ظهر العاشر من حزيران تقدمت ثلاث سيارات مصفحة اسرائيلية باتجاه البروة من الغرب . وعندما اقتربت من القرية اخذ القرويون يطلقون عليها النار . وقد ظن الاسرائيليون في بادىء الامر ان القرويين يطلقون النار احتفالا بدخولهم القرية . ولكنهم ادركوا مع استمرار اطلاق النار ان النار موجهة نحوهم فتراجعوا . وعند المغيب في نفس اليوم عاد الاسرائيليون ، الذين يقدر عددهم بـ ١٠٠ ــ ١٢٠ رجلا ، الى القرية بسياراتهم المصفحة وسيارات الجيب . ولم يستطع القرويون ايقافهم سوى فترة قصيرة « لقد نفدت ذخيرتنا ولم نعرف ماذا نفعل . وبدأ رجالنا بالتراجع فرادى باتجاه الشرق »(٤) .

وقد تبع الاسرائيليون على اطراف القرية طوال الليل . وفي فجر ١١ حزيران ، قبل اقرار اول هدنة من قبل الامم المتحدة ، دخل الاسرائيليون القرية واحتلوها(٥) .

ترك الرجال الذين كانوا يدافعون عن البروة كل شيء وانسحبوا للالتحاق بعائلاتهم في مجد الكروم وشعب والبعنه وغيرها . ولم يكونوا يتوقعون احتلالا اسرائيليا طويلا لقريتهم . فقد قال الحاج علي فياض : « لقد تركنا بيوتنا مفتوحة وحقولنا بدون حصاد . كان لنا امل كبير في العودة بمساعدة اخواننا في جيش الانقاذ العربي الذين كانوا يتمركزون في « تل ــ الليبات » على بعد ستة كيلومترات شرقي البروة » .

وقد ظل اهالي البروة خارج قريتهم ثلاثة عشر يوما تقريبا . وقد اعتمدوا في هذه الاثناء على حسن ضيافة القرى الاخرى . وقد ارسل الاسرائيليون الاب جبران لزيارتهم والطلب اليهم ان يستسلموا ويعودوا لبيوتهم . وقد رفض كل أهل القرية تقريبا ذلك العرض الاسرائيلي لانهم ادركوا انه خدعة . كانوا لا يثقون بالاسرائيليين ويفتخرون بمقاومتهم لهم . ومن الاسباب الاخرى لرفضهم الاستسلام خشيتهم من ان تعيب القرى الاخرى عليهم استسلامهم بعد أن يحرر العرب فلسطين .

وفي صبيحة ٢٣ حزيران قرر اهالي البروة استعادة قريتهم لكي يتمكنوا من حصد حقولهم . وقد انتشرت انباء خطتهم هذه في كافة القرى المجاورة . وقد اجتمع اهالي البروة في « تل ــ الليبات » وكانوا ، طبقا لقول شهود عيان ، اكثر من مئتي رجل وامرأة مستعدين للقتال من اجل قريتهم ومحصولهم . كان ٩٩ رجلا منهم تقريبا مسلحين بالبنادق المختلفة ولدى كل واحد منهم ٣٠ ــ ٤٥ طلقة ذخيرة .

وقد قال جاسم ، الضابط العراقي المسؤول عن جيش الانقاذ العربي المرابط في « تل ــ الليبات » ، للقرويين انه غير قادر على مساعدتهم لان لا أوامر لديه بذلك ، لكنه أعطاهم بعض الطلقات اثناء هجومهم عبر خطوط جيش الانقاذ العربي باتجاه القرية وهم يصرخون الله اكبر(٦) .

وقد تابع القرويون هجومهم واجبروا الاسرائيليين على التراجع الى تلة كيسان والى منطقة أبو لبن على بعد نصف كيلو متر غربي البروة(٧) . وقد خلف الاسرائيليون وراءهم في البروة ثلاثة رشاشات ثقيلة مثبتة ، وتركوا في زيتون دار سعد سبع حاصدات

ميكانيكية استعملوها لحصاد قمح القرية ، وتركوا أيضا بضع أكياس من القمح . وقد وجد القرويون في بيت احمد اسماعيل سعد وعبد درويش (حيث كان الاسرائيليون يمكثون) اكياسا مملوءة بثياب زوجاتهم وثيابهم ، ووجدوا ٢٠ — ٣٠ فنجان شاي ساخن ، ومأكولات معلبة ، وكمية كبيرة من السكر والشاي والقهوة .

وقد سر اهل البروة لوجود القمح المحصود والمعبأ في اكياس ، وسارعوا الى نقله الى بيوتهم . وقد قال نجيب سعد : « لقد عدنا الى القرية لاننا كنا جائعين . كنا كل عام ننتظر وقت الحصاد بفارغ الصبر . فكيف كنا سنترك ما زرعناه للاسرائيليين ؟ لقد حاولنا نقل الحاصدات الميكانيكية الى القرية لكن الاسرائيليين المتمركزين غربي القرية اخذوا يطلقون النار علينا واجبرونا على ترك الحاصدات في مكانها » .

وقد ظل اهل البروة مدة يومين في قريتهم . وقد قال لي شهود عيان ان اربعة ممثلين عن الامم المتحدة حضروا يوم ٢٣ حزيران الى القرية وهم يحملون الاعلام البيضاء . وقد تحدثوا الى سليم أسعد العبد الله ، وموسى حوراني ، واحمد أسعد وهم رجال شرطة سابقون أيام الانتداب البريطاني . وقد طلب ممثلو الامم المتحدة ان يقابلوا قائد رجال الميليشيا الذي قاد الهجوم اثناء الهدنة . « وقد ضحكنا ... واخبرناهم انه ليس لنا اي قائد ... وان هذه قريتنا وقد عدنا لحصاد محاصيلنا واستعادة قريتنا من الغزاة الاسرائيليين . وقد أرادوا ان يمروا عبر قريتنا لكي يقابلوا قائد جيش الانقاذ العربي في تل — الليبات ، لكننا لم نسمح لهم بذلك لاننا لم نثق بهم » .

وفي ٢٤ حزيران دخل حوالي ١٠٠ رجل من جيش الانقاذ العربي قرية البروة . وقاموا اثناء تقدمهم بقصف المواقع الاسرائيلية غرب القرية . « كنا سعيدين وفخورين الى أبعد الحدود لان اخواننا العرب قد هبوا لمساعدتنا . وكنا واثقين من انهم لن يتخلوا عنا . كنا متعبين وكادت ذخيرتنا تنفد . كانت القوات العربية بقيادة الضابط جاسم وضابط لبناني يدعى مهدي . وكانت لديهم اسلحة حديثة » .

وقد اثنى الضابط مهدي على شجاعة أهل القرية وصمودهم وردد عليهم قوله « الله يعطيكم العافية » ، ثم طلب منهم ان يعودوا الى عائلاتهم في القرى المجاورة ويأخذوا قسطا من الراحة . « لقد كنا نعتقد انه كان صادقا ومخلصا في قوله وبذلك ائتمنا القوات العربية على قريتنا » .

وفي مساء اليوم نفسه سمع القرويون اطلاق نار في القرية. وقد قال محمود سعد : « لقد اردنا العودة الى القرية ولكن بعضنا كان يثق باخواننا العرب المسلحين تسليحا جيدا وبقدرتهم على صد الهجوم . كنا نثق فيهم الى درجة جعلتنا نؤمن بانهم سينقلون المعركة الى عكا ويستعيدونها . ولكن خلال فترة قصيرة رأيناهم يتراجعون عن القرية . لم نصدق اعيننا . لقد جاءوا لمساعدتنا وحمايتنا لكنهم قاموا بدلا من ذلك بتسليم القرية الى الاسرائيليين » .

بقي اهالي البروة في القرى المجاورة . وقد ظل نجيب سعد وزوجته واولاده على اطراف قريتهم مدة اسبوع قبل ان يقرروا الرحيل شمالا الى لبنان . وقد عارضت زوجته الذهاب الى لبنان بشدة على أمل العودة القريبة الى قريتهم . وقد انتظر عدد صغير من اهالي القرية مدة طويلة قبل ان يقرروا الرحيل شمالا . فقد مكث الحاج علي فياض ، مثلا ، مدة شهر في البعنه بعد سقوط قريته للمرة الثانية : وعندما يئس من استعادتها رحل الى لبنان . أما طريق النزوح الذي اتبعه القرويون فكان الى الشرق من البعنه ثم الى الشمال عبر دير الاسد ، كسرا ، كفر سميع ، سحماتا ، دير القاسي ، رميش ، وبنت جبيل .

وقد تمكن بعض القرويين من التسلل الى قريتهم من أجل « سرقة » بعض متاعهم

وممتلكاتهم الشخصية من بيوتهم . وقال نجيب سعد : « لقد وصلنا الى لبنان ولم تكن الحياة كما توقعنا . كانت احوالنا سيئة . لم يكن لدينا ما نعيش عليه . وقد يئست وقررت ذات ليلة ان اترك عائلتي واعود الى قريتي لكي احضر بعض الاموال التي كنت قد دفنتها في أرضي خارج منزلي قبل وقوع الهجوم الاسرائيلي . ولم اتمكن من الوصول الى قريتي . فقد قبض علي واودعت سجنا اسرائيليا . لم أبق طويلا في السجن . فقد جمعنا الاسرائيليون ذات يوم وعصبوا عيوننا ثم وضعونا في شاحنة واخذونا الى حدود غزة . وقد ضربنا الاسرائيليون ونحن في طريقنا ونحن في الشاحنة وانتزعوا ساعاتنا وخواتمنا . وعندما وصلنا الى حدود غزة جمعنا الاسرائيليون مرة اخرى واختاروا رجلا بطريقة عشوائية ثم اطلقوا الرصاص عليه وقتلوه امامنا . وبعد ذلك امرونا بالركض بأسرع ما يمكننا الى الناحية الاخرى من الحدود دون ان ننظر خلفنا . وبينما كانوا يطلقون النار في الهواء ركضت كما لم اركض من قبل . وقد اشتغلت في غزة فترة قصيرة وجمعت بعض الفلوس ثم سافرت الى لبنان للانضمام الى عائلتي » .

اعلن الاسرائيليون ، عام ١٩٥٠ ، وطبقا للمادة ١٢٥ من « قوانين الدفاع » التي سنت عام ١٩٤٥ ، قرية البروة منطقة « مغلقة » لاسباب أمنية . وقد سن هذا القانون لمنع عرب فلسطين من العودة الى وطنهم ، حتى بالوسائل الشرعية ، ولاجبارهم على قبول التعويض المالي بدلا من وطنهم . [لمزيد من التفصيل راجع : صبري جريس ، **العرب في اسرائيل** ، مركز الابحاث] .

لقد قام الحاج علي فياض بزيارة قريته البروة ١٩٧٢ . ووصف زيارته بقوله : « لقد زرت اختي في البروة . وعندما وصلت لم اجد قرية البروة . فقد ازالها الاسرائيليون ونقلوا العدد القليل من اهلها الذين لم يغادروها عام ١٩٤٨ الى قرى اخرى . وقد بنى اليهود قرية جديدة مكان قريتنا . وقد أجبرت اختي على ترك منزلها وقريتها وهي تعيش حاليا في قرية البعنه » . [بنى الاسرائيليون موشاف احيهود مكان قرية البروة] .

---

١ — جرى تقدير عدد السكان في ٣١ كانون الثاني ١٩٤٤ ، وملكية الارض في نيسان ١٩٤٥ . سامي هداوي ، **احصاءات الاراضي والملكية في فلسطين (١٩٤٥)** (بيروت ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧٠) ص ٤٠ .

٢ — كان عدد قليل من هؤلاء مدربا تدريبا عسكريا وقد تلقوا تدريبهم ، كاعضاء في قوة الحدود (الزنار الاحمر) أو كأعضاء في البوليس الفلسطيني .وكان من بينهم : سليم سعد ، يوسف كيال ، محمد اسماعيل الشيخ خليل ، مصطفى محمود ميعاري ، نجيب سعد ، محمود جودة ، حسن محمد ، حسن صافية ، صالح ميعاري ، سليم أسعد العبد الله ، موسى الحوراني ، وأحمد سعد .

٣ — كان القرويون مضطرين الى شراء بنادقهم وذخيرتهم . وكانت البندقية تكلف ما بين ١٠٠ و ١٢٠ جنيها فلسطينيا ، بينما كان ثمن الرصاصة عشرة قروش فلسطينية . وقد باع العديد من القرويين ماشيتهم او ارضهم او حلى زوجاتهم لكي يشتروا بندقية يدافعون بها عن أنفسهم وعائلاتهم .

٤ — كان من بين الشهداء : علي حسين جودة ، علي محمد يونس ، احمد محمود نجم ، محمد طه عيشان ، نمر مصطفى سعد ، وفاطمة نجم. ومن بين الجرحى : محمد علي يوسف حسين ، محمد علي عيشان ، وعلي حسيان .

٥ — اشار عارف العارف الى ان البروة سقطت يوم ٢٣ ايار (**النكبة** ، ١٩٦٤ ، الجزء الثاني، ص ٤٢٥) .

٦ — قال لي شهود عيان ان ١١ متطوعا فلسطينيا في جيش الانقاذ ، من قرية عقربة هجروا وحدتهم وانضموا الى القرويين في محاولتهم لاستعادة القرية .

٧ — من بين الذين استشهدوا : جميلة محمد الخسمية ، محمد سعيد (سخنين) ، فرج اسماعيل عبد الله (مجد الكروم) ، صالح رباح (دير الاسد) ، رضوان عودة ولبيبة الرضوان . ومن بين الجرحى : صالح الدوخي، احمد العيسى ، وقاسم الحلو .

من ذكريات ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ :
هكذا كنا نجمع السلاح

عبد الرحمن علي
و
عبدالله مهنا

عقد مراسل شؤون فلسطينية في القاهرة جلسة مع كل من الاخ عبدالرحمن علي (من لفتا) وعبدالله مهنا (من المسمية الكبيرة) ، رويا له فيها كيف كانت تتم عمليات شراء الاسلحة للمناضلين الفلسطينيين في جهاد ١٩٤٨ .

الجلسة الاولى مع عبد الرحمن علي

في اواخر عام ١٩٤٦ زرت مصر للسلام على الحاج امين الحسيني والشهيد عبد القادر الحسيني ، وتهنئتهما بسلامة الوصول الى مصر . وكان الحاج امين مقيما في الاسكندرية بسيدي جابر ، في حين كان الشهيد عبد القادر يقيم في شارع منية السيرج بحي شبرا بالقاهرة . وقد حضر معي من فلسطين الاخوة : خليل منون (من عين كارم) محمد رشيد ابو خضير (من شعفاط) وآخرون . وقد سألنا الحاج امين عما اذا كان لدى الناس والمجاهدين أسلحة .

وأذكر أن البندقية كانت تساوي في فلسطين حينذاك ٢٥ جنيها .

وقد زرت الشهيد عبد القادر ثم عدت الى لفتا ، بعد أن مكثنا في مصر قرابة اسبوع . وفي ٦ شباط (فبراير) ١٩٤٧ عدت لزيارة مصر ، بمناسبة « عيد الشعلة » في مصر ، كما حضر نفس الاشخاص الذين كانوا قد أتوا معي في الزيارة الاولى. وقد حضرت بعض فرق « النجادة » و« الفتوة » ، وخيمنا جميعا في المعرض الزراعي الصناعي بالجزيرة . واخذت النجادة والفتوة في الاتصال بالحاج أمين ، الذي سعى بدوره للتوفيق بين الفريقين المذكورين .

وعلمت ان الشهيد عبدالقادر كان قد اخذ في شراء وجمع الاسلحة من مصر .

وقد كلفني عبد القادر والمفتي بالبقاء في مصر للقيام بشراء الاسلحة ، ووافقت .

ووجدت عند الشهيد عبد القادر سيارة « ستيشن واجن » ، كان يقودها اخ سوداني اسمه محمود دياب ، وقد طلب مني الشهيد عبد القادر مصاحبة محمود دياب الى الاسكندرية ، وفعلا رافقته اليها حيث عدنا للقاهرة بعد أن اشترى محمود مسدسين . وكان محمود هذا طالبا في الطيران المدني . ودلوني على منطقة « ابو رواش » قرب هرم سقارة ، باعتبارها منطقة سلاح ، وفعلا ذهبت للشخص الذي دلوني عليه ، فوجدت عنده اربع او خمس بنادق ، فأخذناها وعدنا . ولم تكن البنادق حديثة ، وكانت اسعارها تتراوح بين ٧ و ١٠ جنيهات .

وقد سألت البدوي الذي باعنا هذه البنادق عن مصدر السلاح ، فدلنا بدوره على مناطق « حوش عيسى » و« أبو المطامير » عند كوبري العبد بمحافظة البحيرة ، كما دلنا على « فاقوس » غرب مدينة الزقازيق ، والتي يحضر اهلها الاسلحـــة من الجنود الانجليز الموجودين في معسكرات فايد وما جاورها .

وتوجهنا ، أنا وخليل العوري (من بيت عور) الى فاقوس ، الا اننا لم نعثر على أسلحة، واستمهلنا الرجل الذي سألناه بضعة أيام ، فتركنا الاخ خليل عنده وعدنا ، محمود دياب وأنا ، الى القاهرة .

وتأخر خليل اربعة أيام ، ثم أبلغني بالتليفون في كابسيس هاوس ، حيث انزل ، بأنه موجود عند شخص يدعى عوض الجهمي في « أبو المطامير » عند كوبري العبد . وكان محمود دياب قد ذهب لشراء اسلحة من سوداني آخر . فاصطحبت سائقا مصريا اسمه كامل كان قد احضره محمود للعمل معنا ، وذهبت انا وكامل ، الى كوبري العبد ، حيث الفينا خليل العوري عند عوض الجهمي وقد اشترى بعض البنادق والذخيرة . فأخذنـــا الاسلحة المشتراة ، وعدنا الى القاهرة ، في حين استمر خليل مقيما عند عوض الجهمي. وقد سألنا عوض وبعض أصحابه عن مصدر السلاح فأخبرونا بأنها الصحراء الغربية .

وفكرت في أن يصاحبنا ضابط مصري في تنقلاتنا ، للامان . وكنا قد تعرفنا على « محمد بك نصير » عضو مجلس النواب المصري ، وهو من جمجرة ، وتعرف هو بدوره علـــى الشهيد عبد القادر . وقدم لنا نصير بك اليوزباشي جلال حسن ندا ، من بنها ، (اصيب فيما بعد في عراق سويدان بفلسطين) لمصاحبتنا وتأمين تنقلاتنا . وأخذ جلال يصاحب سيارتنا من كوبري العبد حيث كانت تنقل السلاح الى القاهرة . في حين كان الشهيـــد عبد القادر يستلمها ويخزنها في اماكن لم نكن نعرفها حتى ذلك الوقت . وكـــان حجـــم الاسلحة المشتراة هنا قليلا ، مجرد عشرات قليلة .

وظلت الامور تسير على ما يرام ، الى ان فوجئنا بخفراء عزبـــة البستـــان يعترضون الطريق التي كنا نمر منها بخشبة كبيرة ، وكان امر شرائنا الاسلحة قد شاع ، ووصل الى اسماع حكمدار دمنهور « محمد بك مصطفى » .

وقررت أن أواجه الامور بنفسي ، فانتقلت الى عزبة البستان ، ومعي كامل ، ودخلت الى عمدتها « أحمد اسماعيل علي » ، ورفضت شرب القهوة عندما قدمها لي ، واشترطت عليه أن يعرفني . وقلت للعمدة « أنا الفلسطيني اللي بتفتشوا عليه ، وأنا بدافع عن بيت الله والمسجد الاقصى ، اللي ماليش فيه اكثر منك ، خذني وسلمني اذا كنت تريد الدنيا » . وأفهمت العمدة اننا نعمل سرا ، وانه سيأتي اليوم الذي نعمل فيه علنـــا . فبكى العمدة ، ووافق على تسهيل مهمتنا . وافهمته أن هناك صهيونيين يشترون سلاحا مثلنا ، اما سيارتانا فقد أعطيته رقميهما ، حتى يسهل لهما مهمتهما .

وكان الحاج امين قد انتقل الى القاهرة قبل عودتي لزيارة مصر في المرة الثانية ، حيث أقام فيشارع الكمال بحلمية الزيتون . وقد زاره عمدة البستان ، وبعد مدة تبرع لنـــا العمدة نفسه بخمسة صناديق ذخيرة ، وواصل تقديم مساعدته لنا .

وفي احدى المرات التي ذهبت فيها الى أبو المطامير ، مر عندنا مخبر اسمه محمد درهاب، وكان يركب دراجة نارية ، عندما طلب الينا العرب الابتعاد عنهم لانهم كانوا يخشون درهاب هذا ، خاصة وانه قد نما الى علمه امر شرائنا السلاح من العزبة . فما كان مني الا أن لحقت بدرهاب ، وعندما وصلناه بسيارتنا ترجل عن دراجته وأدى لنا التحية العسكرية ، فسألناه عن وجهته فقال « انني أفتش عن سيارة تقوم بتهريب السلاح »

فقلت له «هذه هي السيارة، وهي تنقل السلاح للدفاع عن المسجد الاقصى والصخرة». فبكى واستعد لتقديم مساعداته لنا — عندها طلبت اليه أن يصاحب سيارتنا وفعلا حضر معنا في السيارة وترك دراجته في العزبة ، وطلب الينا أن نمر عبر طريق غير مطروق حتى نتجنب عيون البوليس ، وفعلا مررنا بالسيارة عبر طريق يمر بكفر الدوار .

ولدى وصولنا الى القاهرة ، تركنا درهاب في كابسيس هاوس ، وتوجهت بالسيارة الى الشهيد عبد القادر الحسيني ، الذي نقلنا بدوره الى «عزبة النخل» في ضواحي القاهرة، حيث ادخلنا منزلا وجدنا فيه ثلاثة آلمان .

واتفقت مع درهاب أن يستمر في مصاحبة سيارة السلاح . واقترح علي درهاب أن نضمن مزرعة بطيخ ، ونشتري سيارة نقل لنهرب بها المتفجرات تحت البطيخ الذي ننقله بالسيارة . وفعلا ضمنا مزرعة بطيخ بأربعين جنيها ، واخذنا في نقل المتفجرات الى القاهرة بالطريقة التي اقترحها درهاب ، واستمر درهاب في ملازمة السيارة في ذهابها وايابها .

ومن بين الذين ساعدونا في ذلك الوقت عبدالعزيز بك مخيون ، نائب ابو حمص ، والذي كان قد عرفنا عليه محمد بك نصير . كما قدم لنا المعونة ضابط البوليس رؤوف ابو السعود وملازم ثان جيش احمد صدقي .

ولم تكن الاسلحة التي اشتريناها من كوبري العبد لتكفينا ، فظللنا نبحث عن وسيلة نتمكن بها من الوصول الى مرسى مطروح ، المصدر الرئيسي للسلاح . وقال لنا محمود دياب ان له ابن عم يعمل وكيلا لمحافظة مرسى مطروح اسمه سيد بك فرح وانه يمكنه تسهيل وصولنا الى مرسى مطروح ، اذ كانت منطقة حدود يستحيل الوصول اليها بدون تصريح خاص . وفعلا أرسل محمود دياب برقية الى سيد فرح يخبره فيها بأنه واصحابه سيزورونه في مرسى مطروح، وطلب محمود اليه ان يعطي امرا للبوابات التي تقع بين الاسكندرية ومرسى مطروح بالسماح لنا بالمرور . والبوابات هي : برج العرب ، الحمّام ، الضبعة ، فوقه ، حنيش ، حتاوه ، وجراولة . وقد سهلت تلك البوابات مرورنا عندما سافرنا الى مرسى مطروح . وقد أخذنا سيارتين من القاهرة الاولى « كرايزلر » و« ستيشن واجن » ، استقل الاولى محمود دياب مع زوجته، في حين استقل الثانية عبد القادر الحسيني ومحمود جميل الحسيني وأنا . وكان عبد القادر يقود سيارتنا في حين كان محمود يقود السيارة الاخرى . وفي الطريق نفد البنزين من سيارتنا ، فنزل رفيقاي وانضما الى سيارة محمود دياب ، وعند وصولهم الى مرسى مطروح أرسلوا لي شاويشا يحمل صفيحة بنزين ، افرغها بالسيارة ثم انطلق بها الى مرسى مطروح .

ونزلنا عند سيد فرح ، وسألت المرحوم عبدالقادر أن أفاتح سيد فرح بمهمتنا ، عند وضع مائدة الطعام ، فوافق عبد القادر . عندها قلت لسيد : « هل تعلم من ضيفك ؟ » وأردفت دون أن أنتظر جوابا « ضيفك هو المجاهد الكبير عبد القادر الحسيني » . فازداد ترحيب الرجل بنا . عندها استطردت : « جئنا عندك لما سمعناه عنك ». وأفهمته أننا نستعين به للدفاع عن المسجد الاقصى ، لما عرفناه من تاريخه الوطني ، اذ كان قد سبق ان حكم عليه بالاعدام لاشتراكه في انتفاضة عام ١٩٢٤ في السودان ، كما تعاون مع عمر المختار في ليبيا .

ووافق سيد فرح على تقديم المساعدات لنا ، وسارع الى ارسال ابنه سيف مع الشهيد عبدالقادر الى بعض البدو ، حيث أحضرا نحو ٥٩ بندقية . وحملنا السلاح وعدنا بالسيارة الى القاهرة ، وتركنا محمود دياب بالسيارة الثانية ليعود بمزيد من السلاح . ووصلنا بالسلاح الى عزبة نخل حيث أخفيناه في المخزن . وكان هذا السلاح من أنواع

متعددة ، فمنه الالماني والفرنسي ، والطلياني والانكليزي . وكان الطلياني في حالة جيدة. وقد علمت ان البيت الذي نزلنا فيه في عزبة نخل كان لحفيد احمد عرابي ، عز الدين عرابي .

*

أخذت الوفود تتوافد من فلسطين على الشهيد عبدالقادر للتخطيط والتحضير واستلام السلاح . واتصلنا بالدكتور فهمي ... من أشمون ، الذي استصدر لي تصريحا رسميا، باعتباري من اشمون ، يتيح لي السفر الى مرسى مطروح ، وكان التصريح صادرا عن سلاح الحدود ويصلح لمدة ثلاثة أشهر .

واستأجرنا محلا في شارع الاصباع بمرسى مطروح للتخزين . وقدمت طلبا الى محافظ مرسى مطروح أعرب فيه عن رغبتي في فتح صيدلية بالبلدة . واعطاني عبدالقادر أدوات طبية بنحو مائة جنيه للتمويه اخذتها معي الى مرسى مطروح ، حيث وضعتها في الفندق الذي كنت انزل فيه ، والذي كان يملكه يوناني اسمه كرياكو . ثم استأجرت حانوتا لستة أشهر بدعوى استخدامه كصيدلية .

واتسعت علاقاتي بالناس في مطروح ، ومن البحيرة أخذت اسم شخص في مرسى مطروح اسمه العمدة الدربالي ، وهو من المرابطين ، وقد عاصر أنور باشا وكمال باشا (من الاتراك في الحرب العالمية الاولى) ، كما سبق له وتعاون مع صالح حرب باشا . ودلني جلال ندا على مجاهد طرابلسي (من ليبيا) اسمه الحاج رجب الرطب، وكان يقيم في مرسى مطروح . كما تعرفنا بسيدي ابراهيم السنوسي ، وكان مقدسا عند العرب هناك . كما كان اليوزباشي جمال الدين ملش يقدم لنا المساعدات (استشهد فيما بعد في الشيخ نوران بفلسطين) وكان ضابط نقطة سيدي براني وتعاون معنا عبدالرحمن زهير ، وهو مدني كان قد أسره روميل عندما وصل الى سيوه . واليوزباشي محمد عبدالله ، والقائمقام محسن ... والشيخ محارب زغلول ، من المرابطين ، والشيخ عبدالزين جبريل والعمدة ابراهيم عبدالرحمن ، والحاج عبدالكافي السمين (ليبي) والحاج كريم شعيب (من السوم) وكان الخمسة الاخيرون يجمعون لنا السلاح ، وكان محمد سليم (من مرسى مطروح) يعاونني ايضا في جمع السلاح .

ويبدو أن أخبارا وصلت الى البوليس المصري فيمرسى مطروح بشرائنا الاسلحة وتهريبها الى القاهرة . وفي أحد الايام كنت في مقهى يمتلكه يوناني اسمه « بنايوتي » في مطروح، وفوجئت بشخصين يسألان بنايوتي همسا ثم ينصرفان . وبعدها مباشرة جاءنا صف ضابط (صول) اسمه « ختال » وسألني عما اذا كنت قد أتيت من مصر ، وما اذا كنت أحمل تصريحا بدخول مطروح . وبادرت فأعطيته التصريح ودوّن بدوره المعلومات الواردة فيه لديه . ثم انصرف وعاد ليطلب مني مصاحبته لمقابلة مأمور قسم مطروح . وكان الشخصان اللذان تهامسا مع بنايوتي في القسم ، الاول هو اليوزباشي حسين حتاته من مخابرات الجيش المصري والثاني هو البكباشي جميل عبدالوهاب (مأمور القسم) . وسألني المأمور : « هل أنت مصري ؟ » أجبته : « انا عربي » قال : « منين ؟» قلت : « انا من هنا » فقال : « مين أهلك » قلت : « أهلي من مراكش الى مرسين » . قال : « أنا عايز أعرف أنت من فين ؟ » قلت : «عايزني أكون من فين» قال « عايزك تكون من فلسطين » سألته : « لماذا » قال : « انا كنت على الحدود المصرية الفلسطينية ، وأعرف ناس كثير من فلسطين » . فقلت له : « انا من فلسطين » . فسألني عما اذا كنت قد قدمت طلبا لفتح صيدلية وعن سبب تأخري في فتحها وأجبته بأنني لم أعثر ، بعد، على الصيدلي المناسب. وعاد يسألني: « لماذا اخترت هذه المهنة ؟ » أجبته: « لان الشرق مريض » فقال : « ليس هكذا يعالج الشرق » فقلت له : « بهذا وبغيره » . وعند هذا

الحد رد لي المأمور تصريحي وعرض علي خدماته . وتركت القسم وتوجهت لفوري الى سيد فرح وأخبرته بانكشاف أمري . فطلب مني الذهاب الى نادي الضباط في اليـوم التالي ، وكان يوم جمعة ، وفيه يتجمع الضباط بما فيهم الضابطين المذكورين . وفعلا ذهبت للنادي والتقيت بالضابطين وسلمت عليهم بكل ثقة ، وربما أوحت لهم تلك الحركة ان ثمة سنداً لي في الحكم . وبعدها عدت الى القاهرة وابلغتهم بالامر .

ثم عدنا نخزن الاسلحة عند عبدالزين جبريل ، توطئة لنقلها الى صيدا عن طريق البحر . حيث كان معروف سعد (نائب صيدا السابق) قد أعرب للشهيد عبدالقادر عن استعداده لنقلها الى صيدا ، ونقوم من ثم بنقلها الى داخل فلسطين .

وكانت المفاجأة عندما اعتقل البوليس المصري ، فرج جبريل ، شقيق عبد الزين جبريل ، ومعه بعض الاسلحة الخاصة بنا غرب النخيلة . وتصادف ان كان أحمد عطية باشا ، وزير الحربية المصري آنذاك ، موجودا في مطروح وشاهد بنفسه الاسلحة المضبوطة في قسم مطروح ، وقد التقط البوليس عدة صور فوتوغرافية للاسلحة المضبوطة . عندها سارعت بالاتصال بسيد فرح ، الذي طلب الي سرعة مغادرة مطروح الى القاهرة . واذكر ان هذه الحادثة وقعت ابان انتشار وباء الكوليرا في مصر (أيلول ١٩٤٧) .

وقد أخبرت المفتي ومحمد بك نصير لدى وصولي للقاهرة بما جرى في مطروح ، وقابل نصير وزير الحربية ، الذي أفهمه أن الامر قد خرج من يده الى يد محمود فهمي النقراشي باشا ، رئيس الوزراء .

وعدت أنا الى مطروح ، وكان سيد فرح قد ذهب الى قسم مطروح ،وطلب الى المأمور تسجيل قضية الاسلحة المضبوطة « ضد مجهول » ، كما أمره بالافراج عن فرج جبريل ، وقد نفذ المأمور تعليمات سيد فرح لكن السلاح ، وهذا هو المهم ، ظل مصادراً .

*

وبعد ذلك شكلت الجامعة العربية « اللجنة العسكرية » وانضم اليها صبحي الخضرا من فلسطين . وتحولنا الى العمل العلني في ظل اللجنة العسكرية وترك لنا عز الدين عرابي منزله لنستخدمه مخزنا للاسلحة . وتوسع عملنا بعد أن تحولنا الى العلن ، وانضم الي في الصحراء الغربية خليل العوري وأقام في السلوم ، بينما ظللت انا اتنقل من مكان لاخر . وأحضرنا المانا من ليبيا بواسطة البدو ، وفتحنا ورشة صيانة يشرف عليها الالمان . وكان هؤلاء أسرى لدى الانكليز .

وأخذنا ننقل الاسلحة ونخزنها علنا ، وكنا نحملها بسيارات النقل ودخلت الالغام والمدافع ضمن الاسلحة المشتراة في المرحلة العلنية . وكان عبدالفتاح عبدالباسط التميمي مسئولا عن مخازن الاسلحة . وكانت البندقية تساوي ٥ ــ ٧ جنيهات . وكنا عندما نشتري من أحد البدو ، كان يصر أن نشتري كل ما عنده من اسلحة ، دون انتقاء ، وكان القليل من هذه الاسلحة جيدا وبعضه كان متوسطا وبعضه كان فاسدا ، وكنا مضطرين لشرائها جميعا .

*

فاتني أن أذكر انه بعد ان ذهبنا الى مرسى مطروح في المرة الاولى، تعرفنا على الاميرالاي محمد نجيب (اللواء محمد نجيب فيما بعـد) وزار بدوره المفتـي وعبدالقادر وابدى استعداده لتسهيل توصيل الاسلحة الى فلسطين عبر سيناء . وأذكر انه كان نائب قائد سلاح الحدود آنذاك . اما في العلن فأذكر ان الضباط الاتية اسماؤهم قد ساعدونا : يوزباشي انور سلام (الحمـام) ، اليوزباشي عبد الحميـد عطية (الضبعة) وهـو نجل احمد باشا عطية . يوزباشي فتحي زين العابدين (سيدي براني) ، يوزباشي حلمي

جمعة (السلوم) وقد استشهد في بئر السبع فيما بعد . ويوزباشي محمد الصباحي والصاغ محمد ابراهيم فهمي (سلاح الهجانة) . وكان يساعدني في التفتيش على السلاح وتنظيفه كل من الصاغ أحمد الله جابه ، ويوزباشي حسن الماظ ، ويوزباشي سرور ... وهم سودانيون ، واصبح الثالث فيما بعد قائد الحامية المصرية في « شرفات » قرب بيت صفافا . وكان هؤلاء الضباط الثلاثة يقومون بتدريب المتطوعين الليبيين الذين تدفقوا للدفاع عن فلسطين ، وقد نظم لهم معسكر تدريب بمرسى مطروح .

*

وحضر صبحي الخضرا وعبدالقادر الحسيني الى مرسى مطروح ، ورافقتهما ، وزرنا معا محافظ مرسى مطروح القائمقام احمد بك سيف اليزل ، واقام لنا مأدبة غداء . وأبدى المحافظ استعداده لتقديم المساعدات لنا . ومن المعروف أن القائمقام احمد سيف اليزل قد خلف الشهيد احمد عبدالعزيز في قيادة المتطوعين المصريين في فلسطين . واستفسر عبدالقادر مني عن الاسلحة التي اشتريناها ، وكنا قد اشترينا بنادق طويلة « بويز » ضد الدبابات ، ورشاشات برن ، ومدافع واحد هاون عيار ٢ بوصة ، وأذكر ان قنبلة كانت تعترض ماسورته عند الشراء . وواصلنا شراء الاسلحة ، وكنت أقدم بالاسلحة المشتراة كشوفا تفصيلية الى الهيئة العربية العليا . ولم اكن وحدي الذي يشتري الاسلحة للهيئة العربية العليا ، ففي مناطق أخرى كان هناك اناس غيري يقومون بشراء الاسلحة . وغالبا ما كانت أثمان الاسلحة أعلى من تلك الاسلحة التي كنت أشتريها . كما ان بعض الاسلحة المشتراة كانت فاسدة ، وكنا مرغمين على شرائها من أصحابها ، مما كان يضيف أثمانها الى أثمان الاسلحة الصالحة فيرفعها . وأذكر اننا اشترينا أسلحة بما يزيد عن مائة ألف جنيه مصري . وكلفني صبحي الخضرا بشراء أسلحة لمجاهدي الشمال ، ورأيت أن أستأذن المفتي لارتباطي به ، وفعلا حضرت للقاهرة وسألته فوافق وقال : « كلها فلسطين ايش الفرق بين الشمال والجنوب » .

*

كان المساعد الاول لتوصيل السلاح الى فلسطين ، عبر سيناء ، هو الصاغ رشاد مهنا (القائمقام فيما بعد) . وكان ذلك بترتيب بينه وبين المفتي والشهيد عبد القادر ، وذلك ابان المرحلة السرية . ولم يكن لي علاقة بموضوع توصيل الاسلحة . كما علمت انه في المرحلة السرية كان أحد مشايخ بدو سيناء ، ويدعى الشيخ سلمى ، يقوم بنقله عبر سيناء .

وكان الشهيد عبدالقادر يرسل الاسلحة الى مركزين لتخزينهما : الاول في « صوريف » والثاني في « بير زيت » ، وقد اختار هذين الموقعين نظرا لبعدهما عن المستعمرات الصهيونية والقدس معا . وكان الشهيد ابراهيم ابو ديه مسؤولا عن صوريف وما جاورها فيحين كان صلاح الحسيني وبهجت ابو غربية وآخرون مسؤولين عن بير زيت .

الجلسة الثانية مع عبدالله مهنا

في أوائل عام ١٩٤٦ جاءني قومندان بوليس غزة ، وهو انكليزي ، وكان يوجد حينذاك صدام بين الانجليز والقوات الصهيونية ، وقال لي انه سيطلب مني شيئا ، ورجاني الا أخبر به أحدا ، واستطرد : « هل يمكنك أن تجند لي ألف شخص من المنطقة ؟ » وعندما سألته عن الهدف من ذلك ، قال : « لأسلحهم وأعطي كل واحد منهم ١٥ جنيها شهريا » . وعندما سألته عن الوظيفة التي سيعملون بها ، قال : « سرية » . وسألته عن مصير من يلقى القبض عليه منهم بالسلاح ، فقال : « يحاكم محاكمة عسكرية » . وعندها طلبت اليه ان يجمعني بمن هو أعلى منه . فأجابني بتعذر ذلك . وقبل أن ينصرف القومندان قال لي : « يا عبدالله اذا استطعت أن تبيع وتشتري سلاحا فلا تقصر » . وأخذت أفكر طويلا في هذا الكلام .

وفي صباح اليوم التالي توجهت الى القدس حيث قابلت حمدي الحسيني — مدير صندوق الأمة آنذاك — وقصصت عليه ما كان من القومندان . وطلبت من الاستاذ حمدي ان يعطيني بعض المال من الصندوق . فسألني عن الضمان ، قلت له : «بيارتي» . فوافق ، وأمهلني أسبوعا ، وعندما عدت اليه بعد اسبوع أخبرني بأن ادارة الصندوق رفضت طلبي ، وعليه قدم حمدي الحسيني استقالته من الصندوق ، وتوجه الى مصر للعمل في الجامعة العربية .

وبعد مدة اجتمعت بزميلي صبحي الشهابي ، مدير الزراعة بغزة ، وكان قساميا يعتمد عليه . وتباحثنا في هذا الموضوع ، ووعدني صبحي بالذهاب الى مصر ومقابلة الحاج امين الحسيني . وفعلا ذهب صبحي الى مصر وقابل الحاج أمين ، الذي طلب اليه أن يبلغني ضرورة انشاء مخازن للسلاح في بيارتي ، على غرار المخازن التي كنت أقمتها ابان ثورة ١٩٣٦ . ووعد الحاج بتغطية نفقات بناء هذه المخازن . وأخذت في جمع الاسلحة . وذهبت الى العريش أنا ومصطفى العبادله (من خانيونس) واجتمعنا بشخصين أحدهما قاهري والآخر عرايشي ، واتفقنا معهما على تسليمنا بعض الاسلحة ، وحددنا أسعارها بحيث يكون مدفع البرن بـ ٢٠ جنيها والبندقية بـ ١٥ جنيها ورشاش الستن بخمسة جنيهات ورشاش التوميجن بعشرة جنيهات ومشط الذخيرة بخمسة قروش . وقد فهمنا انهم سيحضرون لنا أسلحة من مخلفات الحرب العالمية الثانية . وقد دفعت ٢٠٠ جنيه من جيبي الخاص عربونا لهما .

وبعد شهرين أرسل اليّ هذان الشخصان يطلبان حضوري للعريش ، فذهبت اليهما واخترت أسلحة بنحو ٦٥٠ جنيها ، ووعدتهما بالعودة اليهما بعد أسبوعين لاستلام الاسلحة واعطائهما ثمنها . وأرسلت للحاج أمين — بواسطة صبحي الشهابي — أطلب المبلغ المذكور ، فوعد الحاج أمين بارساله في القريب . ومضت ثلاثة أشهر دون أن يصلني شيء من سماحته . وبعد ذلك انتقل سماحته الى لبنان وطلب الي اللحاق به هناك . وعندما قابلته في بيروت وعدني باعطائي المبلغ في اليوم نفسه أو في الغد . الا أنه لم يعطني المبلغ الا بعد مرور أحد عشر يوما . وعندها خرجت من بيروت الى دمشق فيافا والعريش ، حيث وجدت السلاح قد بيع الى داود القواسمي (من الخليل) بضعف الثمن . وعدت للمسمية . وفي اليوم التالي زارني المجاهد الباسل ابراهيم أبو دية (من صوريف) فسلمته المبلغ طالبا اليه اعادته للمفتي ، وابلاغه أن اهماله كان السبب في ضياع السلاح .

وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٧ ، جمعت نحو ٥،٠٠٠ جنيه من المسمية والقرى المحيطة بها ، دفعها الاشخاص الراغبون في اقتناء السلاح والقتال . وعند وصولي الى

مصر لشراء السلاح ، قابلت سماحة المفتي — وليتني لم اقابله — وأخبرته عن الهدف من حضوري الى مصر .

وكنت قد اغتلت صهيونيا اسمه يوسف كان قائدا لمخابرات الجنوب لدى الصهيونيين ، وكنيته أبو اسماعيل ، وهو عمدة مستعمرة البنات الموأجهة لقرية عاقر . كما اغتلت الخواجه بنيامين قائد الهاجاناه في مستعمرة رحابوت ، وقد قمت باغتيالهما في وادي الصرار في منزل محمد هديوي المشارفة ، الذي كان يعمل ناطورا لديهم . ومن يومها أخذ الصهيونيون في مطاردتي ورصد تحركاتي .

وفي مصر سألني المفتي عن سبب حضوري الى مصر ، وعندما اخبرته ، قال لي : « ضع المبلغ في الصندوق ، فقد ذهب عبدالقادر الحسيني الى مرسى مطروح لشراء أسلحة ، والبندقية لا تكلف الا خمسة جنيهات فقط » . وقد وضعت المبلغ في صندوق الهيئة العربية العليا انتظارا لعودة المرحوم عبدالقادر الحسيني من مطروح . وبمجرد عودته قابلت سماحة المفتي ، الذي أخبرني بأنه خصص لنا ٢٥ بندقية من النوع الطلياني . فقلت له : « هذا سلاح رديء » . فقال لي : « هذا هو الموجود » . وسألته عن ثمن البندقية فقال: « ٢٥ جنيها » . فرددت عليه « انت قلت خمسة جنيهات ، علما بأن البندقية الطليانية لا آخذها بجنيه واحد بسبب ندرة ذخيرتها » . عندها قال لي الحاج أمين الحسيني ان احد وجهاء غزة اخبره بأن البندقية تباع في فلسطين بخمسة وأربعين جنيها . فأجبته : « هل الثورة تجارة عندكم يا سماحة المفتي ؟ » ثم رفضت شراء أسلحة منه ، وطلبت نقودي ، فنادى المفتي امين الصندوق سعد الدين عبد اللطيف وطلب اليه تسليمي مبلغي ، فاستمهلني سعد الدين لليوم التالي ، وفي اليوم التالي عاد واستمهلني لليوم الذي يليه ، وهكذا حتى مر أسبوع كامل دون أن يعيد لي نقودي . وبعد مرور الاسبوع دخلت عليه، فوجدت عنده كلا من رجائي الحسيني ومنيف الحسيني واسحق الحسيني ، وطلبت منه النقود وبمساعدة رجائي الحسيني استرجعت المبلغ .

وتمكنت بمجهودي الخاص من شراء ٤٥ بندقية انجليزية و٥ رشاشات ستن و١٠ رشاشات توميجن ، و١٢ مدفع برن ، ونحو خمسة آلاف طلقة ، وقد اشتريتها من القاهرة ، ومن جماعات متعددة .

وكنت أضع السلاح في « فندق البرلمان » بالعتبة ، حيث كنت أجمعه هناك علنا . ثم أحمله حتى مدينة الاسماعيلية ، حيث ينتظرنا ضباط مصريون ليمررونا حتى العريش بسيارات الجيش المصري . ومن العريش كنا نحملها بسيارات فلسطينية ، نمر بها عن طريق رفح ، ثم نوزعها على المقاتلين في القرى . وكان معي في هذه العملية حلمي الآغا (من خانيونس) .

ومن يومها انقطعت علاقتي بالحاج أمين الحسيني ، وان ظلت علاقتي بالمرحوم عبدالقادر الحسيني على ما يرام . وأذكر أن عبدالقادر طلب الي أن أنسى ما وقع لي مع الحاج أمين لان عبدالقادر مقهور منه أكثر مني .

وكانت المناوشات بيننا وبين الصهيونيين قد بدأت . وكان معسكر وادي الصرار قرب قريتنا ، حيث كانت تقيم فيه قوات انجليزية — اردنية مشتركة . وفي شهر شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، أخلى الجيشان المعسكر ، فبادرنا باستلامه ، وكانت مساحته نحو ١٠٤٠٠٠ دونم ، وكنا نحو ٥٠٠ مسلح . واشتريت صناديق الذخيرة من القرويين الذين كانوا قد استولوا عليها من المعسكر عند اخلائه ، وقد اشتريت الصندوق بخمسة وستين جنيها . أما تموين الكتيبة المرابطة في المعسكر وأغذيتها فقد تولت قريتنا ، المسمية الكبيرة ، أمره .

وقد حضر الى معسكرنا ١٣٠ مقاتلا من جيش الانقاذ — ما بين سوري ولبناني وعراقي

واردني وفلسطيني ـــ وكان على رأسهم عبدالجبار الشمري (عراقي)وقد أتوا بخطاب من الشيخ حسن سلامه . وبدأ الشمري يجري اتصالات بالانجليز ، علنا ، وأنا أرجح ان ضربنا بالقنابل كان يتم من قبل رجال الامن الانجليز ، الذين كانوا يجوبون الشوارع التي تفصل القرى عن بعضها بدبابات تحمل المدافع . وكان ضربنا يتم عقب كل زيارة للانجليز الى معسكرنا . وكان على بوابة المعسكر رجال مـــن جيش الانقاذ ، فاستبدلتهـــم بفلسطينيين ، أوصيتهم بعدم السماح لاي جندي انجليزي بدخول المعسكر الا بأمري . وقد حصل أن حاول الانجليز الدخول فمنعوهم . وعندما علم عبد الجبار بالامر غضب . وبعدها بأسبوع ـــ وكنا قد حصنا المعسكر ـــ واذا في حوالي الثانية عشرة ظهرا بأهالي قرية « اشوع » فارين الى معسكرنا هربا من هجوم سكان مستعمرة عرطوف المواجهة لهم . فاجتمعت انا وعبد الجبار وانتخبنا ٧٠ مناضلا ، وأخذت معي الغاما ، وذهبنا الى عرطوف وطوقناها من جميع الجهات ـــ بعـــد المغرب ـــ وهاجمناها حوالي الساعة الثانية عشرة في منتصف الليل ، وقد واجهنا مقاومة شديدة من الصهيونيين الذين كانوا يدافعون عن مستعمرتهم وهم مختفون تحت الارض ، وكانت المستعمرة المذكورة عالية وتحيطها الاحجار من كل جهة ، ووراء تلك الاحجار كانت الاسلاك الشائكة . فنسفنا الاسلاك لنفتح ثغرة ، ونجحنا في احتلال باب المستعمـــرة ، وأرسلت عشرة مناضلين لتعطيل الكشاف الجنوبي وعشرة آخرين لتعطيل الكشاف الشمالـــي ، اللذين كـــان يستخدمهما الصهيونيون ضدنا من داخل المستعمرة . وأخذت المجموعتـــان في ضرب الكشافين بالرصاص ، في حين اقتحمت ثلاث مجموعات المستعمرة ، وأخذنا في نسف المباني حيث تمكنا من نسف ١٢ منها . وفجأة انهمرت علينا قنابل الانجليز مـــن خارج المستعمرة . وكان هناك مركز بوليس انكليزي قرب المستعمرة ، يبدو انـــه استحضر القوات التي أمطرتنا بقنابل مدافعها .

وعند هجومنا كان عبد الجبار موجودا في « اشوع » ، فاتصل به القائد الانجليزي وطلب اليه انسحاب قواتنا من المستعمرة . وأرسل عبد الجبار يطلب مني الانسحاب الا انني رفضت ، عندها هدد القائد الانجليزي بتدمير المستعمرة فوق رؤوسنا . وعند الفجر انسحبنا . وعاد أهالي القرية العربية الى قريتهم . ولم يعد الصهيونيون لمهاجمتهم مرة اخرى . وقد خسرنا في هذه المعركة سبعة جرحى وثامنا فقد احدى عينيه .

وفي أوائل آذار (مارس) ١٩٤٨ ، حدث أن تعرضنا للقوافل الصهيونية الآتية من تل أبيب عن طريق عاقر ـــ خلده ـــ جنوبي باب الواد ، والمتجهة الى القدس . وقد لجأ الصهيونيون الى هذا الطريق بعد أن منعتهم القوات الاردنية من المرور بباب الواد . وقد تعرضنا لاحدى هذه القوافل الساعة السابعة صباح أحد أيام آذار وكانت آتية من تل أبيب ومتجهة الى القدس . وكنت عندئذ في المسمية لترتيب الحصـــول على الاغذيـــة للمناضلين . فأرسل عبد الجبار ٣٥ مسلحا لاعتراض القافلـــة المذكورة . وأخـــذ المناضلون في اطلاق النار عليها من بنادقهم ، فنزل منها الصهيونيون وطوقوا مناضلينا الـــ ٣٥ . عندها أرسل عبد الجبار لي يستعجل عودتي للمعسكر . وحضرت من فوري فوجدت عبد الجبار بعيدا عن ميدان المعركة قرابة ٣ كيلومترات ، فأحضرت نحو ٣٠٠ مناضل ، وتوجه كل ٥٠ منهم الى رأس جبل في المنطقة ، وعندما بدأنا في اطلاق النار على الصهيونيين ، انسحب هؤلاء ونجحنا في انقاذ مجموعتنا . الا ان الصهيونيين طلبوا نجدة بعد أن شعروا بأنهم محاصرون . وسرعان ما أتت اليهم النجدة من مستعمرة جديرة (قطرة) ومستعمرتي عاقر ورحابوت . وتدخلت الطبيعة لصالحنا وكان النصر حليفنا بعد أن أمطرت الدنيا بغزارة . وكانت النجدات قد أتت للصهيونيين مشيا على الاقدام . وكانت قطرة تبعد قرابة ٧،٥ كم عن مكان المعركة وعاقر نحو ٣،٥ كم ورحابوت ١٠ كم. وكانت النجدات الصهيونية تضم نحو ٤،٠٠٠ مسلح . في حـــين كان المحاصرون مـــن

الصهيونيين نحو ٤٥ دبابة وسيارات شحن وأتوبيسات وتراكتور واحد . ورأى قائد مناضلينا في الجبل الغربي النجدات الصهيونية آتية من الغرب ، عبر أرض محروثة بالتراكتور . فانتظر عليهم حتى أصبحوا على بعد ٢٠٠ متر من قوته ، ففتح عليهم النار وسقط منهم الكثير . وفر الباقون الى أحراش مستعمرة خلدة ، وبعد أن تجمعوا في الاحراش عادوا وهاجمونا تؤازرهم احدى الطائرات . وكانوا يستخدمون الاسلحة الاتوماتيكية والمدفعية ، وقد أرسل الينا حسن سلامة نجدة مكونة من ٢٥ مناضلا تقلهم مصفحتان ، وقد وصلتنا هذه النجدة دون طلب منا ، ويبدو ان ركاب السيارات المارة بالطريق قد أخبروه بالمعركة فبادر بارسال رجاله .

وطلب الي عبد الجبار الانسحاب الى المعسكر والتحصن داخله ، الا أنني رفضت ، وجمعت وحدة رشاشات البرن — وكانوا ١٣ رشاشا — وكان مع جيش الانقاذ رشاش برن فرنسي ، وبدأنا هجومنا المضاد حيث دحرنا القوات الصهيونية المهاجمة ، ووصلنا الى الدبابات فوجدنا تراكتور، وسيارة شحن من نوع ماك ألمانية فسحبناها بعد غياب الشمس الى المعسكر ، وكان بها ١٥ طن أغذية ، وسيارة أخرى حمولة ٨ طن أغذية و٥ مصفحات ، ونسفنا الاتوبيسين وسيارتي الشحن الاخريين ، لعجزنا عن سحبهما بسبب غوص عجلاتها في الوحل . وبقيت مصفحتان في كل منهما ١٥ صهيونيا ، استمرا في مقاومتنا ، فنسفناهما بالغام ، وقد قام بنسفهما « سلام » الالماني ، الذي قتل في المعركة، نسفهما بعد اصابته بشظية من اللغم الذي نسف به الدبابة الثانية . وقد نقلنا قتلانا الى المسمية ، أما الجرحى فكان ينقلهم الهلال الاحمر المصري الى مدينة الرملة حيث كان مرابطا .

وقد خسرنا يومها ٤٠ شهيدا ونحو ٨٠ جريحا . ودامت المعركة ١٤ ساعة . وقد علمت من حاكم لواء غزة الانجليزي — عندما التقيت به في اليوم التالي بالمسمية — أن الصهيونيين فقدوا حوالي ٣٠٠ شخص بين قتيل وجريح . وقال الحاكم « اذا بقي العرب هكذا فان الصهيونيين سوف يفنون » . وأذكر من الشهداء : محمد حسين بدوان (المسمية) ، أحمد زايد النجار (المسمية) ، محمود ريان (القسطينة) .

وحدث عند عودتنا بالدبابات والسيارات المغنومة ، أن التقت بنا قوات الامن الانجليزية وطلبت الينا اعادة الغنائم للصهاينة ، فرفضت ، وكدنا نشتبك مع الانجليز ، لولا أن القائد الانجليزي قال انه سيحضر الى معسكرنا في اليوم التالي ، للتفاهم معي بصدد هذه الغنائم . الا انه لم يحضر .

وتجددت المعارك بيننا وبين الصهيونيين في تلك المنطقة ، وبشكل يومي .

وفي يوم معركة القسطل (١٩٤٨/٤/٨) وقعت معركة طاحنة بيننا وبين العصابات الصهيونية . وكان المرحوم عبد القادر الحسيني قد أرسل الي طلبا للنجدة في القسطل ، الا أن الذين أوفدهم الينا لهذا الغرض رجعوا اليه بعد أن رأوا معركتنا التي استمرت من التاسعة صباحا حتى الواحدة والنصف مساء ، وقد توقفت المعركة بعد نفاد ذخيرتنا . وعندها ركبت احدى المصفحات وتوجهت الى الرملة ومعي عشرة مناضلين ، بهدف احضار ذخيرة ، حيث قابلت محمد نمر المصري (عضو اللجنة القومية في الرملة) وأخذت منه ورقة الى فندق بانوراما برام الله ، وهناك التقيت بسيدة — أعتقد انها زوجة المرحوم عبد القادر الحسيني — واخبرتني انها أحضرت ١٥ صندوق ذخيرة من الجيش الاردني وأرسلتها بكاملها الى عبد القادر في القسطل . وعدت بدون ذخيرة الى المعسكر . ويبدو ان الصهيونيين كانوا يهدفون — من وراء جرنا الى هذه المعركة — الى الحيلولة دون نجدة اخواننا في معركة القسطل .

وفيما بعد نجحت في الحصول على صندوقي ذخيرة من القرى المجاورة ، ودفعت مائة

وعشرين جنيها للصندوق الواحد . وقد عجزت فيما بعد عن الحصول على ذخيرة ، مما دفعنا الى الانسحاب من المعسكر لعدم تمكننا من الدفاع عنه بذخيرتنا القليلة . وعدت الى بلدي بالمقاتلين الذين بقوا معي ، في حين عاد بقية المقاتلين كل الى قريته .

وعندما أخذ الصهيونيون في احتلال القرى العربية المجاورة لنا ، هاجر معظم هؤلاء الى قريتنا ، حتى أصبح سكانها حوالي ٥٠،٠٠٠ نسمة ، وكان سكانهـا الاصليون نحو ٨،٠٠٠ فقط .

وعند دخول الجيش المصري الى فلسطين ، لم تصل قواته الى قريتنا . وفي حزيران (يونيو) ١٩٤٨ ذهبت الى غزة حيث قابلت قائدا مصريا هناك ، وسألتـه « اذا كنتم تريدون حقا أن تحاربوا ، فرجاء احتلال تل الصافي والمسمية ، لبناء خط قتالي من تل الصافي ــ المسمية ــ أسدود » . وقد أخبرني القائد المصري أن هذا الخط هو نفس خط الجنرال اللنبي في الحرب العالمية الاولى . وكان هدفي ان يضع الجيش المصري مدفعيته في القرى الثلاث في حين يقوم مناضلونا بملء الفراغات بين هذه المواقع الثلاثة . ووعد القائد المصري بالحضور الى قريتنا بعد انتهاء الهدنة الاولى ، وان كان قد تحفظ بأنهم لن يحضروا في حالة انسحاب قوات الملك عبدالله من اللد والرملة ، لان انسحابها هذا من شأنه كشف جناح الجيش المصري في اسدود . وسألت القائد عـن موقفي في حالـة انسحاب قوات الملك عبدالله وعدم حضور القوات المصرية ، خاصة من قلة أسلحتنا وذخيرتنا . فرد علي القائد المصري : « اذا انسحب الملـك عبدالله ولم نحضر نحن ، استعمل مخك » !!

وعند انتهاء الهدنة الاولى سحب الملك عبدالله قواته من اللد والرملة، وبادر الصهيونيون باحتلال تل الصافي وياسور وتل الترمس والخيمة وبشيت والقسطينة في الليلة الاولى لانتهاء الهدنة . ولم تبق الا بلدتنا . وعندها جمعت أهل البلدة وأخبرتهم أن قواتنـا وأسلحتنا لا تكفي للدفاع عن البلدة أكثر من عشر ساعات . فأجمع الاهالي على ضرورة الرحيل ، خاصة بعد انقطاع المواد التموينية في البلدة ، من دقيق وكيروسين ... الخ . ورحلنا الى الشرق حيث وضعنا رحالنا في ارض مفلس (ضواحي الخليل) . وذهبت وقابلت حاكم بيت جبريل المصري ، وأعلنت لـه عن استعدادي لاسترداد تل الصافي والاقامة فيها ، وقابلنا السيد بك طه وعرضنا عليه الامر فأبلغ القيـادة التي رفضت الاقتراح . وبعدها ذهبت الى بتولا ومنها ــ في آب (اغسطس) ــ الى غزة .

فاتني أن أذكر انني فكرت انا وعبدالله أبو ستة وابراهيـم أبو ديه ــ في شهر شباط (فبراير) ١٩٤٨ ــ بتكوين جيش متحرك في قضاء السبع ، وشاورنا في ذلك الحاج أمين الا أنه رفض الفكرة .

نشرة الثأر
قراءة في مقدمات الفكر المقاوم

عصام سخنيني

الفكر الفلسطيني المقاوم في صورته الراهنة ، أو في صيغه الراهنة ، ليس منبت الجذور ولم يولد من عدم ، بل هو في الحقيقة محصلة تتويجية لتطورات سبقته ، كانت احيانا جنينية واخرى مكتملة النضوج ، تكاثرت منذ كانت النكبة الاولى التي طرحت على العقل العربي تساؤلات عن اسباب هذه النكبة ووسائل مجابهتها ، ثم ما استتبعته هذه التساؤلات من تصورات ، مرة كانت صائبة واخرى لم يحالفها الصواب ، تحاول ان ترسي لها قواعد في الفهم وتقاليد في العمل ، ان تطويرا لقديم او استحداثا لجديد منسجم مع هول ما وقع . والفكر الفلسطيني — نعني ذلك المتجه نحو فلسطين دون شبهة من اقليمية — ما انفك منذ كانت النكبة يطرح تساؤلاته وبالتالي تصوراته . ولعل من ابرز سمات هذا الفكر — اذا استعرضنا تاريخه — انه دائم التطور نحو فهم أكثر تحديدا وعمقا للظاهرة — النكبة . فاذا كان الفهم هو انعكاس العالم في العقل ، واذا كان التعرف على جوهر الظاهرة هو بمقدار ما يتكشف من هذا الجوهر أمام العقل ، فان تطور الفهم الفلسطيني لجوهر النكبة كان يترافق مع ازدياد اكتشاف جوانبها ، في شكل تصطرع فيه المفهومات (والفرضيات) ضمن جهد وممارسة فاعلين ، متجاوزة المفهومات القديمة (بالنقيض والتركيب) ، محاولة الوصول ، وهي تصل فعلا ، الى مفهومات جديدة ، مستخلصة من المقدمات نتائج جديدة اوجدها التناقض من جانب وتراكم التجربة الممارسة من جانب اخر . وبحكم ان هذا الفكر هو نتاج تعرف تاريخي متطور و « مكتشف » ، ولانه مؤسس على قواعد من الممارسة ، ولكونه محصلة (أو تركيبا) لمفاهيم تناقضت تاريخيا ، فهو يتجه بالضرورة نحو الاحسن . وان رصد تطورات هذا الفكر في مراحله السابقة ، وهي التي قادت الى المرحلة الحالية الاحسن ، لازم لفهم معطياته الراهنة وتوقعاته القادمة ، مدركين ان ذلك التطور هو نتيجة عوامل موضوعية تتطور هي الاخرى وتنعكس في الفكر وتفعل فيه . وفي هذه المقالة اخترنا من تلك المراحل نشرة الثأر موضوعا للقراءة . وهي (النشرة) تمثل تاريخيا نوعا من الفهم للنكبة وفي الوقت ذاته كانت ترهص بميلاد فكر مقاوم أحسن فهما واكثر انتظاما ، من خلال ما طرحته النشرة من مقدمات (أو فرضيات) استخلص منها الفكر المقاوم (ومن غيرها بالتأكيد) عن طريقي النقض والممارسة نتائج اكثر تقدما .

وقد صدر العدد الاول من النشرة في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٥٢ واستمرت في الصدور اسبوعيا حتى اواسط العام ١٩٥٨ . وهي من « منشورات هيئة مقاومة الصلح مع اسرائيل » التي كانت نواة لحركة القوميين العرب . اما الاعداد التي تسنى لنا الاطلاع عليها ومراجعتها فهي اعداد السنة الاولى من ١٩٥٢/١١/٢٠ الى ١٩٥٣/١١/٥ والسنة الثانية من ١٩٥٣/١١/١٩ الى ١٩٥٤/١١/٤ والسنة الثالثة من ١٩٥٤/١١/٢٥ الى

١٩٥٥/١١/١٧ والسنة الرابعة من ١٩٥٥/١١/٢٤ الى ١٩٥٦/١١/٢٥ والسنة السادسة من ١٩٥٧/١١/٢١ الى ١٩٥٨/٥/٨ . اما الموضوعات التي تناولتها النشرة فكثيرة بتكاثر ابعاد القضية التي تصدت لها وتشابكها . وهي احيانا تعالج القضية « فكريا » فتطرح مفاهيمها ، واحيانا اخرى تلاحق تطوراتها السياسية ، على اي صعيد كان هذا التطور ، تكشف ابعاده وتحرض الجماهير ضد الاخطار التي تتعرض لها القضية . وهنا سنقرأ الجانب الفكري من النشرة وهو الجانب الذي يوضح فهم النشرة للموضوعات الاساسية للقضية الفلسطينية والتي سوف نجملها تحت العناوين الرئيسية التالية : ١ ــ **فهم النكبة** . ٢ ــ **تحديد العدو** . ٣ ــ **تصور الطريق والهدف** .

اولا ــ فهم النكبة : نلاحظ ، من مراجعة الاعداد التي ذكرت ، ان نشرة « الثأر » لم تول هذا الجانب كثيرا من الاهتمام قياسا باهتمامها بالبحث عن الطريق نحو المستقبل . فالكلام عن اسباب النكبة ، على الرغم من ان النشرة فردت له في بعض اعدادها حقولا خاصة ومتتابعة ، ظل يشغل حيزا اضيق من ذاك الذي خصص للكلام عن الحل . ربما يعود ذلك الى أن شعارات المستقبل التي رفعتها النشرة كانت تعني ضمنا نقيض الاسباب التي ادت الى النكبة ، وبذلك فان فهم هذه الشعارات كان يقود بالضرورة الى فهم نقائضها . كما ان الهدف التحريضي (او التعبوي) الذي كانت تسعى اليه النشرة فرض عليها ان تبشر بالحلول التي ترتئيها تبشيرا ملحا مستديما استوجب توسعا في الحديث وتكاثرا في التناول .

ومن خلال هذا الحيز الذي تحدث عن اسباب النكبة ومسببات الهزيمة التي حدثت في العام ١٩٤٨ تبرز لنا الموضوعات التالية : « نحن لم تهزمنا الصهيونية ، بل هزمتنا الفوضى والذخيرة الفاسدة والتدجيل والخيانة »(١) . و « لقد كان السبب الرئيسي لنكبة العرب في فلسطين هو واقع الشعب العربي ، وما هو عليه من ضعف وجبن وجهل واستسلام ، فلولا ضعف هذا الشعب واستسلامه ، لما جرؤ ملك على ان يخون ولا رئيس ان يعقد هدنة »(٢) . وان « اول اخطائنا في المعركة السابقة الجهل ، الجهل عند القائد وعند الجندي وعند المواطن البسيط على حد سواء ... لقد خضنا المعركة وليس لدينا ادنى فكرة عما نمتلك من سلاح وذخائر ... وكنا نجهل قوة الخصم فلم يكن لدينا دائرة منظمة للاستخبارات ... وكنا نجهل موقف الاستعمار من قضيتنا ... وكان فينا من يجهل علاقة اليهود بالاستعمار »(٣) . و « من افدح الاخطاء التي ارتكبت في المعركة الماضية اهمال العرب للسرية »(٤) . ولقد « دخلنا المعركة مرتجلين ... كنا دائما متهاونين ... لم نحشد امكانياتنا »(٥) . و « من الاخطاء التي كانت سببا هاما في هزيمتنا اهمالنا التام للمحافظة على متانة جبهتنا الداخلية »(٦) . كذلك « كان ينقصنا البرنامج الواضح السليم الذي يتبناه كل مناضل ، فخضنا المعركة شيعا واحزابا متفرقة »(٧) و « لقد كان المفهوم الاقليمي في معالجة قضية العرب في فلسطين سببا من اسباب النكبة »(٨) .

يلاحظ ان هذه الاسباب التي أوردتها النشرة ، مجتزأة في أكثر من عدد ، لم يكن ينتظمها شامل تحليلي ، بل هي في الحقيقة ، كانت **مظاهر لسبب ورصدا خارجيا للظاهرة** دون التعرض ، ليس عن قصد بطبيعة الحال ، للاسباب الحقيقية الكامنة في طبيعة الظاهرة نفسها فلسطينيا وعربيا ودوليا . وقد أدى هذا الرصد الخارجي الى « وصف » ما اعتبر اسبابا للنكبة وصفا جزئيا تناول حالات منفردة (ومتراكمة) دون معالجتها من خلال نظرة شمولية تربط الجزئيات بناظم واحد يمثل علة العلل او السبب الاول الذي من خلال فهمه يمكن فهم جميع العلل الناجمة عنه والتي هي لواحق للسبب الاول . وربما نكون مغالين في طلبنا اذا توقعنا من نشرة صدرت في ذلك الوقت المبكر من عمر الفكر الفلسطيني (المتجه نحو فلسطين) ان تعطي اكثر من رصد وصفي للنكبة في وقت

لم يكن هذا الفكر بمجمله قد امتلك بعد الادوات التحليلية التي يسبر بها غور المجتمع العربي فيستخلص من جوفه المستنقعي الاسباب الحقيقية التي أدت الى نكبة العرب الاولى . بالاضافة ، فأن كثيرا من حقائق النكبة على كل صعيد تأخر اكتشافها ، مما يجعل جهد النشرة في رصد هذه الظواهر وملاحظتها أمرا ذا قيمة مرحلية يقود بالتالي الى اكتناه اعماقها (بعد ان لوحظت من خارج) عندما يتوفر العقل التحليلي .

ثانيا ــ تحديد العدو : ان تحديد « من هو العدو » يعتبر في قمة الاهمية في الفكر المقاوم، ففي ضوء هذا التحديد يجري اختيار الادوات والاسلوب لمقاومة هذا العدو . بيد ان مسألة التعرف على العدو وتحديده مرتبطة بمسألة فهم القضية (التي يتعادى فيها طرفان او اكثر) ، وبالتالي بمسألة اسلوب هذا الفهم . ومن هنا فأن اسلوب الرصد الخارجي الذي ساد في فهم مسببات النكبة انعكس ايضا في التعرف على العدو وتحديده في نشرة « الثأر » . واذا كانت النشرة منذ اعدادها الاولى قد حددت اليهود بانهم العدو، فقد احتاجت الى أربع سنوات (في العام ١٩٥٦) لكي (تصنف الاعداء) على انهم : اليهود ، المستعمرون ، وقوف البعض من الحكام العرب في صف الاستعمار ، كثرة التيارات الفكرية والعقائدية وتضاربها ، تعدد الاحزاب الشعوبية ، الفئات المستغلة المستثمرة من اقطاعية ورأسمالية(٩) . وقد كانت هذه هي المرة الوحيدة التي تجري فيها النشرة هذا التصنيف . وينبغي هنا ان نستدرك فنوضح ان النشرة ان لم تهتم بتصنيف الاعداء فهي بممارستها الكشف عن المؤامرات التي تحاك ضد القضية الفلسطينية (او قضية العرب في فلسطين كما تسميها النشرة) تشير الى هؤلاء الاعداء (بالاضافة الى اليهود) اشارات واضحة صريحة . فهي تدعو الى معركة « نخوضها ضد اليهود **والاستعمار** » كما هي تدرك ان « وقوفنا » هو « في وجه اليهود **والمعسكر الغربي** »(١٠) . وتفضح مساعي اميركة لتسفير ٢٠٠٠ شاب نازح اليها(١١)، وتعتبر كذلك « ان الاستعمار على اختلاف اتجاهاته حليف لليهود ، وجميع مشاريعه وحلوله انما تهدف لتثبيت كيانهم في ارضنا المحتلة »(١٢) . غير ان النظرة الى الاستعمار تظل في هذه الاحوال جميعا ، وفي غيرها ايضا ، من خلال **العلاقة : الاستعمار ــ اليهود** . ففي تعليق للنشرة على السياسة الخارجية لبريطانية تقول « هي اليوم كما كانت في وعد بلفور ، **يهودية استعمارية ، ولا فرق عندنا بين الاستعمار واليهودية** »(١٣) .

وان تركنا الاستعمار جانبا فأن « الحفنة الحاكمة » ان لم تصنف باطلاق ضمن خانة الاعداء فهي ليست الامل المرتجى في « الثأر » ، ذلك ان « الفئة الحاكمة وهي التي اضاعت فلسطين لا تثأر ، فهي لا تشعر شعور الشعب ولا تضمر الحقد والعداء لليهود ... وانه لمن الخسارة للعرب ان يؤمل بعضهم خيرا في الفئة الحاكمة او ينتظر خيرا على يدها »(١٤) كما « ان الدول المجاورة الحالية [لاسرائيل] لن تستطيع منفردة بكياناتها الهزيلة ان تقاوم طويلا »(١٥) . وكانت النشرة قد حكمت قبل ذلك أن الدول العربية تريد الصلح مع اسرائيل و « نقطة الخلاف بين المسؤولين العرب وبين الدول الغربية لا تتناول مفاوضات الصلح او الصلح نفسه من حيث المبدأ ، اي ان الدول العربية تقر الصلح مع اسرائيل مبدئيا ، الا انها تشترط بعض الشروط بتنفيذه »(١٦) .

اما اليهود ، باعتبار انهم الاعداء المباشرون ، فقد استأثروا باهتمام النشرة الكبير . وهناك امر جدير بالملاحظة بالنسبة لفهم النشرة لليهود كاعداء هو رفض التمييز بين اليهودية والصهيونية « فهما اسمان لمسمى واحد . فاليهود سواء كانوا في فلسطين او في خارجها تكاتفوا في صف واحد كشعب له خصائصه من اجل بناء اسرائيل ... ان هدف الوكالة اليهودية والارغون والعناصر الدينية والشيوعيين اليهود هو في النهاية واحد ، انهم جميعا يريدون اسرائيل الكبرى وكلهم يعمل في نطاق المصلحة اليهودية ... اننا نؤمن بأن التمييز بين الصهيونية وبين اليهود كشعب هو خدمة لليهود ، لان في هذا

التمييز ما يساعد اليهود ، وخصوصا اليهود القاطنين في الوطن العربي ، على تحقيق اهدافهم العدوانية . ان عداءنا هو لليهود **كشعب** لا فرق بين يميني او يساري »(١٧). ان في هذه الفقرة التي اقتسبنا عدة امور لافتة للنظر : فهي بالاضافة الى اصرارها على عدم التمييز بين اليهودية والصهيونية تعتبر ان هذا التمييز « خدمة لليهود » كما انها ترى اليهود اينما كانوا شعبا واحدا ، (يلاحظ ان تشديد كلمة (شعب) الواردة في النص اعلاه جاء كذلك في النشرة) ، والنشرة كذلك ، في هذه الفقرة وغيرها ، لا تقيم وزنا للخلافات العقائدية بين الفرق اليهودية (يسارية ام يمينية) فالعداء لها واحد . وهذه الامور جميعا في تقديرنا مبررة ومفهومة اذا اخذنا بعين الاعتبار ان العرب ، وهم المخاطبون في النشرة ، كانت جراحهم العميقة التي سببتها نكبة العام ١٩٤٨ لا تزال تنزف على أيدي الفرق الاسرائيلية تلك اليمينية والاخرى « اليسارية » ، فمن الطبيعي ان يتوجه العداء للخصم كجسم واحد ان اختلف في جزئياته فهو في العين العربية المدماة يبدو واحدا (وهو بالفعل واحد) . كما ان الصهيونية وهي التي استأثرت باهتمام العالم وهي التي كانت مخاطبة في العالم ، كانت قد طغت على كل صوت يهودي معارض وطمسته فلم يرتفع مثل هذا الصوت ليشير — ولو اشارة فيها الاعلام عن وجوده وخاصة لدى المتلقي العربي — الى اي نافذة يمرق منها التمييز بين اليهودية والصهيونية او يجعل هذا التمييز واضحا ومقبولا في وقت كان الفكر الوصفي طاغيا ما يزال على العقل العربي .

ربما كانت هذه النظرة الى اليهودية والصهيونية ناتجة — بالاضافة الى ما ذكر — عن فهم النشرة لليهود . فهي تعتبرهم شعبا واحدا له خصائصه وصفاته المميزة ليس للتاريخ والمكان دخل في تغيير هذه الصفات ، فهم « لا يشعرون بولاء لغير يهوديتهم بغض النظر عن البلد الذي يعيشون فيه ... واليهودي يظل يهوديا أكان رأسماليا او كان اشتراكيا او كان ماركسيا متطرفا »(١٨). وهذه النظرة الى « الطبيعة الثابتة » لليهود التي لا تزول ولا تحول كانت سائدة في الفترة التي عنها نكتب . وقد أدى هذا النمط من الفهم الى وضع الصراع العربي — الاسرائيلي ضمن اطار « تاريخي » فتكتب النشرة ان « هذه المعركة الناشبة بيننا وبين اليهود معركة قديمة يعود تاريخها الى قرون بعيدة في أغوار الزمن ، فهي ليست وليدة العصر الحديث ولا من نتاج الحركة الصهيونية ، بل انها تاريخية ، في قدمها ومظاهرها ، أثارها اليهود ولا يزالون بقصد الاستيلاء على أرضنا في فلسطين وخارجها ... ولقد تبلور عزمهم وظهر سافرا في القرن الماضي بقيام الحركة الصهيونية التي أعلنت بوقاحة وصفاقة انها تريد فلسطين وما وراءها »(١٩). هل هي اللاسامية ؟ نستطيع بكل اطمئنان أن ننفي ذلك . فهذا الحقد الذي « تأصل تاريخيا » مسوغ أمام شراسة الهجمة التي قام بها العدو ، وهي شراسة تحتاج الى تعبئة مضادة تتوسل كل شيء وأي شيء — بما في ذلك التاريخ — لملاقاتها وصدها ، في وقت لم يكن هناك من وسيلة لمقاومة الاستسلام التام والنهائي سوى الدفع المعنوي والتحريض الجماهيري . والتاريخ يظل سلاحا من هذه الاسلحة المعنوية التي تفعل في الجماهير وتؤثر . فازاء كثير من محاولات التسوية التي كانت تستهدف انهاء القضية « سياسيا » والتي كانت النشرة تتصدى لها بعنف(٢٠) كانت النشرة لا تجد من وسيلة أمامها سوى التأكيد على ان هذه المرحلة الراهنة من الصراع لا تنفصل عن « العداوة التاريخية » ، وانه حتى في حال اقدام الدول العربية على توقيع صلح مع العدو ينهي هذا الصراع الراهن فان القضية لا تحل ذلك « ان عداءنا لليهود أمر تقرره متطلبات الدفاع عن **الكيان القومي** »(٢١) وهي تستنجد بالتاريخ لترسيخ مقولاتها تلك . وتجدر الاشارة هنا الى أن النشرة أدركت منذ وقت مبكر الخطر الذي تمثله اسرائيل ليس على فلسطين وشعبها فحسب ، وانما على الامة العربية أيضا « فان المتتبع لتاريخ الحركة اليهودية العالمية منذ نشأتها حتى اليوم يدرك أن أهدافها لا تقتصر على اسرائيل الحالية ، فهي أضيق من أن

تسكن يهود العالم ... أن اسرائيل ستلجأ حتما الى التوسع من تلقاء ذاتها حتى ولو اننا تناسينا فلسطين »(٢٢). وفي العدد نفسه كتبت « اسرائيل اذا ما فتحت في وجهها أسواق الوطن العربي فانها بمساعدة الرساميل الاميركية ستقضي حتما على الصناعة العربية الناشئة » .

ثالثا ــ تصور الحل (الطريق والهدف) : شغل هذا الموضوع حيزا واسعا من اهتمام النشرة حتى لم يخل عدد من اعدادها من حديث عنه . فكيف نظرت النشرة الى الحل ؟ في البداية نقرر أن الهدف الظاهر من اصدار النشرة هو « مقاومة الصلح مع اسرائيل »، وهي في أعدادها الاولى تعتبر هذا الهدف هدفا مرحليا ، « يجب أن تتركز جهود العرب في هذه الفترة ضد ابرام الصلح مع اسرائيل ، لان في هذا التركيز ضمانة لمنعه »(٢٣). كما تؤكد ان « الخيانة بعينها أن ينادي عربي بالصلح مع اسرائيل باسم الاخوة وحسن الجوار »(٢٤). وهي في سبيل ذلك تقوم بفضح جميع التحركات الدولية والعربية ، والفلسطينية كذلك ، والتي يشتم منها اية رائحة تفوح بالصلح . غير ان النشرة ومع هذا النضال المشرف الذي كانت تخوضه لتحقيق ذلك الهدف ، كانت في الوقت نفسه ترسي تصورات لما ينبغي أن يكون عليه الحل النهائي للقضية العربية في فلسطين والوسائل التي يجب توسلها وصولا الى ذلك الحل . وقبل الحديث عن هذه التصورات سنورد فيما يلي ــ كمقدمة لها ــ الامور التي رفضتها النشرة وناضلت في سبيل رفضها معبئة الجماهير ضدها وهي أمور كانت تطرح آنذاك بالاضافة الى الصلح : ١ ــ **العودة الجزئية** : « أن يعود جزء من النازحين الى ديارهم لا يعني العودة ، وأن تتراجع اسرائيل بضعة أميال الى الوراء لا يعني العودة ، أن يعود أصحاب الاملاك العرب الى فلسطين لا يعني العودة »(٢٥). كما تكتب النشرة : « اننا لا ندعو الى عودة النازحين تحت حكم اليهود ... ولا ندعو الى عودة العرب ليعيشوا في ظل حكومة مشتركة مع اليهود »(٢٦). ٢ ــ **التعويض** : « لن نسلم بفكرة التعويض عن فلسطين اطلاقا لان القبول بالتعويض هو تنازل طوعي عن حق الامة العربية في هذا الجزء المغتصب من وطنها ... علينا ان نقاوم فكرة التعويض عن فلسطين لانها دسيسة يهودية »(٢٧). ٣ ــ **المفاوضات والتسويات** : « اننا نكفر بانصاف الحلول والتسويات ولا نرى جدوى مطلقا في أي مفاوضات أو مباحثات تهدف الى حل قضية العرب في فلسطين »(٢٨). ٤ ــ **الاسكان** : « اننا نقاوم مشاريع الاسكان لانها مشاريع يهودية استعمارية ، وضعت لغاية معلومة هي طمس قضية العرب في فلسطين وعقد الصلح »(٢٩).

هذا الرفض المقاوم ، والذي كان فاعلا ومؤثرا في الحقيقة ، كان ينبع من تطلعات النشرة الى ما يجب أن يكون عليه الحل والذي تختصره النشرة وتحدده بكلمة واحدة هي « الثأر » . وهي توضح في كثير من أعدادها مفهومها لهذا الشعار « حين ننادي برفع شعار الثأر ... انما نقصد المطالبة باسترداد فلسطين خالصة للعرب وطرد الغزو اليهودي من على الثرى العربي »(٣٠)، ثم هي تفصل هذا المعنى فتكتب « نعني بالثأر الجماعي او القومي أن تبادر الامة للدفاع عن حقوقها واسترجاع ممتلكاتها المغتصبة والذود عن شخصيتها وكرامتها والاقتصاص ممن يحاول طعنها في شرفها ووجدانها . اذا فالثأر له مدلول هجومي في نطاق الدفاع فحسب ، وهذا ما يميزه عن مفهوم الانتقام الذي ينتبذه كل فرد انساني خير »(٣١). هذا الشعار ، شعار الثأر ، الذي ترفعه النشرة كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بموضوعة عالجتها النشرة في جميع أعدادها تقريبا هي **الموضوعة القومية** فهي منطلقها الاساسي في النضال من أجل الثأر ، وعنها تصدر جميع مفهوماتها المتعلقة بالقضية التي تعالج . وفي المقابل اعتبرت « المفهوم الاقليمي في معالجة قضية العرب في فلسطين سببا من أسباب النكبة » كما رفضت اثارة « موضوع فلسطين بشكل **اقليمي قذر** يبعد بين عرب فلسطين والجماهير العربية الاخرى »(٣٢). والنشرة في

رفضها المفهوم الاقليمي لقضية فلسطين انما انطلقت من فهم واضح لعلاقة فلسطين بالعرب ومن ثم علاقة العرب باسترداد فلسطين ، فـ « فلسطين للعرب ... وواجب استردادها واقع على جميع العرب أينما كانوا وحيثما حلوا »(٣٣). وهذا الايمان العميق بعروبة القضية وقوميتها جعل النشرة تمتنع عن وصف القضية بالفلسطينية ، فالتعبير السائد لديها كان منذ البداية حتى النهاية **قضية العرب في فلسطين** ، وهو أمر جدير بالانتباه خاصة اذا وضعنا في الحساب أن معظم محرري النشرة كانوا فلسطينيين. وكان لا بد للموضوعة القومية أن تنعكس بالتالي على التصور الذي طرحته النشرة ازاء أمرين : الوحدة العربية ودورها في استرداد فلسطين ، والفلسطينيون ومهماتهم في العمل .

الوحدة العربية : ان الدعوة الى الوحدة العربية كانت السمة المميزة للنشرة فهي ضرورية في نظرها — بجانب انها هدف بحد ذاته — باعتبارها طريق الخلاص « فالمهم أن توجد بجوار اليهود **دولة قوية** ، والدول المجاورة الحالية لن تستطيع منفردة بكياناتها الهزيلة أن تقاوم »(٣٤). وقد وجهت النشرة جل اهتمامها — في الدعوة الى الوحدة — الى الدول المحيطة باسرائيل ، أو حسب التعبير المستحدث ، الى دول المواجهة ، ذلك انه « ما لم توجد الدولة الموحدة التي تضم العراق والاردن وسوريا (كخطوة اولى) فان وقوفنا في وجه اليهود والمعسكر الغربي سيكون أمرا شبه مستحيل »(٣٥). ومع هذا الحماس للوحدة واعتبارها طريق الخلاص كانت النشرة في دعوتها تلك تضع الدول العربية في سلة واحدة دون النظر الى طبيعة انظمتها السياسية وتركيبها الاجتماعي وارتباطها (أو عدم ارتباطها) بالارادات الغريبة عن المنطقة . فقد وجدت النشرة — في تعليق لها على تكرار الاعتداءات الاسرائيلية على قرى الحدود الاردنية — ان العلاج الصحيح لهذه المشكلة هو انقاذ الاردن من براثن الانجليز « وهذا لا يتم الا بضم الاردن الى سوريا او العراق ... وقد يقال بأن العراق مرتبط مع بريطانيا بمعاهدة وأن لا فائدة من انضمام الاردن اليه فكلاهما مرتبط بالانكليز . أما الجواب على هذا القول فهو أن العراق بلد غني بموارده ومستقل تمام الاستقلال عن بريطانيا ماليا . ثم ان العراق لم يسلس القياد يوما لبريطانيا ... [و] الاستعمار البريطاني ليس مستقرا في العراق »(٣٦). هذا المنطق الساذج في النظر الى الوحدة قد يكون مبررا اذا أدركنا أن النشرة تؤمن بأن « الوحدة والتحرر من الاستعمار معركة واحدة »(٣٧). فالنضال من أجل الوحدة يسير اذا جنبا الى جنب مع النضال من أجل التحرر من الاستعمار . والنشرة تدرك تماما أن الحكومات العربية غير قادرة على خوض معركة الثأر التي بابها الاول هو الوحدة لذلك « فنقطة الانطلاق في رسم معالم طريق النضال العملي لتحقيق الوحدة ، هي أن سلاحنا الرئيسي في المعركة يكمن في قوة الشعب وينبعث من ارادة الجماهير »(٣٨). ومع هذا الايمان الكامل بدور الشعب في صنع الوحدة (على الرغم من أن موضوعة الشعب غير موضحة بتحديد في فكر النشرة) ، ومع ان النشرة تعتبر « ان الفئة الحاكمة هي التي أضاعت فلسطين ... ولا تشعر شعور الشعب »(٣٩)، مع هذا كله فهي تتوجه الى « الساسة العرب وتخص منهم حكام سوريا ومصر — اذا كانوا جادين فعلا في رفض الاحلاف ومقاومتها — أن يسرعوا الى تحقيق اتحاد سياسي واقتصادي وعسكري يكفل لهم القوة التي تدعم موقفهم ... ويكون مثل هذا الاتحاد خطوة نحو الوحدة العربية الشاملة التي تضمن القضاء على دولة اليهود »(٤٠). ولكن مع هذا التوجه الى الساسة العرب تظل الدعوة قائمة وملحة الى تغيير الاوضاع في العالم العربي ، فحشد الامكانات العربية يتطلب أن يدخل الشعب العربي نفسه « عاملا فعالا في الميدان ... فيرغم الحكومات على تنفيذ ما يريد أو يحل محلها قادة قادرين على حشد امكانياته وقواه »(٤١). ويلاحظ ان صعود هؤلاء « القادة القادرين » الى قمة المسؤولية في الوطن العربي كان خطا استمرت الدعوة اليه في مسار النشرة جميعا . فلكي « تستقيم دفة السياسة العربية »

يتحتم « أن يرفع الشعب ... قادة الثأر الى دفة القيادة »(٤٢)، كما « ان الضمانة الوحيدة للنصر في هذا الصراع التاريخي العنيف هي أن تستقر دفة الحكم في يد الفئة المخلصة المؤمنة بحق هذه الامة في التحرر والحياة . ان الضمانة الوحيدة للنصر هي أن يرفع قادة الثأر الى مراكز القيادة »(٤٣). باجمال ، فان النظرة القومية للقضية العربية في فلسطين هي التي كانت سائدة في فهم النشرة ، والايمان بالشعب العربي وامكاناته كان ايمانا غير محدود ، فـ « انقاذ فلسطين واستعادة أرضنا المغتصبة لن يتم الا على يد الشعب العربي »(٤٤)، ومطلوب من هذا الشعب كي يصل الى مبتغاه « أن يهدم هذه الحدود المصطنعة وأن يضرب هذه النغمات الاقليمية ضربة واحدة قاضية ، فيربط بين كل مشكلة مهما صغرت ، وفي أي بلد عربي حدثت بمجموع القضية العربية... والنتيجة الحتمية ... هي حشد رائع جبار لموارد الامة وامكانياتها ... [فـ] قضية العرب في فلسطين جزء من قضية العرب الواحدة ، ولا حل لقضية العرب في فلسطين اذا لم توجد القوة الشعبية العربية الواعية »(٤٥).

الفلسطينيون : بعد كل الذي سبق عن الفهم القومي لقضية فلسطين يبدو واضحا اننا لن نجد أثرا « للفلسطينية » في فكر النشرة . فالفلسطينية ان لم تفهم على أنها هوية نضالية وليس أطروحة اقليمية هي نقيض الفكر القومي الذي بشرت به « الثأر » ودعت الى ترسيخه حلا للقضية . غير انه مع مقاربة السنة الثالثة من عمر النشرة على الانتهاء بدأ التفاتها الى البحث عن دور « للنازحين العرب » كما بدأ ادراك أهمية هؤلاء « النازحين » في المعركة . فـ « النازحون العرب تحت خيامهم البالية في مخيمات الشقاء يستطيعون — اذا أرادوا — أن يصبحوا قوة فعالة في تقرير مصيرهم ومصير الوطن الذي سلبه اليهود ... أن حوالي مليون نازح عربي، عندما يقودهم شباب مخلص قادر، يستطيعون أن يصبحوا قوة تفرض ارادتها وتساهم في رسم مستقبل شعبنا »(٤٦). والامر الملاحظ أن النشرة لم تستعمل قط تعبير الفلسطينيين ولا تعبير الشعب الفلسطيني ، وانما كان التعبير السائد في الاعداد التي راجعنا هو « النازحون » او « النازحون العرب » او « عرب فلسطين » . أما نظرة النشرة الى « النازحين » فهي كما يلي : ان من **حق** النازحين أن يساهموا في رسم مستقبلهم غير ان حل مشكلة النازحين لا يقوم على عاتق النازحين وحدهم وان نضالهم ليس منفصلا عن نضال المجموعة العربية(٤٧). وفي المقابل فانه **يجب** على النازحين أن يساهموا في حل مشاكلهم ومشاكل الامة العربية ، كما يجب أن يساهموا في رسم المستقبل العربي(٤٨). غير ان للنازحين دورا متميزا فهم « الطليعة التي ستقود الامة العربية نحو ميدان المعركة »(٤٩).

ولانجاز هذا الدور شددت النشرة على قضية تنظيم « النازحين » ذلك انه « من العسير عليهم الدخول في المعركة والخروج منها منتصرين فعلا ما لم ينخرطوا في تنظيم جماعي منسق يرسم لهم طريق العمل الجدي المثمر »(٥٠). والدعوة الى هذا التنظيم اتخذت لها أكثر من صيغة . فقد دعت النشرة الى ايجاد هيئة تمثل « النازحين » وتنطق باسمهم وتسعى لتحقيق أهدافهم « هيئة يستطيعون عن طريقها أن يساهموا في ابداء رأيهم وتدبير شؤونهم وتقرير أمورهم ... ومن واجب النازحين ان يوجدوا الهيئة التي تمثلهم وتقودهم في طريق الحياة التي يريدون »(٥١). كما دعت النشرة ، في صدد التنظيم ، الى تشكيل مكاتب عمال في مخيمات « النازحين » وهي رأت « أن مكاتب العمال هي محاولة تعمل على دفع ارادة النازحين الى حيز العمل وتخرجها للواقع ... ان مكاتب العمال هي الاداة الفعالة لتوحيد نضال النازحين من أجل العودة واعدادهم للمعركة »(٥٢). وبالاضافة الى مكاتب العمال دعت النشرة الى ايجاد **التنظيم الثوري** الذي يضع النازحين في الطليعة(٥٣). غير ان أيا من هذه الصيغ لم يتبلور في النشرة صعدا في خط واحد ومعمق ولم يتخذ له شكلا مفصلا مرسوم الملامح معروف الأبعاد .

بهذه المنطلقات والابعاد حددت النشرة الطريق نحو الحل الذي رأته في « العودة بالقوة » فكتبت « لن ينقذ فلسطين الا القوة ولن يعيد النازحين الى ديارهم الا القتال »(٥٤). أما العودة فمعناها « عودة السيادة العربية على أرض فلسطين ، سلطة مطلقة مسيطرة . العودة هي أن تعود فلسطين الى العرب ، لا أن يعود العرب الى حكم اليهود الاعداء »(٥٥). أما مصير اليهود في فلسطين فالنشرة حاسمة في موقفها فهي توضح منذ أعدادها الاولى « اننا لا نحمل وزر تشريد اليهود في العالم ولا يترتب علينا اذن واجب حل مشاكلهم »(٥٦) وهي تؤكد انهم « في معركة الثأر سيستسلمون ويطلبون الصلح ولكنهم سيرحلون أو يبادون »(٥٧). لقد كان الوقت مبكرا بعد للدعوة الى الدولة الديموقراطية في فلسطين التي يتعايش فيها الجميع دون نظر الى دين أو جنس ، وفي ظل الوهن والضياع ، اللذين كانا سائدين آنذاك ، والتآمر كذلك ، وفي غياب العمل الجاد الهادف الى استخلاص الحق ، كانت كل دعوة فيها شبهة من تنازل عن الحق العربي ، كامل الحق ، سوف توصم بالخيانة .

وبعد ، فمهما اختلفت المقاييس والمنطلقات الراهنة للفكر المقاوم ، فان النشرة تظل جزءا من تراث هذا الفكر ، قيمتها — بالاضافة الى نضالها — في فرضياتها التي طرحتها ، والتي كان على الفكر المتجه نحو فلسطين ان يتفحصها بالممارسة وتركيب النقائض ، كي يتجاوزها ، في ضوء المعطيات المستجدة دائما ، نحو فهم للقضية أفضل .

---

١ — عدد ١٩٥٢/١١/٢٠ .
٢ — ١٩٥٣/٣/٢٦ .
٣ — ١٩٥٣/١٢/١٩ .
٤ — ١٩٥٤/١/١٤ .
٥ — ١٩٥٤/١/٢٨ .
٦ — ١٩٥٤/٢/١١ .
٧ — ١٩٥٤/١٢/٢٥ .
٨ — ١٩٥٤/١٢/٢ .
٩ — ١٩٥٦/٢/٢٣ .
١٠ — ١٩٥٤/٣/٢٥ .
١١ — ١٩٥٥/٣/١٧ .
١٢ — ١٩٥٦/٥/١٠ .
١٣ — ١٩٥٣/٥/٢١ .
١٤ — ١٩٥٣/٥/١٥ .
١٥ — ١٩٥٤/٣/٢٥ .
١٦ — ١٩٥٢/١٢/١٨ .
١٧ — ١٩٥٣/١/٢٩ .
١٨ — ١٩٥٢/١٢/٤ .
١٩ — ١٩٥٣/١١/٥ .
٢٠ — نشير الى عدد ١٩٥٢/١٢/١٨ حول قرار اللجنة السياسية الخاصة التابعة للامم المتحدة الذي يدعو العرب واليهود الى الدخول في مفاوضات مباشرة للصلح ، والى عدد ١٩٥٤/١٢/٢ الذي تحدث عن مؤامرة لتحقيق الصلح بين العرب واسرائيل وعن وجود مفاوضات في لندن بين مندوبين عرب وممثلين لاسرائيل وقد قام اشخاص فلسطينيون سمتهم النشرة بجمع تواقيع تتضمن المطالبة بانهاء الحرب مع اسرائيل ومصالحتها ، والى عدد ١٩٥٣/٧/١٦ الذي حمل على مشاريع الاسكان والى عدد ١٩٥٣/٤/٢٣ الذي بين الاخطار الكامنة في فكرة التعويض.
٢١ — ١٩٥٣/٣/١٢ .
٢٢ — ١٩٥٢/١٢/١٨ .
٢٣ — ١٩٥٣/٢/١ .
٢٤ — ١٩٥٢/١٢/٤ .
٢٥ — ١٩٥٧/١١/٢١ .
٢٦ — ١٩٥٣/٦/١٨ .
٢٧ — ١٩٥٣/٤/٢٣ .
٢٨ — ١٩٥٣/٤/٩ .
٢٩ — ١٩٥٣/٧/١٦ .
٣٠ — ١٩٥٨/٣/٦ .
٣١ — ١٩٥٨/٣/١٣ .
٣٢ — ١٩٥٤/١٢/٢ .
٣٣ — ١٩٥٧/١١/١٢ .
٣٤ — ١٩٥٤/٣/٢٥ .
٣٥ — **المصدر نفسه** .
٣٦ — ١٩٥٣/٦/٤ .
٣٧ — ١٩٥٤/٧/١ .
٣٨ — ١٩٥٦/٣/١ .
٣٩ — ١٩٥٣/٥/١٥ .
٤٠ — ١٩٥٥/٣/٣ .
٤١ — ١٩٥٥/٥/١٥ .

٤٢ — ١٩٥٣/٧/١٦ .
٤٣ — ١٩٥٣/١١/٥ .
٤٤ — ١٩٥٣/٥/١٥ .
٤٥ — **المصدر نفسه** .
٤٦ — ١٩٥٥/٧/٢٨ .
٤٧ — ١٩٥٥/٨/١٨ .
٤٨ — **المصدر نفسه** .
٤٩ — ١٩٥٦/٩/٢٠ .
٥٠ — ١٩٥٦/٨/٢ .
٥١ — ١٩٥٥/٨/١٨ .
٥٢ — ١٩٥٦/٨/٢ .
٥٣ — ١٩٥٦/٩/٢٠ .
٥٤ — ١٩٥٣/٤/٩ .
٥٥ — ١٩٥٧/١١/٢١ .
٥٦ — ١٩٥٣/١٢/٤ .
٥٧ — ١٩٥٣/١/٢٩ .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

اليوميات الفلسطينية

المجلد الرابع عشر

من ١٩٧١/٧/١ الى ١٩٧١/١٢/٣١

— ٧٠٠ صفحة من الاخبار والتعليقات والتصريحات

— ٢٦ صفحة جداول بالعمليات العسكرية للمقاومة

— ٧٠ صفحة من الفهارس

— مع مقدمة تحليلية تناولت القضية الفلسطينية في نصف العام الذي يغطيه هذا المجلد

اطلب المجلد من قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

سعر المجلد ١٥ ل.ل. عدا أجور البريد .

وزارة الخارجية الاميركية وسياستها الفلسطينية

مايكل أ. جانسن

لقد اخطأت الحكومات والشعوب العربية باستمرار في قراءة افكار الولايات المتحدة ومعرفة نواياها حول المسألة الفلسطينية . ولقد مضى اكثر من خمسين سنة على التزام الولايات المتحدة « بدولة يهودية في فلسطين » ، وخمس وعشرين سنة على تورطها مع اسرائيل ، ومع ذلك ما زال بعض العرب يأملون في ان تغير اميركا موقفها وارتباطها هذا . وللان لم يحدث ما يبرر للعرب آمالهم . وفي الواقع على العرب ان يسألوا انفسهم لماذا هذا التمني ولماذا هذا الايمان الراسخ بان اميركا ستغير موقفها . أحد العوامل الرئيسية — على مستوى المؤسسات الحكومية والاشخاص في الحكم — لسوء تفسير العرب لسياسة الولايات المتحدة يمكن تسميته بـ خرافة « وزارة الخارجية الطيبة » . ويمكن تفسير هذه الخرافة كالتالي : ان النفوذ الصهيوني الكبير في الولايات المتحدة يضطر رئيس الجمهورية اتباع سياسة مؤيدة لاسرائيل ، فاذا استطعنا ازالة قبضة هذا النفوذ عن الرئيس ، يصبح بامكان وزارة الخارجية الطيبة ان تحدث التغييرات التي يطلبها العرب في السياسة الخارجية لاميركا .

وقد ابتكر العرب خرافة « وزارة الخارجية الطيبة » هذه نتيجة للسياسة المعادية للعرب والمؤيدة للصهيونية التي يتبناها « البيت الابيض الشرير » . اما الذين خلقوا وما زالوا يؤمنون بهذه الخرافة فهم بعض العرب الذين يرفضون التخلي عن اميركا والذين يبحثون باستمرار وتفاؤل عن اصدقاء في واشنطن . ولكن هذه الآمال واهية وخادعة لان وزارة الخارجية منذ ١٩٤٧ لم تدافع ككل عن المصالح العربية في فلسطين ، كما ان المجموعة المؤيدة — للعرب في الوزارة قد هزمت في كل مرحلة من مراحل تكوين سياسة الولايات المتحدة . وان الوثائق التي افرجت الحكومة الاميركية عنها حديثا وقد صدرت بعنوان « العلاقات الخارجية للولايات المتحدة ، ١٩٤٧ » (عن مكتب الحكومة الاميركية ، للطباعة ، ١٩٧١) تظهر كيف هزم اصدقاء العرب وكيف تابعوا خدماتهم للوزارة باخلاص ولعبوا دورهم في صنع سياسة كانوا يعارضونها بشدة .

قبل ان نصف ما حدث قبل ربع قرن ، عام ١٩٤٧ ، علينا ان نتفحص باقتضاب دور وزارة الخارجية الاميركية في عملية رسم السياسة الخارجية . علينا اولا ان نسأل هل بامكان وزارة الخارجية احداث تغيير اساسي في السياسة الاميركية ؟ الجواب هو كسلا . فان الرئيس ، وليس وزارة الخارجية ، هو المسؤول عن رسم السياسة الخارجية . اما مسؤولية الوزارة فتنحصر في اجراء الدراسات ، وكتابة التوصيات ، وتطبيق قرارات الرئيس جزئيا على الاقل . اذن « فالخرافة » تتضمن اعتقادا خاطئا بوجود وزارة خارجية عليا ومسؤولة .

الوجه الاخر الخاطىء « للخرافة » هو اعتبار وزارة الخارجية كلا واحدا بدلا من تجمع مناصب واقسام مختلفة وغالبا ما تكون متصارعة مع بعضها بعضا . ان الايمان العربي « بوزارة طيبة » يقوم على اساس معرفة العرب « بالخبراء » في قسم الشرق الادنى

ومكتب شؤون الشرق الادنى والشؤون الافريقية ، وعلى اساس معرفتهم بموظفي وزارة الخارجية في السفارات العربية . وقد وقف العديد من هؤلاء الاشخاص الى جانب العرب حول المسألة الفلسطينية واعربوا لاصدقائهم العرب عن معارضتهم للسياسة الاميركية في هذه المسألة . ولكن هؤلاء الاشخاص يشكلون اقلية صغيرة من موظفي وزارة الخارجية . ويجب الا ننسى ان للوزارة رئيسا سياسيا يعين تعيينا ، وزير الخارجية ، وانه يخضع مباشرة لرئيس الجمهورية . فليس هناك اية سياسة **مستقلة** لوزارة الخارجية حول اي موضوع ، فالوزير وموظفوه يقومون بتفسير السياسات التي يرسمها رئيس الجمهورية وبتطبيقها ، سواء احبوا تلك السياسات او لم يحبوها .

ففي عام ١٩٤٧ قامت الدوائر العليا في وزارة الخارجية — وزير الخارجية ومساعده ، ومكتب الشؤون السياسية الخاصة والمكتب المسؤول عن ادارة المناطق التي احتلتها اميركا في المانيا والنمسا — بفرض سياسة رئيس الجمهورية على بقية اقسام الوزارة . وكانت السياسة التي فرضوها هي سياسة تقسيم فلسطين . وبذلك قامت المعارضة داخل الوزارة بالمشاركة على مضض — نتيجة لهزيمتها وعزلها — في حملة عشرة اشهر لفرض السياسة الاميركية حول فلسطين على الامم المتحدة . وقد كتب الكثير حول اللحظات الاخيرة لهذه الحملة ، وحول الضغوطات والتهديدات التي استعملت لجمع ثلثي الاصوات الذي يتطلبه تبني الجمعية العامة لقرار التقسيم ، ولكن لم يجر الكشف عن تلك الحملة بكاملها الا حين اطلقت هذه الوثائق مؤخرا .

لقد التزمت الولايات المتحدة بالتقسيم في ٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٦ عندما اعلن الرئيس هاري س. ترومان ، خلافا لتوصية ونصيحة « خبراء » وزارة الخارجية ، تأييده لخطة التقسيم التي وضعتها الوكالة اليهودية في اب (اغسطس) ١٩٤٦ . وقد أوصت هذه الخطة بحدود يهودية مماثلة لخطوط هدنة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ التي اقامها الجيش الاسرائيلي ، دون المطالبة بمثلث الوسط والقدس . ولم يكن الصهاينة ، قبل وضع هذه الخطة ، قد حددوا الارض التي سيقبلون بها . (كانوا بالطبع يريدون دولة يهودية في فلسطين كلها ، ولكنهم قبلوا بأقل من ذلك مؤقتا ، حينئذ) . وقد جاء اعلان آب ليقلب السياسة الاميركية حول فلسطين راسا على عقب : فقد ايد الرئيس ترومان الجهود الرامية الى التسوية بين الطرفين في فلسطين . وبناء على هذا الهدف تم اعطاء التعليمات للممثلين الاميركيين في لجنة التحقيق الانجلو — اميركية عام ١٩٤٦ لكي يوصوا بدولة موحدة في فلسطين تضم مقاطعات عربية ويهودية . وقد اعطيت الصلاحية للسيد هنري غرادي ، المبعوث الاميركي ، لكي يرسم خريطة الدولة المقترحة . وقد أدى خطاب الرئيس في ٤ تشرين الاول ، والذي جاء نتيجة لضغوط صهيونية ومتطلبات سياسية شخصية ، الى عكس سياسة التوفيق الاميركية ووضع الولايات المتحدة في مجرى لا يمكن معه الا ان تصطدم بالعرب في النهاية .

وكانت هناك اسباب اخرى دفعت الولايات المتحدة الى تفضيل حل التقسيم للمعضلة الفلسطينية : اولا ، كان هناك التزام من جانب اميركا للصهيونيين عام ١٩١٩ «بالاعتراف بفلسطين كدولة يهودية حالما تبرز الدولة اليهودية الى حيز الوجود » . (كما جاء في مذكرة أعدها عام ١٩١٩ مستشارو الرئيس ودروو ولسون لتقدم الى مؤتمر باريس للسلام) . ورغم ان عام ١٩٤٦ كان بعيدا عن وجود دولة يهودية ، الا ان الصهاينة كانوا متشوقين للحصول على اية دولة . وهكذا عرضوا تقسيم فلسطين على اساس ان التملك الفوري لنصف فلسطين كان أفضل من الانتظار لتملكها كلها فيما بعد .

من المؤكد ان قرار الرئيس ترومان بتأييد خطة الوكالة اليهودية كان نفعية سياسية ، الا ان التقسيم المبكر لفلسطين وانشاء دولة يهودية هناك كان له جانب نفعي اكثر اهمية لان الدولة اليهودية كانت ستشكل مركزا ملائما لتجميع اليهود اللاجئين من اوروبا ،

وخاصة الذين كانوا يعيشون في المناطق التي كانت القوات الاميركية تحتلها والذين كانوا سببا للاحتكاك الدائم بين حكومتي الولايات المتحدة وبريطانيا . وكان ترومان قد طلب عام ١٩٤٥ السماح لمئة الف لاجيء يهودي بدخول فلسطين . وقد رفضت بريطانيا بحث هذا الطلب ، خوفا من نتائج دخول ذلك العدد الكبير من اليهود الى فلسطين ، رغم ان الرئيس ترومان كرره في مناسبات عديدة . وكانت حسابات الرئيس ترومان تشير الى ان دولة يهودية يمكن ان تستوعب المئة الف لاجيء واكثر بكثير . وقد استمر الصهاينة في الضغط على ترومان من اجل اولئك المئة الف يهودي لان هذا العدد من المهاجرين سيعطي الصهاينة **الامر الواقع** الديموغرافي الذي كانوا ينشدونه في فلسطين .

واخيرا ، كان انصار التقسيم ، العمليون لكن السذج ، يرون في التقسيم افضل حل آني للمشكلة الفلسطينية المزعجة والتي كانوا عازمين على انهائها في دورة ١٩٤٧ للجمعية العامة للامم المتحدة .

وقد سعى صانعوا السياسة الاميركية الى تمرير قرار التقسيم عبر الامم المتحدة لانهم كانوا يرغبون في تفادي نتائج سياستهم هذه . وكان خوف اميركا الرئيسي ان يقوم العرب بطرد القوات البريطانية من مواقعها الاستراتيجية في العالم العربي . وكان الاميركيون يشعرون ان ذلك سيعني نهاية الهيمنة الغربية في المنطقة وبداية النفوذ السوفياتي . أما مصالح اميركا الاخرى — النفط ، التجارة والمعاهد التعليمية — فقد كانت ذات اهمية ثانوية .

وقد تم تخطيط وتنفيذ الجزء الاكبر من الحملة الاميركية من اجل التقسيم من قبل وزارة الخارجية . وكان يتزعم هذه الحملة الجنرال جورج س. مارشال (الذي اصبح وزيرا للخارجية في ١٤ كانون الثاني ١٩٤٧) الذي كان يتمتع باحترام كبير ولا يسمح لارائه الشخصية بالتدخل في عمله . وقد فسر دوره على انه ضابط مسؤول عن تصميم استراتيجية الشؤون الخارجية بحيث تحقق الاهداف التي حددها رئيسه الاعلى ، اي رئيس الجمهورية . وقد طلب مارشال ، في أول اجتماع عقده مع كبار موظفي وزارة الخارجية ، من دين اتشسون الذي كان يشغل منصب مساعد وزير الخارجية ان يستمر في عمله وان يعتبر نفسه كبير موظفيه . وكان اتشسون ، مثل مارشال ، يهتم بخدمة رئيسه على احسن وجه ، ولكنه كان يتحرك بدافع طموحه الشخصي ، وذلك أمر كان يفتقده مارشال . وقد جنى اتشسون ثمار خدماته فيما بعد اذ تم تعيينه كوزير للخارجية (لم يكن تعيين وزراء الخارجية يأتي دائما من خارج سلك الوزارة) . ويبدو ان دين اتشسون كان مولعا شخصيا بالتقسيم كحل للنزاعات على البلد الواحد . فقد قام عام ١٩٦٠ ، بعد ان فشل التقسيم فشلا ذريعا في كل من الهند وفلسطين ، بوضع خطة لتقسيم قبرص حاولت الحكومة الاميركية ان تفرضها على الجزيرة . وكان لدور اتشسون في المراحل الاولى لتطوير استراتيجية التقسيم أهمية خاصة لان الوزير مارشال كان مشغولا اساسا ، حتى حزيران على الاقل ، باوروبا وليس بالشرق الاوسط (تم خلال النصف الاول من عام ١٩٤٧ وضع خطة مارشال لاعادة تنظيم اوروبا) .

ويمكن ان نذكر من بين انصار التقسيم في وزارة الخارجية الذين لعبوا دورا رئيسيا في الحملة : هرشل ف. جونسون ، مساعد مندوب الولايات المتحدة في الامم المتحدة ، والجنرال جون هيلدرينغ ، مساعد وزير الخارجية لشؤون المناطق المحتلة ، ودين راسك ، مدير مكتب الشؤون السياسية الخاصة ومساعده روبرت م. مكلنتوك الذي أصبح فيما بعد سفيرا لاميركا في لبنان . أما كبار الرسميين ، من خارج وزارة الخارجية، الذين كانوا يدعمون التقسيم فهم : السيدة فرانكلين د. روزفلت ، ارملة رئيس الجمهورية السابق ومندوبة اميركا في الامم المتحدة ، ودافيد نيلز ، مساعد خاص لرئيس الجمهورية .

أما المعارضون الرئيسيون للتقسيم في وزارة الخارجية فكانوا : لوي هندرسون وموظفو مكتبه لشؤون الشرق الادنى وافريقيا ، وعدد من موظفي السلك الدبلوماسي . وقد انضم روبرت لوفت ، مساعد وزير الخارجية والوزير المؤقت فيما بعد ، الى المعارضة لكنه قبل في وقت لاحق السياسة التي كان يعارضها . وقد عارض التقسيم ايضا مبعوث مجلس النواب الى الجمعية العامة ، السناتور وارن اوستين . اما جون فوستر دالس، عضو الوفد الاميركي للامم المتحدة ، فلم يتخذ موقفا من التقسيم والتزم الصمت .

وقد بدأت الحملة قبل اجتماع الجانبين البريطاني والصهيوني في لندن للبحث عن حل للمشكلة . فقد قابل اللورد انفرتشابل ، السفير البريطاني في واشنطن ، مساعد وزير الخارجية اتشسون في مكتبه في ٢١ كانون الثاني . وقد أبلغ اتشسون ان امام الحكومة البريطانية ثلاثة سبل يمكن اتباعها وانها ستقرر أيها تختار اثناء محادثات لندن . وهذه السبل هي : التقسيم ، والاقلمة (سيادة الاقاليم ضمن دولة موحدة) ، وتسليم الانتداب للجمعية العامة للامم المتحدة بدون تقديم اية توصيات . وكانت لدى اللورد انفرتشابل تعليمات بجس نبض اتشسون حول الموقف الاميركي من التقسيم بشكل خاص — « كان السيد بيرنز [وزير الخارجية السابق] قد طرح ، في محادثاته مع السيد بيفن ، مسألة التقسيم وحث على التفكير فيها ، ولكن بيفن لم يتخلص من شكوكه حول موقفنا من التقسيم » . من الواضح ان بيفن ، وزير الخارجية البريطانية ، اعتقد ان الوزير الجديد ، مارشال ، كانت له افكاره الخاصة حول المسألة . ولكن اتشسون خيب آماله حين اجاب بان « الحل الاسهل تأييده على الولايات المتحدة هو الحل القائم على اساس التقسيم » . وقد قام اتشسون بتسليم مذكرة رسمية الى اللورد انفرتشابل في ٢٧ كانون الثاني تؤكد الموقف الاميركي وتشدد على تردد اميركا في قبول الاقلمة كحل بديل .

وقد أدت اعادة تأكيد اتشسون لسياسة ترومان ٤ تشرين الاول الى تلبيد جو المفاوضات في لندن بالغيوم . وكان ارنست بيفن يأمل في موافقة يهودية على اقتراح الاقلمة ، ولكن الممثلين اليهود تمسكوا بمطلب التقسيم الذي كانوا يعلمون ان الولايات المتحدة تؤيده . وقد قامت الحكومة البريطانية ، نتيجة لذلك باختيار البديل الثالث الذي ذكره اللورد انفرتشابل لاتشسون وسلمت مشكلة فلسطين الى الامم المتحدة بدون اية توصيات ، وكانت هذه الخطوة تشكل ثاني أفضل بديل يلي التقسيم ، بالنسبة لصانعي السياسة الاميركية . وهكذا لم تقدم بريطانيا أية توصية للامم المتحدة لا يمكن للولايات المتحدة ان تؤيدها ، او قد تضطر الولايات المتحدة الى معارضتها كما هو الحال مع حل الاقلمة .

وخوفا من ألا يتولى البريطانيون أي دور قيادي في الجمعية العامة مما يخلق فراغا قد يملأه السوفييت ، قام اتشسون بضمان الدور القيادي لاميركا لكنه فعل ذلك بشكل لا يضطر الولايات المتحدة للالتزام **علنا** بأية محادثات مع الحكومة البريطانية . وكان اتشسون يخشى ان يجابه الحل القائم على اساس التقسيم والذي تفضله اميركا « مصاعب كبيرة تجعل تمريره على المجتمع الدولي مستحيلا » بالرغم من « فوائده المحلية » . وبذلك فضل ان يرى كيف يتطور الوضع الدولي قبل ان يعلن التزام الولايات المتحدة بذلك الحل . وقد أتفق لوي هندرسون مع اتشسون حول هذه النقطة . وهكذا غابت سياسة الرئيس ترومان حول التقسيم عن المسرح خلال الاشهر الاولى من الحملة.

أما المناورة التكتيكية الثالثة فكانت الترتيب لتكوين لجنة تحقيق جديدة من قبل الجمعية العامة للامم المتحدة لكي تذهب الى فلسطين وتعود بتوصيات للدورة العادية للجمعية في أيلول (سبتمبر) . وكان التقسيم التوصية الرئيسية التي تسعى اليها هذه المرة ، لان توصية لجنة التحقيق الانجلو — اميركية لم تعجب الصهاينة . وبعد مفاوضات مطولة بين واشنطن ولندن ، دعت الحكومة البريطانية بصفتها منتدبة على فلسطين الى عقد جلسة خاصة للجمعية العامة حددت جدول اعمالها بتكوين لجنة تحقيق جديدة . وقد

منعت هذه الخطوة الوفود العربية من اثارة كافة الامور المتعلقة بمستقبل فلسطين . وقد تم عقد الجلسة الخاصة في ٢٨ نيسان (ابريل) .

في تلك الاثناء ، ارسل وزير الخارجية في ١٧ نيسان مذكرة (كتبها دين راسك) الى رئيس الجمهورية يقترح عليه ثلاثة اختيارات لتكوين لجنة التحقيق . كان الاختيار الاول يتضمن لائحة بالبلدان التي اعتبرت « دولا لا مصلحة لها في الامر » ، مع استبعاد الخمسة الكبار والدول العربية . وقد تضمنت اللائحة كندا ، نيوزيلاندا ، السويد ، بلجيكا ، تشيكوسلوفاكيا ، البرازيل ، المكسيك ، كولومبيا ، النرويج ، وسيام . كان هذا التوزيع لصالح اوروبا واميركا اللاتينية ، وخاصة الدول الصديقة للولايات المتحدة والمرتبطة بها . وقد حقق وزير الخارجية مارشال انتصارا في ١٦ أيار (مايو) اذ تبينت الجمعية العامة الاختيار الاول للولايات المتحدة ، مع تعديلات بسيطة وتوسيع التوزيع الجغرافي . فقد استبدلت نيوزيلاندا باوستراليا ، وبلجيكا بهولندا ، والدول اللاتينية بغواتيمالا واوروغواي والبيرو ، وسيام بالهند وايران كأعضاء آسيويين ، والنرويج بيوغوسلافيا . وفي الواقع كانت اللجنة التي شكلتها الجمعية العامة اكثر نفعا لانصار التقسيم من اللجنة التي اقترحتها الولايات المتحدة أصلا . فقد ضمت ١١ عضوا يتوقع ان يقف سبعة منهم الى جانب التقسيم بينما يعارضه اربعة وهم الاسيويان والشيوعيان . وقد تألفت اللجنة من مندوبين عينتهم حكوماتهم ويتصرفون حسب تعليماتها . وقد كانت تلك الدول « غير مهتمة » بمعنى عدم تورطها مباشرة في النزاع ، ولكن هذا لا يعني انها حيادية . فلم تكن تلك الدول حيادية ، خاصة بعد ان كشف مارشال في ٥ حزيران (يونيو) عن خطته لاعادة تنظيم اوروبا . وبالتالي كانت نتائج تحقيقات اللجنة الخاصة للامم المتحدة حول فلسطين معدة سلفا . كانت سياسة الولايات المتحدة بتبني مشروع التقسيم ، وكانت تلك اللجنة ستعلن انها الى جانب التقسيم ايضا .

وقد رفضت الولايات المتحدة ، من أجل تدعيم وهم التحقيق النزيه ، أن تفرض نفسها أثناء الجلسة الخاصة . وقام الرئيس الاميركي في ٥ حزيران ، بناء على ايحاء من مارشال ، باصدار بلاغ يطلب فيه « من كل مواطن اميركي وكل مقيم في أميركا » أن « يمتنع عن» أي نشاط قد يعرقل بحث الامم المتحدة الموضوعي عن حل لمشكلة فلسطين . ورغم ان لوي هندرسون وموظفيه كانوا فريقا في الخديعة فقد حاولوا تفادي نتائج التقسيم باقتراحهم اقامة دولة ديمقراطية مستقلة في فلسطين تكون الهجرة اليها محدودة . واتبع وارن اوستين خط هذا الفريق في الامم المتحدة . وقد عبر الوزير مارشال للسناتور أوستين في رسالة بتاريخ ١٣ حزيران عن اعتقاده بأنه على الولايات المتحدة « ألا تعطي أي تصريح علني عن آرائها ... الا اذا حدثت تطورات غير متوقعة » .

وفي ٧ تموز قدم لوي هندرسون الى الوزير مارشال مذكرة أعدها موظفوه تتضمن أربع خطط حول مستقبل فلسطين . كانت أولى هذه الخطط حول « دولة ذات قومية واحدة في فلسطين » ، والثانية حول « دولة ذات قوميتين » ، والثالثة والرابعة حول التقسيم . كانت خطة التقسيم الاولى تعطي اليهود ١٥٠٠ ميل مربع من فلسطين ، والثانية تعطيهم ١٥٠٠ ميل مربع بالاضافة الى النقب ومساحته ٥٠٠٠ ميل مربع . وكانت المذكرة تفضل الخطتين الاولى والثانية على خطتي التقسيم . ولكن الخطتين الثالثة والرابعة هما اللتان حازتا على اهتمام الدوائر العليا في وزارة الخارجية واللتان شكلتا أساس المطالب المتعلقة بالارض التي قدمتها الولايات المتحدة للجمعية العامة أثناء بحث التقسيم . وهنا ايضا قام « الخبراء » بدورهم وهزموا .

وفي ٣١ تشرين الاول أعلنت اللجنة الخاصة نتائج تحقيقاتها . كانت هناك توصيتان حول مستقبل فلسطين : الاولى يؤيدها غالبية اعضاء اللجنة (غواتيمالا ، اوروغواي ، تشيكوسلوفاكيا ، كندا ، هولندا ، بيرو ، والسويد) وتدعو الى تقسيم فلسطين .

والثانية تدعمها الاقلية في اللجنة (الهند ، ايران ، يوغوسلافيا) وتدعو الى دولة اتحادية مستقلة . وقد امتنعت اوستراليا، بناء على ايحاء من بريطانيا ، عن ابداء رأيها.

وفي ١٥ أيلول عقد الوزير مارشال في نيويورك أول اجتماع حول استراتيجيته . وقد حضر الاجتماع أعضاء وفد الولايات المتحدة للامم المتحدة المؤيدين للتقسيم . وكان هدف هذا الاجتماع معرفة مارشال رأي أعضاء الوفد حول الوقت الذي يجب ان تعلن فيه اميركا قرارها حول تقرير لجنة التحقيق الخاصة . وكان الوزير قد أحضر معه من واشنطن تصريحا كتبه مساعداه لوفت ولوي هندرسون لكي يلقيه أمام الجمعية العامة في ١٧ أيلول . وقد عارض الجنرال هليدرنغ والسيدة روزفلت ما جاء في التصريح . وقالت السيدة روزفلت ان على الولايات المتحدة أن تؤيد تقرير الاغلبية على أساس تأييد جهود الامم المتحدة ، سواء كانت صائبة او خاطئة ، جيدة أو سيئة (جدير بالذكر أن هذه الكلمات استعملها اللورد بلفور ليصف وعده) ، لان ذلك الموقف « سيقوي مكانة الامم المتحدة في أذهان الشعب الاميركي » . أما الاعتبار الذي كان يشغل فكر مارشال فكان مسألة تطبيق التقسيم . وكان يرى ان على الولايات المتحدة متابعة المسألة — اذا أيدت تقرير الاكثرية — ولو اضطرت الى وضع قوات في فلسطين .

وفي ١٧ أيلول أعلن الوزير مارشال أمام الجمعية العامة ان الولايات المتحدة تعطي « وزنا كبيرا ليس فقط للتوصيات التي حظيت باجماع أعضاء اللجنة الخاصة ، وانما للتوصيات التي حظيت بموافقة أكثرية أعضاء تلك اللجنة أيضا» وهكذا قام مارشال بتعديل التصريح الذي أعطاه اياه « الخبراء » في واشنطن ليتلاءم مع ما يريده أنصار التقسيم في نيويورك. وقد رفضت الوفود العربية تصريح الوزير ، بينما حاولت بريطانيا عبثا أن تعرف من الوفد الاميركي « المعنى الدقيق » لتصريح الوزير . لكن لوي هندرسون كان يعرف جيدا معنى تصريح مارشال . وقام في ٢٢ أيلول بارسال مذكرة « سرية جدا » اليه يعبر فيها عن آرائه وآراء أعضاء مكتب شؤون الشرق الاوسط وافريقيا . وقد قال في المذكرة « لن يكون في صالح المصالح الوطنية الاميركية ان تقوم الولايات المتحدة حاليا بتأييد اي خطة لتقسيم فلسطين او انشاء دولة يهودية في فلسطين » . بعد ابداء هذا الرأي ، انتقلت المذكرة الى تقديم حجج تفصيلية ضد « تأييد الولايات المتحدة لخطة الاكثرية » . وقد أرفق هندرسون بالمذكرة رسالة يؤكد فيها انه «رغم الآراء الواردة في المذكرة فان موظفي مكتبي يعملون باخلاص لتطبيق القرار الذي اتخذته يوم الاثنين الماضي (١٥ أيلول) ، وما لم تبلغنا خلاف ذلك فاننا سنستمر في تنفيذ القرار بشكل يقلل قدر الامكان الضرر الذي سيلحق بعلاقاتنا ومصالحنا في الشرقين الادنى والاوسط » . ولم تتخط معارضة لوي هندرسون وموظفيه « المؤيدين للعرب » للتقسيم حدود مذكرات «سري جدا» و«سري». وبالرغم من أن رسميي وزارة الخارجية هؤلاء كانوا يعتبرون ان تلك السياسة ستلحق أضرارا بالمصالح الوطنية للولايات المتحدة ، وبالرغم من أن واجبهم الاساسي هو خدمة بلدهم وليس خدمة سياسات ادارة رئيس معين ، فقد اكتفوا بتسجيل اعتراضاتهم ، وتابعوا تطوير وتنفيذ السياسة التي اعتبروها مضرة . ولم تحصل أية استقالات أو أي احتجاجات علنية . وفي المقابل ، أدى العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ الى ثلاث استقالات في وزارة الخارجية البريطانية : انتوني ناتينغ ، وايفان لورد ، وكان حينئذ ملحقا في سفارة بريطانيا في بكين على بعد آلاف الاميال من السويس وأصبح فيما بعد وزيرا في حكومة العمال ، وبيتر مانسفيلد الذي كان حينئذ دبلوماسيا يدرس اللغة العربية في لبنان ويعتبر الآن من كبار الخبراء البريطانيين في الشؤون العربية . أما الرسميون الاميركيون الذين عارضوا التقسيم فقد استعملوا المذكرة لارضاء ضمائرهم ثم تابعوا أعمالهم وكأن شيئا لم يحدث .

وفي ٢٣ أيلول دعا الوزير مارشال المندوبين العرب ، السعودي والسوري والعراقي والمصري واللبناني ، الى حفلة غداء اكد لهم خلالها أن الولايات المتحدة لم تلتزم تماما بالتقسيم . وقد تمكن مارشال بواسطة هذه الخطوة من الاستمرار في خداع العرب . ثم دعا مارشال الى اجتماع آخر حول استراتيجيته في ٢٤ أيلول عندما بدأت الجمعية العامة تبحث مشكلة فلسطين . وكان بين الحضور السيدة روزفلت ودين راسك والجنرال هيلدرينغ ، وكلهم من أنصار التقسيم . وقد حدد الوزير كيفية تصرف مندوب الولايات المتحدة في اللجنة التي شكلتها الجمعية العامة لبحث موضوع فلسطين . وقد ذكر ان على المندوب : ١) أن يمتنع عن القاء كلمة افتتاحية ، ٢) ان يؤيد ويشجع البحث العام (لايهام الآخرين بحرية ونزاهة التحقيق والدراسة) . ٣) ان يقوم عند انتهاء البحث العام باعطاء آراء الولايات المتحدة . وكان موقف الولايات المتحدة يؤيد خطة الاكثرية — مع التشديد على التقسيم والهجرة الواسعة النطاق . واقترح مارشال أيضا تحديد « موقف بديل » اذا لم تحصل خطة التقسيم على ثلثي الاصوات الضرورية لاقرارها .

وفي ٣٠ أيلول قام مكتب لوي هندرسون بالتعاون مع مكتب دين راسك بتسليم الوزير مذكرة حول استراتيجية حملته : الهدف الرئيسي للاستراتيجية الاميركية هو الحصول على « توصية من **الامم المتحدة** حول مشكلة فلسطين والعمل على فرض موقف الولايات المتحدة بهذا المجال بشكل **لا يمكن ان تعتبر معه التوصية الاخيرة للجمعية العامة خطة أميركية** » . ويمكن القول أن اخفاء دور أميركا كان محاولة من قبل اصدقاء العرب للاحتفاظ لاميركا برصيد وسط ذلك الوضع الخطير . ولكن محاولتهم كانت فاشلة مثل محاولة الاولاد الذين يضبطون وهم يسرقون بأن يلقوا اللوم على الآخرين . وقد فشل ذلك التكتيك هذه المرة . ولكن علينا أن ننظر اليه على حقيقته ، فقد كان محاولة من جانب « أصدقاء » العرب في وزارة الخارجية الاميركية لخداع العرب .

وقد عقد اجتماع الاستراتيجية العليا في مكتب مارشال في ٣ تشرين الاول ، وقد انضم للذين حضروا الاجتماعين الاولين السناتور أوستين والسفير هرشل جونسون . وقد اتفق الحاضرون على أن خطة التقسيم لن تحظى بالاصوات المطلوبة لتبنيها وبالتالي يجب أن تكون هناك محاولة لاسترضاء العرب . وكان لدى الولايات المتحدة بعض التعديلات « لصالح العرب » (اعطاء النقب الجنوبي للعرب وتغيير في توزيع ارض الجليل) التي قد تزيد من امكانية تبني الخطة . وقد قال مارشال أن الولايات المتحدة مستعدة لان تلعب دورها في تطبيق الخطة من خلال الامم المتحدة . واتفق على أنه في حال هزيمة قرار التقسيم ، يكون الموقف الاميركي البديل هو المطالبة بشكل من أشكال « الوصاية » . وأخيرا اتفق على الا تحاول الولايات المتحدة كسب الدعم للتقسيم في أوساط أعضاء الامم المتحدة . وكان هذا القرار من بقايا الخط السياسي الذي نصح به « الخبراء » المؤيدون للعرب في واشنطن . ولكن حتى هذا ما لبث أن هزم .

وفي ١٣ تشرين الاول أعلن الاتحاد السوفياتي ، الذي كان الى ذلك الحين قد أعطى الانطباع بأنه لن يؤيد التقسيم ، تأييده للتقسيم . وبذلك أصبحت الطريق ممهدة امام هذا المشروع .

وقد قام أنصار التقسيم في واشنطن بدفعة استراتيجية أخيرة في مكتب دين راسك . فقد قال روبرت مكلنتوك في مذكرة مؤرخة ٢٠ تشرين الاول أن أمام الولايات المتحدة « طريقا واحدا فقط : أن تؤيد بحزم خطة الاكثرية ... وان تعمل على اقرارها في جلسة الجمعية العامة الحالية » . وقد عبر لوي هندرسون في ٢٢ تشرين الاول عن معارضته ومعارضة موظفيه لهذه السياسة وأصر مرة أخرى على الوصاية كأفضل حل بديل .

وفي ٢٢ تشرين الاول فوض الوزير مارشال رسميا كلا من الجنرال هيلدرينغ والسفير جونسون في الامم المتحدة بأن « يجمعا الاصوات اللازمة لتأييد المقترحات الاميركية » المعدلة لخطة الاكثرية والمتعلقة بتطبيقها . وكانت هذه المذكرة الرئيسية بالطبع قابلة لتفسير أشمل . وبالتالي بدأ وفد الولايات المتحدة يجمع الاصوات بنشاط لتأييد خطة التقسيم نفسها ولتأييد التعديلات الاميركية عليها . وقد أيدت الولايات المتحدة أيضا تقصير فترة السنتين الانتقاليتين التي اقترحتها اللجنة الخاصة واقترحت انشاء الدولتين في أول تموز (يوليو) ١٩٤٨ . وكان الاقتراح الاخير لصالح الصهاينة بالطبع .

وكان قرار تجميع التأييد للتقسيم بكل نشاط نهاية نفوذ معارضي التقسيم . وقد انتقلت عملية صنع السياسة جغرافيا من واشنطن الى نيويورك . وهناك أيضا ، في مقر الوفد الاميركي ، هزم معارضو التقسيم مثل وارن أوستين والحياديون مثل جون فوستر دالس ، بينما انتقل جونسون وهيلدرينغ ودافيد نيلز المقرب من رئيس الجمهورية الى الهجوم .

وفي ٢٤ تشرين الاول أبرقت الوزارة الى سفاراتها في العالم العربي بوجوب اجلاء الرعايا الاميركيين ، فقد كانت هناك توقعات كبيرة بانتقام العرب من الافراد الاميركيين والمؤسسات الاميركية .

وهناك حادثة حصلت يوم ١٩ تشرين الثاني ، أثناء تحديد المواقف النهائية حول توزيع الاراضي ، تدل على مدى تتبع الرئيس الاميركي شخصيا لما كان يحدث في نيويورك . فقد اتصل ترومان هاتفيا بالجنرال هيلدرينغ الذي كان على وشك أن يطرح موقف الولايات المتحدة من النقب . وكانت وزارة الخارجية قد أعطت هيلدرينغ تعليمات باقتراح النقب الجنوبي منطقة عربية . لكن الرئيس ، الذي قابل حاييم وايزمن في نفس اليوم ، أوضح لهيلدرينغ ان الولايات المتحدة تلتزم بتقرير الاكثرية الذي أعطى النقب كله لليهود . وهكذا قرر الجنرال هيلدرينغ تأجيل تصريحه السياسي ، على أمل انه في حال تبني الجمعية العامة لتوزيع الاراضي حسبما جاء في خطة الاكثرية يصبح النقب كله يهوديا .

وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ تبنت الجمعية العامة خطة التقسيم التي وضعتها الاكثرية في لجنتها الخاصة . وقد أيدت الخطة ٣٣ دولة وعارضتها ١٣ دولة وامتنعت ١٠ دول عن التصويت وغابت دولة واحدة . وبذلك نجحت حملة وزير الخارجية مارشال . وخلال وقت قصير قدمت وزارة الخارجية تبريرا شفهيا لنجاح خطة التقسيم . ففي ٢٦ كانون الاول ، أبرق روبرت لوفت ، وزير الخارجية الاميركية بالوكالة (كان مارشال في لندن) الى سفارة الولايات المتحدة في القاهرة يعطي تفسيرا للسياسة التي اتبعتها اميركا جاء فيه : « بعد مراجعة التصريحات السياسية لمسؤولين اميركيين كبار ، ومراجعة قرارات الكونغرس ، ومراجعة برامج الاحزاب خلال الثلاثين عاما الماضية ، توصلت الحكومة الاميركية الى الاقتناع بأنه ما لم يكن هناك عامل غير محسوب في الوضع فان اتجاه الرأي العام والسياسة المبنية على أساسه قد أجبرت عمليا الولايات المتحدة على تأييد التقسيم » . وقد وقع البرقية الرئيس ترومان للدلالة على موافقته . وانتهت المسرحية ، لكن كانت لها ذيولها . ففي ٣٠ تشرين الثاني تم تدمير مقر البعثة الاميركية في دمشق ، وفي ٤ كانون الاول هوجمت السفارة الاميركية في بغداد . وقد بدا في تلك اللحظة ان أسوأ مخاوف « الخبراء » في وزارة الخارجية ستتحقق وان محاولتهم خداع العرب قد فشلت . ولكن الجزاء المخيف الذي توقعه « الخبراء » لم يقع . فلم يجر أي ترحيل جماعي للاميركيين من العالم العربي ، ولم تدمر المصالح الاميركية التجارية والتعليمية ، ولم تمس المصالح الانجلو ــ أميركية الاستراتيجية . وقد احتفظت بريطانيا بموقعها في قلب الشرق العربي لمدة عشر سنين اخرى وفي الخليج العربي لعشرين سنة أخرى .

اما الامر الذي أنقذ الاميركيين فكان خرافة « وزارة الخارجية الطيبة » . ورغم ان هذه الخرافة اختراع عربي فانها خدمت المصالح الاميركية لا العربية . وقد ساهم في دعم التضليل الميكافيليون في وزارة الخارجية الذين يريدون من العرب ان يستمروا في الاعتقاد بأنه في يوم أبيض قد تتبنى الولايات المتحدة سياسة توفيقية حول فلسطين . كما ان المؤيدين للعرب قد لعبوا دورهم في هذا المجال أيضا . فقد ساهم أمثال لوي هندرسون وهنري بيرود (وأمثال هارولد بيلي في الجانب البريطاني) في جعل الخرافة قابلة للتصديق . ولكن من الامور الملفتة للنظر انه لم يرتفع أي من هؤلاء الرجال الى القمة ، ولا حتى الى الصف الاول ، في وزارة الخارجية ، بينما أصبح اتشسون ودالس ودين راسك وزراء للخارجية . وبالاضافة الى ذلك، ما زالت سيطرة الميكافيليين على الوزارة، التي ترسخت عام ١٩٤٧ ، مستمرة . فعلى المسرح الحالي استطاع المتصلب جوزيف سيسكو أن يضعف موقف تشارلز يوست الذي اعتبر موقفا توفيقيا جدا لصالح وجهة النظر العربية .

اذا لم يكن واضحا من قبل ، فقد أصبح مؤكدا الآن ، مع توفر وثائق عام ١٩٤٧ ، ان الفئة المؤيدة للعرب في وزارة الخارجية الاميركية كانت دائما غير قادرة على احداث تغييرات في السياسة الاميركية وان معارضي السياسة المؤيدة لاسرائيل كانوا غير مهيئين أو مستعدين للعمل ضد تلك السياسة بشكل علني . فهم لم يكونوا مستعدين لنقل معارضتهم الى الشعب الاميركي أو للاستقالة من الوزارة وسط عاصفة من الاحتجاج .

واذا استمر المسؤولون العرب ، رغم هذا الدليل ، في التمسك بخرافة « وزارة الخارجية الطيبة » ، ما عليهم الا أن يطلعوا على حقيقة جديدة : ففي آذار ١٩٧٣ قام الرئيس الاميركي بنقل كامل مسؤولية رسم السياسة الاميركية حول شؤون الشرق الاوسط من وزارة الخارجية الى **مجلس الامن القومي** الذي يعمل تحت امرته مباشرة . فهذه الحقيقة يجب أن تكون كافية لكي تقنع في النهاية اولئك الذين ما زالوا يتمسكون بالخرافة بأن ذلك التمسك لا معنى له .

الآراء الاميركية الرئيسية الثلاثة حول فلسطين

بقلم

مايكل جانسن

منشورات مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

٤٦ صفحة بليرة لبنانية واحدة
تضاف اليها أجور البريد : ٥٠ ق.ل.
في العالم العربي ، ١٠٠ ق.ل. في
أوروبة ، ٢٥٠ ق. ل. في سائر الدول

الصهيونية واسرائيل وآسيا

بقلم ج. هـ. جانسن

ترجمة راشد حميد

منشورات مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

٢٤٩ صفحة — ٨ ل.ل.
تضاف اليها أجور البريد : ١٠٠ ق. ل.
في العالم العربي ، ٢٥٠ ق. ل. في
أوروبه ، ٥٠٠ ق. ل. في سائر الدول

أضواء حول
جذور معطيات الاستراتيجية العسكرية الصهيونية عشية حرب ١٩٤٨

محمود عزمي

يقول الكاتب الاسرائيلي الامريكي الجنسية « ناداف صفران » في كتابه « من حرب الى حرب » « تشكل حرب ١٩٤٨ موضوعا لا غنى عنه للدراسة لكل من يريد أن يفهم كافة تعقيدات الصراع العربي ــ الاسرائيلي الذي دشنته هذه الحرب »(١).

والواقع أن دراسة الاستراتيجية الاسرائيلية بصفة عامة سواء كانت الاستراتيجية الشاملة أو الاستراتيجية العسكرية ــ وهي ليست الا تطبيق الاستراتيجية الشاملة للحركة الصهيونية في الحقل العسكري المباشر ــ تتطلب ضرورة دراسة الاستراتيجية الاسرائيلية التي طبقت خلال المرحلة الممتدة من صدور قرار التقسيم في نوفمبر ١٩٤٧ الى توقيع اتفاقيات الهدنة الدائمة في بداية ١٩٤٩ . وهي المرحلة التي نتج عنها التكوين الرسمي لدولة اسرائيل واعتراف المجتمع الدولي واهدار كيان فلسطين .

ولما كانت الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية المطبقة في المرحلة الاولى من مراحل المواجهة العسكرية الشاملة بين الشعوب العربية والاستعمار الصهيوني الاستيطاني ، ليست وليدة يوم صدور توصية هيئة الامم المتحدة بتقسيم فلسطين ، وانما تشكلت مقوماتها وتكاملت معطياتها تدريجيا وعبر تخطيط طويل استغرق حقبة تاريخية ممتدة من عام ١٩٠٩ على الاقل حتى عام ١٩٤٧ . لذلك كان لا بد من القاء أضواء البحث العلمي التاريخي حول مرحلة التكون التاريخي لمعطيات هذه الاستراتيجية العسكرية .

وبطبيعة الحال لن تعرض دراستنا هذه لكافة تفاصيل أحداث وتطورات تلك الحقبة التي تشكل جذور الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وانما ستعرض للاحداث بالقدر الذي يخدم رؤية الخطوط العامة الرئيسية للموضوع . كما أنها لن تعرض لجانب النضال العربي المضاد للمخطط الصهيوني ، لان ذلك يخرج بها عن الغرض والحيز المحدد لها .

هدف الاستراتيجية العسكرية الصهيونية :

يقول « ليدل هارت » ان الاستراتيجية هي « فن توزيع واستخدام الوسائل العسكرية لتحقيق أهداف السياسة »(٢). ويقول « أندريه بوفر » أنها « فن استخدام القوة للوصول الى أهداف السياسة »(٣). كما يقول « كلاوزفيتز » أنها « نظرية استخدام المعارك كوسيلة للوصول الى هدف الحرب »(٤).

ولقد كان هدف الحركة الصهيونية ومن ورائها الامبريالية العالمية هو انتزاع أرض فلسطين وطرد شعبها لاقامة دولة يهودية عنصرية عن طريق القوة . دولة ذات مقومات مفتعلة بالكامل ، دولة يجري تصدير أجزائها من خارج البلاد ويعاد تركيبها فوق أرضها بالقوة ! دولة يعلم المخططون من أجل زرعها في قلب الوطن العربي تمام العلم أنها لا تمتلك أصلا أو موضوعيا وتاريخيا أي مقومات حقيقية لوجودها . وليس أدل على ذلك

من تقرير لجنة الخبراء الامريكيين المقدم الى الرئيس « ويلسون » حول هذه المسألة في ١٢ يناير ١٩١٩ والذي جاء فيه أنه « من الصحيح أن فلسطين يجب أن تصبح دولة يهودية فيما لو جعلها اليهود كذلك ، ومتى أتيحت لهم الفرصة الكاملة ... بيد ان اليهود في الوقت الحاضر ، لا يكادون يؤلفون سدس مجموع السكان البالغ عددهم ٧٠٠ الف في فلسطين ... وباختصار فان فلسطين أبعد ما تكون بلدا يهوديا الآن. الا انه يمكن الاعتماد على بريطانيا ، كدولة منتدبة ، لكي تمنح اليهود ذلك المركز الممتاز (المميز) الذي يجب حصولهم عليه »(٥)!

لقد أرادت الاحتكارات الامبريالية الدولية لهذه الدولة أن تقوم ، وهي بسبيل تخطيطها لخريطة المنطقة في مرحلة التصفية النهائية للامبراطورية العثمانية الاقطاعية المتخلفة واعادة تقسيمها مرة اخرى بين مراكز النفوذ الجديدة في العالم الرأسمالي ، أرادت الاحتكارات الرأسمالية وهي في عنفوان بداية عصر الامبريالية لاسرائيل ان تقوم حتى تكون « حاجزا بشريا قويا وغريبا على الجسر البري الذي يربط اوروبا بالعالم القديم ويربطهما معا بالبحر الابيض المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة ، وصديقة للدول الاوروبية ومصالحها »(٦) ؛ وذلك كما جاء في توصيات مؤتمر « كامبل بنرمان » الذي دعا اليه حزب المحافظين البريطاني ورفع توصياته الى حزب الاحرار الحاكم في عام ١٩٠٧ ، وقد حضر جلساته التي انعقدت في لندن كبار علماء التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والاجتماع والبترول والزراعة من كافة الدول الكبرى الاستعمارية !

وقد حدد الرئيس الامريكي «ترومان» دور هذه الدولة في المنطقة — بعد أن تحقق المخطط في ظروف زعامة الولايات المتحدة للعالم الامبريالي وسعيها المستمر من أجل اعادة تقسيم المنطقة لصالحها على حساب بريطانيا وفرنسا — بقوله عقب اعلانها في مايو ١٩٤٨ « لقد قامت اسرائيل في منطقة الشرق الاوسط ، لكي تتصدى لتيار النعرة الوطنية ، فاذا لم تستطع أن تحقق هذا ، فلا اقل من أن تجتذبه بعيدا عن مصالح البترول الامريكي في الشرق الاوسط »(٧)!

ولما كان تنفيذ المخطط الصهيوني — الامبريالي بالاستيلاء على فلسطين وطرد سكانها العرب وانشاء دولة اسرائيل لا يمكن له أن يتم دفعة واحدة وبطريقة فجائية سريعة ، نظرا لان فلسطين نفسها كانت لا تزال في أيدي تركيا ، ونظرا لان ظروف الصراع المسلح بين بريطانيا وتركيا والمانيا أثناء الحرب العالمية الاولى كانت تستوجب الاستعانة بقوى الثورة العربية ضد الاستعمار التركي (لورنس والوعود باستقلال الدول العربية الخ) ، هذا فضلا عن تأثير التناقض بين بريطانيا وفرنسا من جهة والولايات المتحدة الامريكية من جهة أخرى حول ثروات المنطقة ، بعد أن اقتسمت كل من بريطانيا وفرنسا المنطقة فيما بينها بمقتضى معاهدة « سايكس — بيكو » في عام ١٩١٧، ومحاولات أمريكا اجتذاب ولاء الحركة الصهيونية في فلسطين نحوها مما دفع بريطانيا الى محاولة ايجاد نوع من التوازن النسبي في المنطقة حتى لا تراهن بمصالحها كلها على جواد الصهيونية الجامح . ونتيجة لكل ذلك بالاضافة الى أن الهجرة اليهودية نفسها لم تكن تسير بالسرعة اللازمة نحو فلسطين الى أن حفزتها الحركة النازية في المانيا ابتداء من ١٩٣٣ ، كان لا بد للاستراتيجية الصهيونية الشاملة ، وبالتالي استراتيجيتها العسكرية في مرحلة استكمال عناصر ومقومات وجودها وفاعليتها ، أن تتبع أسلوب الاستراتيجية غير المباشرة ، ذات الطابع المرحلي المتسلسل التدريجي ، والتي تعتمد على المناورات الخارجية أساسا للحصول على القدر اللازم الجزئي من حرية العمل في كل مرحلة فوق ساحة التطبيق المحلي أو الداخلي .

معطيات الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية في طور التكوين :

تتمثل المعطيات الاولية أو العناصر والمقومات الاساسية لاي استراتيجية عسكرية في عناصر : القوة البشرية ، الوضع الجغرافي ــ الاستراتيجي ، الموارد الاقتصادية ، القيم الوطنية والروح المعنوية ، المقدرة التنظيمية والقيادية . ويشكل العنصر الاخير في واقع الامر عنصر القدرة الانسانية الذاتية ومدى كفاءتها في استخدام المعطيات أو العناصر الموضوعية الاخرى وتحويلها الى قوة تنفيذية عسكرية فعالة قادرة على تحقيق أهداف السياسة .

ونظرا لعدم وجود أي مقومات طبيعية أصلا للكيان الصهيوني في فلسطين فقد جرى تصدير معظم أو كل المعطيات الاولية اللازمة للاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية تدريجيا، وتم اختلاق وتدعيم وتعزيز هذه المعطيات من خارج البلاد أساسا وفقا للمخطط الشامل لانشاء هذه الدولة الشاذة التكوين بصورة تدريجية مرحلية. وسنبحث الآن طريقة اعداد كل عنصر أو معطى من معطيات هذه الاستراتيجية منذ أن بدأ تنفيذ المخطط الاستعماري في بدايات هذا القرن حتى استكملت معظم صورتها الاساسية عند بداية القتال الفعلي في عام ١٩٤٨ قبل وبعد النشأة الرسمية لدولة اسرائيل :

١ ــ **القوى البشرية** : في عام ١٨٨٢ كان السكان اليهود في فلسطين حوالي ٢٤ الف نسمة ، ثم تتابع وصول موجات من اليهود المهاجرين من روسيا القيصرية وبولندا عقب عمليات اضطهاد لليهود حدثت هناك اثر اغتيال الكسندر الثاني في عام ١٨٨١ فوصل فلسطين نحو ٢٥ الفا آخرين فيما بين عامي ١٨٨٢ و١٩٠٣(٨). وعند صدور وعد « بلفور » عام ١٩١٧ كان يسكن فلسطين ٥٦٦٧٠ يهوديا(٩)، وعند حصول بريطانيا على صك انتداب فلسطين عام ١٩٢٢ كان عدد اليهود ٨٣ر٨ ألف يمثلون ١٢ر٩ ٪ من جملة سكان البلاد . ونتيجة لاعمال الهجرة المنظمة من قبل الحركة الصهيونية العالمية والمنفذة نتيجة لوعد « بلفور » البريطاني بصورة رسمية أو سرية فقد وصل تعداد السكان اليهود في فلسطين عند صدور قرار التقسيم من هيئة الامم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧ الى ٦٥٨ الفا تقريبا ، ثم الى ٧٥٩ الف يهودي تقريبا في ديسمبر ١٩٤٨ عقب انشاء الدولة وقرب نهاية حرب ١٩٤٨ .

وكانت المنظمة الصهيونية العالمية تعمد الى اختيار الشباب أساسا لارسالهم الى فلسطين في هذا التهجير المنظم الذي تم أساسا من دول شرق أوروبا والمانيا خاصة عقب قيام النظام النازي ، وهكذا وجدت المنظمات العسكرية السرية الصهيونية وعلى رأسها « الهاجاناه » حاجتها اللازمة من القوى البشرية الصالحة في معظمها لمباشرة الاعمال القتالية . وحول هذه المسألة يقول « ايجال آلون » بصدد تطور « الهاجاناه » في فترة ١٩٢٠ ــ ١٩٣٩ « وقد تدعمت الهاجاناه خلال تلك الفترة بسيل الهجرة اليهودية القادمة من دول كثيرة ، وخاصة من شرق أوروبا . وهذه الهجرة لم تزد من المورد البشري للهاجاناه من الناحية الكمية فقط ، ولكنها دعمته من ناحية الكيف أيضا . لقد كانت غالبية الوافدين الجدد شابة ومثالية متحمسة ، ولقد ذاق الكثير منهم طعم النشاط السري شبه العسكري ، عندما كانوا يدافعون عن الاحياء اليهودية في شرق أوروبا ضد الغارات المعادية للسامية »(١٠).

وفي الفترات التي كانت بريطانيا تحد نسبيا من سيل الهجرة لاعتبارات سياسية معينة أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية تتصل بتهدئة السكان العرب أو محاولة تقليص النفوذ الامريكي المتزايد على المنظمات الصهيونية والوكالة اليهودية ، كانت أمريكا تضغط بشدة من أجل السماح بمزيد من الهجرة ، وذلك مثلما حدث من طلب الرئيس الامريكي « ترومان » الموجه الى رئيس الوزراء البريطاني « آتلي » في ٣١ أغسطس ١٩٤٥ بأن

يمنح حق الهجرة لمائة الف يهودي بصفة اضافية الى فلسطين . وعندما ابدى وزير خارجية بريطانيا « بيفن » معارضة لهذه المطالب في يونيو ١٩٤٦ هدد الكونجرس الامريكي بعدم اعتماد قرض قدره ٣٧٥ مليون دولار لبريطانيا ! الامر الذي اجبر بريطانيا على التراجع واتخاذ موقف اقل تشددا من موضوع الهجرة . وهكذا عملت أمريكا على سرعة استكمال بناء القوة البشرية المطلوبة للجيش الاسرائيلي الذي كان يجري اعداده بصورة سرية ظاهريا في فلسطين تحت اشراف الوكالة اليهودية (وهي الحكومة الاسرائيلية غير الرسمية من الناحية الفعلية) . وقد تم خلال الفترة من ١٩٤٦ حتى مايو ١٩٤٨ ادخال نحو ٦٢ الف يهودي الى فلسطين بمختلف طرق الهجرة السرية ورغم بعض المحاولات المحدودة التي قامت بها بريطانيا لمنع الهجرة غير الشرعية ، ضمن سياستها العامة لتحديد نطاق النفوذ الامريكي في فلسطين .

٢ ــ **المستعمرات تصنع الوضع الجغرافي ــ الاستراتيجي** : لقد جرت عملية التسلل التدريجي للاستعمار الصهيوني الاستيطاني في اتجاهين ، الاول يقضي بزيادة نسبة السكان اليهود في المدن الرئيسية خاصة المدن الواقعة على شاطىء البحر الابيض المتوسط مثل « تل أبيب » ــ التي كانت أصلا مجرد ضاحية لمدينة يافا ــ و« حيفا » و« عكا » وكذلك في « القدس » باعتبارها القاعدة الاساسية في وسط البلاد والتي تركز عليها الدعاية الدينية للحركة الصهيونية والاتجاه الثاني ويقضي بخلق وجود مادي زراعي واستراتيجي صهيوني حول المدن وعند النقاط الاستراتيجية وقرب حدود البلاد ، عن طريق انشاء مستعمرات زراعية تخلق ارتباطا اقتصاديا وشعورا بالتوطن بين المهاجرين و« أرض الميعاد » ، وتبدل من عاداتهم الاصلية في الاعمال التي درجوا عليها من قبل كأقليات يهودية تخصصت في اغلب الحالات في أعمال غير انتاجية بشكل مباشر وبالصورة المطلوبة لانشاء دولة ذات كيان مستقل قائم على السكان اليهود فقط . مستعمرات يسهل تحويلها الى قلاع وحصون ذات اكتفاء ذاتي دفاعي الى حد ما تكون بمثابة رأس جسر عميق داخل جسم البلاد العربية ، تحمي مؤخرتها المدن والقواعد الساحلية التي ستتدفق منها أفواج المهاجرين والاسلحة اللازمة لاستكمال كيان الدولة . وبهذه الصورة يمكن ان يخلق الوجود الصهيوني ويصنع الواقع او الوضع الجغرافي ــ الاستراتيجي للدولة الصهيونية . ويقول آلون بصدد انشاء المستعمرات وسياسة اختيار مواقعها خاصة في الثلاثينات « وكان تطوير وتخطيط المستعمرات الصهيونية الرائدة يتقرر من البداية وفقا للاحتياجات السياسية ــ الاستراتيجية . لم يكن اختيار الموقع يتم وفق الاعتبارات الاقتصادية وحدها ، بل كان الاهم منها ، احتياجات الدفاع المحلي ، والاستراتيجية العامة للاستيطان الصهيوني ، التي كانت ترمي الى ضمان وجود سياسي يهودي في كافة انحاء البلاد ، وكذلك الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه المجموعة أو تلك من المستعمرات في أي صراع عام يحدث في المستقبل ، والذي قد يكون حاسما . وفقا لذلك كانت الاراضي تشترى ، وفي معظم الاحيان تستصلح ، في أجزاء نائية من البلاد وفي أعماق مناطق آهلة بالسكان العرب ، أو على مقربة من الحدود السياسية للبلاد اذا كان ذلك ممكنا »(١١) . لقد كانت سياسة انشاء المستعمرات تتم قبل الثلاثينات في الاغلب الاعم على اساس مجرد انشاء وتدعيم الوجود المادي الصهيوني داخل الريف الفلسطيني ، ولذلك كانت المستعمرات تنشأ في الوديان والسهول ذات الصلاحية الزراعية بطريقة اقتصادية . ومع تزايد فاعلية ووعي النضال العربي ضد الوجود الصهيوني والاستعمار البريطاني في فلسطين ، أخذت خطة الوكالة اليهودية في اختيار مواقع انشاء المستعمرات الجديدة ــ خاصة من نوع « الكيبوتز » ــ تتأثر في الاساس بالعوامل العسكرية الاستراتيجية وليس بمجرد أهداف الوجود المادي السياسي الصهيوني والعوامل الاقتصادية المتصلة بالانتاج الزراعي المتوقع من أرض المستعمرة الجديدة . لقد أصبح اختيار مواقع

المستعمرات يتم على أساس أن يوفر الموقع المختار للمستعمرة « الاشراف على المناطق الحيوية أو حصار المدن الهامة أو تأمين الدفاع عن الحدود وتوفير الاتصال والحماية المتبادلة بين المستعمرات ومناطقها وأخيرا تأتي مدى صلاحية المكان من الوجهة الاقتصادية وخاصة خصوبة الارض وتوفر المياه »(١٢). لقد كانت شبكة المستعمرات تعد بحيث تلعب دورا استراتيجيا هاما في الصراع المقبل مع العرب داخل فلسطين وخارجها، ذلك لان هذه الحصون كانت عنصرا أساسيا لازما لزيادة العمق الاستراتيجي الضئيل للبلاد أو على الادق للتقليل من خطورة ضحالة العمق الاستراتيجي للدولة المزمع قيامها ازاء احتمال مهاجمتها من الدول العربية المجاورة التي قد تستشعر الخطر من قيامها . وخاصة ان واقع احاطة هذه الدول بفلسطين من ثلاث جهات باستثناء البحر فقط ، سيفرض على القيادة العسكرية الصهيونية ضرورة الحركة السريعة على الخطوط الداخلية ونقل قواتها من جبهة الى أخرى (وهو ما حدث فعلا بعد ذلك عند نشوب حرب ١٩٤٨ وفي حرب ١٩٦٧) الامر الذي يتطلب تثبيت احدى الجبهات أو أكثر أثناء تركيز العمليات الهجومية ضد جبهة أخرى ، والمستعمرات باعتبارها نقاطا حصينة ثابتة تستطيع أن تساعد كثيرا على تحقيق هذا الهدف خاصة وأنها لن تتطلب والحال هذه الدفاع عنها بقوات كبيرة أو بقوات متحركة ، وبذلك تساعد على توفير القوة الضاربة الهجومية المتحركة التي سيجري تحريكها على الخطوط الداخلية ، بفضل اقليمية أو محلية وسائلها الدفاعية المتمثلة في مزارعيها الذين يجمعون بين صفتي المزارعين والمحاربين في آن واحد وتحصنهم داخل استحكاماتها . ويوضح « آلون » هذه المسألة فيقول « أصبح على كل مستعمرة يهودية أن تكون قلعة هاجاناه في الوقت نفسه . وصحب التخطيط الاقتصادي والزراعي لبناء المستعمرات ، تخطيط عسكري وترتيبات حربية . كان على ميزانية الهجرة أن تهتم بالسيف والمحراث على السواء . ان هذه الاحتياجات قد أدخلت على التخطيط والتنفيذ العسكري للهاجاناه عناصر جديدة كثيرة ، بما في ذلك استراتيجية أكثر دقة على مستوى البلاد كلها ، تراعي الاعتبارات المحلية والتخطيط الشامل والقدرة الاكبر على الحركة . وفوق ذلك كله ، فان هذه الاحتياجات عجلت بانشاء « قيادة عليا » مدنية سرية — تتصرف بتفويض كامل من جانب المؤسسات السياسية الشرعية للمجتمع اليهودي في فلسطين — وهيئة أركان حرب عامة عسكرية سرية ، تتكون من الفروع المعتادة لمثل هذه الهيئة ويرئسها رئيس لهيئة الاركان »(١٣). هذا وقد اتخذت المستعمرات الزراعية — الاستراتيجية أحد شكلين أساسيين ، الاول عرف باسم « الكيبوتز » والثاني عرف باسم « الموشاف » . ولكن « الكيبوتز » كان هو النوع الاكثر انتشارا بين المستعمرات اليهودية المنشأة قبل أيار (مايو) ١٩٤٨ ، وذلك بحكم أنه كان الشكل الاكثر ملاءمة لتحقيق أهداف الاستعمار الاستيطاني في الاستيلاء على الارض واستغلالها اقتصاديا بسرعة وكفاية أسلوب الانتاج الكبير وحمايتها بفاعلية ، فضلا عن دورها كنقاط ارتكاز استراتيجية . لقد كان « الكيبوتز » هو المعسكر الانتاجي — الحربي الذي شكل البوتقة اللازمة لاعادة صهر معدن الانسان اليهودي غير المعتاد على العمل اليدوي الانتاجي والروح القتالية العسكرية واعداده لمرحلة الصدام الحتمي المنتظرة مع العرب .

وقد بلغ عدد « الكيبوتزات » المنشأة قبل ايار (مايو) ١٩٤٨ نحو ١٧٦ « كيبوتز » ضمت في بداية اكتوبر ١٩٤٧ عشية قرار تقسيم فلسطين ٤٧٦٤٠٨ من سكان فلسطين اليهود البالغ جملتهم وقتئذ نحو ٦٤٩٠٠٠٠ اي بنسبة ٧٫٣٪ . بينما لم ينشأ طوال الفترة من ايار ١٩٤٨ حتى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٨ سوى ٥٩ « كيبوتز » فقط(١٤)، واتجه انشاء المستعمرات الى « الموشاف » وغيرها من انواع المستعمرات الاخرى . ويرجع هذا الى الاهمية الخاصة التي كانت لحركة « الكيبوتز » في بداية الاستعمار الاستيطاني وما صاحبها من دعاية أيديولوجية ديماغوجية حول دورها الاشتراكي التقدمي وما

أسبغته عليها هذه الدعاية الصهيونية من هالة مزيفة حول حماس الطلائع من الشباب الذين ذهبوا الى فلسطين ليحرثوا الارض ويزرعونها وينتزعون الوطن السليب مرة أخرى بعد قرون طوال من الحياة في المنفى الخ .

وقد كانت المسحة الاشتراكية المزعومة لحركة « الكيبوتز » (وذلك من حيث الادعاء بأن العمل فيها يجري وفقا للعقيدة الماركسية القائلة « من كل حسب قدرته ولكل حاجته » وأنه لا وجود لاي تمايز طبقي بين صاحب العمل والاجراء داخل الكيبوتزات(١٤)، بينما ان صاحب العمل هو المنظمة الصهيونية العالمية وصناديقها المالية المختلفة ، والذي يخضع هذه الكيبوتزات وعمالها الذين يعيشون حياة عسكرية اسبرطية تحت شعار الملكية الجماعية والحياة المشتركة لخدمة المخطط الاستعماري الامبريالي ، وكأن هذه المستعمرات يمكن ان تقيم اشتراكية خاصة بها داخل الاطار العام للمجتمع الاسرائيلي الرأسمالي المحيط بها والذي يعيش في صلة عضوية وتكامل مع الاحتكارات الرأسمالية العالمية بالاضافة الى الصفة البروليتارية المزعومة ايضا لحركة « الهستدروت ») ، كان لها تأثير مضلل الى حد كبير على قطاعات كبيرة من المهاجرين اليهود الذين قدموا الى فلسطين من روسيا ورومانيا وبولندا نظرا لتأثر الكثيرين منهم بالحركات الثورية والاشتراكية في اوطانهم الاصلية ، كما كان لها بعض التأثير على عديد من المنظمات اليسارية العالمية وعلى بعض الدول الاشتراكية مثل تشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٤٨ ، خاصة وأن العرب بنظمهم الاجتماعية المتخلفة وحكامهم من الملوك الاقطاعيين وتبعيتهم للاستعمار البريطاني كانوا يبدون في ظل هذه الدعاية الصهيونية وتنظيماتها السياسية والاجتماعية كقوة رجعية متخلفة تريد الوقوف في وجه قوى تقدمية ثورية ! لقد خلقت المستعمرات عنصر الارض والموقع الاستراتيجي لكيان اسرائيل المصنوع ، وكان « الكيبوتز » أساسا شكل الحياة والعمل الملائم لاغراض المستعمرات عسكريا ، بحكم انه الاكثر صلاحية لاجتذاب الشباب اليهودي المضلل من بين الطبقات الكادحة في دول شرق اوروبا التي عانى عقدة « الجيتو » حتى يقدم دمه بحماس على مذبح الصهيونية الاستعمارية ، كان « الكيبوتز » هو مدرسة الكادر الصهيوني الثوري — ان صح التعبير — ففيها تعلم اليهود لغتهم القومية وهي العبرية وفيها تعلموا امساك الفأس والبندقية ، وفيها نشأت « الهاشومير » ثم « الهاجاناه » وفيها نشأ معظم قادة اسرائيل ومنها خرجت احزابها السياسية .

٣ — **الامبريالية توفر الموارد الاقتصادية والعسكرية** : لقد قدمت الرأسمالية الامريكية ذات الميول الصهيونية الموارد المالية الرئيسية اللازمة لعمليات تسلل الاستعمار الاستيطاني في فلسطين قبيل التكوين الرسمي لاسرائيل . فمثلا « بلغ مجموع تبرعات المنظمات اليهودية والصناديق الخاصة في الولايات المتحدة في الفترة ما بين ١٩٣٩ حتى نهاية ١٩٤٨ والتي قدمت الى المستوطنين الصهيونيين من ٢٨٢ مليونا الى ٣٠٢ مليون دولار »(١٤). وهذا بالاضافة الى نحو ١٤٠ مليون دولار اخرى تلقتها اسرائيل كمعونات من الولايات المتحدة في عام ١٩٤٨ بعد انشاء الدولة(١٤).

وليس هناك احصاء دقيق معروف لكمية الاموال الهائلة التي جمعتها المنظمة الصهيونية العالمية طوال سني نشاطها منذ نشأتها عام ١٨٩٧ وحتى عام ١٩٤٨ ، ومولت بها عملية الاستعمار الاستيطاني في فلسطين سواء من ناحية شراء الاراضي الزراعية أو نفقات بناء المستعمرات او ترحيل أفواج المهاجرين أو انشاء صناعات ومصارف الخ . ولكن يكفي ان تعلم ان دخل هذه المنظمة العالمية بلغ في عام ١٩١٤ مثلا ٢٣٧،٢٨٤،٨٣ ماركا المانيا من روسيا ، ١٤٤،١٣٣،٢٧ ماركا من النمسا ، ١٤٣،٧٤٠،٥٠ ماركا من امريكا الشمالية ، ١٠٧،٩٠٥،١٧ ماركا من المانيا، ٣٧،٥٦٣،٥٠ ماركا من كندا، ١٨،٨٦٢،١٤ ماركا من بريطانيا ، ٢٠،٧٦٦،٩٧ ماركا من افريقيا الجنوبية(١٥)!

ونتيجة لكل هذه الاستثمارات ارتفع الانتاج الصناعي في فلسطين وتحت سيطرة العناصر الصهيونية من مبلـــغ ٢٠١ مليون جنيه استرليني عام ١٩٢٩ الى ٣٦٠٣ مليـــون جنيه استرليني عام ١٩٤٢ ، كما زاد عدد العمال اليهود من ٧٦٠٠ عامل سنة ١٩٣٠ الى نحو ٥١ ألف عامل سنة ١٩٤٨(١٦). كما بلغت جملـــة الاراضي الزراعية التي وقعت تحت السيطرة الاسرائيلية، سواء بالشراء او بالاستيلاء بالقوة، نحو مليون و ٦٥٠ الف دونم في عام ١٩٤٨(١٤) . وعلى هذه الاسس نشأ الاقتصاد الاسرائيلي اللازم للدولة الجديدة الغاصبة ، ولكنها لم تكن كافية لتحقق نموا اقتصاديـــا يكفل حمايـــة الدولة وتدعيمها لتواصل الاستمرار في خدمة تحقيق الاهداف الامبريالية التي خلقت من اجلها . ولذلك نجد اسرائيل تعاني في السنة الاولى من نشأتها عجزا خطـــيرا في ميزانها التجـــاري اذ وصلت قيمة وارداتها (سيف) ٢٥٢ مليون دولار بينما بلغت قيمة صادراتها (غوب) ٢٩ مليون دولار في عام ٤٨ ــ ٤٩(١٦). فكان أن تلقى هذا الاقتصاد الذي لا تتوفر لـــه موارد محلية كافية سواء في مصادر وخامات الانتاج او رؤوس الاموال كميات هائلة من المساعدات ورؤوس الاموال ، خاصة اذا ما وضعناها بالنسبة لعدد السكان ومساحة البلاد . ففي خلال السنوات من ١٩٤٨ الى ١٩٥١ بلغت قيمة الدخل القومي نحو ١٠٩ مليار دولار بينما بلغت قيمة رؤوس الاموال الوافدة نحو ٨٢٢ مليـــون دولار اي بنسبة ٤٠٪ من الدخل القومي . وبلغت نسبة التمويل الخارجي في جملة الاستثمارات العامة ٥٥٪ في عام ١٩٤٩ ، ٤٢٪ في عام ١٩٥٠ ، ٤١٪ في عام ١٩٥١(١٤). هـــذا وقد بلغت جملة الاموال التي تلقتها اسرائيل من الولايات المتحدة الاميركية منذ عـــام ١٩٤٨ حتى نهاية ١٩٦٢ ، في شكل مساعدات او قروض او تبرعات المنظمة الصهيونية في اميركـــا أو رؤوس أموال أو بيع سندات اسرائيل في الولايات المتحـــدة ، نحو ٣١٨٦٠٢ مليون دولار(١٤). وهذا بخلاف التعويضات الالمانية وغيرها من القروض والمساعدات المباشرة وغير المباشرة من الدول الاستعمارية الاخرى .

٤ ــ **الصهيونية تصنع عنصر القيم المعنوية** : لقد بنت الحركة الصهيونية دعايتها الفكرية الهادفة الى انشاء وطن قومي ودولة اسرائيلية لليهود ، على مجموعة منسقة من الافكار المستندة الى الخرافات المتعارضة مع الواقع التاريخي لفلسطين واليهود أنفسهم الذين لا تربطهم أي رابطة قومية حقيقية من أي نوع أو درجة . أفكار مؤداها أن على الشعب اليهودي في جميع انحاء العالم ، حيث يتكلم أفراده نحو ٧٠ لغة ، ان يعـــود الى أرض الوطن بعد ١٩ قرنا من التشتت في المنفى ! وذلك حتى يمكن له أن يتخلص نهائيا من آلام الاضطهاد التي عانى منها على مر القرون في جميع البلاد التي يعيش او عاش فيها في أي مرحلة من التاريخ . ولذلك كان من مصلحة الدعاية الصهيونية ــ وهي حركة سياسية تماما وليست بأي حال حركة دينية يهودية ــ أن تستفيد من الحركات المعادية للسامية بل ان تذكيها وتشعل نارها اذا خمدت حتى تحفز اليهود في هذه الدول على الهجرة الى فلسطين . ولذلك كتب « دافيد بن جوريون » بصدد بطء حركة الهجرة وكيفية تنشيطها يقول « انني لن اخجل من الاعتراف بأنه لو كان لدي مـــن السلطة بقدر ما عندي من الرغبة ، لانتقيت الشباب الموهوب والوفي لقضيتنا وأرسلتهم الـــى البلدان التي غرق فيها اليهود في رضا آثـــم عن النفس ، ولأمرتهم بالتظـــاهر باللايهودية وملاحقة اليهود بالاساليب اللاسامية السمجة تحت شعـــارات « أيها اليهود القـــذرون ارحلـــوا الى فلسطين » وأؤكد لكم ان نتائج الهجرة قد تتخطى عشرات الاف المرات النتائج التي يحصل عليها رحالتنا الدعاة ، الذين يكيلون المواعظ للصم منذ عشر سنوات »(١٨). وقد كتب أيضا بصدد هذه المسألة أحد قادة المخابرات الالمانية مستشهدا برأي « بولكس » العميل الصهيوني والنازي يقول « كان يسود الاوساط اليهودية القومية ارتياح عميق لسياسة المانيا الجذرية تجاه اليهود ، وذلك لان هذه السياسة تساعد على زيادة السكان اليهود في فلسطين »(١٨).

وهكذا أخذت الدعاية الصهيونية تعمل على اجتذاب اليهود — وخاصة الشباب منهم الصالح للقتال — تحت شعار العودة الى أرض الميعاد فرارا من الاضطهاد وبحثا عن الامن والاستقرار ، محفزة اياهم بأنهم « شعب الله المختار » الذي يجب ان يتوحد فوق أرض الوطن المسلوب ويسيطر عليه بحكم تفوقه وارادة الله او الرب الذي أمر « سليمان » بأن يبنى هيكله في « أورشليم المقدسة » . ورغم ان الدعوة كانت تقودها المنظمة الصهيونية العالمية من قلب اوروبا الغربية والولايات المتحدة وتنفق عليها الاحتكارات الرأسمالية هناك ، فان المهاجرين اليهود من امريكا الى فلسطين في الفترة من ١٨٨١ الى ١٩٣٠ لم يزد عددهم عن نحو ١٢٠ الفا بينما هاجر الى امريكا (أي الولايات المتحدة) في نفس الفترة نحو ٣٫٢ مليون يهودي بحثا عن فرص افضل للحياة ! كما بلغت جملة اعداد المهاجرين اليهود الى فلسطين في الفترة ١٩٢٠ — ١٩٤٧ نحو ٤٤٥ ألف مهاجر من جملة مليون و٤٨٣ الف مهاجر يهودي(١٩) في جميع انحاء العالم ! وهذا ما دفع « ترومان » الى مطالبة « آتلي » في ١٩٤٥ بفتح باب الهجرة لمائة الف يهودي كانوا محشودين في معسكرات « النازحين » في أراضي دول اوروبا الغربية عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية تحت اشراف الجيش الامريكي، وذلك حتى يقدم للحركة الصهيونية وقودا بشريا من الذين عانوا مرارة الاعتقال النازي تستخدمهم بعد أن تعاد صياغتهم نفسيا بالقيم الصهيونية — وباستغلال عقدة الاضطهاد لديهم التي عاشوا مرارتها بالكامل — المعنوية القائمة على فكرة غزو شعب الله المختار لارض الميعاد في غزو فلسطين ، وحيث يعيشون في « الكيبوتزات » أو الاحياء اليهودية في مدن فلسطين داخل « جيتو » جديد تحت اشراف « الهاجاناه » تحت مشاعر كره العرب وخطرهم على وجودهم ومستقبل آمالهم في حياة رغدة خالية من الاضطهاد في وطنهم الجديد ، وأنهم اذا لم يحملوا السلاح ويقتلوا العرب قبل ان يقتلوهم فانهم سوف يتعرضون لخطر الابادة ، وهو الخطر الاسطوري الذي ما زالت اسرائيل تروج خرافته حتى الان لتدعم وحدتها الداخلية وتغطي تناقضاتها الاجتماعية في مواجهة الخطر الخارجي المشترك لجميع سكانها . والذي خلقت من أجله نظرية « الحرب الوقائية » و « الضربة الاجهاضية المضادة » التي تزخر بها الكتابات الاستراتيجية الاسرائيلية . وهكذا جرى ويجري صنع القيم المعنوية اللازمة لاستراتيجية الدولة الاستعمارية الصهيونية والتي تساندها مزاعم اخرى تروجها الدعاية الصهيونية العالمية حول اسرائيل « واحة التقدم والديمقراطية » وسط العالم العربي المتخلف !

٥ — **الامبريالية توفر السلاح والخبرات** : مع نشأة أول « كيبوتز » في عام ١٩٠٩ تشكلت أول منظمة عسكرية صهيونية داخل فلسطين من طلائع الشباب المتحمس للدعوة وكان معظمهم من أعضاء الفوج الثاني من المهاجرين القادمين من روسيا القيصرية ودول شرق أوروبا (وذلك في الفترة بين ١٩٠٤ — ١٩١٤ وعددهم ما بين ٣٥ — ٤٠ الفا جاء معظمهم من روسيا بعد الهزائم والمذابح التي وقعت بين ١٩٠٥ — ١٩٠٧ تحت تأثير الدعاية الصهيونية)(٢٠) وكان من بينهم « بن جوريون » الذي وفد الى فلسطين في عام ١٩٠٦ . وكانت مهمة هذه المنظمة هي حراسة المستعمرات بدلا من الحراس القدامى المستأجرين من « الشركس » . ولذلك سميت بأسم « هاشومير » أي « الحراس » ، وكانت أول مستعمرة تتم حراستها بواسطة هذه المنظمة هي مستعمرة « سيجيرا » التي أنشأت بواسطة صندوق الاستعمار اليهودي في الجليل ، وكان « بن جوريون » يسكنها وقتئذ . ولم يحل عام ١٩١٤ حتى كانت كل المستعمرات تحرس بهذا الاسلوب . وقد سلمت السلطات التركية لهذه المنظمة بعض الاسلحة لتساعدها في مواجهة العرب ! ويصف « بن جوريون » في مذكراته شعور أفراد المنظمة عند الحصول على الاسلحة فيقول « كنا ننتظر مجيء الاسلحة ليلا ونهارا ولم يكن لنا حديث الا الاسلحة وعندما جاءتنا الاسلحة لم تسعنا الدنيا لفرط فرحتنا . . . كنا نلعب بالاسلحة كالاطفال، ولم نعد

نتركها أبدا . . . كنا نقرأ ونأكل ونتكلم والبنادق في أيدينا او على أكتافنا »(٢١) . ومنذ ذلك الوقت حملت الحركة الصهيونية السلاح في فلسطين ولم تلقه من يدها مطلقا بعد ذلك الى اليوم . وفي اثناء الحرب العالمية الاولى عندما لاحت مرحلة بدء تحقيق المخطط الامبريالي بصورة عملية نظرا لانضمام تركيا الى صف المانيا في الحرب ، انتهزت بريطانيا الفرصة للزحف على فلسطين وبقية المشرق العربي لتصفية تركة « الرجل المريض » واعادة تقسيمها بينها وبين فرنسا ، وكانت معاهدة « سايكس ــ بيكو » في ايار (مايو) عام ١٩١٦ ، التي ادخلت فلسطين ضمن حصة بريطانيا من تركة الامبراطورية التركية ، ثم كان « وعد بلفور » في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ الذي ضمن للصهيونية حق اقامة وطن قومي في فلسطين . وكان لا بد من اتخاذ خطوات اكثر جدية وحسما على طريق بناء جهاز الدولة الاسرائيلية المزمع اقامتها وضرورة بدء اعداد نواة الكوادر العسكرية اللازمة . فكان ان شكلت اول كتيبة اسرائيلية نظامية تابعة للجيش البريطاني في عام ١٩١٤ من نحو ٥٠٠ جندي ، ٥ ضباط انجليز ، ٨ ضباط يهود . وقد اشتركت الكتيبة المذكورة ــ والتي وسعت الى لواء تقريبا في عام ١٩١٧ ــ في القتال لاول مرة في الانزال البرمائي الذي تم بشبه جزيرة « غاليبولي » ، ثم شاركت في بعض المعارك التي دارت في فلسطين وآخرها في « اللد » عام ١٩١٨ ، حيث تبقى من رجالها نحو ١٥٠ جنديا و ١٥ ضابطا . كما لعبت المنظمة الصهيونية دورها بفاعلية ــ كما هو عهدها دائما في عمليات المخابرات العالمية ــ في أعمال التجسس والمخابرات وراء الخطوط التركية ــ الالمانية بواسطة منظمة سرية تدعى « نيلي » التي اقامها جماعة من شباب المستوطنين اليهود في فلسطين كما يروي « آلون » في كتابه « انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي » والذي يستطرد قائلا بصدد دور الكتيبة اليهودية المذكورة « وفي تلك الفترة ، انشئت اول كتائب يهودية تابعة للجيش البريطاني الذي كان يقاتل على مسرح الشرق الاوسط . وكانت تضم متطوعين يهودا من فلسطين وبريطانيا وامريكا . وهي التي أتاحت لشباب اليهود فرصة اكتساب تدريب عسكري وتنظيم أفضل ، كما حصلوا على كمية معينة من المعدات العسكرية الخفيفة ، اثبتت بعد ذلك انها كانت ذات قيمة كبرى »(٢٢) .

وبعد انتهاء الحرب وعقد مؤتمر الصلح وتشكيل عصبة الامم ، حرصت القوى الامبريالية الدولية على استكمال الخطوات اللازمة لاستيلاء الصهيونية على فلسطين وانشاء نواة جهاز الدولة الاداري الاسرائيلي مع اعطاء وجوده صفة شرعية في وثيقة دولية صادرة عن عصبة الامم وهي صك انتداب بريطانيا لادارة شئون فلسطين ، فضمنت الصك المذكور ضرورة التزام بريطانيا بتنفيذ « وعد بلفور » (في الديباجة والمادة الثانية) كما ضمنته الاعتراف بالمنظمة الصهيونية وخولتها صلاحية أن « تتخذ ما يلزم من التدابير بعد استشارة حكومة صاحب الجلالة البريطانية للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة في انشاء الوطن اليهودي »(٢٣)! وضمنته ايضا الاعتراف « بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لاسداء المشورة الى ادارة فلسطين والتعاون معها في الشئون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الامور التي قد تؤثر في انشاء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ، ولتساعد وتشترك في ترقية البلاد على أن يكون ذلك خاضعا دوما لمراقبة الادارة »(٢٣)! وهكذا تشكلت الوكالة اليهودية أو جهاز الحكومة الاسرائيلية قبل الاعلان الرسمي عن دولة اسرائيل بأكثر من خمس وعشرين سنة ! كما تشكل « الهستدروت » ــ أي الاتحاد العام للعمال اليهود ــ في ديسمبر ١٩٢٠ والذي قال عنه « بن جوريون » « بدون هذا الاتحاد اشك في أننا كنا سنحصل على دولة »(٢٤) . وفي عام ١٩٢١ تأسست « الهاجاناه » كجزء من الهستدروت في بادىء الامر وحلت محل « هاشومير »، ثم تطورت في ١٩٣٠ لتشمل اليهود غير الممثلين في الهستدروت ، وفي عام ١٩٣٣ تم تشكيل هيئة أركان دائمة للهاجاناه باعتبار انها

الجيش السري للوكالة اليهودية ، وهكذا تم اعداد كافة الاجهزة الاساسية لنواة الدولة الاسرائيلية وتلقى كوادرهـــا العسكريون والاداريون والسياسيون تدريبهـــم النظري والعملي ما بين خلايا وتشكيلات الهاجاناه وتنظيمات الوكالة اليهودية بعـــد ان يكونوا قد تشربوا بالروح الصهيونية والتربية الاسبرطية الجديدة في « الكيبوتزات » التي كانت معامل اعادة صياغة لليهود المهاجرين . وتعمد هذا الكادر مبدئيا في الاشتباكات الاولية التي وقعت مع الشعب العربي في فلسطين في اعوام ١٩٢١ ، ١٩٢٩ . ثم كانت مرحلة الثورة العربية الكبرى ضد الاستعمار البريطاني والوجود الصهيوني المتزايد في فلسطين في الفترة ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩ ، هي المرحلة التي تطورت فيها « الهاجاناه » . وزادت خلالها حركة بناء المستعمرات « الكيبوتز » على النحو الذي اشار اليـــه « آلون » في كتاباته السابق ذكرها عند حديثنـــا عن دور « الكيبوتزات » في تشكيـــل الواقع الجغرافي ــ الاستراتيجي للاستعمار الاستيطاني الاسرائيلي .

ففي هذه المرحلة قدمت سلطات الانتداب البريطاني كل المساعدات العسكرية والتدريبية اللازمة لتدعيم قوة وخبرة « الهاجاناه » حتى تلعب دورا أكثر فاعلية في مقاومة الحركة الثورية العربية وحماية المنشآت البترولية البريطانية . ويروي « آلون » بعض تفاصيل هذه المساعـــدات الامبريالية البريطانية فيقول « وفي ذلـــك الوقت ساهمت بـــادرتان مشجعتان من جانب الانجليز ، في تطور الهاجاناه الى حد كبير . كانت الاولى رسمية ، وهي انشاء « شرطة المستعمرات اليهوديـــة » ، وهي قوة كـــانت تضم ثلاثة عناصر : أ ــ عدد صغير من الوحدات المتنقلة ، تدفع مرتباتها وتزودها بالمهمات حكومة الانتداب، للقيام بكافة واجبات الحراسة المحلية . ب ــ عدد اكبر من قوات الشرطة الخـــاصة ، يسمح لها باستخدام اسلحة القوة المتنقلة للتدريب وفي حالات الطوارىء . جـ ــ وحدات متنقلة تقتصر خدمتها على مناطق محددة ، تمولها الحكومـــة ايضا ، وهي المسئولة في مناطقها عن القيام بدوريات الحراسة للطرق والمحصولات ، وتعزيز حاميات المستعمرات التي تتعرض للهجـــوم ، ونصب الكمائن للفدائيين العـــرب اثناء اقترابهم من المناطـــق اليهودية أو انسحابهم منها. أما البادرة الثانية فكانت غير رسمية، وان لم تقل عن الاولى اهمية : فلقد ظهر على مسرح فلسطين الكابتن ــ الجنرال بعد ذلـــك ــ اورد وينجت Orde Wingate . وكانت مصالح شركة بترول العراق هي التي أدخلته في الصورة . فلقد انزل الفدائيون العرب خسائر جسيمة بخط الانابيب التابـــع للشركة والممتد الى مصافي حيفا . ونتيجة لذلـــك انشئت وحدة يهودية ــ انجليزية مشتركـــة تحت قيادة وينجت لحماية خط الانابيب الحيوي عرفت باسم « الفرق الليلية الخاصة » . ولكن هذه الفرق كانت اقل عددا وافقر تسليحا من ان تستطيع اداء مهمتها . ولذلك تعاون وينجت سرا مع وحدات الهاجاناه المشابهة لوحدته والتي تمارس نفس المهمة بالفعل ، وكثيرا ما كان يقترض السلاح من ترسانة الهاجاناه للقيام بغاراته وكمائنه ، وكان معظمها يتم ليلا في مناطق شاسعة بالجليل على جانبي خط الانابيب . وفي الصباح كانت الوحـــدات غير الرسمية تختفي تماما، وتعود الوحدات الرسمية الى قاعدتها . وقد زودت الهاجاناه قوتي الشرطة هاتين ، الرسمية وشبه الرسمية، بالرجال واستخدمتهما كغطاء لتدريباتها وعملياتها . وكان ظهور « وينجت » ــ بحماسة الصهيوني غير العادي ــ حدثا ذا أهمية تاريخية للهاجاناه . . . لقد وهب نفسه دون تحفظ للتعاون مع جيش اليهود السري . وكان زميل « وينجت » على الجانب اليهودي ورفيقه في الفرع السري للهاجاناه « اسحق صاده» ، الذي كان عبقرية عسكرية . . ولقد ادخل مع « وينجت » تعديـــلات جوهرية على تكتيكات الهاجاناه »(٢٥) ثم يستمر « ايجال آلون » في سرد تفاصيل عديدة هامة عن الفوائد التي جنتها الهاجاناه من تعاون « وينجت » معها والصفات الممتازة العسكرية التي كانت له والخبرات التي وفرها للهاجاناه نتيجة لذلك مثل « انـــه كان يصر على النظام الدقيق ، المرتبط بغرض مفيد مع التركيز على الجوانب العملية لا الشكلية »(٢٥)

ـــ وتلك احدى خواص الضبط والربط الاسرائيلي حاليا ـــ ومثل « انه كان دقيقا وبالغ الحرص في رسم الخطط التمهيدية للعمليات . وكان يحرص قبل كل عملية على التأكد من ان رجاله يفهمون أسس خطته واهدافها . . . كما كان يحرص على منح السلطة لضباطه وتدريبهم على تولي القيـــادة ، وبأن يحزموا رأيهم ويتخـــذوا قراراتهم دون الرجـــوع اليه »(٢٥). وما زالت هذه الاساليب التنظيمية في القتال مطبقة في الجيش الاسرائيلي ، ومثل انه كان يدرك « أهمية تركيز القوات حول الهدف الرئيسي . . . ومع ذلك فقد كان شديد البراعة في استخدام القوات المشتتة والمتفرقة اذا استدعت ظروف القتال ذلك . كما كان يهتم اهتماما خاصا باستغلال عنصر المفاجأة والحركة السريعة »(٢٥) هذا كما انه كان «يؤكد أهمية الدافع الايديولوجي في الحرب . . . وكثيرا ما كان يستشهد بالتوراة . وكان يؤمن أن الشعب اليهودي شعب فريد ، ومن حقـــه ان يعود الى وطنه القومي التاريخي »(٢٥). ومثل انه « لما كان قد وهب نفسه لنظرية الدفاع الايجابي ، اي بلغة العسكرية الاسرائيلية الحديثة نقل الحرب الى أرض العدو ،فقد كان شديدالحماس لافكار وعمليات مجموعات الكوماندوز اليهودية التي كانت تتقدم كثيرا اثنـــاء الاشتباكات ولا تكتفي بالقتال من وراء المتاريس . ولقد ساعد الحاقه بعض المقاتلين اليهود بوحداته ، على اتاحة فرصة التدريب العملي لهم في ظروف ملائمة نسبيا . كان « وينجت » يعتبر نفسه من الناحية الفعلية، عضوا في الهاجاناه . وكنا جميعا ننظر اليه كذلك»(٢٥). وهكذا يلقي « آلون » ـــ الذي حرصت على أن أنقل كثيرا من اقواله بنصها لشدة دلالاتها ـــ ضوءا واضحا على الكيفية التي امدت بها الامبريالية العالمية جيش المرتزقة الصهيوني بالخبرات التنظيمية والقتالية والقيادية فضلا عن الدعم بالسلاح والمال ، ولو انه يحاول جاهدا ان يصور حماس « وينجت » ، وصلاحيته للدور اللورنسي الذي عهدت اليه به المخابرات البريطانية والاحتكارات البترولية ، على انه حماس صهيوني فردي خـــاص بشخص وينجت نفسه بمعزل عـــن الاستعمار البريطـــاني . الا ان « ليدل هارت » ـــ المنظر الاستراتيجي البريطاني الشهير والشديد الحماس للصهيونية ودور اسرائيل في المنطقة ـــ يروي في مذكراته المنشورة في عام ١٩٦٥ جانبـــا من قصة وينجت الحقيقية وصلته بجهاز المخابرات البريطاني وبأهداف الاستعمار البريطاني فيقول « لقد زارني وينجت ليبحث ويناقش معي تدريب وتكتيك الوحـــدات المضادة للعصابات التي كـــان ينظمها في فلسطين من متطوعين يهود لتواجه العصابات المسلحة العربية التي سببت اضطرابا كبيرا للغاية منذ ١٩٣٦ استوجب ارسال تعزيزات ضخمة من القوات المرابطة في بريطانيا للحامية البريطانية هناك بلغت ما يزيد عن قوة فرقة . وقد أوضح لي وينجت أنه يطبق هناك الافكار التي ضمنتها كتبي المبكرة عن تكتيكات المشاة وكتابي الحديث عن « مستقبل المشاة » . . ولقد كانت وجهات نظره حول الموقف في الشرق الاوسط ، وأهمية الامكانيات العسكرية المتوفرة لدى الشباب الصهيوني ، متطابقة تماما مع وجهات نظري بهذا الصدد . ولذلك كتبت عنه رسالة الى « تشرشل » واخرى الى « ايدن » ايضا»(٢٦). ويستطرد « ليدل هارت » موضحـــا ما اورده في رسالته الى « تشرشل » الذي كـــان « وينجت » شديد الرغبة في الالتقـــاء به والتي كتب يقول فيها « منـــذ ايام قليلة مضت التقيت بالكابتن أورد وينجت وهو أحد رجال مخابرات قيادتنا العامة في فلسطين ، والذي يؤدي حاليا دورا مشابها لدور « لورنس » (بطـــريقة عكسية) في مقاتلة العصابـــات الارهابية العربية في فلسطين . وقد قال لي انه شديد الرغبة في الحصول على فرصة لقائك . . .وقد لخصت لك الاساليب التي يطبقها بنجاح ملحوظ في المذكرة المرفقة بخطابي، والتي أبعث بها اليك بصفة خصوصية . ونتيجة لها فقد اجيز له أن يحاول تطبيقها وأن يشكل ويدرب مجموعات ليلية خاصة لاداء هذا الغرض . ومما يؤسف له ان امكانيـــة توسيع النجاح الذي تحقق بالفعل قد عرقلت بواسطة تـــردد السياسيين في السماح بتوسيع هذه القوة الخاصة الى الحد الملائم لها لتأدية الهدف المطلوب »(٢٦). ثم يقول

« ليدل هارت » في مذكراته ان « وينجت » سلمه ملفا ضخما فيه كافة الاوراق الخاصة بتعليماته واوامره الخاصة بالتدريبات والعمليات التي كان يقوم بها بالنسبة لهذه القوة اليهودية ويعرض استعداده لتسليم هذه الاوراق بكل سرور الى مركز الوثائق القومية الاسرائيلي باعتبار ان « وينجت » ذو الذكرى التي لا تنسى في اسرائيل يعتبر بطلا قوميا لديها(٢٦)! ويروي « ليدل هارت » بعد ذلك انه « في ١٩٣٨ وفي العام الذي سبقه قدم لزيارتي عدد من الزعماء الصهيونيين عندما جاءوا الى لندن في زيارة لها ، ليتبادلوا معي الرأي في الاوجه الاستراتيجية للموقف في الشرق الاوسط ، وموقعهم فيه على وجه الخصوص . وقد كان من بينهم وايزمان ، رئيس اسرائيل في المستقبل ، بن جوريون ، جاليلي ، موشي شرتوك »(٢٦) .

لقد قصدت من ايراد هذه المقاطع الطويلة نسبيا من كتابات ممثل رئيسي من ممثلي الفكر العسكري الاستراتيجي لدى كل من اليهود الصهيونيين والامبرياليين البريطانيين ، حتى تتضح من هذه الوثائق شبه الرسمية والى ان يكشف الغطاء تماما عن الوثائق السرية الكاملة للحركة الصهيونية ومنظماتها العسكرية ولوزارة الخارجية والحربية وادارة المخابرات البريطانية وللشركات البترولية الامريكية والبريطانية وادارة المخابرات الامريكية الخ ، حتى تتضح حقيقة الدور الذي لعبته القوى الامبريالية في امداد الجيش الاسرائيلي السري بكافة مقومات القتال من سلاح وتدريب ، وخبرات تنظيمية وقيادية . وقد تم الجانب الجذري في هذه المسألة اثناء مرحلة الثورة العربية ١٩٣٦ — ١٩٣٩ ، وكادت ان تستكمل مسألة تكوين جهاز الدولة العسكري الاسرائيلي وتنشأ الدولة رسميا (توصيات لجنة اللورد بيل عام ١٩٣٧ بتقسيم فلسطين الى دولتين احداهما عربية والاخرى يهودية) لولا اضطرار بريطانيا الى مهادنة العرب بسرعة ازاء تصاعد خطر الحرب العالمية الثانية واحتمال تحالف القوى العربية مع المانيا وايطاليا ضد بريطانيا . فكان أن صدر الكتاب الابيض عام ١٩٣٩ الذي تعهدت فيه بريطانيا بتحديد الهجرة اليهودية الى فلسطين بحيث لا تزيد عن ١٠ الاف مهاجر تقريبا كل سنة وبتشكيل حكومة فلسطينية مستقلة يساهم فيها العرب واليهود بعد عشر سنوات . ولكن هذا كان مجرد تأجيل للصراع يتم في غير صالح العرب ، لانه ادى الى تصفية القوة الثورية العربية الفلسطينية الرئيسية وهذا يفسر قول « آلون » ربما يكون الصهيونيون قد كسبوا حرب فلسطين في الثلاثينات ، ولكن لا جدال في أن اللجنة العربية العليا قد كسبت الصراع السياسي . ويبدو ان القوة المتصاعدة لدول المحور ودعايتها في الشرق الاوسط هي التي أدت الى زيادة القوة السياسية العربية في ذلك الوقت الحرج(٢٧) . والواقع أن هذا الكسب السياسي العربي الذي يتحدث عنه « آلون » والمتمثل في عدول بريطانيا مؤقتا عن تقسيم فلسطين وتكوين دولة يهودية وصدور الكتاب الابيض كان كسبا ظاهريا زائفا فرضته ضرورات تأمين الجبهة الداخلية العربية التي تشكل مؤخرات الصراع العسكري بين بريطانيا وفرنسا من جهة والمانيا وايطاليا فوق ساحة الشرق الاوسط وحوض البحر الابيض المتوسط . فلقد كانت الثورة العربية المسلحة قد هزمت فعلا وقتل الكثير من كوادرها وقادتها (مثل عبد الرحيم الحاج محمد القائد العام الذي استشهد في ٢٧ مارس ١٩٣٩) كما تفسخت قيادتها السياسية ، بينما انزلق البعض الاخر الى مهاوي الثورة المضادة مثل عناصر حزب الدفاع التي شكلت عصابات مسلحة مضادة للثورة سميت « فصائل السلام » بقيادة فخري النشاشيبي(٢٨) . وتبعثرت بقايا التنظيم السري المسلح للثورة الذي انشأه أصلا الشيخ عز الدين القسام(٢٩) .

لقد خرجت حركة الاستعمار الصهيوني الاستيطاني من مرحلة صراع ١٩٣٦ — ١٩٣٩ أقوى مما دخلتها بكثير ويلخص « آلون » نتائج هذه المرحلة الهامة التي تقرر فيها في حقيقة الامر مستقبل حركة الصراع العربي — الاسرائيلي في عام ١٩٤٨ فيقول « وتحت

ضغط القومية العربية الحربية ، نمت الهاجاناه حجما وقوة ، وضمت الى عضويتها كل يهودي ويهودية في فلسطين تقريبا ، كل يخدم في الوحدة المناسبة . ودربت الهاجاناه عددا كبيرا من ضباط الصف والضباط الشبان ، وحصلت على سلاح أكثر وأفضل . وفوق ذلك ، نمت طابعها القومي ، ودعمت قيادتها ، وحققت بداية ناجحة في محاولتها انشاء قوة احتياطية دائمة .. وكان هناك بطبيعة الحال بعض النكسات والهزائم ، ومع ذلك فانه من الممكن أن نقول ان هذه الفترة بصفة عامة هي التي أعطت النصر لليهود . أن مستعمرة واحدة لم يهجرها سكانها ، وبنيت مستعمرات جديدة ، وتكونت مجموعات من المستعمرات في مناطق هامة . وعندما وجد العرب ان هجماتهم تتزايد تكاليفها على الدوام ، بدأت مبادرتهم تتلاشى بالتدريج ، حتى أمكن تحقيق سلام نسبي — وكان سلاما غير مستقر — في ربيع ١٩٣٩ »(٣٠) .

وواصلت الهاجاناه نموها كميا وكيفيا اثناء الحرب العالمية الثانية بفضل الدعم المستمر المقدم لها في صور عديدة من جانب بريطانيا والولايات المتحدة والمنظمة الصهيونية العالمية . فقد اخذت بريطانيا تجند في صفوف جيشها خاصة في فلسطين الاف اليهود بصورة اوسع بكثير مما حدث خلال الحرب العالمية الاولى وبدأ التفكير في انشاء لواء او فرقة يهودية يأخذ سبيله الى التنفيذ منذ عام ١٩٤٠ ، فقد كتبت « مسز دوجال » ابنة أخ اللورد « بلفور » في مذكراتها يوم ١٣ سبتمبر ١٩٤٠ تقول « أنه يوم سعيد ، بل يوم عظيم ، ففيه يجتمع حاييم (تقصد وايزمان) باللورد لويد وانتوني ايدن . وقد علمت منهم ان آمالنا كلها قد تحققت . ويجري تحضير قوة مقاتلة يهودية تعدادها عشرة الاف رجل ، يجند ثلاثة آلاف منهم في فلسطين . . . وقد قابلت « حاييم » بعد الظهر وهو يكاد يطير من الفرح وقال لي : انه يوم يعادل في عظمته يوم اعلان وعد بلفور . وكان وينجت حاضرا ايضا . وفي اليوم الثاني شرح لي خطته وتقدمه في مضمار التجنيد والتدريب ، ورأيه في كيفية استخدام القوة اليهودية المقاتلة في المستقبل »(٣١) . كما كتب « تشرشل » في مذكراته عن الفترة يونيو — أغسطس ١٩٤٠ بخصوص الوضع في مصر والشرق الاوسط يقول « لقد أردت أن أسلح اليهود في « تل ابيب » ، الذين يستطيعون ، متى توفرت لهم الاسلحة المناسبة ، أن يقاتلوا بكفاءة ضد جميع الغزاة »(٣٢) . وقد تم بالفعل تجنيد الالاف من المتطوعين اليهود داخل وحدات الجيش البريطاني اثناء الحرب . وحول هذه المسألة يقول الكاتب الامريكي « روبرت دونوفان » في كتابه المسمى « **اسرائيل تقاتل من اجل البقاء** » « لقد استطاعت الجالية اليهودية في فلسطين — التي كان عددها لا يزال لم يتعد بضعة مئات قليلة من الالاف — ان تعبىء قوتها الى حدها الاقصى من أجل الحرب . فقد تم تجنيد نحو ٢٧ الفا من أبنائها في الجيش البريطاني ، حيث اشتركوا في القتال ضمن اللواء اليهودي الذي حارب الالمان والايطاليين في أوروبا . وفي داخل فلسطين نفسها كان هناك الجيش السري المعروف باسم « الهاجاناه » والذي أوجد منذ فترة طويلة لحماية المستعمرات اليهودية ، وقد أصبح قوة ضاربة صغيرة ولكن ذات فاعلية قوية . وعندما أخذت قوات رومل تقترب من قناة السويس ، استجابت « الهاجاناه » لنداء بريطانيا بطلب المساعدة وخاضت القتال معها . وعندما انقشع خطر الغزو الالماني ، عادت الهاجاناه مرة اخرى الى السرية . وبعد أن أثبتت الهاجاناه قدراتها القتالية على هذا النحو ، أخذت تعد نفسها لخوض حرب من اجل تأسيس دولة يهودية . وبمجيء يوم النصر في نهاية الحرب العالمية الثانية ، كان اليهود قد قطعوا شوطا طويلا في اعداد انفسهم للصراع الموشك الوقوع من أجل اقامة دولتهم »(٣٣) . ويروي الكاتب البريطاني « جوردون لاندزبورو » في كتابه « **الاغارة على طبرق** » عن تفاصيل اشتراك مجموعة خاصة من اليهود ذوي الاصل الالماني والموطن الفلسطيني في الاغارة الفدائية التي قامت بها وحدات الكوماندوس البريطانية على قاعدة المحور في طبرق خلال شهر سبتمبر عام ١٩٤٢ ، وأن هذه المجموعة كانت تضم ٢١ يهوديا من بينهم

ضابطين وكان يعهد اليها بمهـــام خطرة خاصة ، وأنها كانت تعـــرف في صفوف القوات البريطانية باسم "Special Identification Group" وكان نشاطها وأفرادها محاطون دائما بسرية وغموض(٢٤).

هذا ويقول الكاتب الامريكي « كينيث لوف » في كتابه «**حرب السويس التي وقعت مرتين**» « لقد منحت الحرب العالمية الثانية رجال « الهاجاناه » فرصا طيبـــة ليس فقط لخوض القتال ضد النازية ولكن ايضا في الحصول على التدريب والاسلحة من اجل الامل المتوقع حدوثه وهو اقامة دولة في فلسطين بالقوة . وقد سعت الوكالة اليهودية باستمرار طوال متابعتها لاهدافها هذه ، لتحصل على حق تشكيل جيش يهودي ، ولكنهـــا لم تنجح في مساعيها هذه الا متأخرة وبصورة جزئية . وقد التحق معظم الشباب اليهودي بالجيش البريطاني كأفراد . وبلغ عددهم أكثر من ١٤ ألفـــا عند نهاية الحرب . وقـــد اعتبروا أنفسهـــم يخدمون اثنين من السادة ، قيادة الهاجاناه والقيادة البريطانية أيضا ، وقـــد انتهزوا الفرص التي تتيحها ظـــروف الحرب وقاموا بسرقة كميات ضخمة من الاسلحة والذخيرة نقلوها الى المستودعات السرية للهاجاناه . ولقد كانت تلك الاسلحة والتدريب عناصر هامة للغاية خلال الحرب العربية ـــ الاسرائيلية في عام ١٩٤٨ »(٢٥).

ولقد أفادت الهاجاناه كثيرا من تدريب آلاف اليهود كجنـــود في الجيش البريطاني ، أو كجنود ضمن الفرقة اليهودية المستقلـــة التي وافقت الحكومة البريطانية رسميا علـــى تشكيلها في مارس ١٩٤٥ وساهمت في المعارك الاخيرة ضد المانيا النازية . هذا وقد شكلت الهاجاناه في مايو ١٩٤١ قوة خاصة ضاربة دائمة التعبئة مستقلة عـــن الجيش البريطاني عرفت باسم « البالماخ » (أي الصاعقة) بدعوى الاستعداد لمواجهة احتمالات الغزو الالماني لفلسطين ووضع خطة مفصلة لذلك الاحتمـــال بالاشتراك مع بريطانيا . ولقد ساهمت بريطانيا مساهمة فعالة في انشاء هذه الوحدات من نواحي التدريب والتمويل والتسليح . ويقول « آلون » بصدد نشأة وتطور وحدات « البالماخ » ـــ التي لعبت دورا هاما في حرب ١٩٤٨ والتي تولى قيادتها منذ عام ١٩٤٥ ـــ « ان التعاون مع الانجليز ، قد أعطى « البالماخ » ، رغم قصر حياته ، فرصة فريدة لتدريب عسكري افضل في ظروف علنية ، وبالتالي أكثر سهولة ، على ايدي مدربين من البالماخ نفسها او من الانجليز . وقد تخصصوا في التخريب وعمليات الكوماندوز وأعمال المخابرات والاتصالات من النوع المطلوب لمحاربة الالمان اذا وصلوا الى فلسطين . وبغطاء من المئات القليلة الذين اعترف بهم الانجليز ومولوهم ، تلقى الالاف من شباب اليهود تدريبا وخبرات عسكرية مماثلة . وقد عمل بعض افراد البالماخ مستقلين كمظليين محاربين في دول البلقان... واشترك البعض الاخر مع القوات البريطانية ، في غارات عميقة وراء خطوط العدو في الصحراء الغربية . كما قام آخرون ـــ ممن يتقنون الالمانية ـــ بالتسلل الى معسكرات الالمـــان لاغراض المخابرات ، ولنفس المهمة تنكر اخرون كعرب ودخلوا سوريا ولبنان استعدادا لاحتمال غزو الماني للبلدين... وبدأ ادخال مستوى الكتيبة كوحدة تكتيكية ، كما بدء في تكوين الالوية ، ولكن لم يسمح لذلك بأن يكون على حساب مرونة البالمـــاخ كقوة حرب عصابات... ان تدريب البالماخ ، المتعدد الاهداف ، كان من أعظم مقوماتها. فلقد تلقى افرادها تدريبا بدنيا صارما من النوع الاسبارطي ، تعلموا استخدام مختلف الاسلحة ، من السكين والقنبلة اليدوية الى الرشاشات ومدافع الهاون والمفرقعات . ودرسوا على الطبيعة طبوغرافية البلاد في طولها وعرضها .. بل انهم كرسوا جزءا كبيرا من دراستهم لمعرفة العادات القومية والهياكل العسكرية لاعدائهم المحتملين في المستقبل .. ولما كانت البالماخ هي القوة اليهودية الوحيدة الدائمة التعبئة ، فقد أخذت على عاتقها خلق نواة لسلاحين جديدين ، اسطول وقوة جوية . وتم استخـــدام النوادي الرياضية ، البحرية والجوية ، في تدريب عشرات الجنود على قيادة الطائرات البسيطـــة .. ودرب مئات

الجنود كبحارة محترفين .. وفي السنة الثالثة من حياة البالماخ تقرر انشاء نظام للاحتياط خاص بها الخ .. »(٣٦)! ويستطرد « آلون » موضحا الكيفية التي خلقت بها نواة الجيش الاسرائيلي بمعاونة الاستعمار البريطاني تمهيدا للاستيلاء على فلسطين وطرد شعبها ، الذي تفككت قياداته القديمة المتخلفة اثر ثورة ١٩٣٦ وافتقد وجود قيادة ثورية في مستوى الموقف طوال هذه المرحلة الهامة من تنفيذ المخطط الامبريالي ، فيقول « لقد كانت البالماخ معمل التجارب للهاجاناه ، تختبر فيه الاساليب الجديدة للتدريب والتنظيم (المكتسبة طبعا من وينجت وامثاله من كوادر الامبريالية العالمية) .. لقد كانت في الواقع اول جيش يهودي دائم التعبئة يعمل تحت سلطة يهودية كاملة الاستقلال .. وبانتهاء الحرب العالمية الثانية كان هناك أربع كتائب بالماخ جيدة التنظيم والتدريب والانضباط ومستعدة دائما للعمل ، وحولها وحدات اخرى كثيرة للهاجاناه ، على استعداد للتعبئة كلما دعت الضرورة »(٣٦) . ثم يقول في موضع اخر « لا شك ان الحرب العالمية الثانية بصورة عامة ، قد زادت من قوة المجتمع اليهودي في فلسطين زيادة كبيرة . لقد اكتسب عشرات الالوف من المتطوعين اليهود في مختلف فروع القوات البريطانية المسلحة تدريبا عسكريا قيما وخبرة فنية طيبة ، ولقد جلبوا معهم خبراتهم هذه الى الهاجاناه ، مما عاد عليها بفوائد كبرى في مراحل تالية »(٣٦) .

وقد قال « بن جوريون » الذي كان يتولى زعامة الوكالة اليهودية طوال فترة الحرب — أي الحكومة الاسرائيلية السرية — بصدد فوائد التعاون مع الانجليز اثناء الحرب « لم يكن في وسعنا ان نحصل مطلقا على وحدات المدفعية التي لدينا الان لو لم نلبس البزة العسكرية البريطانية . وليس هذا كل شيء ، فهل كنا نستطيع ان ندرب عشرين الف الشاب الموجودين في الجيش النظامي ذلك التدريب الذي تلقوه ؟ »(٣٧) . وهكذا تكاملت للقيادة السياسية والعسكرية الاسرائيلية العاملة في خدمة الامبريالية في منطقة الشرق الاوسط كافة معطيات الاستراتيجية العسكرية المطلوبة لتنفيذ مخططها عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وعشية حرب ١٩٤٨ الوشيكة الوقوع .

الصراع البريطاني — الامريكي حول فلسطين عشية حرب ١٩٤٨ :

بحكم أن الاستراتيجية الاسرائيلية الشاملة وثيقة الاتصال والتأثر بالعوامل الدولية الخارجية ، وهي مسألة مؤثرة في أي استراتيجية بصفة عامة الا انها ذات وضعية أكثر خصوصية بشكل كبير بالنسبة للاستراتيجية الاسرائيلية بالذات ، نظرا للعلاقة العضوية بين الحركة الصهيونية وحركة الامبريالية العالمية . لذلك يكون من الضروري لاي دراسة موضوعية لمجرى تطور الاستراتيجية العسكرية الاسرائيلية خاصة في الفترة التي تلت انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى قيام دولة اسرائيل في مايو ١٩٤٨ وطوال مرحلة الحرب النظامية العربية — الاسرائيلية الاولى التي انتهت في يناير ١٩٤٩ ، ان تدرس واقع التناقض البريطاني — الامريكي، الناتج من محاولة الولايات المتحدة تصفية نفوذ ومصالح بريطانيا من منطقة الشرق الاوسط ، وبادىء ذي بدء من فلسطين باعتبارها اضعف حلقات مراكز السيطرة والنفوذ البريطاني نتيجة لوجود عناصر الدولة الاسرائيلية الكامنة فيها ، وباعتبار ان نقطة البداية بالنسبة للقوى الامبريالية الراغبة في ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية في احكام سيطرتها على المنطقة اقتصاديا واستراتيجيا (وفقا لاسلوب الاستعمار الجديد الذي كانت ملامحه الاولية قد بدأت في التشكل) هي ضمان ولاء وتبعية الدولة الصهيونية التي توشك ان تولد في المنطقة ، باعتبار انها تجمع المرتزقة العصريين العاملين في خدمة الدول الرأسمالية ضد شعوب المنطقة كما حددت وثيقة مؤتمر « كامبل بنرمان » المبكرة في عام ١٩٠٧ السابق الاشارة اليها . لقد عملت الولايات المتحدة منذ وقت طويل وقبل أن تصبح قوة مؤثرة وذات مصالح جوهرية في الشرق الاوسط والوطن العربي ، اي منذ الحرب العالمية الاولى ، على قيام الوطن

القومي لليهود والدولة الصهيونية في فلسطين ، وذلك كما توضح كثير من الوثائق المتعلقة بالقضية الفلسطينية ومنها على سبيل المثال الوثيقة السابق الاشارة اليها والخاصة بتقرير لجنة الخبراء الامريكيين الى الرئيس « ويلسون » في عام ١٩١٩ . ومنها أيضا الاتفاقية الانجلو امريكية بشأن فلسطين عام ١٩٢٤ .

هذا فضلا عن التصريح الواضح المحدد الذي قاله الرئيس « ولسون » في مارس ١٩١٩ الذي جاء فيه « لقد قررت الامم المتحالفة الى جانب التأييد القوي لحكومتنا وشعبنا وضع الاساس للدولة اليهودية في فلسطين »(٣٨) .

لقد مارست الولايات المتحدة الامريكية سياسة حذرة معقدة تجاه العالم العربي خلال فترة ما بين الحربين بحكم انها تسعى للتسلل التدريجي الى منابع الثروة البترولية في المنطقة وتوجد لها موطىء قدم وسط المنافسة القوية من جانب الدولتين اللتين اقتسمتا المنطقة باتفاقية « سايكس ــ بيكو » بريطانيا وفرنسا ، وقد حصلت بالفعل على امتيازات بترولية في البحرين عام ١٩٣٢ ، ثم في السعودية عام ١٩٣٩ « ولذلك كانت الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة الامريكية تسعى الى المحافظة امام الدول العربية على الوقار الخارجي لانشطتها السياسية . فامتنعت حكومة الولايات المتحدة الامريكية عن الاعتراض الرسمي على حكومة بريطانيا ، وعن التأييد العلني للصهيونيين ، ولكنها كانت تلهب المشاعر ضد الانجليز بجميع الوسائل .. وفي فترة الحرب العالمية الثانية استمرت الولايات المتحدة في ممارسة نفس الخط السياسي وهو « عدم التدخل » في الامور الفلسطينية ولكنها في الوقت نفسه كانت تمارس نشاطا سريا فعالا »(٣٩) .

وفي مايو ١٩٤٤ قدم الى الكونجرس الامريكي ومجلس الشيوخ مشروع قرار يعلن النواب بمقتضاه ان الولايات المتحدة الامريكية ستقدم خدمات جليلة باتخاذ « الاجراءات المناسبة للتصريح بهجرة اليهود غير المحدودة الى فلسطين واعتبار فلسطين دولة يهودية ديمقراطية حرة »(٣٩) . وقد تأجل التصويت على هذا القرار واعلانه في اللحظات الاخيرة قبل صدوره مراعاة لحساسيات ظروف الحرب والمجهود الحربي ضد المحور في الشرق الاوسط(٣٩) .

ولقد كان هذا القرار هو مقدمات طلب الرئيس «ترومان» الى «آتلي» في ديسمبر ١٩٤٥ بالسماح بهجرة مائة الف يهودي بصفة اضافية وكافة نشاطات الولايات المتحدة الاخرى التي تبعته تجاه القضية الفلسطينية حتى صدور قرار التقسيم في عام ١٩٤٧ . كما كان هذا القرار وغيره من القرارات والخطوات العلنية التأييد لسياسة انشاء اسرائيل في قلب الوطن العربي ، نتاج التسخين المباشر للسياسة الامريكية تجاه الموضوع الذي ترتب على عقد اللجنة الامريكية للشئون الصهيونية مؤتمر « بلتمور » في نيويورك في مايو عام ١٩٤٢ . وهو المؤتمر الذي أسفر عن تأييد الطلبات التي قدمها « بن جوريون » الى الرئيس « روزفلت » في بداية العام . وتتلخص في ضرورة مقاومة سياسة الكتاب الابيض البريطاني الصادر في ١٩٣٩ ، وفتح أبواب الهجرة غير المحدودة الى فلسطين ، واهمية تشكيل لواء يهودي مستقل يحارب الى جانب الحلفاء ، وتطوير فلسطين بعد انتهاء الحرب الى كومنولث يهودي ضمن ديمقراطيات العالم(٤٠) .

هذا وقد كتب « بن جوريون » ، حول رأيه في مراكز الثقل في السياسة الدولية ابتداء من عام ١٩٤١ ، يقول « لم أعد أشك في أن مركز الجاذبية لعملنا السياسي في الميدان الدولي قد انتقل من بريطانيا الى الولايات المتحدة التي تزعمت العالم وتحتوي على مجموعة كبيرة من اليهود . ان اوروبا أصبحت في قبضة النازيين وانها حتى بعد أن تتغلب على المانيا ستكون منهوكة القوى وستكون معتمدة اقتصاديا على امريكا لسنوات عديدة بعد التحرر ، حتى المسائل السياسية ستكون تحت التأثير الامريكي »(٤١) .

وهكذا وضعت الحركة الصهيونية نفسها بالكامل في خدمة السيد الامريكي صاحب ملايين ومليارات الدولارات والوريث الشرعي المقبل للامبراطورية البريطانية في الشرق الاوسط ، وانطلقت امريكا بسرعة في تدعيم استيلاء عصابة المرتزقة الصهيونيين ، او جنود الصدام النازيين الجدد ، على فلسطين ذات الموقع الاستراتيجي الهام للسيطرة على الشرق الاوسط ، ليؤدوا الدور المطلوب منهم ضمن سياسة الاستعمار الجديد التي تمارسها . ولذلك انطلقت العصابات الاسرائيلية المسلحة السرية « الهاجاناه » و« الارجون » و« شتيرن » — بتوزيع متقن للادوار وان كان يعكس بعض الاختلاف في منهج التطبيق — تمارس ضغطا عسكريا شديدا على بريطانيا عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة تقريبا وحتى عام ١٩٤٧ حين أعلنت بريطانيا رغبتها في احالة المشكلة على هيئة الامم المتحدة . فكانت عمليات نسف وتخريب خطوط السكك الحديدية ومختلف مرافق حكومة الانتداب ومهاجمة المطارات وسرقة مخازن السلاح وقتل الجنود الانجليز وجلد ضباطهم علنا في شوارع المدن . كل ذلك والسلطات البريطانية لا تستطيع ولا تريد ان تتخذ اجراءات حاسمة مضادة للعصابات الاسرائيلية كالتي كانت تتخذها في « كينيا » أو «الملايو» مثلا ! لقد كانت بريطانيا تريد حلا بريطانيا صرفا لمشكلة فلسطين، حلا يضمن انشاء دولة اسرائيلية تعمل في خدمتها أساسا وضمن كومنولث بريطاني — عربي — اسرائيلي يضمن مصالحها بعيدا عن تزايد النفوذ الامريكي وسيطرته . ولذلك عملت على الحد من الهجرة والتقليص النسبي لقوة العصابات السرية بواسطة حملات التفتيش عن الاسلحة وضبطها ومقاومة سفن الهجرة غير المشروعة الخ. وقد كان هذا هو محتوى المشاريع البريطانية المختلفة المقدمة الى العرب واليهود عقب الحرب (مشروع « موريسون » المقدم في سبتمبر ١٩٤٦ في مؤتمر لندن الذي كان يتضمن تقسيم فلسطين الى ٤ أقسام ، منطقة عربية واخرى يهودية ، منطقة القدس ، منطقة النقب ، مع وجود حكومة مركزية مختلطة تشمل فلسطين كلها تتولى شئون الدفاع والخارجية والجمارك تتبع المندوب السامي البريطاني . ثم مشروع « بيفن » المقدم في ١٩٤٧ الذي لا يختلف كثيرا عن مشروع موريسون) وقد اتبعت « الهاجاناه » — خلال المرحلة التي امتدت من عام ١٩٤٥ حتى فبراير ١٩٤٧ حين أعلنت بريطانيا تحويل مشكلة فلسطين الى الامم المتحدة ، — استراتيجية عمليات عسكرية محدودة يطلق عليها « آلون » اسم « استراتيجية الحرب البناءة »(٤٢) يمكن تلخيصها في الآتي :

تنشيط الهجرة السرية بكل الطرق بحرا وبرا وطوال الفترة من ١٩٤٥ الى ١٩٤٨ عبرت البحر الابيض المتوسط ٦٥ سفينة وبلغ عدد المهاجرين نحو ١٠٠ الف معظمهم ممن كانوا في معسكرات الاعتقال النازية . وانشاء مستعمرات « كيبوتزات » جديدة في « المناطق الحيوية استراتيجيا لمواجهة الاحداث المتوقعة »(٤١) . ثم توجيه ضربات عسكرية محدودة الى مراكز الجيش البريطاني والادارة البريطانية وفقا لتكتيكات حرب العصابات في المدن والمقاومة السرية ، وعلى أساس « ان تتجنب الخسائر في الارواح او على الاقل تنخفض بها الى الحد الادنى سواء على الجانب البريطاني او اليهودي في جميع عملياتها »(٤١) . ولقد كان هدف هذه الاستراتيجية كما يقول « آلون » تمهيد الارض لنشاط صهيوني في لندن وفي غيرها من العواصم وفي الامم المتحدة ، توجهه وتنسقه الادارة السياسية للمجلس التنفيذي للصهيونية العالمية في القدس ... لقد كنا نفضل هدف ارغام بريطانيا على تسليم انتدابها الى الامم المتحدة »(٤١) . وبطبيعة الحال كانت أمريكا في الامم المتحدة توجهها كما تشاء .

ويستطرد « آلون » فيقول « كان هدف العمليات الحربية هو تقويض مركز القوات البريطانية وشعورها بالامن ومكانتها ، وفوق ذلك كله اقناع « هوايت هول » مرة اخرى وأخيرة انه بدون موافقة اليهود لن تستطيع بريطانيا ابقاء فلسطين كقاعدة آمنة ومفيدة في هذه المنطقة الحيوية... وفي النضال العسكري ذاته ، أثبتت الاستعدادات

التي تمت أثناء الحرب — بمساعدة الانجليز الى حد كبير — لمقاومة الغزو الالماني المحتمل ، قيمتها الكبرى للوحدات ، التي أصبح عليها الآن ان توجه عملياتها ضد الانجليز »(٤١).

لقد كانت مرحلة استراتيجية « الحرب البناءة » هذه التي مورست فيها عمليات حرب عصابات محدودة وتهريب للمهاجرين وبناء مستعمرات جديدة سرا أثناء الليل خلال يوم واحد الخ ، مرحلة أخيرة قبيل المعركة الشاملة الكبيرة المنتظرة مع العرب عند اعلان الدولة ، تم فيها تدشين وحدات الجيش الاسرائيلي السري ظاهريا واكسابها مزيدا من الخبرات القتالية اللازمة للمرحلة القادمة مرحلة حرب ١٩٤٨ . فعمليات تنظيم وصول سفن الهجرة السرية التي كانت تنظم رحلاتها « قيادة الهاجاناه السرية في اوروبا التي تتكون أساسا من رجال البالماخ ، واليهود الفلسطينيون الذين كانوا يخدمون في الجيش البريطاني ولكنهم بقوا في اوروبا بعد الحرب خصيصا لهذا الغرض ، وبعض مقاتلي احياء اليهود في أوروبا والانصار وغيرهم »(٤١) قد مكنت « الهاجاناه على ان تطور نفسها الى منظمة عسكرية قادرة على التخطيط والتوجيه والتنفيذ في مثل هذه العملية المعقدة . كما انه زود الوحدات التي اشتركت في عمليات الانزال الفعلية على الشاطىء بخبرات قيمة عن العمليات الساحلية المشتركة بكل ما تتضمنه من جوانب خاصة بالنقل والامداد والتموين وغيرها من النواحي التنظيمية والادارية... كما تعلم المجتمع اليهودي في فلسطين — من خبرة مشاركته الصادقة في المشروع — قيمة ان يكون له دولة »(٤١). كما أن عمليات انشاء المستعمرات الجديدة سرا (أي بناء هيكل مؤقت للكيبوتز أثناء الليل ينشأ عنه أمر واقع لنواة مستعمرة تستكمل بعد ذلك وذلك مثلما كان يحدث في الثلاثينات مع فارق ان مستعمرات الثلاثينات المؤقتة كانت تبنى خلال نهار واحد بينما مستعمرات مرحلة الاشتباك مع الانجليز كانت تبنى في ليلة واحدة) قد زادت هي الاخرى « كثيرا من خبرة الهاجاناه العسكرية . وكان تخطيط هذه العمليات يشمل اختيار الموقع وصنع المستعمرة الجاهزة واقامتها ، ومعالجة ترتيبات النقل والدفاع والتعاون بين المدنيين والجنود وقد ساعدت هذه العمليات على تطور الهاجاناه كقوة عسكرية »(٤٢).

ويستطرد « آلون » — ونحن نحرص على اثبات الحقائق التي تعالجها دراستنا هذه من واقع نصوص كتابات واقوال قادة العدو الصهيوني أنفسهم قدر الامكان — موضحا الخبرات التي اكتسبتها الهاجاناه خلال هذه المرحلة الهامة التي سبقت حرب ١٩٤٨ مباشرة ، فيقول « ومع ذلك فان اعظم الخبرات ، كانت تلك التي قدمتها العمليات الحربية بمعناها الضيق ، سواء كانت صغيرة او كبيرة . كانت الاهداف المختارة لهذه العمليات الحربية هي السكك الحديدية والجسور والعربات المصفحة ومراكز الشرطة والقواعد العسكرية ومعسكرات الاعتقال ومحطات الرادار والزوارق المسلحة والسفن في فلسطين وفي قبرص... لقد اتيح لكل فرد من افراد البالماخ وعدد كبير من افراد الوحدات الاخرى التابعة للهاجاناه ، فرصة اكتساب خبرة قتالية على جميع المستويات، وقد تم هذا عمدا لصهر قدراتهم القتالية وروحهم المعنوية واعدادهم لمهام أكبر في المستقبل »(٤٢).

والواقع أن سياسة « استراتيجية الحرب البناءة » هذه كانت قد أقرت في المؤتمر الثاني والعشرين للحركة الصهيونية الذي انعقد في « بال » في ديسمبر ١٩٤٦، والذي تم خلاله رسميا استكمال سيطرة الجناح الموالي لامريكا في الحركة الصهيونية على قيادة الحركة، اذ أشار الدكتور « موشيه سنيه » ، وهو أحد اعضاء الوكالة اليهودية ، الى ان « النفوذ السياسي للولايات المتحدة الامريكية وحده مع ضغط قوى اليهود الفلسطينيين المسلحة بمقدورهما ارغام بريطانيا على تنفيذ مطالبنا »(٤٣).

واخيرا عندما أدركت بريطانيا أنها لا تستطيع الاستمرار في السيطرة على فلسطين بأسلوب الانتداب في مواجهة هذا الضغط الامريكي ، وأنها لا تستطيع ايضا ان تخلق دولة اسرائيلية في جزء منها وفقا لمتطلبات السياسة البريطانية ومصالحها في المنطقة وبعيدا عن النفوذ الامريكي ، قررت في فبراير ١٩٤٧ احالة المشكلة الفلسطينية برمتها الى الامم المتحدة . وقد القى وزير المستعمرات البريطاني «كريتش جونز» بعض الضوء على دوافع ومرامي سياسة بريطانيا في احالة المشكلة الى الامم المتحدة ، حين قال أثناء مناقشة المشكلة بمجلس العموم وقتئذ « اننا نتوجه الى هيئة الامم المتحدة لا لكي نرفض الانتداب ولكننا نذهب الى هيئة الامم المتحدة نضع المشكلة كي نحصل على نصيحة في كيفية ادارة الانتداب . فاذا كان الانتداب لا يضار بهذا الشكل الحالي فنحن نريد ان نستوضح كيف يمكن تحسينه »(٤٤) .

لقد أرادت بريطانيا أن تضع الضغط الامريكي تحت دائرة ضوء المجتمع الدولي لعلها تحصل منه على سند سياسي يساند موقفها في فلسطين ، ويجعلها تستطيع ان توجد اسرائيل بريطانية الولاء كما كان القصد أصلا والهدف منذ صدور وعد « بلفور » عام ١٩١٧ ، حين كانت هي الدولة المتزعمة للعالم الرأسمالي الامبريالي ، اي حينما كانت هي « بريطانيا العظمى » وكانت عصبة الامم — التي رفضت امريكا الدخول فيها — أداة قوية في يدها دوليا . ولكن هيئة الامم ، تلك المنظمة الدولية الجديدة التي تشكلت في ظروف عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، الذي انتزعت فيه الولايات المتحدة الامريكية علم الزعامة الامبريالية ، قررت تقسيم فلسطين يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ الى دولتين احداهما يهودية والاخرى عربية بضغط امريكي حاد وشديد على الدول الصغرى ، وكان قرار التقسيم هذا مجرد الخطوة الاولى الممكنة في ظل مختلف الظروف والتناقضات الدولية والمحلية وخاصة التناقض البريطاني — الامريكي لاقامة دولة اسرائيل . وعلى أن يتم فيما بعد بطبيعة الحال استكمال سيطرة هذه الدولة على البلاد كلها على ضوء المتغيرات المنتظرة في السنوات التالية لصالح امريكا عندما تنحسر شمس الامبراطورية البريطانية الغاربة عن المنطقة تدريجيا . وكان ان تحدد يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ كموعد نهائي لانسحاب القوات والادارة البريطانية من فلسطين ، أو بالاحرى من الجزء المقرر اقامة اسرائيل عليه مؤقتا . هذا وقد ترك الصراع البريطاني — الامريكي على فلسطين بصماته بوضوح على مختلف مراحل المواجهة العربية — الاسرائيلية المسلحة المسماة بحرب ١٩٤٨ .

الهاجاناه تستكمل ترسانة سلاحها السرية :

في ١٨ حزيران (يونيو) ١٩٤٥ ذهب « بن جوريون » الى الولايات المتحدة الامريكية ليدرس ويبحث امكانيات الحصول على السلاح من هناك ، بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية وانتهت معها مرحلة التعاون الوثيق بين الوكالة اليهودية والهاجاناه وبين السلطات البريطانية في فلسطين وبات الصدام معها وشيكا ، وبالتالي أصبح من المتوقع أن تنتهي سياسة التغاضي شبه الرسمية من جانب السلطات البريطانية عن عمليات انتقال الأسلحة من مستودعات الجيش البريطاني عن طريق « السرقة » الى مستودعات الهاجاناه السرية . وقد عقد « بن جوريون » و« العازر كابلان » و« وريفين زاسلافي » ، اللذان صحباه من فلسطين في رحلته هذه ، اجتماعا سريا يوم ٧ يوليو ١٩٤٥ في منزل احد كبار رجال الاعمال اليهود الامريكيين يدعى « رودلف سونبرن » بمدينة نيويورك حضره ١٥ شخصا آخر من أعضاء المنظمة الصهيونية العالمية الامريكيين . وقد طلب « بن جوريون » في الاجتماع تكوين لجنة أو هيئة سرية في الولايات المتحدة تتولى تدبير الاموال اللازمة للحصول على الاسلحة من امريكا والقارة الامريكية بصفة عامة وتدبير وسائل نقله الى فلسطين سرا . وقد تكونت بالفعل هيئة سرية اطلق عليها « مؤسسة

سونبرن » تولت جمع ملايين الدولارات وانشأت مكاتب لشراء الاسلحة وشركات وهمية تتولى شحنها بعد شرائها أو الحصول عليها مجانا من مخازن سلاح الجيش الامريكي . وقد شملت هذه الاسلحة المشتراة أو المأخوذة من أمريكا عددا من الدبابات الخفيفة والمدفعية الخفيفة والمتوسطة والسيارات المدرعة الخفيفة وسيارات النقل(٤٥) .

وكان يجري فك أجزاء هذه الاسلحة وشحنها بالسفن أو الطائرات — فقد شكلت مؤسسة سونبرن شركة طيران وهمية تضم بعض طائرات النقل الامريكية — على أنها آلات زراعية . هذا ويقول « بن جوريون » بصدد هذه الوقائع في تسليح الهاجاناه « منذ نهاية الحرب اهتميت في البحث عن أسلحة ثقيلة وقد استجاب الامريكيون لي واشترينا أسلحة بقيمة ما يقارب مليون دولار هربناها الى فلسطين رغم مراقبة حكومة الانتداب . ووافقت فرنسا وتشيكوسلوفاكيا على بيعنا الاسلحة على أن تجلب الاسلحة الثقيلة بعد قيام الدولة »(٤٦) .

وبالاضافة الى هذا فقد تم شراء آلات مصانع صغيرة لصنع الاسلحة الخفيفة والذخيرة سرا داخل فلسطين من الولايات المتحدة . وحول هذه المسألة أيضا يقول « بن جوريون » « بأقل من مليون دولار اقتنينا عتاد المعامل الحربية الذي يساوي عشرات الملايين ، والذي نقل الى فلسطين كاملا سالما »(٤٧) . وقد ضمت هذه الالات الى ما كان موجودا من ورش صنع السلاح السرية الاخرى في فلسطين منذ الحرب العالمية الثانية والتي ساعدت بريطانيا على انشائها لتزويد قواتها في الشرق الاوسط ببعض احتياجاتها من الذخيرة والاسلحة الخفيفة مثل رشاشات « ستن » ، الالغام ، القنابل اليدوية « ميلز ٣٦ » الخ . وهناك احصائية تقول انه حتى شهر مارس ١٩٤٨ كانت المصانع الحربية الصغيرة السرية اليهودية تنتج ١٠٠ رشاش خفيف يوميا ارتفعت الى ٢٠٠ مدفع بعد ابريل ١٩٤٨ ، نحو ١٥٠ الف قنبلة يدوية ميلز ، حوالي ٣٠ الف قذيفة هاون عيار ٣ بوصة ، ٤٠٠ الف طلقة عيار ٢٣ مم للرشاشات شهريا(٤٨) .

هذا ويقول « بن جوريون » أيضا بصدد صفقات السلاح السرية التي تمت قبل اعلان الدولة الاسرائيلية رسميا « كان أول مبلغ كبير تلقيته لشراء الاسلحة الثقيلة هو ٣ ملايين دولار وذلك بناء على قرار الهيئة الصهيونية التنفيذية في باريس في أغسطس ١٩٤٦ . أما في عام ١٩٤٧ فقد رأيت ان هذا المبلغ لا يكفي على الاطلاق . وكانت أكثر الدول تمتنع عن بيعنا الاسلحة الا أن عملاءنا استطاعوا عقد صفقات سرية عديدة لشراء الاسلحة من الخارج . أما الدولتان اللتان كانتا ترسلان لنا الاسلحة والمعدات علنا فهما فرنسا وتشيكوسلوفاكيا . وقد ساعدتنا تشيكوسلوفاكيا قبل أن تصبح جمهورية شعبية وبعد أن أصبحت شيوعية . (أثبتت أحداث ١٩٦٨ في تشيكوسلوفاكيا مدى تغلغل العناصر الصهيونية في الاجهزة الحاكمة) وقد اشترينا من فرنسا مقابل عملات صعبة طائرات وزوارق طوربيد ودبابات ومدافع هاون ، وحصلنا من تشيكوسلوفاكيا على طائرات « مسر شميدت » الالمانية وطائرات « سبيتفير » الانجليزية وقنابل ورشاشات من شتى الانواع وما لا يحصى من الذخيرة . وحصلنا على بعض الطائرات والدبابات والزوارق الحربية من أمريكا مباشرة . كما حصلنا على بعض الطائرات والمدافع من سويسرا والمكسيك . وقد اشترينا بالمجموع : ٢٠٤ طائرات ، ٣٨ وحدة بحرية مختلفة الانواع ، ٤٠ دبابة ، ١١٩ سيارة مدرعة ، ٤١٦ مدفعا ، ٢٤ هاونا ثقيلا ، ١٥٨ رشاشا ثقيلا ، ١٤١٧ رشاشا متوسطا ، ٦٠٣٤ رشاشا خفيفا ، ٥٢٣ رشاشا صغيرا ، ٥٣٣٩١ بندقية ، ١٧٥٥ مسدسا . ولم نستطع أن ندخل الى البلاد قبل اعلان الاستقلال الا قسما ضئيلا من هذه الاسلحة وهي : ٢٠ طائرة كنا اشتريناها من الجيش البريطاني في فلسطين ، ٥٢ سيارة مدرعة ، ٢٦ مدفعا رشاشا ثقيلا ، ٥٤ رشاشا متوسطا ، ٤٦٤ رشاشا خفيفا ، ٤١٧ رشاشا صغيرا ، ٦٢٤٠ بندقية ، ٥٠٠ مسدس . هذا عدا الاسلحة التي

كانت تملكها الهاجاناه سرا من قبل وتلك التي كنا ننتجها داخل البلاد . وبهذه الاسلحة كان علينا أن نقف في الفترة الاولى التي أعقبت اعلان الاستقلال وقيام دولة اسرائيل ضد الجيوش العربية ، وكان لنا احتياطي كاف من اليهود الذين خدموا في الحرب العالمية الثانية الخ . . . »(٤٩) !

وهكذا تكاملت للقيادة العسكرية الصهيونية كافة معطيات استراتيجيتها العدوانية الهادفة الى الاستيلاء على موطىء قدم أو راس جسر قوي فوق أرض فلسطين . فقد كفلت لها الهجرة الموارد البشرية ، وحققت لها « الكيبوتزات » وبقية انواع المستعمرات الانتشار الجغرافي والركائز الاستراتيجية اللازمة ، فضلا عن دورها في خلق معنويات وقيم الصهيونية في نفوس هؤلاء المهاجرين — المقاتلين ، وضمنت لها الاحتكارات والدول الامبريالية المال والسلاح والعتاد والخبرة القتالية والتنظيمية ، والعلاقات والمناخ الدولي المناسب لشرعية قيام الدولة المزعومة . وقد تم تكامل الدعائم الرئيسية لهذه المعطيات ومقومات الوجود العسكري لدولة اسرائيل قبل أن يبدأ الاشتباك الفعلي الواسع النطاق الاول بين الشعوب العربية واسرائيل ، أي في عشية حرب ١٩٤٨ .

---

١ - Safran, Nadav : *From War to War*, New York, Pegasus, 1969, p. 28

٢ — Hart, Liddell : *Strategy, The Indirect Approach*, London, Faber & Faber, 1967, p. 335.

٣ — بوفر ، اندريه ، **مدخل الى الاستراتيجية** ، ترجمة أكرم ديري والهيثم الايوبي — بيروت — دار الطليعة — ١٩٦٨ — صفحة ٢٨ .

٤ — كلاوزفيتز ، كارل ، **في الحرب** ، الجزء الاول — ترجمة أكرم ديري والهيثم الايوبي — القاهرة — الكاتب العربي — ١٩٦٩ — صفحة ٢١٨ .

٥ — **موسوعة القضية الفلسطينية** ، الجزء الاول ، القاهرة ، مركز دراسات الشرق الاوسط ، صفحة ٣١٥ ، ٣١٦ .

٦ — **المرجع السابق** ، صفحة ١٤٣ .

٧ — صلاح منتصر ، الاستراتيجية البترولية الامريكية والشرق الاوسط ، القاهرة ، **السياسة الدولية** ، اكتوبر ١٩٧٠ ، صفحة ١٥ .

٨ — محمد فيصل عبدالمنعم ، **فلسطين والغزو الصهيوني** ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٠ ، صفحة ٩٤ .

٩ — نيكيتينا ، جالينا ، **دولة اسرائيل : خصائص التطور السياسي والاقتصادي** ، القاهرة ، دار الهلال ، صفحة ٤٨ .

١٠ — آلون ، ايجال ، **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، ترجمة عثمان سعيد ، بيروت ، دار العودة ، ١٩٧١ ، صفحة ٦٦ ، ٧٩ .

١١ — آلون ، ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحة ٦٦ .

١٢ — Howard, Michal; *The Theory And Practice of War*, London, Cassell, 1965, p. 339.

١٣ — آلون ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحات ٦٧ ، ٦٨ .

١٤ — Leon, Dan.: *The Kibbutz, A New Way of Life*, Oxford, Pergamon Press, 1969, 201,8,9.

١٥ — نيكيتينا ، جالينا ، دولة اسرائيل ، **المرجع السابق** ، صفحات ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٠١ ، ١٨٠ ، ٢٦٠ .

١٦ — ايفانوف ، يوري ، **احذروا الصهيونية** ، وكالة نوفستي ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، صفحة ٧٧ .

١٧ — يوسف مروه ، **أخطار التخطيط الصناعي في اسرائيل** ، مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٣٤ ، ٤٥ .

١٨ — ايفانوف ، يوري ، **احذروا الصهيونية** ، **المرجع السابق** ، صفحات ٩٣ ، ١٠٢ .

١٩ — نيكيتينا ، جالينا ، **دولة اسرائيل** ، **المرجع السابق** ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

٢٠ — نيكيتينا ، جالينا ، **دولة اسرائيل** ، **المرجع السابق** ، صفحة ١٦٣ .

٢١ — تهاني هلسة ، **دافيد بن جوريون** ، مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٨ ، صفحة ٢٣ .

٢٢ — آلون ، ايجال ، **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، **المرجع السابق** ، صفحة ٦٤ .

٢٣ — **موسوعة القضية الفلسطينية** ، الجزء الاول ، **المرجع السابق** ، صفحة ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

٢٤ ــ تيباني هلسة ، **دافيد بن جوريون** ، المرجع السابق ، صفحة ٣٦ .

٢٥ ــ آلون ، ايجال ، **نشأة وتكوين الجيش الاسرائيلي** ، المرجع السابق ، صفحات ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥ .

٢٦ ــ Hart, Liddell: *The Liddell Hart Memoirs*, Volume II, London, Cassell, 1965, p. 181, 182.

٢٧ ــ الون ايجال ، **المرجع السابق** ، ص٨٠ .

٢٨ ــ عبدالقادر ياسين، « ثورة ١٩٣٦ الفلسطينية بداية الكفاح المسلح ضد الصهيونية » ، مجلة **الطليعة** ، القاهرة ، مايو ١٩٦٩ ، صفحة ٧٩ .

٢٩ ــ صبحي ياسين ، « حرب العصابات في فلسطين » ، القاهرة ، **الكاتب العربي** ، ١٩٦٧ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

٣٠ ــ آلون ، ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحة ٧٨ ، ٧٩ .

٣١ ــ نص أورده هيثم الكيلاني في كتابه **المذهب العسكري الاسرائيلي** ، بيروت ، مركز الابحاث الفلسطيني ، ١٩٦٩ ، صفحة ٧٧ .

٣٢ ــ Churchill : *The Second World War 4. The Commonwealth Alone*, London, Cassell, 1964, p. 90

٣٣ ــ Donovan, Robert : *Israel's Fight For Survival*, New York, Signet Books, 1967, p. 19.

٣٤ ــ Gordon, Landsborough : *Tobruk Commando*, London, Mayflower Books, 1968, p. 31-33.

٣٥ ــ Love, Kennett: *Suez The Twice Fought War*, London, Longman, 1970, p. 50, 51.

٣٦ ــ آلون ، ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحات ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٨٨ .

٣٧ ــ نص أورده هيثم الكيلاني ، **المرجع السابق**، صفحة ٧٨ .

٣٨ ــ نص أوردته جالينا نيكيتينا في كتابها **دولة اسرائيل** ، المرجع السابق ، صفحة ٢٨ نقلا عن الكتاب التالي :
C. Friedrich, *American Policy Toward Palestine*, Washington, 1944, p. 7.

٣٩ ــ **المرجع السابق** ، صفحة ٣٨ ، ٣٩ .

٤٠ ــ نص أوردته تيباني هلسة ، **دافيد بن جوريون** ، المرجع السابق ، صفحة ٥٥ ، نقلا عن كتاب :
Ben Gurion, David. *Israel : Years of Challenge*, Anthony Blond, London, 1964, p. 17.

٤١ ــ آلون ، ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحات ٩٩ ، ١٠٠ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

٤٢ ــ آلون ، ايجال ، **المرجع السابق** ، صفحة ١٠٤ ، ١٠٧ .

٤٣ ــ ايفانوف ، يوري ، **احذروا الصهيونية** ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

٤٤ ــ نيكيتينا ، جالينا ، **دولة اسرائيل** ، المرجع السابق ، صفحة ٤١ .

٤٥ ــ المعلومات المذكورة نقلا عن ملخص كتاب « الوعد » للكاتب اليهودي « ايونارد سلاتر » المنشور بمجلة **روز اليوسف** عدد ٧٢/٧/٣١ صفحة ٣٠ ، ٣١ .

٤٦ ــ تيباني هلسة ، **دافيد بن جوريون** ، المرجع السابق ، صفحة ٦٤ .

٤٧ ــ ايفانوف ، يوري ، **احذروا الصهيونية** ، المرجع السابق ، صفحة ١٠٠ .

٤٨ ــ محمد فيصل عبدالمنعم ، **فلسطين والغزو الصهيوني** ، المرجع السابق ، صفحة ٢٢٣ .

٤٩ ــ نص أورده هيثم الكيلاني في كتابه **المذهب العسكري الاسرائيلي** ، المرجع السابق ، صفحة ٨٤ .

٤٣ ــ ايفانوف ، يوري ، **احذروا الصهيونية** ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

الاغنية الشعبية الفلسطينية
من الحزن الى الشوق الى القتال

نمر سرحان

لقد جاءت معركة الكرامة بعد أقل من عام من الهزيمة المدوخة التي حلت بجيوش الدول العربية في حرب حزيران ١٩٦٧ ، وفي الفترة بين حزيران والكرامة كان الناس يعرفون وهم في غمرة جو معنوي شديد الانخفاض ان الارض العربية مفتوحة للجيش الاسرائيلي الا انه هو نفسه لا يريد اكثر مما حصل عليه من أراضي سوريا ومصر والاردن . وكانت مرارة الهزيمة لا تزال حية في الاذهان كما لو انها حصلت قبل يوم واحد . ولم يكن الشعب قد صحا بعد على الوضع المذهل الذي وجد نفسه كأن الحزن هو قدره . وكان وجدانه اضعف من أن يعبر عما حصل . ولم يكن يطفو على سطح هذا الجو الحزين سوى بعض تعابير تقطر بالاسى :

رايب يا يما رايب
بغني والقلب ذايب
لو انا في بلدنا
لسوي أمور العجايب

وخلال الساعات الاولى من ساعات المعركة الخمس عشرة وعبر البيانات التي اذاعتها اذاعة اسرائيل والتي قصدت منها تحطيم معنويات السكان خيل للمستمعين انه هو ذاك الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر قد احتل اراض جديدة على الضفة الشرقية من نهر الاردن وبعد اقل من عام من احتلاله لاراض واسعة (سورية ومصرية واردنية) بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ . كانت اذاعة العدو تردد نفس البيانات التي كانت ترددها وهي تجتاح الضفة الغربية والجولان ، ادخلوا الى بيوتكم . احكموا اغلاق الابواب والنوافذ . كل من يطلق النار على جيش الدفاع الاسرائيلي يقتل حالا » . الا انه وفي ساعات المساء من يوم الكرامة وبعد انجلاء غبار المعركة وتوارد الانباء عن بطولات رجال المدفعية في الجيش الاردني والاستبسال الرائع المنقطع النظير الذي ابداه رجال المنظمات الفدائية الفلسطينية والذين جابهوا المحتلين بكل ضراوة ، تغيرت الصورة وتناقل الناس اخبار الابطال الذين دمروا دبابات العدو ، بعد ان نسفوها باجسادهم والذين حصدوا المظليين الاسرائيليين بالرشاشات والسلاح الابيض والذين التهبت (سباطانات) مدفعيتهم حتى تحولت الى جمر . وروى شاهدو العيان كيف دمرت مدفعية الجيش الاردني سيارة تائد الهجوم الاسرائيلي واطاحت علمها ذلك العلم الذي كان سرعان ما يرفع على ارض عربية بعد كل احتلال . وقد عبر وجدان الجماهير عن هذا الحدث الجديد في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي بهذا البيت من العتابا :

نكست اعلامهم الا علمنا
وقال الشعب يا فرحة علمنا

ويـوم الكرامـة رفعنـا علمنـا
وعـلى اسرائيـل طاب الموت طاب

وبعد الكرامة التزم العدو الاسرائيلي لاول مرة بموقف دفاعي وهو مسمرة الجنود خلف خطوط امن الكترونية في بعض المناطق وبشرية في مناطق اخرى .

واثر هذه المعركة بدأ الناس يرسمون تصورا جديدا ومحددا لرجال المقاومة فبعد أن كان ينظر الى الفدائي على انه شخص يقوم بمهمة انتحارية تؤدي الى نتيجة ليس لها حساب، بمعركة الربح والخسارة فانه أصبح حامي كرامـة الامة والمدافع عن شرفها ومحقق امجادها :

لولا الفدائي ما ظل النا كرامة
المولى اوهبه من عنده كرامـة هو اللي صان الشرف يوم الكرامة
ولولاه الاعـادي مـا تحسب حساب

وقد سجل الوجدان الشعبي معركة الكرامة كيوم من ايام النصر واعتبرها بداية التحرير وانهاء اقامة الغاصب في الارض العربية الفلسطينية :

بارض الكرامة
سطرنـا النصر بـارض الكرامـة مـا في اقامـة للجيش الغاصـب
ما في اقامة

وقد تركت احداث الكرامة اثارا بعيدة في وجدان الجماهير ، والتي بـدأت ترفد الثورة بسيل من الشباب الـذين انخرطوا في صفوف المقاتلين والتنظيمات الشعبية المساندة للثورة لقـد عبرت الجماهير عن تقديرهـا للثورة وعن مدى ما تعلقه من امال عليها في التحرير ورد الاراضي المغتصبة وذلك بعمليات الاسناد التي رفدت بها هذه الجمـاهير اولئك الرواد الاوائل للتحرير . واحس الانسان العربي الفلسطيني وكأن ميلادا جديدا قد حدث لموقعه ازاء التحدي المصيري الذي يواجهه . وقد ترك النصر ورد المعتدين عن الارض العربية وضعا نفسيا لدى الجماهير جعلهـا مستعدة للنضال في جبهة عريضة لمحاربة العدو ومن هم وراءه :

انطلقـت ثورتنـا ويسمعهـا نكسـون
ونحـرر وطنـا وع ترابـه نسكـن
سافـر الاعـور يحكـي لويلسـون
خـايف ثورتنـا تشمـل الكونـا

وبعد هذا النصر بدأ الوجدان الشعبي يعكس موقفا صلبا ازاء التحدي وقد لخص هذا الموقف برفض الاستسلام والدعوة للتحرير بقوة السلاح وهو بذلك يقطع الطريق على بوادر روح الانهزام والاستسلام ومحادثات الحل السلمي :

اذا تردوا علـى شـوري ورايـي
لنرفـع للحـرب بيرق ورايـة
انـا قدامكـم وانتـوا ورايـي
وانـا أول ضحيـة للعـرب

ومن جهة أخرى فقد كان الهجوم على الضفة الشرقية من نهـر الاردن يحمل في طياته العدوان على الانسان العربي بالاضافة لكونه اصلا عملا موجها ضد الانسان الفلسطيني بالتحديد . صحيح ان الخطة العسكرية على الكرامة والشونـة الجنوبية وغور الصافي والعمليات الموجهة ضد سكان الغور الشمالي — من ذلك معركة لثماني ساعات مثلا — كانت ردا على عمليات الفدائيين الفلسطينيين بالتحديد الا انها كانت موجهة بطريقة لا

مناص منها ضد السكان الاصليين للضفة الشرقية من النهر وضد ابطال الجيش العربي الاردني ومدفعيته التي طالما حمت وغطت عمليات اخوانهم الفدائيين الفلسطينيين .

وكان النصر يوم الكرامة دافعا لمزيد من التلاحم بين رجال المنظمات الفلسطينية وبين أبناء الضفة الشرقية شعبا وجيشا . وكان لا بد لهذا التلاحم والوقوف صفا واحدا في وجه العدوان الاسرائيلي من ان يترك اثارا ذات ابعد مدى في وجدان الجماهير الفلسطينية والاردنية وبالتالي في الفولكلور الذي تفرزه ذهنية الجماهير . وهناك ظاهرة فولكلورية تستحق الملاحظة والاهتمام وهي سريان روح المقاومة في الفولكلور الغنائي للضفة الشرقية وتتضح هذه الظاهرة في اسلوبين : الاول سريان روح المقاومة في الغناء الفولكلوري بشكل ابتدائي ومباشر . ان اغنية مثل « على الجسرين » اخذت تحمل تأييدا وتعاطفا للفدائي (وهي اغنية نبعت وراجت في الوسط الاردني) :

على الجسرين لاسرع واروح على الجسرين
على التنية لاسرح واروح على التنية
والفدائية يا رب تنصر هالفدائية

والثاني هو تحويل كلمات لحن معين ومعروف في الضفة الشرقية بحيث اصبحت تتضمن مضامين ثورية . من ذلك احدى اغنيات دبكات الجوفية :

سيفنا يخلي الدم شلال

صارت :

كلاشنكوف يخلي الدم شلال
ديكتريوف يغطي انسحابنا

ان عشرات الاغاني الشعبية التي اخذت تعكس روح المقاومة والتي كانت في الاصل ذات مضامين وجدانية بحتة وتنطلق من جهات متعددة في الضفة الشرقية من الاردن لتدل اصدق دلالة على وحدة الانسان العربي وتعاطفه مع قضية الانسان الفلسطيني . ويمكن القول ان هذه التعاطف وهذه الروح الثورية في وجدان الجماهير عائد لانتصار الرواد الاوائل من ثوارنا الذين صدوا العدوان يوم الكرامة .

وفي منتصف عام ١٩٦٩ قام الثوار الفلسطينيون باخطر العمليات واجرئها عندما فتحوا في ليلة واحدة ٢٨ ثغرة في الحواجز الالكترونية التي اقامها الاسرائيليون في الشمال والتي يضعون فيها كل موانعهم (موانع الكترونية — ألغام — اسلاك مكهربة) وكذلك عند قيامهم بعمليتي الحمة والحزام الاخضر في المنطقة التي كان ديان يعتبرها منطقة مغلقة في وجه المقاومة .

أن اصداء هجمات الثوار الفلسطينيين وقذائف مدفعيتهم قد اخذ يتردد في حياة الاسرائيليين وبات له انعكاساته في الاقتصاد الاسرائيلي . لقد ازدادت الهجرة من وادي بيسان واقفرت الاراضي الزراعية من العمال الى الدرجة التي ارغمت الحكومة الاسرائيلية على ان تعلن عن اعفاء سكان منطقة غور بيسان من كافة انواع الضرائب ، على ان يشمل هذا الاعفاء كل القاطنين في الغور حاليا اولئك الراغبين في العودة اليه . ويمضي ديان في سياسة المطاردة الساخنة ويبرر اشتراك المصفحات والهليوكوبتر في المطاردة بان مجموعة من المقاتلين الفلسطينيين سوف تحتاج الى لواء كامل لمطاردتها اذا تسربت الى تل ابيب . وفي ميزانية ٧٠ — ٧١ خصصت الحكومة الاسرائيلية مبلغ ٣٧ مليون جنيه استرليني لمواجهة نفقات تدريب الاحتياطي وبناء الملاجيء والنفقات الناشئة من مرابطة قوات عسكرية في خطوط المواجهة . وادت الهجمات الى توقف مصنع البوتاس جنوبي البحر الميت توقفا يكاد يكون تماما . وكان ذلك مما دفع ديان الى احتلال الجبال في غور الصافي حتى يؤمن المصنع ويبعده عن صواريخ الثوار . ولكنه

أرغم على الانسحاب في معركة باسلة (كانون الثاني ١٩٧٠) . ومن أجل المحافظة على معنويات الجنود الاسرائيليين الذين كانوا يعرفون مهمتهم غير الاسرائيليون التراجع عن احتلال الجبال بانه تم بسبب الاحوال الجوية . وكان لا بد لتصاعد العمل الفدائي بهذه الصورة من ان يؤدي الى ردة فعل من الجانب الاسرائيلي تجلت في هجمات الطيران والمدفعية (وبمقدار محدود الكوماندو) على الجهات التي ينطلق منها الفدائيون الفلسطينيون في الضفة ، الشرقية / اربد ــ وغور الاردن وغور الصافي ــ والعقبة . وقد ادت هذه الهجمات الى نتيجتين : اولا على الصعيد الشعبي ازداد تلاحم الجماهير الفلسطينية والاردنية في وجه اسرائيل ، فالشخص الذي فقد بيته في الشونة الشمالية واربد والغور واضطر الى النزوح شرقا هربا من المنطقة المحروقة بفعل القصف الاسرائيلي كان لا بد له ان يتحول من مزارع الى مقاتل او نصير للثورة . وثانيا على الصعيد الرسمي تنامت في البلد حساسية بين النظام القائم وحركة المقاومة تجلت في الصدامات التي حصلت بين الجبهتين في ١٩٦٨/١١/٤ و ١٠ شباط ١٩٧٠ واحداث حزيران ١٩٧٠ .

ومهما يكن من امر لقد بدأت مرحلة جديدة من حياة شعبنا ، هذه المرحلة التي بدأت في اليوم الاول من عام ١٩٦٥ وان كانت قد بدأت بشائرها قبل ذلك بقليل مع انبثاق منظمة التحرير الفلسطينية التي بشرت بالكيان الفلسطيني والتنظيم الشعبي وبنت جيش التحرير الفلسطيني . ثم قامت حركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » التي نفذت اول عملية عسكرية داخل الارض المحتلة في اليوم الاول من الشهر الاول من عام ١٩٦٥ ثم تلتها وجود تنظيمات فلسطينية اخرى تتخذ اسلوب الحرب الشعبية كحل لا بديل له لاقضية الفلسطينية . ومن أولى سمات هذه المرحلة ضياع نغمة الحزن الذليلة التي كانت قاسما مشتركا للادب الشعبي الفلسطيني وحلت محل تلك النغمة الذليلة نغمة القوة والتحرير والثورة حتى النصر .

لقد احس الانسان الفلسطيني بفرحة ما بعدها فرحة وهو يتحسس السلاح بيديه ويمتلكه ثم يصوبه الى صدور مغتصبي ارضه وجلاديه ، هذه الفرحة العارمة بالسلاح جاءت اثر سنوات طويلة من التشوق لحمل السلاح والاستغاثة للحصول عليه . وبذلك انطلقت الاهازيج العفوية تكرس هذه الفرحة القوية :

بايدي كلاشنكوف
وفي قلوب العدا خوف
والثورة علمتني
على اكبر ديكتريوف

حتى الفواجع والمصائب لم تعد تهز الانسان الفلسطيني ولم تعد تثير فيه الحزن بل اصبحت حوافز على التصميم وفرصا للتفاؤل بانتصار الثورة . بالامس كنا نرثي الشهيد ونقول :

شفته على تخت الرويد ممددا — والدم جاري مبلل القمصان
يا حيف سبع الغاب كرم امجدا — يصبح دفين بتربة الوهدان
شواربه جنح الغراب مرقدا — وعيونه تلمع كبرق نيسان
كل البلاد تبكي عليه وتتجمدا — تبكي الرجال وتنحب النسوان

ولكننا اليوم لا نبكي على الشهيد ، بل يطالب الفنان الشعبي من ام الشهيد ان تغني للبطل الذي دق وجه الارض الفلسطينية بقدميه ونفث النار في صدور المحتلين :

يا ام الفدائي دائما غني — والله ابنك واصل للجنة
ربي هالثورة ما تخيب ظني — وننزل النصر بفلسطيننا

والسمة الثانية لهذه المرحلة هي ارتفاع الجماهير إلى مستوى المعركة الضاربة التي تخوضها فالجماهير تحيط الثوار بجو من المودة والتأييد وتفاخر بمن يحمل السلاح لتحرير الارض وتنبذ الهزل والمساخر ما دام المغتصب يعيش على ارضنا :

ويعجبني الذي للسيف سنا — نقلت الطرب انا من صغر سنا
حرام اضحك وحرام يبان سنا — والعدا تدوس في ارض العرب

والمرأة هي ايضا غيرت اغانيها العاطفية واستبدلت بها اغان تحض على الثورة والتحرير والانتقام من المغتصبين :

يحرم علينا — نلبس ذهبنا — يحرم علينا
ساكنة بلدنا — ما دام العدا — ساكنة بلدنا

يا ابو عمار حط جيوشك ع الوادي
واشبع الطير من لحم الاعادي
يا ابو عمار حط جيوشك ع المية
واطعم الطير من لحم الصهيونية

وحتى الاطفال عاشوا جو الثورة وانطلاقتها ، واصطبغت العابهم واحاديثهم واغانيهم بصبغة الثورة . فاطفال فلسطين اليوم يشاهدون الابطال يحملون الكلاشنكوف ويلبسون ثياب الميدان المبرقعة ويصطفون على أطراف الشارع حيث يهرول الفدائيون شاكي السلاح وهم يهزجون باناشيد المقاومة وحيث يصطف الاشبال ويهرولون هازجين . ولذلك كنا نسمع الاطفال قديما يغنون لدود الصيف :

حرقص برقص قوم ارقص يا دود الصيف
واوع تشعبط علينا يا دود الصيف

ولكن اطفال فلسطين اليوم يرددون اغاني الاشبال والفدائيين والاغاني الهادرة التي يسمعونها من الاذاعات الفلسطينية . فوق ذلك فقد ابتكروا لانفسهم اغانيهم الفولكلورية الثورية :

حط المدفع ع الميدان
فليسقط موشي دايان
حط المدفع ع السدوار
فليحيى ابو عمار

كما عكس الاباء شوق الصغار للالتحاق بالثورة وترك الحياة الوادعة . ومن ذلك ما جاء في بيت الدلعونا هذا :

وابني عن رأيه عيا يتحول
وترك دراسته من الصف الاول
قال لي يا بابا لازم اتسلل
واضرب الغاصب بفلسطيننا

من جانب الثوار عود المقاومة يتصلب والقواعد تصبح اكثر استقرارا واكثر مناعة وكفاءة التسليح والتدريب تزداد والتنظيم الشامل من اجل تحويل قوات المقاومة الى جيش للتحرير الشعبي بأخذ مجراه وتتسع قاعدة العمل المسلح بتكوين الميليشيا المسلحة . وتتسع القاعدة الشعبية المساندة للثورة كما يبدو في هذا النص الفولكلوري الذي يشيد بجيش التحرير وثوار « فتح » الذين يشنون الغارة كل ليلة والذين خلقوا وضعا جديدا يخنق استعلاء وشوفينية المحتلين الاسرائيليين :

وهلوا معاي يا حظور ... ع محمد طه المختار
ونويت انشر لي منشور ... استمعوا مني يا حظار
وبطلب من ربي العالي ... على عباده يسبل الاستار
وبطلب من ربي العالي ... بلك ينصر الثوار
وبلك ينصر أمة حبيبه ... ينصرهم ع القوم الكفار
ويا رب يا ابو الكرم ... ع الخرسة تبعثر الامطار
انصر امة حبيبك ... وبحياة النبي المختار
في الوسط سووا عصابات ... في المستودع داروا الشعلات
ودخلك يا قاظي الحاجات ... تعطي النصر للثوار
وهذه عزوة ما تهاب الموت ... بيظربوا لا يفوت الفوت
ابن صهيون يسا هلفوت ... اشرفت روحك ع الممات
اتحدت عليك العربان ... وسع عليك الميدان
انت واخوك الشيطان ... وين تلقوا يا كفار
اقرب ما يكون المينا ... وروح اسلك ع الابحار
ما اسمعت بسرية فتحية ... قاموا عليكوا الارظية
ركبت ع كتوفك جنيه ... واكم قصر راح دمار
بعدين عسكر التحرير ... وعليك يطفو المنير
والا مطالك ما يصير ... وين تلقوا يا كفار
كل ليلة يشنوا الغارة ... اوعوا تظلوا بها الحارة
اعماركم راحت خسارة ... ولحكموا اتنوف ع الحجار

اود ان اتناول ظاهرة اغتراف الوجدان الشعبي من الاغاني المصنوعة التي تبثها أجهزة الراديو والتلفزيون في البلاد العربية . قلت فيما مضى ان الاغنية الشعبية الفلسطينية ظلت تجتر احزان الجماهير وتروي قصص الهزائم المتلاحقة وتتحدث عن الابطال الذين قاوموا الطائرات البريطانية بالبنادق العتيقة . وظلت الحال هكذا حتى اوائل الستينات عندما بدأت جماهير الشعب الفلسطيني تتململ لتأخذ دورها في تحرير ارضها . وأخذت بعض الاوساط العربية تتعاطف مع آمال هذه الجماهير في تحرير اراضيها وصرنا نسمع صوت فلسطين من هذه العاصمة العربية او تلك . ومع هذه الانتعاشة في آمال الشعب الفلسطيني بتحرير ارضه راجت بعض الاغاني التي تعبر عن شوق الجماهير الى البيارة وزهر الليمون والبرتقال والقرية المهجورة وتطلعها الى معانقة الارض والشجر والهواء في فلسطين . ولم تختلف هذه الاغاني عن الاغاني السابقة الا في كونها تحمل ايحاء بأن هذا الشوق يحمل في احشائه رغبة كامنة في التحرير . ولاول مرة يتحسس الانسان الفلسطيني موقفا جديدا مثل فيه دور البطل المنتصر . وأخذت جماهير الثورة ومقاتلوها وفنانوها تعبر عن ارادة التحرير والصمود بأغان وأهازيج وأناشيد هادرة تنبثق من صفوف المقاتلين وتبثها اذاعة صوت العاصفة — صوت فتح .

ان رصدنا لهذه الاعمال الغنائية يتضمن عددا من الاعتبارات فهي ذات مضمون تؤيده الجماهير تمام التأييد وطالما تاقت الى التعبير عنه بقوة ووضوح كما ان هذه الجماهير الفلسطينية موزعة بين اقطار الدول العربية المجاورة لفلسطين في لبنان وسوريا والعراق والاردن ومصر وشبه الجزيرة العربية . ولا بد ان تتأثر هذه الجماهير بالتعابير والالحان العربية فضلا عن الخميرة الفولكلورية الفلسطينية التي تختزنها هذه الجماهير وتكدس فيها أشواقها للارض السليبة . ولا بد من النظر بعين الاعتبار الى عامل تكنولوجي هام له أثره على الاناشيد الشعبية وهو جهاز الراديو وبالتحديد ما يسمع من « صوت العاصفة — صوت فتح » ، صوت الثورة الفلسطينية من القاهرة والذي أخذ يبث

سيلا من الاهازيج والاناشيد التي تميزت بوضوح المضمون وقوة الاداء استجابة للجماهير التي ملت التعليقات التعميمية والاحاديث غير المحددة والاغاني الخاوية من كل مطلب مباشر .

ونأتي الآن الى دراسة نماذج اهازيج الثورة سواء منها ما انبثق من بين الجماهير او المقاتلين او صوت العاصفة أو اية اذاعة عربية تنطق باسم الثورة الفلسطينية . ولنبدأ من حيث الشكل . هناك عدة نماذج لحنية للاغاني الجديدة والتي بدأت تروج بعد حزيران ١٩٦٧ . من هذه النماذج ما بني على الحان فولكلورية شائعة في فلسطين والاردن ومنها ما بني على الحان أغان مصنوعة تذيعها اذاعات الدول العربية ومنها نمط ثالث مصنوع مؤلفه معروف وملحنه معروف وقد شارك في صناعة الاغنية مرددون واوركسترا ، ومع ذلك فقد ادخلت هذا النمط ضمن الاغاني الفولكلورية ومبرري في ذلك هو ان هذه الاغاني توافق مزاج الجماعة موافقة تماما . وقد اخذ الناس يرددونها ويغنونها متناسين مؤلفها وانني واثق من ان هذه الاغاني التي اخذت بألباب الجماهير في فترة زمنية قصيرة ستصبح جزءا من تراثهم الغنائي الذي يضيفون كلمات لكلماته ويزخرفون الحانه حسب المزاج الشعبي . ومن جهة اخرى يجدر بنا الا ننسى المرحلة الجديدة التي تعيشها الجماهير الشعبية في ظل أداتي التكنولوجيا الحديثتين الراديو والتلفزيون ، ففي السابق كان حداء مشهور مثل العجاوي او العراني او حافظ موسى او محارب ذيب يؤدي لحنا او الحانا غنائية فتتناول الجماهير منها ما يناسب مزاجها من حيث المضمون والشكل وتتداوله وتتوارثه فيصبح هذا اللحن فولكلوريا . واما اليوم فان ملحنا مثل صبري محمود او مهدي سردانة وكاتب كلمات مثل ابو هشام او صلاح يتعاونان في صناعة الحان تسمع من صوت فلسطين او صوت العاصفة . وتبادر الجماهير الى تناول ما يوافق مزاجها وما يمكن ان تتداوله وتتوارثه فتصبح الالحان الجديدة الحانا فولكلورية وتتناسى الجماهير كاتب الكلمات ومؤلف اللحن .

ومما يساعد على انتقاء الاغاني والاناشيد الجديدة من حظيرة « الغناء المصنوع » الى حظيرة الغناء الفولكلوري هو ان مؤلفي وملحني هذه الاغاني والاناشيد قد وضعوا اعمالهم الفنية بحيث تكون أقرب ما يمكن الى الفولكلور الغنائي الفلسطيني مساهمة منهم في احياء تراث البلد الذي يتطلعون الى احيائه وتحريره أو على الاقل أقرب ما يمكن الى اهازيج المظاهرات والمسيرات التي ظلت تسمع هادرة في شوارع عمان والقاهرة وبغداد ودمشق وبيروت وقد كان الفلسطينيون القاسم المشترك لهتافة هذه المسيرات . وأفضل مثال على هذا النمط الغنائي :

يا جماهير نيسان عدي
عدي
بوابة تشرين عدي
عدي

وكذلك هذه الاهزوجة :

ثوري ثوري ... يا جماهير
الارض المحتلة

ان تغييرا طفيفا جرى على اهزوجة المظاهرات الاولى التي سمعت ايام حلف بغداد والتي كانت تقول :

يا بغداد ثوري ... ثوري

فقد حلت هنا « جماهير الارض المحتلة » محل « بغداد » وظل المضمون واحدا وهو الحاح الانسان الفلسطيني على تثوير الوطن العربي بما في ذلك جماهير الارض المحتلة .

ومن الاهازيج الثورية التي سارت على نفس اللحن الفولكلوري الفلسطيني الاصيل اهزوجة :

جـــر المـدفـــع فـــدائي
لا تستنـــــى السيـــــارة

وهي مبنية على اللحن الفولكلوري الفلسطيني المعروف :

يـا احليـــوة طـــاب رمانـي
وأنـا ع البـــاب بســـتنى

وكذلك اغنيـــة :

بأيـــدي رشـــــــاشي
وبـــدي أظـــل مـــاشي
وأرضنـــــا المحتلـــــة
مـــا بترجـــع ببـــلاش

فهي على لحن اغنية من اغاني العطل الدارجة في وسط فلسطين :

حبـة قظامي .. فيهـا اللظامي
يا مـين تيقظـم .. عليش تيقظم
على وزة محشية.. يوخذها ويجوّد
ع الزيتـــون يهـــود

ومن هذا النوع من الاغاني والاهازيج اغنية :

يـا شـــعب كـبرت ثورتي
كبرت واحنـــا ثـوارهـــا
مـــن قـــريتي لمـــدينتي
مـــن نهـرهـــا لبحرهـــا
يـا أم الشـــهيد وزغردي
كل الشـــــباب اولادك .

وهي على لحن :

يـا رب تكـــبر مهـــرتي
تكـبر وانـــا خيـــالهـــا

وكذلك اغنية « رايحين نقول ارياه » بمضمونيها الوجداني القديم والثوري الجديد : أما اهزوجة « يا شعبنا هز البارود » فهي تنتمي الى الحان اغاني المسيرة ــ زفة العريس في وسط فلسطين مع زخرفة لحنية واضحة . وكلمات المسيرة التقليدية تقول :

عريســـنا عنتر عبـــس عنتر عبـــس عريســـنا

ومن الاغاني والاهازيج الثورية التي بنيت على الحان اغان عربية مصنوعة . هـــذه الكلمات المبنية على اللحن المصري المعروف « عدوية » :

بـايـــدي كلاشـــــنكـوف
وفي قلـوب العـــدا خـوف
والثـــــورة علمتـــــني
عـــلى حمـــل الدكـتريوف

وكذلك اغنيـــة :

مـدي يـا ثـورتنـا مـدي
اسـتمـرّي ومـدي

وهي على لحن اغنية فيروز :

شـتي يـا دنيي شـتي

ويمكن ان يقال ان لحن اغنية فيروز هذا ينتمي الى لحن معروف في جنوب لبنان وشمال فلسطين من اغاني الاطفال ـــ تقول كلماته :

اشـتي يا دنيـا وزيـدي
بيتنـا حـديـدي .

ومن هذا القبيل 'اهزوجة :

طـيري طـيري يـا حمامـة
مـن الحمـة لارض الكـرامة

وهي مبنية على لحن شعبي عربي ذي صيغ متعددة واهزوجة :

لوحنـا ع القواعـد لوحنـا

وتنتمي للحن :

يا مسـعود .. اهلا وسهلا .. يا مسعود

وهناك اغان واهازيج ثورية فلسطينية استعارت اغان والحان من الضفة الشرقية . من ذلك ما سبقت الاشارة اليه عند التحدث عن يوم الكرامة وكذلك هذه الاغنية التي يرددها مقاتلو الجبهة الشعبية :

شـعبيـة شعبيـة
جبهتنـا شـعبية
والله لاعيـدك يـا بـلادي
مـن الميـة للميـة

هذا اللحن (شعبية) مبني على لحن (ريدها) . وهو لحن أصيل في الكرك وقد صيغت منه أغنية مصنوعة .

ومن الالحان المؤهلة لان تدخل حظيرة الاغنية الفولكلورية المتوارثة والمتداولة لملاءمتها مزاج الجماعة هذه المجموعة من اغـاني الثورة الفلسطينية التي تسمـع من اذاعة صوت العاصفة :

فـوق التـل .. تحت التـل
اسـال عنـا .. الريح تنـدل
انـا صـامـد
باسـم الله .. باسـم الفتح
بلادي بلادي .. فتح ثورة ع الاعادي
لا بنفـادر ولا بنهـاجر
ولا بنسالـم جيـش الغـادر
وعهـد الله مـا نـرحـل
نمـوت نمـوت ولا نـرحـل
احمي الثـورة بـدمـك احمي

وننتقل الى دراسة هذه النماذج من حيث المضمون . ولا شك ان مضمون اهازيج الثورة الفلسطينية يعكس واقع هذه الثورة ونشوءها وتطورها . لقد ظلت الثورة الفلسطينية تواجه مجموعة من التحديات الكبيرة فهي تواجه اولا « الترسانة العسكرية الاسرائيلية » والمدعومة بالامبريالية الامريكية والاخطبوط الصهيوني الذي ينتشر تقريبا في كل مكان على سطح الكرة الارضية ممثلا بأجهزة الجباية والدعاية والاعلام والمصالح اليهودية والمساندة لها . وثانيا فان الثورة الفلسطينية كانت مطالبة بان ترد على تحديات فلسطينية وعربية . لقد كان هناك من لا يثق بان منظمات الفدائيين ستقدر على قهر الجيش الاسرائيلي الذي لا يغلب والذي غلب جيوش الدول العربية واحتل اراضي ثلاث من هذه الدول . كما ان بعض الجهات العربية اعتبرت الثورة الفلسطينية عملا متسرعا ومتهورا لن يؤدي الا الى توريط الدول العربية « الكسيرة الجناح » في حرب جديدة لا مقدرة لها عليها وبالتالي جذب مزيد من الهزائم للامة العربية كما ان الجماهير الفلسطينية والعربية كانت مصابة بعقدة الفرارية التي رسختها أحداث ١٩٤٨ ، وتسليم المثلث ١٩٤٩ وهزيمة السويس ١٩٥٦ ثم هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، تلك الهزائم التي عبر عنها الوجدان الشعبي بهذه الكلمات :

ل ورا يـــا هالعـــربـــان
ل ورا
انتـــــوا قـــدامنـــــا
واحنـــا وراكـم كـــزدرى

وكان الصمود يوم الكرامة محاولة للوقوف بوجه عقدة الفرارية هذه . اما البرجوازيون فظلوا يعبرون الجماهير المنضمة للثورة انها جماهير كانت بلا عمل وهي ترتزق من الثورة او تذهب اليها هربا من التجنيد الاجباري . ولذلك كانت الثورة مضطرة لمجابهة كل تلك التحديات واعادة الثقة الى الانسان الفلسطيني والعربي . وكان ذلك عبئا ثقيلا . وكان لا بد للاغنية الشعبية التي تنبع من اوساط الجماهير او تتبناها هذه الجماهير أن تعكس احساسا قويا بالتحدي ومزيدا من التمسك بزناد البندقية وافتخارا به « بايدي كلاشنكوف .. وفي قلوب العدا خوف » و « بايدي رشاش وبد ظل ماشي وارضنـــا المحتلة ما بترجع بلاش » و « يا شعبنا هز البارود » . كما توجهت اهازيج الثـــورة الى الجماهير التي طالما سحقوها تشد من ازرها وتبث المزيد من الثقة في نفسها . واغنية أنا صامد خير كبسولة لذلك . لقد واجهت الجماهـــير أعمال القمع والاضطهاد ونسف المنازل في الارض المحتلة بصمود رائع تتجلى في رفض التخاذل وقبول الاحتلال . واذا ما نسف البيت ارتفعت أصوات الناس في أعقاب تفجير الديناميت هازجة « ان اهدموا بيتي .. يا بيتي .. في ظل حظانك انا صامد » واذا ولـــد مولود جديد سموه صامد تيمنا بالصمود في وجه الاحتلال . وفي الخارج ـــ خارج الارض المحتلة ـــ كانت الاهازيج تحيي الثورة كلما خرجت منتصرة بعد ازمة من الازمات « يا جماهير نيسان عدي .. بوابة تشرين عدي » . وفي تشرين ، عندما انطلق الرصاص في لبنان الى صدر الثوار خرجت الجماهير الشعبية في العواصم العربية تهزج بانفعال :

شعب العربي شوف .. شوف
والخيـــانـــة ع المكشـــــوف

وبعد الخروج من الازمة كانت الجماهير تنفس الصعداء ثم تدعو الثورة الى :

المد .. المد يا ثورتنـــا الشعبية
ما بيقدر حد .. يوقف زحف الفدائية

والكلمات هذه حديثة الا انها قريبة من لحن شعبي اصيل طالما حمل روح النضال ضد الاستعمار وتقول كلماته :

هبت النار والبارود غنى
تسلم لينا يا حامي ظعنا

وترتفع عبارات التحية للثوار بعد الاعمال البطولية التي ينفذونها ضد قوى الاحتلال :

غلابة يا فتح يا ثورتنا غلابة
غلابة الايد اللي تدمر دبابة

لقد حظي المقاومون الفلسطينيون بعطف جماهيري واسع سواء كان ذلك من الجماهير الفلسطينية او العربية . واخذت هذه الجماهير تسبغ صفات البطولة والشجاعة بكلمات نابعة من قلوبها لاولئك الابطال الذين اعادوا سمعة الامة التي هزمت في حزيران ١٩٦٧ . وقد امتدت يد التحرير الى الاغاني العاطفية والاغاني القديمة وكذلك الاغاني العربية الاخرى . حتى اغاني زفة العريس العاطفية حورتها الجماهير الى اغان تدعم الثورة وتغدق عليها من تعاطفها وودها وليس ادل على ذلك من تلك الفورة العاطفية التي احاطت بالجماهير الفلسطينية عندما تعرض الفدائيون في احد المخيمات للتحرش والعدوان . لقد وقفت الجماهير في صفوف متراصة تهتف بمقاطع من زفة العريس بعد ان اودعتها مضمونا ثوريا :

ع باب الخيمة اذبحوني
وشيلوني برة وارموني
وهالثورة ما بخونها
وبعيني بصونها
ونخ الخيل .. ونخ الخيل
ونخ الخيل .. على الصفين
والله يمسيكم بالخير
والله يمسي ثورتنا
وهلي حاملة حملتنا

العرب في ظل الاحتلال الاسرائيلي
منذ ١٩٤٨

بقلم

حبيب قهوجي

من منشورات مركز الابحاث في م.ت.ف.
ص.ب ١٦٩١ — بيروت
٥٩٠ صفحة
سعر النسخة ١٠ ل.ل.
تضاف اليها أجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي ؛
٢٥٠ ق.ل. في أوروبه ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر الدول

رأيان في كتاب
« دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية »:
هل هو نقد لفكر المقاومة حقا ؟

ناجي علوش
و
وليد نويهض

صدر منذ أسابيع كتاب « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » ، للدكتور صادق جلال العظم ، عن دار العودة في بيروت . وقد أثار الكتاب مناقشات وردود فعل كثيرة. وتخصص « شؤون فلسطينية » باب « مراجعات » هذا الشهر للكتاب المذكور ، فيتناوله بالنقد كل من الاستاذين ناجي علوش ووليد نويهض .

النقد الاول
للاستاذ ناجي علوش

— ١ —

ذكرني كتاب صادق جلال العظم : « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » بقصة الملكة ماري انطوانيت مع الجماهير ، ذلك ان الملكة ماري انطوانيت قابلت صراخ الجماهير الهاجمة على القصر ، والهاتفة تريد الخبز بالحل التالي : « اذا كان ليس هنالك خبز ، فلماذا لا تعطوهم بسكويت». والدكتور صادق جلال العظم أنهى نقده الطويل الذي يملأ مائتين وثلاثا وخمسين صفحة بثلاث نصائح ، احتلت أقل من صفحة وثلث ، اقتبسها من ماوتسي تونغ : وهذه النصائح الثلاث هي : النظرية الثورية ، الحزب الثوري ، الوقوف الى جانب الاشتراكية أو الامبريالية . وهكذا حول صادق هذه القضايا الثورية الاساسية الثلاث ، بالطريقة التي طرحها بها ، الى « بسكويت » مثل بسكويت ماري انطوانيت .

ولقد سايرنا معه مسافة مائتين وثلاث وخمسين صفحة ليقدم لنا بسكويت ماري انطوانيت ، ولكنه في هذه المرة « بسكويت ماركسي » . وكما ان الجماهير التي كانت تحاصر قصر ماري انطوانيت لم تكن تطلب منها الخبز ، فان جماهيرنا الباحثة عن الخبز لم تتوجه الى الدكتور صادق جلال العظم طالبة منه البسكويت .

ولكن الدكتور صادق تبرع بذلك . وتبرعه السخي يكشف عقلية بعض المثقفين ، والعرب منهم خاصة ، الذين يظنون بأن قراءة بعض الكتب تغنيهم عن الممارسة ، وعن فهم الواقع وقراءه ، وتجعلهم يقدمون بسكويتا نظريا لجماهير لا يتعدى حلمها « الخبز اليابس » .

وهم في النهاية لا يعتبرون أنفسهم مطالبين بشيء غير هذه « النصائح الثورية الجميلة » . الحل السهل : انه النظرية والحزب والانحياز الى الاشتراكية ، وكل ما عداه خطأ وانحراف وعجز وقصور الخ ... الخ وعلى الجماهير ان تفهم وان

تتعلم وأن تهضم النظرية وتنشىء الحزب ، وتتخذ الموقف الحازم مع الاشتراكية ضد الامبريالية .

ولقد بدأ صادق كتابه مؤكدا ان منهجه مختلف عن منهج الياس مرقص وانه لا يذهب مذهبه ، ولكنه في الحقيقة يتبنى المنهج ذاته ، ليتخطى الياس بعيدا على طريق الميثولوجيا الماركسية الحديثة ، او على طريق بسكويت ماري انطوانيت .

كيف ؟

لقد كان الياس من حيث المنهج ذاتيا وسطحيا وانتقائيا وأحادي الجانب فجاء صادق ليتبنى هذا المنهج ، وليعزز اقانيمه الثلاثة . الياس تبنى الاثافي الثلاث : الحرب النظامية ، الناصرية ، السلم مقابل : الحرب الشعبية ، رفض الاستسلام واستمرار القتال ، وجاء صادق ليتبنى أثافي ثلاثا أخرى ، بالطريقة نفسها ، هي : النظرية الثورية ، الحزب ، الانحياز الى معسكر الاشتراكية ، مقابل كل شيء ، بعد أن جردها من كل مضمون ثوري ، ومن تماسها المباشر مع الواقع المحسوس .

وقد قاد هذا المنهج الذاتي السطحي الانتقائي الاحادي الجانب صادق جلال العظم الى الوقوع في مزالق التعميم والاجتزاء والاختزال والمغالطة. وسوف نضرب أمثلة واضحة على كل منها :

اولا : **التعميم** سنضرب هنا مثلين :

الاول : حول فكر المقاومة : ان عنوان الكتاب هو دراسة نقدية لفكر المقاومة . ويقول صادق في المقدمة « تطمح محاولتي الى تقديم تقييم نقدي لعدد من الافكار والاتجاهات والممارسات الرئيسية التي سادت في حركة المقاومة وسيطرت على عملها وخاصة في منظمة فتح » (ص ٧) . ولكن صادق ما يلبث ان يقول « ان اي تقييم لهذه المرحلة من الكفاح الفلسطيني لا بد ان ينصب بصورة رئيسية على فتح باعتبارها اهم منظمات العمل الفدائي وأكبرها ، وتشكيلها بالتالي العمود الفقري لحركة المقاومة ». ويضيف صادق الى ذلك ما يلي: « يبدو لي واضحا كل الوضوح ان استراتيجية فتح وبرامجها وتصوراتها الايديولوجية وممارساتها قد طبعت المرحلة المذكورة بطابعها الخاص ، واعطتها اتجاهها العام ولونها السياسي الغالب». ثم يحاول تبرير ذلك قائلا : « هذا الرأي ليس اجتهادا من عندي في تفسير الواقع الذي ساد وتحكم بمسيرة المرحلة المعينة ، بل هو مجرد اقرار غير منقوص بما تقوله منظمة فتح عن نفسها باصرار وشدة ، حيث تعتبر ان الثورة الفلسطينية معادلة لفتح لا اكثر ولا أقل » (ص ١٢) .

وصادق هنا يحاول ان يقنعنا بفكرة مسبقة فلا يجد المبررات المقنعة ، ولذلك يلوذ بفكرة ينسبها لفتح. ولكن هل هذا التعميم صحيح ؟

ان فتح هي « العمود الفقري » للمنظمات ، وهذه نظرة طرحت في بعض ادبيات فتح، ولكن هناك منظمات اخرى . وهذه المنظمات الاخرى لا تعترف بهذه الحقيقة ، لانها تطالب بالمساواة التامة في المجلس الوطني والمنظمات الشعبية . وهنالك لجنة تنفيذية لمنظمة التحرير فيها اثنان لفتح من عشرة اعضاء . ثم ان المنظمات ليس بالحجم ، وقد عودتنا المنظمات ان تضرب عرض الحائط بهذه النظرية التي يتبناها صادق ، فالمنظمة الكبيرة اليوم من يقول بأنها ستبقى كبيرة في المستقبل . والاراء والاتجاهات لا تقيم بحجم المنظمات فحسب . وفوق هذا ، فان المنظمات عودتنا ان تنظر الى فتح على انها تمثل الاتجاه اليميني المتخلف في الحركة الوطنية ، وعودتنا ان تنسب لنفسها انها تمثل الاتجاه الثوري الجذري البروليتاري . ولقد كان صادق ، وما زال، كما يبدو في كتابه ، من انصار هذا الرأي . فكيف يسمح لنفسه بأن يقيم حركة المقاومة من خلال فتح ؟ وكيف يرضى ان يفرض هذا التعميم على حركة المقاومة ؟ واذا كانت فتح قد فرضت منهجها وأسلوبها على المنظمات الاخرى ، وخاصة ممثلة الاتجاه الثوري الجذري البروليتاري ، الا يعني ذلك ان هذه المنظمات يجب ان « تقيم » حتى نرى كيف يفرض اليمين المتخلف فكره ومنهجه واسلوبه على اليسار الثوري الجذري البروليتاري ! وهكذا تبدو القضية واضحة ، فحين يبحث موضوع الوحدة الوطنية تصر المنظمات على التكافؤ في التمثيل ، وترفض نظرية العمود الفقري ، وحين يبحث فكر المقاومة في المجلات والجلسات يعتبر فكر فتح متخلفا ، وفكر المنظمات الاخرى متقدما ، وحين تستهدف ادانة فتح يصبح فكرها هو السائد .

ان صادقا لا يجبرنا على هذا كله . انه يكتفي بالقول في نهاية كتابه « ... ان منظمات مثل الجبهة الشعبية والجبهة الشعبية الديمقراطية قد برهنت عن عجز مزمن في القدرة على بناء نفسها تنظيميا وماديا ، وتدريب مناضليها وكوادرها ، ووضع استراتيجيتها وتكتيكاتها بصورة تتناسب مع

تحليلاتها النظرية الصائبة عموما وقناعاتها المتقدمة حول طبيعة حركة التحرر الفلسطينية والمآزق التي تواجهها والحلول الجذرية التي تتطلبها » . (ص ٢٥١) . ولكنه ، وعلى الرغم من هذه الفاجعة لا يرى مناسبا ان « يقيم » افكار هذا اليسار الثوري الجذري البروليتاري ! ويبدو ان صادق ينسى ان هذه الثلاثية ليست جديدة ، وان ذوي الافكار المتقدمة — كما يدعوهم — طرحوا هذه الثلاثية ، وكان صادق معهم ، ولكن هذه الثلاثية ظلت « حلما » . وهكذا نجد ان بسكويت صادق « قديم » .

ومن هنا نرى ان هذا التعميم غير علمي ، وانه فوق هذا يستهدف غايتين :

الاولى : الاجهاز على فتح بتحميلها مسؤولية كل الاخطاء والاخفاقات ، والقاء الاضواء على اخطائها واخفاقاتها وحدها ، دون وضع « فتح » ضمن المنظومة الفلسطينية ، وضمن تفاعلاتها وتناقضاتها. الثانية : تبرئة المنظمات الاخرى من المسؤولية ، مع انها تتحمل مسؤولية كبيرة، لا تقل عن مسؤولية فتح فيما حدث قبل ايلول وخلالها وبعدها .

ومن هنا يجب ان ينظر الى كتاب صادق على انه جزء من حملة التصفية الايديولوجية لفتح ، وبالتالي لحركة المقاومة .

الثاني : الماوية في فتح : يركز صادق على ان هناك خطا ماويا في فتح . ولكنه لا يقول من اين جاء بهذه الموضوعة ، ولا كيف استنتجها . ويبدو انه بنى قراره على بعض الاقتباسات التي قرأها هنا وهناك . لانه ليس هنالك من يدعي ، داخل فتح ، بأنه يمثل خطا ماويا . هذا بالاضافة الى اننا نرى ان هذه التسمية ليست صحيحة ، فيما يتعلق بثورتنا وقضيتنا ، والاصح ان يقال هنالك خط ثوري صحيح او غير صحيح .

ثم ان ماو لم يعالج قضايا الثورة الفلسطينية والعربية ، وهو ليس مطالبا ان يطرح خطا للثورة الفلسطينية والثورة العربية ، لان ذلك من واجب الثوريين العرب .

ومع هذا نجد ان صادقا يقدمني ويقدم منيرا وهاني الحسن واخرين على اننا ممثلون لاتجاه ماوي . وهو تصنيف لا يقوم على اساس ، ويثير الاستغراب لتهافته ، ويستدعي التفكير بأهدافه ، لانه مكشوف التهافت الى درجة كبيرة ، وخاصة داخل صفوف الثورة الفلسطينية .

ثانيا : **الاجتزاء والاختزال :**

اذا كان التعميم خطرا فان الاجتزاء لا يقل خطورة . وصادق الذي أبلى في الاولى ، يحرز قصب السبق في الثانية . انه يقتبس ما يحلو له دون ان يذكر سياقه ، ودون ان يشير الى الظروف التي قيل فيها . ومن هنا تبدو النصوص المقتبسة غريبة وسط المقاطع التي حبّرها وجعلها فواصل بين الاقتباسات ، كما تبدو الاقتباسات غريبة عن اصولها .

وسأورد هنا مثلين فقط :

الاول : يتعلق باقتباس انتزعه صادق من نص لي ، واكتفي ان يورد منه ما يلي : « ان تتكيف (اي الجيوش النظامية) مع الحرب الشعبية الطويلة المدى ، وان يعاد تثقيفها باحترام الجماهير والثقة بها ومحبتها ، وتقدير امكانياتها حق قدرها واحترام ممارساتها » (ص ١١٢) . وقد اعتبر صادق انني توصلت الى هذه النتيجة الغريبة ، بناء على تشخيصي « لطبيعة التناقض بين المقاومة والنظام الهاشمي» ولذلك يتلخص موقفي بمطالبة «الجيوش النظامية القائمة» بما فيها جيش الملك حسين بأن تتغير (لان ناجي علوش لا يميز في كلامه بين جيش نظامي قائم واخر) .

وعلق صادق على هذا الاستشهاد بقوله : « السؤال الاساسي الذي لا يتطرق اليه ناجي علوش في طرحه الطوباوي لهذا المطلب وما يشبهه هو : من هي القوة العربية المسيطرة حاليا التي يعتقد ان من مصلحتها ان تتكيف « الجيوش النظامية القائمة » مع الحرب الشعبية الطويلة المدى الخ؟» ويمضي صادق في تساؤلاته مضيفا « ... يحق لنا ان نسأله الى من نتوجه بهذه النصيحة الرائعة ؟ الى هيئات الاركان المسيطرة في الجيوش العربية النظامية القائمة؟ أم الى الطبقات العربية الحاكمة» (ص ١١٣) .

وما اقتبسه صادق من نص لي ، منتزعا من سياقه، يجب ان نعيده الى سياقه . والسياق هو مشروع برنامج لجبهة وطنية عربية ثورية ومبادىء وأسس لعلاقات مع الجماهير العربية ، تتجاوز الانظمة ، تقدمية او رجعية وتتجاوز قيادات المقاومة ، وهذا ما هو واضح في النص . والفقرة المقتبسة هي ليست الا الفقرة (ج) من البند (سابعا) .

واشرنا في النص الى أن « تحقيق هذا البرنامج

يحتاج الى نضال دائب ووعي سياسي نافذ » ، كما أشرنا الى ان الانظمة العربية عقبة حقيقية في طريق تحقيق هذا البرنامج . ويستطيع القارىء ان يراجع كتابي : الثورة الفلسطينية ابعادها وقضاياها الصفحات (١٢٣ — ١٢٨) ليرى ما فعله صادق العظم .

ويأتي صادق بعد هذا كله لينهال على القارىء بمجموعة من الاسئلة التي تتهم ناجي علوش بالتوجه الى الانظمة ، والى نظام الملك حسين بالذات من اجل تكييف جيوشها مع الحرب الشعبية ...!

الثاني : انتزع صادق فقرتين من سياقهما ، الاولى من ص ١٢٢ والثانية من صفحة ١٣٠ ودمجهما معا ، وعزلهما عن سياقهما .

اورد صادق النص كما يلي : « تأزم الاوضاع في بعض البلدان المحيطة بالعدو ، نتيجة عجز الحاكمين فيها عن التكيف مع الثورة الفلسطينية ، ونتيجة ارتباطهم بالامبريالية وخضوعهم لمخططاتها ، ونتيجة فزعهم من نمو التنظيمات الجماهيرية ، واتساع نطاق العمل الشعبي المسلح ... ان تطوير العلاقات مع الجماهير يجب ان يعني دفع الانظمة الى الامام بمقدار تطور العلاقات مع الجماهير . وهكذا تكون الانظمة القادرة على التطور والتكيف قادرة على الاستمرار والتقدم ، وتسقط الانظمة التي تعجز عن التطور والتكيف » (ص ١١٠) .

ويعلق صادق على ذلك قائلا : « لنلاحظ هنا انه نتيجة لاعتباره التناقض مع النظام « المرتبط بالامبريالية والخاضع لمخططاتها » في الاردن تناقضا ثانويا ، يمتنع ناجي علوش عن التركيز على الخطر المباشر (الذي لا يقل في أهميته عن الخطر الاسرائيلي) الذي يشكله هذا النظام على المقاومة. لذلك يصفه بعبارات لا توحي بأن النظام يتحرك بصورة ديناميكية ليضرب المقاومة ويصفيها بل بعبارات مخصصة لوصف ردود الفعل فقط وليس لمن يأخذ زمام المبادرة والاقدام » (ص ١١٠) .

وسوف اورد فيما يلي الفقرتين كما جاءتا في كتابي: الموضوع موضوع العلاقات مع الجماهير العربية ، جاء في كتابي :

« وعلى الرغم من ان هذه القضية كانت تشغل بال الكثيرين ، وكانت موضوع همس في الكواليس وموضوع مناقشات خاصة ، متضاربة وحارة احيانا ، فانها لم تكن موضوع مناقشة عامة واضحة وصريحة . السبب بالطبع ، التحسب من الحساسيات والحرص على عدم الدخول في دوامة التناقضات السياسية العربية .

واذا كان هذا مبررا ، فيما مضى ، نتيجة ظروف موضوعية كثيرة ، ونتيجة الشرط الذاتي للثورة الفلسطينية ، فانه لا يجوز ان يستمر التبرير بعد الان . كانت الثورة فيما مضى بحاجة الى تهدئة الامور وتجميد الخلافات ، مهما كانت ، لتتاح لها فرصة اكبر للنمو والاستعداد ..وكانت الثورة ، بسبب ذلك ، مستعدة لقبول السياسات العربية ، كما هي ، وغير مستعدة للمواجهة الا حين تصبح السياسات العربية خطرا مباشرا على الثورة . ولكن المرحلة الجديدة ، مع انها تحتاج الى تخفيف حدة النزاع والصراع على الجبهة الداخلية ، وفي المؤخرة ، وعدم الانجرار الى معارك جانبية ، فانها تقتضي التأكيد على حقيقتين :

الاولى : ضرورة ان تكون المناطق المحيطة بفلسطين ، والاردن — سوريا — لبنان — بالذات، مناطق تملك الثورة حريتها الكاملة في التحرك فيها، دون عوائق او عقبات ، لكي تستطيع الثورة ان تحرك الداخل وتمده بأسباب الحركة ، ولكي تكمل بناء الحزام المسلح الذي تقيمه حول العدو ، وتعده للهجوم كما تعده للدفاع .

الثانية : ضرورة ان يوضع برنامج للعمل ، يحقق الوحدة الوطنية الفلسطينية من جهة ، ويحقق جبهة وطنية مع الحركات الوطنية والجماهير الوطنية في المناطق المحيطة بالاحتلال خاصة ، وبالبلاد العربية عامة . ومثل هذا البرنامج ضروري لتحقيق التفاعل الحقيقي بين الثورة وجماهيرها الفلسطينية والعربية .

ومن الضروري العمل بسرعة لانجاز هاتين الغايتين لان انجازهما هو الذي يضمن توافر امكانيات تتيح للثورة التقدم خطوات الى الامام .

ان انجازهما يضمن :

أ — توفير مناخ اكثر ملاءمة للتلاحم مع الجماهير .

ب — توفير امكانيات بشرية ومادية اكبر ، تجعل قدرة الثورة على تنمية قواها اكبر .

ج — توفير امكانيات سياسية اكبر لحماية الثورة من المؤامرات الداخلية وتحركات القوى المضادة .

وان ما يزيد من أهمية هذا كله **هو المعرفة الاكيدة بمعطيات الواقع ، وشعورنا بان الايام المقبلة تحمل**

لنا مفاجآت كبيرة . ولا بد لنا في هذا المجال من التذكير بأمرين :

وهنا سنورد النص الذي اشار اليه صادق كاملا : « الاول : تأزم الاوضاع في بعض البلدان المحيطة بالعدو ، نتيجة عجز الحاكمين فيها عن التكيف مع الثورة الفلسطينية ، ونتيجة ارتباطهم بالامبريالية وخضوعهم لمخططاتها ، ونتيجة فزعهم من نمو التنظيمات الجماهيرية واتساع نطاق العمل الشعبي المسلح » .

اكتفى صادق ان يقف هنا وشطب الاضافة التالية: **« ان هذا التازم يهدد بالانفجار في اية لحظة . وهناك قوى مضادة للثورة تتهيأ او تهيأ للعب دور حاسم في مواجهة قوى الثورة المتنامية . ان قوى مرتزقة تعد ومناخا ملائما يخلق من اجل تحرك القوى المضادة على نطاق واسع لضرب قوى الثورة »** (١٢١ — ١٢٣) .

ولقد وضع صادق مكان هذه الفقرة ، التي تناقض استنتاجاته تماما ، فقرة من نص اخر ، سنوردها ايضا ضمن سياقها .

ذكرت انني كنت اقترح مشروع برنامج لجبهة وطنية عربية ثورية . وذكرت أنني اعتبرت الانظمة عائقا . وهذا هو النص : « فالانظمة تريد ان تمر علاقة الثورة الفلسطينية بالجماهير العربية من خرم ابرتها . وهي تعتبر ان أي تجاوز لهذا الخرم هو تجاوز لها واعتداء على وجودها وشرعيتها . ولما كانت الثورة الفلسطينية فيلا كبيرا لا يدخل من خروم الابر ، أصبحت القضية بالنسبة لهذه الانظمة واضحة ومحلولة : ان تضغط الثورة الفلسطينية نفسها لتصبح قادرة على ولوج خرم الابرة ، وان تمنع نفسها من ممارسة اية علاقة مع الجماهير العربية خارج « الخرم الرسمي » .

ولما كان الخرم الرسمي مستعصيا على شعرة من شعرات الفيل ، لا على الفيل كله ، اصبحت علاقة الثورة الفلسطينية بالانظمة العربية علاقة **تلامس وتضاد** : الفيل يحاول ولوج خرم الابرة فيرتد دون اية نتيجة .

وهكذا تقف « الانظمة » حاجزا بين الثورة الفلسطينية والجماهير العربية . ووقوفها حاجزا يحد من امكانيات التفاعل المنظم ، ويعرقل نمو العلاقات وتطورها . و « الانظمة » عموما عاجزة ومقصرة ، تغطي قصورها وعجزها بالبيانات والادعاءات . والثورة لا تستطيع ان تربط مصيرها بالقصور والعجز والمبالغة . فما العمل ؟

انها مهمة شاقة وعسيرة ولكن الثورة مطالبة بالعمل على تحقيقها . وتتلخص هذه المهمة في ضرورة النفاذ الى الجماهير ، مهما كانت الظروف ، ومهما كانت النتائج ، لان تقنين علاقة الثورة بالجماهير **العربية مؤامرة تستهدف خنقها وقتلها . والثورة لا يجوز ان تنتظر مقتلها ، وهي تدري ذلك .**

ثم يأتي النص الذي دمجه صادق ناقصا بالفقرة السابقة . وهذا هو النص : « الا ان النفاذ الى الجماهير ، لا يعني بالضرورة الصدام مع الحكومات ، كل الحكومات مرة واحدة . ولا يعني البدء بالتحريض من أجل حرب أهلية عربية شاملة، لان مثل هذا السلوك سيقود حتما الى فجيعة » .

لقد شطب صادق هذا كله من النص واكتفى بايراد الفقرة التالية منه : « ان تطوير العلاقات مع الجماهير يجب ان يعني دفع الانظمة الى الامام بمقدار تطور العلاقات مع الجماهير . وهكذا تكون الانظمة القادرة على التطور والتكيف قادرة على الاستمرار والتقدم ، وتسقط الانظمة التي تعجز عن التطور والتكيف » .

اكتفى صادق بالفقرة المذكورة اعلاه دون ان يهتم بالفقرة التالية : « ولكي يكون الوضع طبيعيا ، وتكون المسيرة سليمة ، لا بد من ان تقوم الجماهير العربية ، من خلال ممارستها السياسية ، ومن خلال منظماتها الشعبية بعملية التطوير هذه .وهذا يقتضي نمو حركة وطنية جماهيرية قادرة على الاضطلاع بهذه المسؤولية الكبيرة » (الثورة الفلسطينية ص ١٢٨ — ١٣٠) .

وهكذا يبدو واضحا ان صادقا لعب بالنصوص لعبا قاتلا ، ليستخرج منها ، عكس ما رمت اليه . لقد اراد ان يقنع القارىء انني لا ادرك خطورة النظام الاردني ، وانني اتوقع ان تتكيف الانظمة العربية الخ . ولسوف اناقش موضوع موقفنا من النظام الاردني في مكان اخر . ولكني اريد هنا ان اسجل فقط ان صادقا لم يكن امينا في اقتباس النصوص ولا تفسيرها ، وانه اراد ان يلصق بنا تهما كبيرة لا تقوم على اساس .

ويكفي هذان المثلان للتدليل على اسلوب « صادق » في الاجتزاء والاختزال ، انهما يكفيان جدا ، ولا

حاجة للمزيد لانهما يعطيان صورة عن منهجه واسلوبه .

ثالثا : **المغالطة**

وسأقدم هنا بعض امثلة ، اتماما لمحاولتي كشف المنهج الذاتي السطحي الانتقائي الاحادي الجانب الذي انتهجه الدكتور صادق جلال العظم .

أ — يجري صادق مقارنة بين فكرة طرحها منير شفيق قبل ايلول بفكرة طرحتها أنا بعد ايلول ، يقول منير : « ... ولذلك اقول ان وجود الجماهير المسلحة ، الجماهير المنظمة ، ووعيها السياسي الذي استطيع ان اقول انه اعلى واعمق من اي وعي سياسي كان في المنطقة العربية منذ عقود طويلة من السنين ، ولاء الجماهير لحرب الشعب، واستعدادها للقتال وعدم رهبتها من مواجهة الامبريالية والقوى المضادة وتمسكها الحازم بقضيتها ، هذا يدل على تغيير ثوري » .

وأقول أنا : « وفي مثل هذه الظروف نمت البيروقراطية وروح الارتزاق ، وسادت الروح الاستعراضية ، وسيطرت عقلية الارتجال ،وتفشت عقلية الاستزلام ، وانتهى المفهوم الثوري للديمقراطية ، ليصبح النقد جريمة ، ولتصبح المناقشة تهمة ، وليكون التهديد او السخرية المرة جواب الرأي الواضح السليم » .

ويواصل صادق مقارناته المجتزأة المعزولة عن زمانها ومكانها ، ليؤكد خطأ ما ذهب اليه منير شفيق ، وليثبت فكرة مسبقة في رأسه حول « وهم » الثورة الفلسطينية قبل ايلول وبعده .

وتكمن المغالطة في أن صادق استخدم آرائي حول القيادات وممارساتها ، ليرد على منير شفيق الذي كان يتحدث عن الجماهير والوضعية الثورية . ورأيي طبعا لا يختلف هنا عن رأي منير شفيق ، وفي هذه القضية بالذات . ولقد ذكرت ذلك مرارا وتكرارا . وكان من واجب صادق ان يقرأ ما كتبت ليطرح آرائي الحقيقية ، لا أن يحاول اجراء مقارنات مضللة ، كالتي ذكرت . وسأورد هنا بعض آرائي حول موضوع التحول الثوري الذي تحدث عنه منير شفيق .

لقد أشرت الى هذه القضية قبل ايلول في كتابي « الثورة الفلسطينية : ابعادها وقضاياها » قائلا : « استطاعت الثورة الفلسطينية ان تحقق خلال السنوات الماضية نجاحات كبرى . وأهم هذه النجاحات ثلاثة :

الاول : نقل القضية من ايدي « الاوصياء » الى ايدي الجماهير ، بعد ان ظلت في ايدي الاوصياء حوالي عشرين عاما ، وبعد ان حولها الاوصياء الى « مزايدات كلامية » ممجوجة .

الثاني : تحويل العمل السياسي من عمل مثقفين ثرثارين وسياسيين محترفين وحزبيين قاصرين الى عمل مسلح . واذا كان شعار الجماهير ان « الكف لا تجابه المخرز » فقد كان الجواب : « لنجابه المخرز بالمخرز » . وكان هذا التحول تحولا جذريا، على الرغم من انه لم يكن تحولا ايديولوجيا جذريا .

الثالث : خلق المناخ الثوري لدى الجماهير التي عانت الكثير من الهزائم حتى كادت ان تفقد الامل . وقد ساعد هذا المناخ الثوري على زعزعة انظمة مغرقة في عدائها للجماهير ، ولعى كبح جماح القوى المضادة للثورة في بلادنا العربية ... » (ص ٨٤ — ٨٥) .

وكررت ذلك بعد ايلول . أما حديث البيروقراطية والاستزلام والارتزاق فهو حديث اخر . ان القتال الذي خاضته الجماهير في ايلول يؤكد صحة ما ذهب اليه منير شفيق قبل ايلول ، كما ان المعارك التي خاضتها عمان والرصيفة والبقعة واربد ، بعد ايلول ، تؤكد ما نذهب اليه انا ومنير ، على الرغم من وجود كل ما ذكرته ، بعد ايلول .

ب — يقارن صادق بين نصين احدهما لي والاخر لمنير . يتحدث منير عن الدفاع والهجوم في المدن واتحدث انا عن الروح الهجومية في الثورة .

يقول منير :

« ان قتال المواقع الثابتة قانون لا مفر منه في الدفاع عن المدن والجماهير شريطة ان تصحبه هجمات غوارية صغيرة في بادىء الامر ، بينما يتم مخطط المنظمات الفدائية في مواجهة معركة ايلول ، التحول للهجوم الشامل المضاد » (مناقشة حول ص ٣٣) .

وأقول أنا ان الانحراف اليميني يعني :

١ — فقدان الروح الهجومية ، ذلك ان الحركة الثورية حركة مهاجمة ، حتى وهي في اشد حالات الضعف . وهي اذا فقدت روحها الهجومية تحولت الى حمل وديع في ساحة الصراع . وهنا لا بد ان ينقض عليها الخصوم ويفترسوها » (الثورة الفلسطينية (ص ٩٨) .

وأوضح هنا أن صادق يقارن بين نصين مختلفين ، فالدفاع والهجوم من الناحية العسكرية شيء والروح الهجومية والروح الدفاعية في الثورة شيء اخر . وأنا ومنير متفقان في القضيتين، ولكن صادق يحاول ان يدلل على تناقض بين النصين وعلى تناقض في موقفينا قائلا : « هذا مع ان زميل منير شفيق في فتح ، ناجي علوش ، يؤكد في كتاباته عن المقاومة ان من علامات الانحراف اليميني في الحركة الثورية» ما ذكرته وما اشار اليه (ص ٢٠٠) .

ولقد أشرت الى هذه القضية في كتابي نحـو ثورة فلسطينية جديدة ص ١٢٩ ، ولكن يبدو ان صادق لا يقرأ الا ما يريد فقط .

ثم يحاول صادق ان يغالط ايضا في القضية التي اثارها منير . انه يقول : « على كل حال يبدو لي ان العودة الى التأكيد على هذه النقاط فيها شيء من التفاهة ، لان المسألة بديهية جدا ، ولا تحتاج الى مناقشات مطولة ، ولكن ما حيلتنا اذا كـان منير شفيق يصر على اثارة موضوع الدفاع والهجوم عـلى مستوى البديهيـات والامـور البدائية » (ص ٢٠٠) .

ومنير يصر على اثارة هذا الموضوع وعلى مستوى البديهيات ، لان ممثلي الاتجاه « اليساري الثوري الجذري » في حركة المقاومة والاتجاه اليميني المتخلف سواء بسواء ، اخـذوا يرددون بعد ايلول مـا طرحته بعض الحكومات العربية وبعض القيـادات العسكرية النظامية عليهم من ان العصابات لا تقاتل حرب مواقع ، ومن ان اللجوء الى حرب المواقـع كان من اكبر اخطائنا في ايلول . وكنا نحن ، انـا ومنير نسمع هذا الطرح بآذاننا ، ونناقشه مـع كثيرين . وكنا نعتبر ان هناك من يحاول ان يزرع في اذهان الجماهير ان قتال المواقع خطأ ، وان على المقاومة بالتالي ان تترك المدن والمخيمات راضية مطمئنة . ولقد حدث هذا بعد ذلك عندما أخليـت عمـان والمـدن والمخيمـات ، وانتقل المقاتلـون والميليشيا الى الجبال ليمارسوا حرب العصابات . والباقي بالطبع معروف ، وما زالت هـذه الاراء تطرح حتى الان . الا يحق لنا بعد ذلك ان نشرح البديهيات ونؤكد عليها ؟

وهكـذا يـرى القارىء ان التركيـز على هـذه البديهيات ، التي يزعج صادق التركيز عليهـا ، لا يتضمن كشف خط عسكري منحرف يهمل اهمية الدفاع في القتال عموما وحرب الشعب خصوصا ، ولكنه يتضمن ايضا كشف خط استسلامي يريد ان يبرر الانسحاب من المدن وتصفية مكاسب الجماهير بالتستر وراء موضوعات «عسكرية» خاطئة. وكان أكبر خطأ ارتكبته قيادات المنظمات بلا استثناء ، الموافقة على سحب الاسلحة من المدن والمخيمات، وعدم الدفاع عن الجماهير ومواقعها دفاعا بطوليا مستميتاولكن «المنظرين»العسكريين وغير العسكريين برروا « عملية السحب » باسم ان العصابات لا تدافع عن مواقع . ولهذا كانت الهزيمة بعد ايلول، من بين اسباب اخرى . ان الجماهير قاتلت في ايلول قتالا بطوليا ودافعت عن مواقعها ، كما دافعت بعد ايلول ، وما زلت انا ومنير مصرين على مواقفنـا التي أعلنها بهذا الصدد ، قبل ايلول وبعده .

واذا كانت هذه البطولات لا تحظى بقليل من اهتمام صادق ، فاننا نذكر صادق « الماركسي » بما قاله ماركس عن جماهير باريس بعد هزيمة الكومونة : « يا لهؤلاء الباريسيين ، يا لمبادرتهم ويا لشجاعتهم! لقد عصفوا بالسماء » . ونذكره ايضا بالاهتمام الكبير الذي اولاه ماركس وانجلـز ولينين وكـل الماركسيين لكومونة باريس . وما زالوا يولونه . وكان في كومونة باريس حوالي اربعمائة الـف مسلح ، ظلوا يحكمون باريس حوالي العام ،وحين هاجمهم جيش تيير هزموا بعد ستة ايام . ومع ذلك تقام الاحتفالات كل عام تخليدا لبطولتهم. وجماهيرنا في عمان والاردن لم تكن تملك عشر السلاح الـذي ملكته الكومونة ، ومع ذلك واجهت جيشا لا يقل عن جيش تيير عددا، وصمدت في معركة طاحنة استمرت شهرا ٨/٢٨ — ١٩٧٠/٩/٢٨ ، ما عدا المعارك السابقة . وظلت بعد ذلك تقاتل قرابة عام .

وعلى الرغم من ذلك كله فان جماهيرنا في عمـان والاردن لا يحتفل ببطولاتها ، ولا تخلد ذكرىمعاركها الخالدة ، وبدلا من ان تدرس اخطاء تجربتها وتثمن بطولاتهـا تركز الاضواء عـلى الاخطـاء تركيـزا « هستيريا » وتنسى البطولات نسيانا كاملا .

أما كانـت بطولات جماهيرنـا تستحق من صادق وزملائه وقفة قصيرة ! واذا كانت الاخطاء تستحق كل هذا الاهتمام الا تستحق البطولات والمبادرات اضعاف اضعاف ما استحقته الاخطاء . انالشعوب لا تتعلم من اخطائهـا فحسب ، انها تتعلم مـن بطولاتها ايضا .

ولكن الذين لا يثقون بالجماهير ، والذين يحتقرون مبادراتها « العفوية » لا يرون الا اخطاءها ، لانهم

يقدسون « الذات القائدة المنظرة » ممثلة بهم وبحزبهم « الخيالي » ونظريتهم « الطوباوية » ، ويسمون ذلك كله « ماركسية — لينينية » .

— ٢ —

ومن حيث المنهج ايضا ، فان صادق جلال العظم استمرار للمدرسة نفسها التي فرخت بعد حزيران ، والتي لبست لبوس الماركسية ، محولة الماركسية الى ميتافيزياء عجيبة . واذا كان الياس مرقص هو استاذها الاول ، فان صادق ليس الا احد تلامذتها الذين استهوتهم استثارة الميتافيزياء الجديدة ، فحملوا رايتها غير هيابين .

وهنا حدث الاشكال : ذلك ان الميتافيزياء هي ليست الماركسية ، وهم يحاولون جعل الماركسية ميتافيزياء . الماركسية هي النظرية المادية في المعرفة ، هي المادية الجدلية والمادية التاريخية ، وهي فوق هذا وذاك بحث ودراسة وتحليل وممارسة . انها معرفة التناقضات لا عن طريق اخضاعها للفكر فقط ، بل عن طريق الاحتكاك بها بالممارسة . وماوتسي تونغ الذي استشهد به صادق كثيرا ، يركز على هذه الناحية كثيرا . ولا بأس هنا من استحضاره . انه يقول :

« ان للمادية الديالكتيكية من الفلسفة الماركسية ابرز ميزتين : اولاهما صفتها الطبقية ، فهي تعلن بصراحة ان المادية الديالكتيكية هي في خدمة البروليتاريا ، والثانية صفتها العملية ، فهي تؤكد تبعية النظرية للممارسة العملية ، حيث ان النظرية تقوم على أساس الممارسة العملية ، ثم تعود لتخدم الممارسة العملية ثانية » .

وحين يتساءل ماو : « من أين تنبع الافكار السديدة ؟ » يجيب : « انها تنبع من الممارسة الاجتماعية وحدها ، تنبع من ثلاثة انواع من الممارسة الاجتماعية : النضال من اجل الانتاج والصراع الطبقي والتجربة العملية » (الكتاب الاحمر ص ٢١٦) .

والماركسية تنطلق « من الحقائق الموضوعية لا من التعاريف المجردة » وتتوصل « ... الى مبادىء مرشدة وسياسات واجراءات عن طريق تحليل تلك الحقائق » (الكتاب الاحمر ص ٢٢٢ — ٢٢٣) ولهذا فالماركسية مجهدة ، وان يكون الانسان ماركسيا معناه ان يجد ويعمل ويبحث ويناضل . ولكن الانسان لا يحتاج الى هذا كله ، اذا اراد ان يكون مثاليا . يقول ماوتسي تونغ :

« ان المثالية والميتافيزيقا هي الشيء الوحيد في العالم ، الذي لا يكلف الانسان اي جهد ، لانها تتيح له ان يتشدق كما يشاء دون ان يستند الى الواقع الموضوعي ، ودون ان يعرض اقواله لاختبارات الواقع . أما المادية والديالكتيك فهي تكلف الانسان جهدا ، اذ انها تحتم عليه ان يستند الى الواقع الموضوعي ، وان يختبر امامه ، فاذا لم يبذل جهدا انزلق الى طريق المثالية والميتافيزيقا» (الكتاب الاحمر ص ٢٢٣ — ٢٢٤) .

ولقد اختارت هذه المدرسة (مدرسة مرقص — العظم) هذا الطريق . ولهذا وقعت في المزالق التي ذكرناها آنفا ، ووقعت اضافة الى ذلك فيما يمكن ان يسمى الاطلاقية . وهذه النظرة من بعض مظاهر المنهج الذاتي . وقد سماها ماوتسي تونغ النظرة الوحيدة الجانب ، وعرفها كما يلي :

« وهي النظرة الميتافيزيقية الى القضايا . فالنظرة الوحيدة الجانب في تقديرنا لاعمالنا هي اما اثبات كل شيء واما نفي كل شيء .... ومعنى اثبات كل شيء هو ان المرء يرى من اعمالنا الجانب الحسن وحده دون الجانب السيء ، ويقبل المدح وحده دون النقد . والقول بأن اعمالنا حسنة من كل ناحية ، فيما يبدو ، هو قول لا يطابق الحقيقة، اذ ليست كل اعمالنا حسنة ، بل ما زالت هنالك نقائص واخطاء فيها . كما انها ليست سيئة كلها ، لان هذا ايضا يجافي الحقيقة . اذن فالتحليل واجب في هذه الحال . اما نفي كل شيء فهذا يعني ان المرء يعتبر ، دون ان يقوم بأي تحليل ، انه ما من شيء قد انجز بصورة مرضية ، ويخيل اليه ان قضية البناء الاشتراكي العظيمة ، قضية النضال العظيم الذي يسهم فيه مئات الملايين من الناس كلها فوضى وليس فيها ما يستحق التقدير . وبالرغم من ان كثيرا ممن ينظرون هذه النظرة يختلفون عن الذين يضمرون العداء نحو النظام الاشتراكي ، الا ان نظرتهم هذه خاطئة ومضرة جدا ليس من شأنها الا ان تسبب فقدان الثقة بقضيتنا . لذلك فمن الخطأ تقدير عملنا سواء من وجهة النظر القائلة باثبات كل شيء او القائلة بنفي كل شيء » (الكتاب الاحمر ٢٣٢ — ٢٣٣) .

وهذا ما فعله صادق ، كما فعله الياس مرقص من قبل . وسندرس هذه الاطلاقية ، كما برزت عند صادق من خلال المظاهر التالية :

اولا : يردد صادق ان الانظمة العربية استوعبت حركة المقاومة و « ... بعد مضي خمس سنوات على هزيمة حزيران اصبح التجانس شبه كامل بين حركة المقاومة والوضع العربي المهزوم من حيث تجميد اطلاق النار المباشر على العدو الاسرائيلي». ويضيف صادق : « حتى في هذا الامر الهام جدا والحساس الى اقصى الحدود اصبح الفارق بين الوضع الفعلي للمقاومة من جهة وللانظمة العربية من جهة اخرى معدوما وغير ذي بال » (ص ٢٠) ولقد استوعب « الواقع العربي بكل زيفه وضعفه » ... « الثورة الفلسطينية وهضمها ... » (ص ٣٤) . ويضيف في مكان اخر : « ... استقر ميزان التأرجح في علاقات فتح بين طرفي التزامها الرسمي والجماهيري الى جانب الانظمة . حتى على صعيد العمل العسكري استقر التأرجح الى جانب الطرف الرسمي والتبعية لمنطق الجيوش النظامية » (ص ١٦٦) .

ويعلق صادق على بيان اصدره كمال ناصر في ٧١/١١/٢٥ حول رياح الحرب الساخنة التي تهب على المنطقة ، بعد خطابات القاهرة السادات في الجبهة قائلا :

« لا اعتقد انه بامكان انسان ان يعثر على صك رسمي يكرس تبعية فتح والتصاقها بالانظمة العربية وجيوشها بوضوح اكبر مما فعله هذا البيان » (ص ١٦٩) .

وصادق في هذا كله ، لا يخرج عما قاله ماوتسي تونغ في تعريفه للنظرة الاحادية الجانب ، ونظرته « ... خاطئة ومضرة جدا ليس من شأنها الا ان تسبب فقدان الثقة بقضيتنا » . انه هنا يرى « قضية النضال العظيم الذي تسهم فيه مئات الملايين من الناس كلها فوضى ، وليس فيها مما يستحق التقدير » كما يقول ماوتسي تونغ . واذا ما تحدثنا عن وضعنا بلغتنا قلنا ان صادق يرى ان كل شيء قد انتهى .

هذا ما تعودنا ان نسمعه من مدرسة صادق والياس وغيرهما منذ ما قبل ايلول .

ولكن هل هذا هو الحقيقة ؟

علينا ان نخضع القضية للتحليل .

واذا ما اخضعناها اكتشفنا ما يلي :

أ ــ هنالك تراجعات فعلا ، بدأت منذ البدء بتنظيم الاسلحة وجمعها من ايدي الجماهير في الاردن ، وادت الى فقدان الاردن كله ، والى تجميد العمليات العسكرية من لبنان . وهذه التراجعات اساسية وخطيرة ، كما بينا واوضحنا في اكثر من مكان ، واكثر من مناسبة .

ب ــ السبب الاساسي لهذه التراجعات ذاتي الا ان الظروف الموضوعية لعبت دورا في استعجال هذه التراجعات .

ج ــ هنالك قيادات اصبحت تزداد قناعة يوما فيوما بانتهاج طريق البحث عن « الحل المناسب » ومنهم من ينظر لاخلاء المواقع والقاء البنادق والتقوقع في خلايا معزولة تحت شعار العودة الى العمل السري وبناء الحزب الثوري وتبني النظرية الثورية ، والتخلص من رذائل البرجوازية الصغيرة ومبادئها.

د ــ وهنالك كوادر وقواعد مصممة على القتال والاستمرار ، يساندها رأي عام فلسطيني وعربي وقوى وطنية مع الاستمرار وضد التوقف ، مع القتال وضد الاستسلام .

و ــ وما زال هناك قتال داخل الارض المحتلة ، وما زالت هناك بنادق على الحدود ، وفي المخيمات تدافع عن الثورة ، ولا تقبل الاستسلام . وما زالت هنالك قوى فلسطينية تعمل على احباط الحلول الاستسلامية .

ولذلك فاننا لا نستطيع ان نرفع الراية البيضاء باسم المقاومة ، ولا يجوز لنا ان نرفعها . وحين نفعل ذلك كما فعل صادق لا نخدم قضية القتال بل نضرها . وهذا لا يعني ان نخدع الجماهير ، وان نزين الامور لها ، بل يعني ان نكشف التراجعات وعواملها الحقيقية ، وان نحدد حجمها الحقيقي ، وان نعمل بدأب ووعي لمحاربة العدو وللتمسك ببنادقنا ، ولتثوير الجماهير وتعبئتها ، ولاسقاط القيادات العاجزة والمتراجعة . انه عمل واحد موحد . وهذا العمل لا يتم برؤية جزء واحد من الصورة : التراجعات . لا بد من ان نرى الجماهير المستعدة والقوى الكامنة والكوادر المتحفزة والقيادات التي ما زالت تقاتل حتى النفس الاخير . ومن لا يرى ذلك لا يرى حقائق الواقع ، ولا يعرف ديالكتيك الصراع في المجتمع ، ولا يثق ، بالجماهير وبامكانيات النصر .

ومن هنا فاننا لا نقول مع صادق ان المقاومة « سقطت » واستوعبت ، اننا نقول : انها تواجه

صعوبات حقيقية وازمات ومخاطر ومع ذلك فمنها قوى ما زالت تعارض وتقاتل ، تدر طاقتها ، وما زالت مختلفة عن الانظمة العربية ، على نقيض ما يؤكده صادق . ونقول أيضا : اذا كانت هنالك قيادات وفئات في المقاومة أصبحت قابلة للسقوط او سقطت ، فهناك داخل المقاومة وداخل جماهير الشعب الفلسطيني مناضلون مصممون على الاستمرار ، وعازمون على مقاومة التبعية والبروقراطية وكل المظاهر السلبية . ايجوز لنا ألا نرى هؤلاء ؟ ثم لماذا تشن الامبريالية والصهيونية والرجعية كل هذه الهجمات الشرسة على المقاومة وقياداتها اذا كانت لا تختلف عن « الانظمة » !

ثانيا : يؤكد صادق على ان المقاومة امتداد لحركة التحرر الوطني العربية ، وان استسلام هذه ناتج عن استسلام تلك وعيوب هذه هي عيوب تلك . وما أظن أحدا يناقش صادق في ان القيادة الفلسطينية هي احدى قيادات البرجوازية الصغيرة العربية . ولكن هذه القيادة الفلسطينية البرجوازية الصغيرة مختلفة عن زميلاتها العربيات . ولقد حاول صادق ان يحدد تفردها (ص ٢٢) ولكنه لم ينجح. انه لم ير وضعها الخاص . ويتلخص في انها منفية ومشردة ، او محرومة من السلطة في الارض المحتلة والاردن وكل مكان ، وانها لذلك تقاتل ، انها تحمل كثيرا من خصائص زميلاتها العربيات ، ولكنها ستبقى متمردة من بين زميلاتها لانها ما زالت بعيدة عن السلطة . ان هذا يعني ان القيادة البرجوازية الصغيرة الفلسطينية لا تختلف عن زميلاتها العربيات من حيث التكوين الايديولوجي ، ولكنها ستختلف عن زميلاتها العربيات فيما يتعلق بقضية الموقف من دولة الاحتلال الصهيوني ، وقضية الحرب و« السلام » . واذا سقطت شرائح منها ، فستبرز شرائح اخرى بسرعة من الجماهير الفلسطينية التي تنمو برجوازيتها الصغيرة بسرعة . ومن لا يرى هذه الحقائق لا يعرف كيف يعالج قضايا الثورة !

وهذا لا يعني ان القيادات الفلسطينية الحالية ستتجاوز القيادات العربية المماثلة في اتجاه ثوري جذري اشتراكي ، لان هذا من مهمة البروليتاريا وحزبها ولان البرجوازية الصغيرة لا تستطيع أن تقود نضالا وطنيا ديمقراطيا اكثر جذرية من نضالها خلال السنوات الماضية ، ولكن البرجوازية الفلسطينية الصغيرة ستلعب دورا اكثر جذرية في النضال الوطني مما يتوقع صادق ، انها لم تنته ، ولم ينته دورها بعد وستظل كذلك الى أمد غير قصير . أما دورها القيادي ، فيبقى الى ان يقوم الحزب الطليعي الجدير بالقيادة ، وان كان دورها في النضال الوطني الديمقراطي ، حتى بعد ذلك ، لن يتقلص كثيرا ، وسنبقى الى ان يقوم الحزب الطليعي ، حزب الشغيلة والكادحين ، أسرى قيادة البرجوازية الصغيرة وذبذباتها ومصالحها ومطامحها ، ولن نستطيع ان نسقطها بالجمل الطنانة والنضال اللفظي العنيف . ومن هنا فان المطلوب الان ليس اسقاطها ، ما دامت تقاتل ، ولكن المطلوب بلورة خط ثوري صحيح يضع المشروع العملي لبناء التنظيم الثوري واستنهاض الجماهير وبناء الجبهة الوطنية العريضة ، فلسطينيا وعربيا .

ونحن لا نقول ان هذا يتم عفويا ، كما يزعم صادق (ص ٤٢ و١١١) لاننا حددنا موقفنا من هذه القضية منذ وقت طويل، وفي كتابنا الذي استشهد به صادق مرارا : « الثورة الفلسطينية ابعادها وقضاياها » (ص ٨١) . ولكننا نضيف ان ذلك يتم من خلال النضال العملي ، لا من خلال قراءة الكتب وتحبير الاقتراحات الثورية ، ومن خلال الجماهير وحركاتها العفوية .

ثالثا : ويحاول صادق ، منذ السطر الاول لكتابه ، ان يقنعنا بأنه : « ... ليس من الضروري الاسترسال طويلا في التذكير بالانجازات الايجابية الكبيرة التي حققها الصمود العنيف لحركة المقاومة بعد هزيمة حزيران ١٩٦٧ » . ويضيف صادق : « بهذا الصدد ، هناك حقائق اصبحت ثابتة ، ومن المتعذر الشك بها أو المكابرة فيها » .

ومما يذكره صادق :

« مثلا التأثير الايجابي الضخم الذي أحدثه الكفاح المسلح في أوساط الجماهير الفلسطينية، والامكانات النوعية الجديدة التي فتحها هذا الاسلوب في النضال امام الحركة الوطنية على الصعيد الجماعي وأمام الكثيرين من العرب على الصعيد الفردي ، لبناء المستقبل العربي على اسس اكثر ثورية وحداثة وضمانة مما جرى في السابق . يضاف الى كل ذلك عملية التجذير القوية (وان كانت افقية) التي أحدثها الكفاح المسلح في قطاعات واسعة من الجماهير العربية غير الفلسطينية ، خاصة في الاوساط الشعبية والشبابية والطلابية وفي صفوف الانتلجنسيا » (ص ٩) ، وهو هنا بالطبع يردد

ما قاله منير شفيق ، مع انه انتقد منير على ما ذهب اليه .

ويشير صادق الى أن المناضلين : « الاكثر وعيا وتقدما في الحركة » والمثقفين : « الاكثر راديكالية ممن ارتبطوا بها » كان واضحا لهم منذ البداية أنها « مثقلة باعباء الارث الذي حملته من انماط الحياة العربية الماضية والحاضرة التي جعلت انهيار عام ١٩٦٧ محتما » (٩ — ١٠) . ثم يواصل : « لكن من جهة أخرى كان الكفاح المسلح يبشر أيضا بامكانية اتخاذ خطوات جادة باتجاه تحقيق مستقبل أفضل حيث تتراجع الهيمنة الامبريالية على الوطن العربي (والشرق الاوسط عامة) وتتقدم قضية الشعب الفلسطيني في تحرير وطنه أشواطا الى الامام ، كما تتكمش البنى الاجتماعية العربية الرجعية والقمعية السائدة امام امتداد البنى الجديدة لصالح التمرد والعمل الثوري واعادة البناء الاجتماعي على أسس اشتراكية واضحة . كان جليا كذلك أنه بدون السير على ما يشبه هذه الطريق لن يكون باستطاعة الشعب الفلسطيني العمل بصورة جدية على تحرير ارضه ، كما انه لن يكون باستطاعة باقي الامة العربية التصدي بنجاح لاعداء شرسين مثل القوى الرجعية في الداخل والسطوة العسكرية الاسرائيلية في الخارج وهيمنة المصالح الامبريالية على الوطن عموما» (ص ١٠). ويكتفي صادق بمدخل عام لا يتعدى الصفحات الثلاث، ليكرس مائتين وخمسين صفحة للحديث عن تراجعات المقاومة وسلبياتها . ولا يكرس صادق اي فصل او مقطع من هذا الكتاب الكبير للحديث عن المنجزات والانتصارات . ان ماركس ولينين تحدثا عن الكومونة ، ولم تكن تستوقفهما اخطاؤها فحسب ، بل كانت تستوقفهما نضالات جماهيرها ، ذلك أننا لا نتعلم من الاخطاء فحسب ، بل نتعلم ايضا من البطولات ، من حماسة الجماهير واندفاعها وتضحياتها ، ومن البطولات الفردية ايضا .

لماذا لا يقدم الدكتور صادق الوجه الاخر للصورة ؟

لان النزعة الذاتية التي قام عليها منهجه قادته الى هذا المنزلق . لقد اعدم قادة البرجوازية الصغيرة في رأسه ، ولذلك فد بلا من اعدام حركتهم كاملة ، بما في ذلك نضالات الجماهير وبطولات الكوادر والعناصر .

وهذا هو ديدن هذه المدرسة منذ ظهورها . انها تعدم دائما كل النضالات الوطنية والديمقراطية و« الغفوية » ، لانها ليست من منتجات مصنع « بسكويت » البروليتاريا « الوهمية » !

وهكذا نرى ان المعارك التي خاضتها قوى المقاومة والاثار التي أحدثتها لا تستحق منه الا اشارة موجزة جدا في اول كتابه ، وهامشا يعيدنا فيه الى كتاب الدكتور حسام الخطيب : « التجربة الوطنية الفلسطينية » (ص ٩) .

ان هذا التجاهل لنضالات الجماهير وتضحيات الكوادر والعناصر ، والاستخفاف بالذين يضعون ثقتهم بالجماهير ، والسخرية من الذين يصرون على ان الثورة أحدثت تقدما كبيرا بوجود «عشرات الالوف من الجماهير المسلحة ، الجماهير المنظمة في المخيمات وفي الضواحي الشعبية بوجود التنظيمات الشعبية والتنظيمات الجماهيرية ووجود ميليشيا شعبية» وان هذه الظواهر « تدل على تغير جذري في الفكر السياسي لدى الجماهير ، وفي الممارسة الثورية في المنطقة ... » ... ان هذا كله يكشف موقفا ذاتيا بعيدا عن العلم والماركسية ، وبعيدا عن الجماهير ونضالاتها . ان الذين يعرفون الجماهير من الكتب والجرائد طبيعي ألا يقدروا نضالاتها !.. والذين يكتبون عن الثورة جملا طنانة يعطون للجمل الطنانة اهتماما اكبر كثيرا من اهتمامهم بالجماهير .

— ٣ —

ولقد قاد صادق موقفه الذاتي الى ان يتخذ موقفا ذاتيا وعدائيا مني ومن منير شفيق . ويهمني في هذا الموقف ما يلي :

اولا : اتهامنا بالتبريرية

ثانيا : تشويه موقفنا من الاردن .

ونحن في هذين المجالين ، كما في غيرهما ، ليس بيننا من زجاج ، لانه كان واضحا دائما ، وكنا نود ان لا يتحول الموضوع الى موضوع شخصي ، ولكن الحملات المغرضة منذ سنتين تسير في خط واحد ، يستهدف تشويه مواقفنا الواضحة التي تعرفها قيادات وكوادر وقواعد . ولذلك فسنوضح بعض الحقائق دون ان نسمح لاحد بأن يجرنا الى الحديث عن اعمالنا ومواقفنا .

أ — حين انضممنا الى حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) كنا نعلم أننا ننضم الى حركة تقودها البرجوازية الصغيرة . وكنا نعرف طبيعة الحركة وطبيعة قيادتها ، ولم تخامرنا اية اوهام حول هذه القضية . وكنا نعلم طبيعة البرجوازية

الصغيرة عموما ، وطبيعة البرجوازية العربية الصغيرة خصوصا ، والفلسطينية على الاخص . ولم يدر في خلدنا يوما ان النضال الفلسطيني سليم ومعافى ، وان البرجوازية الصغيرة ستقوده الى شاطىء السلامة . ولذلك قررنا ان نكون مع الجماهير ، وانتقلنا الى صفوفها ، لنقاتل معها ، ولنتعلم منها ، ولنحرضها على مزيد من النضال ، ونكتسب منها الصبر والصلابة والوضوح . وكان منهجنا يقوم على : استخدام معرفتنا لتحليل الواقع، ثم اختبار هذا التحليل عن طريق الممارسة. ولذلك كنا نرفض الافكار « ما فوق الماركسية » ، و« ما فوق الحمراء » ، ونرفض ميتافيزياء يساريي الكتب والمقاهي رفضا قاطعا ، كما كنا نرفض ايضا غيبيات البرجوازيين الصغار ومثالياتهم . وهذا ما جعلنا نقف موقفا نقديا من البرجوازيين الصغار كلهم : الذين رفعوا راية ميتافيزياء الماركسية والذين رفعوا راية ميتافيزياء الافكار البرجوازية الصغيرة . وكنا نعلم ان هذه وتلك اوهام البرجوازية الصغيرة .

ب — كان موقفنا منذ البدء ، وبعد ان استوعبنا مبادىء المعرفة العلمية ، يتلخص بالتالي : الممارسة والتعلم من الممارسة ، النضال والنقد ، النقد لخدمة الممارسة ولخدمة خط الجماهير ، كشف الاوهام من خلال الممارسة وزرع الافكار السليمة خلال الممارسة . ولذلك كنا نرى ان الاوهام لا يمكن ان يسقطها الا مناضلون يملكون الخط السليم ، وان الافكار الصحيحة لا يمكن ان تنمو الا عبر الممارسات الصحيحة ، وعبر جو الجماهير لا في أوساط النخبة .

ولم نكن نعتبر ان هذه مهمة قابلة للتحقق بسرعة . كنا نراها مهمة طويلة تحتاج الى سنوات من العرق والالم والتأمل والممارسة . وكنا نعلم ان انتصار الخط السليم لن يكون نتاج كتابة « الوصفات الثورية » ، ولا نتاج « الطهر الثوري » و« الاحلام الثورية » بل نتاج التجربة العملية والممارسة العملية ، مع الجماهير ، وعبر كل تعقيدات الواقع والتواءات الحياة الانسانية .

ولهذا لم نخف البرجوازية الصغيرة ، ولا خشينا ان تلوثنا مباذلها ، ولا أن تخدعنا افكارها . لم يكن امامنا مجال غير العمل معها ، ضمن ظروف الحركة الوطنية العربية خلال العشرين سنة الماضية . وكنا لا نريد ان نصنع لانفسنا قصورا ثورية نقبع فيها ، ونطلب توزيع البسكويت على الجماهير المطالبة بالخبز من نوافذها . ولكنا ، وخلال كل حياتنا السياسية منذ اوائل الخمسينات ، ونحن نصارع تيارات البرجوازية الصغيرة ، سيان كان ذلك في الاحزاب التي انتمينا اليها ، او خارج اطار هذه الاحزاب .

ومنذ أن تلنا شرف عضوية فتح والثورة الفلسطينية ساهمنا بجهدنا المتواضع في النضال ضد الاعداء وضد الاخطاء ، وكنا دائما نتأصل ونحن وسط الجماهير ، ونتخذ مواقف واضحة ، وننتقد من خلال استنباط خط الجماهير . ولما كانت الاطر التنظيمية ليست ضمانة ، كنا نصر على ان ننقل النقد الى الجماهير . وكتابي « الثورة الفلسطينية: ابعادها وقضاياها » حزيران ١٩٧٠ ، مثل كتاب منير شفيق : « التناقض والممارسة في الثورة الفلسطينية » نوع من النقد العلني لكل افكار البرجوازية الصغيرة ، وبكل قياداتها « ماركسية » وغير ماركسية . ثم ان دراساتنا ومقالاتنا وندواتنا وكتبنا كرست لخدمة هذا الغرض . وهنالك ايضا ما كتبناه بلا أسماء ، وفي صحف ومجالات مختلفة ، وما طرحناه في جلسات سرية .

ولكنا لم نكن مثل صادق ومدرسته في هذا كله ، نثبت كل شيء او ننفي كل شيء ، كما يقول ماو تسي تونغ ، لان الجدل لا يعلمنا هذا الاسلوب الميتافيزيائي . لقد كنا نحاول ان نرى الصورة بكل جوانبها ، والالوان بكل اختلافاتها ، ولم نكن نريح أنفسنا وراء شعارات وكليشهات وافكار طوباوية. هذا كان منهجنا وما زال . ولا يعني هذا أننا لم نخطىء . فقد أخطأنا ، ولا نخاف مناقشة أخطائنا أمام الناس ، لاننا واثقون من صحة منهجنا . ولكنا لم نخطىء مرة واحدة بالوقوف ضد خط الجماهير ، ولا وقفنا مرة واحدة في الابراج العاجية نتهكم على المقاتلين والشهداء ، ونسخر من عفوية الجماهير . وكل خطأ ارتكبناه كان نتيجة عدم معرفة خط الجماهير ، وعدم التعلم منها بتواضع اكثر .

ج — وكان موقفنا ، فيما يتعلق بالاردن واضحا منذ البدء . لقد عشنا مع الجماهير في الاردن ، وعرفنا كل أشكال القمع والبطش والتنكيل . وتربينا وسط شعور جماهيرنا بخيانة النظام العميل في عمان ، وعشنا منذ ١٩٤٩ تآمره وخيانته . ولم نكن من المنظرين الذين عاشوا بعيدين عن الاردن وجماهيره. وكنا فوق هذا نعي الدور الرجعي العميل الذي

يلعبه النظام الاردني ضد الحركة الوطنية الفلسطينية خصوصا وحركة التحرر الوطني العربية عموما . ولذلك كان موقفنا واضحا كل الوضوح ، داخل فتح ، ومع المنظمات الاخرى ، وأمام الجماهير . وسوف لا نطرح هنا المعلومات التي يعرفها صادق وقيادات المنظمات بما فيها الجبهة الشعبية والديمقراطية ، وان كان قد عمل على التشكيك بموقفنا (الصفحات ٨٥ ، ٨٨ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٤ — ١٢٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٠) . سوف نترك الممارسة جانبا ، لان صادقا يحتقر الممارسة ، ولان الحديث عن الممارسة الشخصية ، حتى في مثل هذه الحالة ، يبدو دعاية للنفس ودفاعا عنها . وسوف نناقش النصوص لنرى مدى احترامه « الاكاديمي » لها ومدى أمانته العلمية في فهمها ومناقشتها .

د — يقول صادق ، في هذا الصدد ، بأنني رفضت « قبل هزيمة ايلول بأشهر قليلة » ... أن أتطرق « ... ولو بصفحة واحدة الى موضوع السلطة العميلة ومسألة الاطاحة بها » في كتابي عن « أبعاد الثورة الفلسطينية وقضاياها » (ص ١٤٧) .

ومع انني كنت اقوم بدوري ، بصدد هذه القضية في كل مجال ، فانني أيضا لم أهملها في الكتاب المذكور الذي قرأه صادق على ما يبدو من كثرة الاستشهادات به .

ان الفصل الخاص بـ « العلاقات مع الجماهير العربية » (ص ١٢٠ — ١٢٨) كان واضحا في هذا المجال . ولقد أكدت في هذا الفصل على الحقائق التالية :

أ — ان هناك مرحلة جديدة ، وان هذه المرحلة تقتضي عدم قبول « السياسات العربية » . وتقتضي المرحلة الجديدة ايضا التركيز على حقيقتين الاولى منهما: «ضرورة ان تكون المناطق المحيطة بفلسطين، والاردن وسوريا ولبنان بالذات ، مناطق تملك الثورة حريتها الكاملة في التحرك فيها ، دون عوائق او عقبات ، لكي تستطيع ان تحرك الداخل وتمده باسباب الحركة ، ولكي تكمل بناء الحزام المسلح الذي تقيمه حول العدو ، وتعده للهجوم كما تعده للدفاع » (ص ١٢١) .

ثم تضيف الصفحة التالية :

« وان ما يزيد من أهمية هذا كله هو المعرفة الاكيدة بمعطيات الواقع ، وشعورنا بأن الايام المقبلة تحمل لنا مفاجآت كبيرة . ولا بد لنا في هذا المجال من التذكير بأمرين :

الاول : تأزم الاوضاع في بعض البلدان المحيطة بالعدو ... ان هذا التأزم يهدد بالانفجار في اية لحظة . وهنالك قوى مضادة للثورة تتهيأ او تهيأ للعب دور حاسم في مواجهة قوى الثورة المتنامية . ان قوى مرتزقة تعد، ومناخا ملائما يخلق من أجل تحرك القوى المضادة على نطاق واسع لضرب قوى الثورة » (ص ١٢٢ — ١٢٣) .

لقد رفض صادق ان يقرأ هذه الفقرات ، مع انه استشهد بفقرات اخرى من نفس الصفحات كما بينا .

سأقدم لصادق دليلا آخر . لقد ارسلت مقالا لدراسات عربية قبل ايلول ، وكان صادق رئيس تحريرها . وجاء في هذا المقال ما يلي :

« ولهذا نرى تحركات مشبوهة في الاردن ولبنان مثلا » . وبعد ان نوضح هذه التحركات نقول :

« ان مثل هذه التحركات تطرح علينا بوضوح قضية الصدامات التي ستحصل قريبا ، والتي ستفرضها الاوساط العميلة على الثورة ... » دراسات عربية ، العدد التاسع ، تموز ١٩٧١ ، ص ٨٥ .

ب — وطرحت هذه القضية ، بعد ايلول مباشرة ، وقبل أن تحصل التراجعات طرحا واضحا ، راح صادق يسخر منه على اساس انه جاء بعد خراب البصرة ، ولكن البصرة لم تكن قد خربت بعد ، وكان ما طرحته بعد أيلول علنا هو استمرار لما كنت أطرحه قبل أيلول .

ج — ونود ان نقول كلمة اخيرة في هذا المجال هي أننا لم نكتف خلال السنوات الماضية ، وفيما يتعلق بالاردن او غيره ، باطلاق الشعارات وكتابة « المقالات » « ما فوق الماركسية » ، بل كتبنا ومارسنا ، ولم نفصل النظرية عن الممارسة ، ولا الكلمة عن البندقية . واذا كنا لم نستطع ان نسقط نظام الحكم الاردني ، فليس لاننا اعتبرنا التناقض مع النظام الاردني تناقضا ثانويا ، ولا لاننا لم نعمل لاسقاطه ، بل لان اصحاب نظرية التعايش من جهة وأصحاب الشعارات الجوفاء من جهة ثانية ، لم يتبنوا خطنا الصحيح : خط التعبئة الجماهيرية ، التنظيم ، التسليح ، الاعداد ، ولكن مع الشعارات التي توحد اوسع الجماهير ، والتي لا تفرض معارك في غير اوانها ومع خوض النضالات والمعارك

حتى النهاية، لا مع اثارة الزوابع والتردد والتراجع في الازمـــات .

— ٤ —

لا نعتقد ان منهجا مثل هذا المنهج يمكن ان يقود الى تجاوز الوضع الراهن للمقاومة . واذا كان كتاب صادق يحاول تركيز الاضواء على كثير من الاخطاء والانحرافات فانه :

أولا : لا يأتي بجديد في هذا المجال . والدليل انه لم يقدم فكرة الا قدم عدة استشهادات حولها .

ثانيا : لا يتجاوز منهج مدرسته فيما قبل ايلول ، وبالتالي لا يقدم تحليلا متماسكا ينفذ الى صميم المشكلة .

ثالثا : لا يقدم رؤية واضحة تساعد على اكتشاف طريق الحل ، غير رفيته : النظرية والحزب وهما ليسا حلا ، وليسا حلا جديدا على كل حال .

ولكن الاهم من هذا كله ان صادقا يعلن حكم تصفية او تفليسة بحق المقاومة ، ممثلة بفتح لمصلحـــة « الحزب » و« النظرية » والانحياز الى معسكر الاشتراكية . ولما كان الحزب غائبا ، والنظرية غائبة ، لانهما يظلان غائبين ، حتى يتجسدا فـــي الواقع ، فان حكم التصفية يصدر لمصلحة مجهول ، او شخصية وهمية . ان صادقا يراهن على الوهم، والمراهنة على الوهم ليست من الثورية في شيء .

ولما كان صادق يتوجه الى الوهم ، بدلا من ان يتوجه الى الجماهير والى الكوادر والقواعد المتألمة المتعطشة الباحثة عن الحل الثوري ، فاننا نقول له : اننا نتوجه الى هذه الجماهير والكـــوادر والقواعد دائما ، ولا نتوجـــه الى « القيادات الساقطة » ، لان ثقتنا مستمدة من هذه الجماهير اولا واخيرا ، ولان أثافينا الثلاث هي الجماهير ، الوعي الثوري والممارســـة الثورية ، التنظيـــم الثوري .

النقد الثاني

الاستاذ وليد نويهض

جاءت محاولة الدكتور صادق جلال العظم في كتابه الجديد « دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » كمحاولة رد ونقد لمسيرة المقاومة الفلسطينية طيلة ثماني سنوات ، وبالضبط بصد هزيمة الانظمـــة العربية في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ، وذلك لتحديد سماتها العامة في تلك الفترة ولتحديد معالم المرحلة المقبلة الطويلة والصعبة .

وقد جاءت محاولة العظم بعد مرور سنتين علـــى مذبحة ايلول الاردنية العام ١٩٧٠ ، وفي الوقت الذي تلاقي فيه المقاومة الفلسطينية ابشع واوقح المحاولات التصفوية العسكريـــة او الاستيعابيـــة السياسية ، وفي الوقت الذي انكشفت فيه محاولات الخداع والاضاليل التي مارستها وتمارسها مختلف الانظمة العربية القائمة تجـــاه الحركة الوطنيـــة العربية التقدمية كمقدمة لخنقهـــا والقضاء عليها لتمرير انواع اشكـــال الحلـــول الاستسلامية — السلمية والمشاريع التآمرية الامبريالية .

ومحاولة العظم النقدية ليست الوحيدة وليســـت الاولى من نوعها ولن تكون الاخيرة ، وقـــد كان ابرز من سبقه في هذا المجال الياس مرقص ، حيث اصدر مجلده الاول من « نقد الفكر المقاوم » قبل مجزرة ايلول وبعدها اصدر كتابه الثاني « المقاومة الفلسطينية والموقف الراهـــن » كانت خلاصة رأيه كنتيجة منطقية لتحليله السياسي « نقض » المقاومة مـــن الاساس ورفض اســـلوب الكفاح المسلـــح واستراتيجية حـــرب الشعب والتزامه بالحـــرب النظامية الخاطفة ومراهنته المطلقة على « الانظمة التقدمية » وفي طليعتها الناصرية والنظام المصري وبالتالي الموافقة النهائية على الحل السلمي والقبول بالمبادرات الاستسلامية .

والعظم هنا في كتابه يسير في الاتجاه « النقدي » نفسه مع ملاحظة اساسية تميزه عن مرقص ، وهو انه لا يراهن على الانظمة العربية ولا يقبل بالحل السلمي للمسألة الفلسطينية وبالتالي لا يتوافـــق « نقده » مع استنتاجات الياس مرقص وحلولـــه السطحية التي سقطت مباشرة بعد ان كشفـــت بعض الانظمة العربية عن وجهها القمعي وتراجعها اليميني .

ونحن هنا وبالتحديد في هذا المجال مع العظم وضد مرقص . لاننا نـــرى بان المهمة الاساسية عنـــد

الثوريين العرب ، هي صياغة واعادة صياغة ليس فقط فكر المقاومة الفلسطينية بل فكر واستراتيجية الحركة الوطنية العربية التقدمية بافق ماركسي — لينيني تحدد نظرية العمل الثورية للثورة العربية الاشتراكية وذلك من خلال كشف القوانين الخاصة لظروف الوطن العربي وخصائصه الذاتية بالاضافة الى نقد واعادة نقد ذاتي صارم ليس فقط لفصائل المقاومة الفلسطينية بل لكافة فصائل حركات التحرر الوطنية في مختلف الاقطار العربية لايجاد الصيغة الثورية البديلة لتلك الممارسات مع تقييم سلبيات وايجابيات تلك الفصائل والاستفادة القصوى من تجاربها النضالية غنية كانت ام فقيرة، صائبة ام منحرفة .

ولذلك جاءت محاولة العظم النقدية في « دراسته » الطويلة هذه ، مقصرة عن فهم ظروف المقاومة الفلسطينية والاطار التاريخي الذي احاط نشأتها ، اذ طغت في كتابه النصوص على التحليل ، والاستشهادات الانتقائية والعشوائية على دراسة الواقع العربي ومن ضمنه الوضع الفلسطيني كمقدمة لفهم معنى انبثاق المقاومة المسلحة ، والارضية المادية — الاجتماعية التي انطلقت منها ، والمحيط العربي في بناه الطبقية واختلاف انماطه الانتاجية وانظمته السياسية الذي طوق المقاومة ، بالاضافة الى توازن القوى السياسية في العالم وطبيعة العدو الصهيوني وبالتالي طبيعة الثورة الفلسطينية في الارض المحتلة وكيفية مواجهتها للمؤسسات الاسرائيلية ومقاومتها لها بالرغم من كل الظروف والضغوط .

ولهذا فان اي محاولة لدراسة فكر المقاومة دون دراسة واقع المقاومة ، تكون محاولة قاصرة وجزئية . وتجاهل العظم لواقع المقاومة دفعه للاغراق في نصوص فكرها لا في تفاصيل نضالها السياسي والمسلح ، الذي كان الطابع المميز لمسيرة ممارستها القصيرة التي تتوجت بصدام دموي مكشوف في الاردن مع النظام الملكي ، ادى الى خسارتها الجولة الاولى وليس الى « هزيمتها » او « نهايتها » كما يحاول ان يقول المؤلف .

كما ان محاكمة العظم للمقاومة ، لم تكن من خلال واقع المقاومة ، بل من خلال جمعه لوثائق وفكر « ادمغة » المقاومة ، ومن هنا جاء فشله في محاكمة « جماهيرية » فصائل المقاومة ، التي حاكمها على اساس انها مشروع حزب يعمل ببطىء وروية لتكوين النواة الطليعية والكوادر الاساسية لبناء التنظيم الذي سيواجه المعركة الوطنية — الطبقية ضد الامبريالية والطبقة الرجعية الحاكمة ، وليس على اساس ان المقاومة كانت منذ البداية مشروع ثورة، مشروع تحرير ، افرزها الواقع وتناقضاته ، افرزتها الهزيمة — هزيمة الخامس من حزيران وهزيمة البورجوازية الصغيرة العربية مع حلفائها او « اعدائها » المحليين من بقايا الاقطاع السياسي وطبقة البورجوازية الكبيرة التجارية والمالية .

ولذلك فالمقاومة عند بداية انطلاقتها عام ١٩٦٥ ، كانت « مقاومة » افراد وليست مقاومة جماهير مسلحة ، لذلك كان فكرها ينبع من «فوهة البندقية» على حد تعبير احد فصائلها ، وليس من الكتاب والقلم . كان فكرها ينطلق كتتمة لصعود الحركة الوطنية في الوطن العربي وكتتويج مسلح لها قبل هزيمتها في ٥ حزيران . وبعد الهزيمة شهدت المنطقة العربية دفقا ثوريا واندفاعات جماهيرية غطت بداية انحسار الحركة الوطنية وطغت عليها. وبعد معركة الكرامة في اذار ١٩٦٨ كانت بداية التحول في بنى فصائل المقاومة ، حيث بلغ الاندفاع الجماهيري اوجه ، وحيث برز الدفق الثوري في أرقى اشكاله ، لدرجة ان المقاومة نفسها لم تستوعب تلك السيول ولم تستطع تأطيرها بسهولة وسرعة في تنظيم جماهيري طليعي مسلح وضمن خطة ومنهج سياسي جاهز وناجز . بل كان على المقاومة ، عبر مسار ثورتها ، وعبر نضالها السياسي والمسلح ، وعبر ممارستها العملية التي من المفترض ان تأخذ وقتا طويلا لتهضم تلك المجموعات المتباعدة والفئات الاجتماعية المتمايزة والقوى الطبقية المتنافرة ، وان تقدم الدليل الثوري الوطني — الطبقي للتحرير القومي والتغيير الاجتماعي للوضع العربي الحاضر ضمن اطار القوانين العامة للثورة العالمية . كان عنصر الوقت هو العائق الرئيسي في عمر المقاومة القصير في مرحلتها الاولى، اذ تراكمت عليها المهام، واصبحت بديلا عن الجميع ، ليس فقط لانها طرحت نفسها كبديل بل لان الجماهير المندفعة نفسها اتخذت من المقاومة بديلا لها عن « الانظمة » ، بل حتى بديلا عن الحركات الوطنية العاملة في ساحاتها السياسية منذ فترات متفاوتة في عدة اقطار عربية . وبذلك تحولت المقاومة الفلسطينية رغم ارادتها من مقاومة فلسطينية الى مقاومة عربية ، واصبحت الحركات الوطنية في مجمل الوطن العربي مجرد ملاحق

للمقاومة وامتدادات عربية لها ، مما اثقل الحمل على كاهلها ، فعجزت عن السير بخطى ثابتة كالسابق وعجزت عن اعادة صياغة نفسها (تركيبها الطبقي — علاقاتها التنظيمية — خطها السياسي قياداتها — ايديولوجيتها) في تلك الظروف القاسية والطاغية على المنطقة العربية ، حيث تراكمت المسؤوليات على فصائل المقاومة ، وتراكمت عليها المهام ، وبالتالي أدت الى تراكم الاخطاء ، التي لا يمكن الا ان تقع بها اي ثورة وحتى اي مشروع ثورة ، لدراسة نفسها من جديد واعادة نفسها من جديد دون تكرار الاخطاء ، وذلك باستعادة دراستها للتجارب الثورية في العالم وتجربتها هي في الدرجة الاولى ، لتحديد مسيرتها الجديدة في ضوء تلك التجارب وتجربتها ، وعلى ضوء الاخطاء العامة واخطائها الخاصة ، فلا تكون تلك الاستعادة تكرارا للاخطاء ، بل استعادة حقيقية لحجم المقاومة الحقيقي .

النقاط الرئيسية في كتاب العظم

قلنا بان العظم انتقد ذاتية المقاومة ، بمعنى انه انتقد العوامل المكونة للمقاومة من الداخل ، قياداتها ، منظماتها ، ايديولوجيتها وخطها السياسي ، ولم يتطرق الا فيما ندر الى الاوضاع العربية والفلسطينية العامة والخاصة التي رافقت نشأة المقاومة والواقع المتحرك الذي انبثقت منه وتحركت من ضمنه ، والقوى السياسية العالمية وتوازن تلك القوى في ميزان الصراع العالمي ما بين المعسكرين الاشتراكي والامبريالي وشراسة الهجمة الصهيونية والرجعية التي واجهتها ساعة الاعلان عن نفسها . ولذلك بقيت دراسة العظم مجرد حوار نقدي مع القيادات ، مع « دماغ » المقاومة لا جسمها ، فوقع في نفس الخطأ الذي سقط فيه ما يسمى بيسار المقاومة الذي خاض نقاشا نظريا مع فتح ولم يحاول ان يتعاطى معها الا في مجال المجادلات النظرية والسجالات السياسية ، التي بقيت تدور في فلك المقاومة وبالضبط بقيت تحلق فوق « زعماء » فتح دون ان تخترق جسمها ، وتتحول القضايا التي طرحها يسار المقاومة الى قضايا جدية وعملية يدور الصراع حولها في قواعد فتح ومختلف كوادرها .

ونأتي هنا الى النقطة الاولى في دراسة العظم ، وهي تتلخص : « ان اي تقييم لهذه المرحلة من الكفاح الفلسطيني لا بد ان ينصب بصورة رئيسية على فتح باعتبارها اهم منظمات العمل الفدائي واكبرها ، وتشكيلها بالتالي العمود الفقري لحركة المقاومة . بعبارة اخرى فتح هي التي حددت — بحكم موقعها ووزنها وحجمها على اقل تعديل — الطبيعة التي اتصف بها الكفاح الفلسطيني المسلح وسماته الغالبة ، بالاضافة الى ايقاعه واتجاه حركته . يبدو لي واضحا كل الوضوح ان استراتيجية فتح وبرامجها وتصوراتها الايديولوجية وممارساتها قد طبعت المرحلة المذكورة بطابعها الخاص واعطتها اتجاهها العام ولونها السياسي الغالب » (ص ١٢) .

والجواب على السؤال المطروح عن سبب تمثيل فتح لمثل هذا الحجم الجماهيري والوزن السياسي، في الوقت الذي كان يسار المقاومة يطرح نفسه كبديل سياسي — مسلح عن فتح ويحاول باستمرار ان يأخذ مكانها ولو بصورة ذاتية لا موضوعية ، ارتكز في الغالب على النظريات اكثر من الممارسات والاقوال اكثر من الافعال . وفي الوقت الذي كان يسار المقاومة يشكل ظاهريا « نصف » المقاومة وخاصة بالنسبة لما يتعلق بخطه السياسي المطروح الذي كانت اغلبية الفئات الاجتماعية المهتمةبالمقاومة على اطلاع عليه ومأخوذة به . على هذه النقطة لا يجيب العظم بشكل صريح،وخاصة انه كان مع يسار المقاومة بعد هزيمة ٥ حزيران ، حيث استطاعت فتح ان تنجح عمليا في الوقت الذي فشل يسار المقاومة ان يحقق طموحه بتمثيل اوسع الفئات الاجتماعية الفلسطينية والعربية التي كانت تمثلها فتح بالذات . اي ان ازمة يسار المقاومة انه كان يشكل نظريا — اعلاميا « نصف » المقاومة ، بينما كانت الساحة على الصعيد العملي مفتوحة لفتح ، ولاستراتيجية فتح وتكتيكاتها وخطها السياسي ، بسبب عملها المسلح الذي « عوض » عن فقدانها للنظرية الثورية ، واستقطب بالتالي أوسع الفئات الاجتماعية لصالح فتح . مما دفع بعض فصائل يسار المقاومة ، للاندفاع في عمليات « عسكرية » لا تخدم في النهاية استراتيجية المقاومة الفلسطينية، ولا تحقق وظيفتها السياسية على صعيد التحرير ام على صعيد تأليب القوى الطبقية والوطنية ضد الانظمة في الساحة العربية ، وبالتالي ساهم هذا الوضع فيما بعد في تقصير مسافة الافتراق ما بين فتح ويسار المقاومة وفي تمييع التمايز المفترض بين خطي المقاومة ، اليسار وفتح . اذ كانت الجماهير الفلسطينية والعربية لا ترى فرقا ساطعا لحدة

الخلاف ما بين الاتجاهين الا ما ظهر في الكتب والبيانات والتصريحات الصحفية ، وبكلمة اوضح كانت حدود التمايز ما بين فتح ويسار المقاومة تتوقف على الورق ولم تترجم عمليا على ساحة الواقع الاجتماعي وبالتالي الثوري . ومن هنا نرى بان مسؤولية ما حصل في الاردن لا تتوقف فقط على فتح بل على المقاومة الفلسطينية ككل ، يسارها ويمينها .

ويتابع العظم كلامه حول « التصاقية » فتح بالواقع العربي فيقول : « ان مشروع الثورة يكون دوما من الواقع الفاسد وضده في نفس الوقت ، وقد وعى بعض قادة فتح هذا الانتماء المزدوج المتعارض لمشروع الثورة ولكنهم لم يفهموا مدلولات هذه الواقعة بصورة ديالكتيكية متحركة بحيث تعني نمو المشروع باتجاه التغليب التدريجي لاحد طرفي التناقض على الاضرار (...) وهذه الالتصاقية بطرف الواقع القائم فعلا من التناقض تكمن خلف ما هو معروف ومعترف به بالنسبة لتحويل فتح للبراجماتية الى فضيلة كبرى ، وتقديسها للعفوية والتلقائية على صعيد الجماهير والافراد ، وغياب استراتيجية لصالح الطغيان الكامل للتكتيك (وفي احيان بمعناه المبتذل) بالاضافة ليس الى مجرد غياب النظرية والجهد التنظيمي في العمل الثوري بل ايضا الى احتقارهما » (ص ٢٧) .

نسي العظم هنا ايضا بأن « التصاقية » فتح بالواقع العربي وانجرافها مع الجماهير في واقعها « الفاسد » دون تغييره ، يقابلها ايضا من الجهة الثانية تحليق يسار المقاومة فوق الواقع وبالتالي فوق حركة الجماهير . حيث تحولت الثورة مجرد الفاظ ، والشعارات مجرد جمل تتكرر وتتردد وتتبدل دون تعبئة ودون تنفيذ وبمعزل عن مدى ملاءمة الشعار لواقع الجماهير « الفاسد » ومدى تقبل تلك الجماهير لسيل من المصطلحات الجديدة التي لم تسمع بها من قبل . وفي الوقت الذي كانت ايديولوجية الطبقة الحاكمة سائدة في صفوفها وراسخة ، بحكم تكونها التاريخي ، بعمق يستحيل استئصالها بسرعة وبقفزة هوائية . وهذا يعني بان يسار المقاومة لم يكن يتعاطى بشكل جدي مع الواقع ، ولم يكن يتعامل ثوريا — ديالكتيكيا مع حركة الجماهير ، بل كان مجمل تعاطيه يتوقف عند حدود فتح — قيادات فتح و « ادمغتها » المفكرة عنها ، ولم يتجاوزها عمليا — ممارسة ، الا عند حدود تسجيل المواقف ذات الصفة النظرية والسجالية مع فتح وخطها السياسي . والعظم يعترف بدوره في الصفحات الاخيرة من كتابه ببعض هذه الوقائع ، اذ يقول : « لا بد من الاشارة هنا الى انه مع ان منظمات يسار المقاومة المعروفة قد فهمت بصورة افضل من غيرها طبيعة المعضلات التي تواجه حركة التحرر الفلسطينية ، والدلالات الاهم والاعمق لكل من هزيمتي حزيران ١٩٦٧ وايلول ١٩٧٠ وادركت الاخطار الكامنة في التوجه العسكري الضيق لحركة فتح ، مع ذلك بقي فهمها لكل هذه الامور اقرب الى الصعيد الفكري والتأملي منه الى صعيد الممارسات العملية على مستوى الواقع المتحرك » (ص ٢٥١) . ولهذا يعتبر العظم بان المقاومة الفلسطينية وصلت « بعد مضي خمس سنوات على هزيمة حزيران اصبح التجانس شبه كامل بين حركة المقاومة والوضع العربي المهزوم من حيث تجميد اطلاق النار المباشر على العدو الاسرائيلي » (ص ٢٠) وذلك بسبب « ان اي تنظيم ثوري يطمح لقيادة الجماهير يجب ان يعرف كيف يتعلم من الجماهير ولكن يجب عليه ايضا ان يعرف كيف يواجه بنجاح وبنضال حازم اشكال التخلف وجوانب النقص والجمود التي يتصف بها الوعي الجماهيري العفوي المتروك لسجيته من ناحية ، ولوصاية الطبقة الحاكمة واجهزتها « في التثقيف الشعبي » من ناحية ثانية » (ص ٤٥) . ان محاكمة العظم للمقاومة الفلسطينية تأتي من جهة كأنها لم تكن تعايش واقع المقاومة والظروف المحيطة بها — طبعا هذا لا يعني باننا يجب ان نلجأ الى منطق التبرير لا النقد فنقع فريسته دون نتيجة عملية — فهو من جهة يعتبر الحركة الوطنية الفلسطينية « امتدادا » للواقع العربي والحركة الوطنية العربية ومن جهة ثانية يعتبر بان المقاومة الفلسطينية مثلت في مرحلة ما بعد ٥ حزيران دور البورجوازية الصغيرة الفلسطينية التي تخلفت عن البورجوازية الصغيرة العربية وكررت دورها الذي سبقتها هذه في تمثيله قبل هزيمة ١٩٦٧ . وساقه تحليله هذا للقول بأن وضع المقاومة بعد أيلول اصبح « متجانسا » مع « الوضع العربي المهزوم » منذ خمس سنوات ، مستندا في ذلك لحالة وقف « اطلاق النار المباشر على العدو الاسرائيلي » متجاوزا بذلك عملية خنق المقاومة في لبنان وتصفيتها في الاردن ومحاولة استيعابها سياسيا في بقية الاقطار العربية . هذا عدا عن تجاهله لبعض العمليات العسكرية التي جرت وتجري داخل

الاراضي المحتلة وفي غزة بالضبط ، والتي تدل على ان المقاومة الفلسطينية لم « تنته » ولم « تهزم » بالرغم من نكستها العسكرية ــ السياسية في الاردن، وبالتالي قدرتها على تجديد نفسهاواستعادة قوتها وحيويتها للاستمرار بمهمتها وذلك مرهون بشكل اساسي بمدى اخلاص القوى الثورية لثورتها ، ومدى التزام القوى السياسية بمبادئها ، مبدأ استراتيجية حرب الشعب وأسلوب الكفاح المسلح ، مع الاخذ بعين الاعتبار ضرورة تطوير ذلك الاسلوب وتعميق تلك الاستراتيجية ،لترتفع الى مستوى المعركة الوطنية ــ الطبقية التي تخوضها وترتقي الى مصاف الحركات الثورية الوطنية القادرة على انتزاع المبادرة من الانظمة لنفسها ــ لجماهيرها في حسم توازن القوى السياسية لصالحها .

وينتقل العظم الى مناقشة المقاومة الفلسطينية من زاوية تبريرها « للهزائم » والنكسات ، فيقول : « في هذه المحاولة لدفع مسؤولية الهزيمة عن فتح وعن فهمها العسكري والسياسي لا نجد الا تكرارا حرفيا تقريبا لما قالته الانظمة العربية على اثر هزيمتها الكبرى محاولة التملص من مسؤولية ما حدث عن طريق اسقاطه ، على العوامل الخارجية وحدها مثل شراسة الهجمة الامبريالية والتدخل الاميركي الى جانب اسرائيل الى آخر ذلك مما يذكره القارىء جيدا » (ص ٦٣) .

ان العظم لا يرى هنا وفي كل كتابه تقريبا الا الجانب السلبي من المقاومة ، بالرغم من أن أبسط شروط النقد هو وضع سلبيات الموضوع ومناقشتها بجانب الاعتراف بايجابياته . لا شك بأن كل وطني شريف ومخلص يطمح للتحرير الوطني ــ الطبقي يرفض الا ان يستفيد من أخطائه وبالتالي يرفض المنطق التبريري والتفكير الذرائعي الذي يقود في النهاية الى الفشل تلو الفشل والسقوط تلو السقوط . الا ان العظم يرفض حتى المنطق النقدي الموضوعي وينجرف في بعض مقارناته ما بين الانظمة العربية والمقاومة الفلسطينية الى درجة الانزلاق «الرجعي» الذي لا يميز بين « أخطاء » الانظمة واخطاء المقاومة وامكانات وظروف الانظمة بالمقابل مع المقاومة والطبيعة الطبقية والتمثيلية او التعبيرية للانظمة بالمقارنة مع المقاومة . وذلك بسبب شغف العظم في « نقد » المقاومة بمعزل عن الواقع ــ واقعها العام والخاص ، لدرجة التشهير بها وبقدراتها وامكاناتها ، انطلاقا من مناقشته لذاتية المقاومة وبالتحديد لذاتية فتح وتحميله لها مسؤولية الفشل كل الفشل (قياداتها ــ استراتيجيتها ــ تكتيكاتها ــ كوادرها ــ علاقاتها التنظيمية) ودون درس واحاطة شاملة لولادة المقاومة وتعاطيها مع الواقع من جهة وتعاطي الواقع (الانظمة ، الجماهير ...) معها من جهة ثانية . لذلك لم ير العظم في نقد المقاومة لنفسها الا « تكرارا حرفيا تقريبا لما قالته الانظمة العربية على اثر هزيمتها الكبرى » . هكذا ، وبشطبة قلم ، استطاع العظم أن يصفي حساباته مع المقاومة والانظمة دفعة واحدة ، دون ان يحدد معالم التمايز ما بين الطرفين اللذين يعتبرهما هو في الاصل في حالة تناقض رئيسي ، ودون ان يرى حدود الانظمة التي سقطت برامجها السياسية وفشلت تاريخيا بالرغم من استمرارها على سطح الوطن العربي وحدود المقاومة التي انتكست في جولتها الاولى ولكنها لم تسقط تاريخيا ولم يفشل المنحى العام لبرنامجها السياسي الذي هو وحده القادر ، في حال تطويره وتجذيره ، على قلب موازين القوى الطبقية ــ السياسية لصالح قوى التحرر والثورة . لذلك نرى ان سبب نكسة أيلول تتلخص بعاملين ، ولها وجهان ، الاول ذاتي تتحمل مسؤوليته المقاومة والثاني خارج عن ارادة المقاومة ويتمثل ــ عكس ما يراه العظم ــ في « شراسة الهجمة الامبريالية والتدخل الامريكي الى جانب اسرائيل » في الوقت الذي لم تكن المقاومة استكملت نفسها وبظل فقدانها للظهير الثوري المساند لها لمواجهة اي حرب نظامية شاملة وواسعة كالتي جرت في الاردن .

ونلاحظ انسياق العظم وراء أحادية « النقد » و« التحليل » في مجمل كتابه من خلال تطرقه لبعض تصرفات المقاومة . فهو مثلا لا يرى في مسألة خطف الطائرات الا بعض الجوانب الانسانية والاخلاقية والاعتبارات العسكرية أو الاقتصادية دون ان يشمل ذلك الموقف السياسي في مناقشته ، والوظيفة السياسية التي تحققها الاعمال العسكرية في حال نجاحها ، فهو يقول : « ليس باستطاعة اية حركة تحرر جدية ان تستمر الى ما لا نهاية في تنفيذ سياسة تعتبر أي مواطن امريكي او اي مسافر هندي يصدف ان يكون على متن طائرة تابعة لشركة بان اميركان مسؤولا عن جرائم الطبقة الحاكمة الامريكية في الفيتنام والشرق الاوسط ، أو عن الاستغلال الامبريالي الذي تمارسه شركة الطيران المعنية في أنحاء العالم ، فيستحق بذلك ان تعرض حياته لخطر الموت والدمار » (ص ٥١) . واذا

سرنا مع العظم في المنهج نفسه ، نستطيع أن نقول أيضا ، ما ذنب المواطن الاميركي ابن العامل والموظف الصغير ، والمواطن الاميركي « المنبوذ » والمحروم حتى من حقوقه المدنية (السود مثلا) عن جرائم الامبريالية الاميركية في فيتنام ، وما مصلحته في القتال ودفع حياته ودمه عربونا ليصب في النهاية في صندوق الاحتكارات الرأسمالية الامبريالية ، وما هو دوره في تنفيذ سياسة « الطبقة الحاكمة الامريكية » وما هي مسؤوليته في كل ذلك ليقتل على يد الفيتكونغ والجيش الفيتنامي الشمالي !؟ الجواب : لا شيء . ولكن هذه هي طبيعة الحروب، حرب التحرير أو حرب الامبريالية .

ولذلك فان مسألة خطف الطائرات ، لا تناقش من هذه الزاوية ، بل من زاوية وظيفة هذه الاعمال « العسكرية » اذا صح التعبير في تحقيق الهدف السياسي — التحرير، وضرب المؤسسات الصهيونية والاحتكارات الامبريالية . كما ان مثل هذه القضايا المغامرة لا يمكن تحديد موقف صحيح اتجاهها الا بوضعها في الاطار الذي حصلت فيه والظروف المحيطة بها ، التي دفعت المنظمات للقيام بمثل هذا العمل . لان العمل الارهابي — المغامر له وجهان ووظيفتان ، وجه ايجابي ووجه سلبي . ففي مرحلة الانحسار الوطني وفي حالة اشتداد الهجمة الرجعية الشرسة ضد القوى الثورية وفي ظرف بروز الوجه القمعي المطلق لديكتاتورية الطبقة الرجعية الحاكمة وفي وقت تضييق عملية الخنق ضد قوى التحرر ومنعها من التحرك ولو الجزئي ، فان العمل الارهابي — المغامر مبرر تاريخيا على الاقل ، اذ انه يصبح من ضرورات المعركة ، وأحد أساليبها التكتيكية لا الاستراتيجية ، عدا عن كونه نتيجة لعملية الخنق المتبع والطوق المحكم بشدة حول عنق الجماهير . فأي عمل ارهابي — مغامر يساهم في فتح ثغرة في جدران القلعة المحكمة الاغلاق ، دون ان يؤدي طبعا الى سقوط « الجدران » وانهيار « القلعة » فهذا من مهمة الجماهير ودورها التاريخي واستهدافاتها الاستراتيجية .

ماوية فتح

وناتي الى النقطة الثانية في دراسة العظم ، وهي مناقشته لاطروحات « التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي » وبالتحديد لادبيات فتح وخلفياتها السياسية .

وفي هذا الموضوع نقول سلفا بأننا نوافق على مجمل ما ورد في مناقشات العظم وتحليلاته تقريبا ، لاننا نرى بأن اسطوانة «التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي » ترتفع انغامها عندما يطرح موضوع التحرير الاجتماعي — الطبقي كعلاقة ديالكتيكية مع التحرير الوطني ، مما يدفع بعض القوى الرجعية اليمينية والقوى المحافظة التي تدعي زورا بأنها « وطنية » وتؤمن « بمرحلة التحرير » و« تقديم التحرير الوطني على التحرير الاجتماعي » الى التشديد على موضوعات التناقضات و« اللعب » على التناقضات ، فتبدأ بترتيب سلم التناقض وأولوياته وثانوياته بدرجات متفاوتة تتناسب مع حجمها الطبقي ومصلحتها الطبقية ، أو تبدأ بتفصيل التناقضات وتدريجها لتتناسب مع قياس الطبقة الرجعية الحاكمة ، من الانظمة البورجوازية الى أنظمة التحالف الاقطاعي — البورجوازي ، وذلك كخطة لتبرير تراجعها الوطني وكخدعة للابقاء على علاقاتها مع الانظمة الرجعية وعدم قطع خيوط ارتباطاتها المشبوهة .

ولهذا نرى بأن سماسرة التناقضات ، وتناقض التناقضات ، يبدأون ببيع الجماهير اطنان التعابير التي تدل على خلفية سياسية رجعية ، تطمح في النهاية لا الى تحرير الارض ولا تحرير الانسان ، بل الابقاء على الوضع الراهن كما هو من خلال تلاعبها بالالفاظ ورقصها على أنغام التناقضات ، من « التناقض الاكبر والتناقض الاصغر » و« التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي » الى « التناقض الاساسي والتناقض الفرعي » . هذا لا يعني بالطبع اننا نرفض تحديد أولويات التناقض وثانوياته ، ولا الى الاستنكاف عن استعمال المنهج الديالكتيكي لفرز الاعداء من الاصدقاء، وتبدل الاعداء والاصدقاء في كل مرحلة تاريخية ، ولا الى عدم التمييز بين التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي او التناقض الاساسي والتناقض الفرعي ، لاننا نرى بالمقابل انه طالما هناك انتهازيون يمينيون يستغلون مبدأ تحديد التناقض وترتيب التناقضات ، فانه هناك ايضا انتهازيون « يساريون » يضعون العالم في سلة واحدة ويطلقون عليه النار دفعة واحدة ، لا تتعدى حدود المقالات والبيانات والكتب ، وبالتالي باسم الثورة يتبع « الثوريون » في منازلهم يحاربون العالم دفعة واحدة من وراء متاريس طاولاتهم ومقاهيهم . يقول العظم : « ان الكفاح ضد الغزو الامبريالي مرتبط بصورة جدلية بالصراع الطبقي ولا يجوز طرح القضية على أساس انها اما تحرر وطني أو صراع

طبقات كما جرى في الاردن بالنسبة للثورة الفلسطينية وعلاقتها بالطبقة الحاكمة ونظامها هناك ، وكأن هذين العنصرين معزولان بعضهما عن بعض » (ص ١٣٠) ويتابع « الحقيقة هي ان كل هذا التنظير حول التناقض الثانوي مع النظام الهاشمي ليس الا محاولات لتبرير الخـــط الوسطـــي المتذبـــذب والمتأرجح (...) واستخدمت حملة التنظـــير التبريري هذه أدوات عديدة لتحقيق اهدافها كان من اهمها وأكثرها بروزا الموضوعات التي طرحتها الثورة الصينية والمقولات الماوية المشهورة ، الا ان الاشكال الكبير في الموضوع هو ان المنظرين المعنيين قد أعادوا تفصيل الموضوعات الصينيـــة والمقولات الماوية على هواهم بحيث يتسنى لهـم تطبيقها على حركة فتح والمقاومة عموما بصورة عشوائية وتجريدية وبدون الاخذ بعين الاعتبـــار الظروف التاريخية الصينية التي أحاطت بالتجربة الثورية هناك وكانت المنبع الاساسي لاطروحاتها النظرية » . (ص ١١٩) .

ويستنتج العظم بأن فتح لم تفهم الا جانبا واحدا من طرفي التناقض ، نوعت تناقضها هي مع النظام واعتبرته « ثانويا » ولم تفهم الطرف الاخر مـــن التناقض ، اي وعي النظام لتناقضه هو مع المقاومة الفلسطينية الذي اعتبره « رئيسيا » . فيقول حول الموضوع : « يبدو لي انه عندما قرر الماويون الفتحويون وغيرهم في المقاومة ان التناقض مع النظام الهاشمي ثانوي لم ينظروا بدقة الا الى جانب واحد من التناقض فقط وهـــو جانبهـــم فوصلوا الـــى استنتاجهم على اساس تطبيق المبدأ الماوي العام الذي أشرنا اليه على هذا الجانب وحده » (ص ١٤١) ، ولذلك لم تميز فتح ما بين التصاقهـــا بالواقع لفهـــم تناقضاته مقدمـــة لتغييره وبـــين « التصاقها » بالانظمة اي تعاطيها مع مراكز القوى العربية السياسية . وبفضل هذا ماع عندها عمق وبعد العلاقة الديالكتيكية بين حركة التحرير الوطني وحركة التحرير الاجتماعي ــ الطبقي ، مما دفعها الى « شن كفاحها ضد الغزو الصهيوني الامبريالي بمعزل عن الصراعات الاجتماعية وطبيعة الطبقة الحاكمة في القاعدة الامنة الاردنية ... » (ص ١٣٤) . وبالتالي فان « تقدير المقاومة لطبيعة التناقض لا يلزم الملك حسين والطبقة الحاكمة بشيء لان لهما تقديراتهما الخاصة والواضحة للموضوع تنبع من مصالح حيوية سيتم الدفاع عنها بشراسة. لا اعتقد انه يوجد اختلاف كبير في الرأي في اوساط المقاومة بأن الملك حسين عمل وخطط وأعد اجهزة قمعه ، منذ البداية ، على اساس ان تناقضه الرئيسي هو مع المقاومة والحركة الوطنية وليس مع اسرائيل بالرغم من الاحتلال القائم » (ص ٨٩) لانه أحس بأن وضعه في السلطة بدأ بالتزعزع ، واخذت تنمـــو في الاردن نواة ازدواجية السلطـــة (سلطة الملك وسلطة المقاومة) وبالتالي « ان كل التعديلات الدقيقة التي يمكـــن ادخالها علـــى شعارات المقاومة ، وكل حسن السلوك والتهذيب الذي يمكن ان يظهره الفدائيون لا يمكن ان يزيلا من الوجود واقعا ماديا محددا ، هو ان نمو حركة المقاومة قد جرف سيطرة حسين على مملكته . كذلك مهما أعلنت فتح عن رغبتها في عـــدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية ، فان الملك حسين لا يمكن أن ينسى ولو لثانية واحدة حقائق ووقائع ازدواجية السلطة التي نمت في الاردن بسبب نمو قوة المنظمات الفدائية » (ص ٧٥) .

ويظل فقـــدان « النظرية الثوريـــة » عند فتـــح و« الممارسة الثورية » عند يسار المقاومة ، ويظل طغيان موجة الانحرافين اليمينـــي و« اليساري » تراكمت اخطاء المقاومة وتقديراتها السياسية في تحديد العدو الحقيقي ، أي في التمييز ما بين العدو المباشر والعدو غير المباشر ، العدو الملموس والعدو غير الملموس ، أي في تعيـــين الهدف ــ العدو للنضال ضده دون الاغراق في « الكفاح » ضد عدو وهمي ، استطاع ان « ينقلب » ضدها في لحظة تاريخية كان فيها توازن القوى لصالحه ، فحسم ازدواجية السلطة لمصلحة الطبقة الحاكمة ــ طبقته في أيلول ١٩٧٠ ، حيث وافقت المقاومة بعدها على سحب الاسلحة مـــن عمان وتفريغ المخيمات مـــن المليشيا الشعبية مما أتاح له مرة ثانية اقتناص الفرصة في تموز ١٩٧١ (معارك جرش) وحسم توازن القوى ــ السلطة لصالحه نهائيا .

نحو مقاومة جديدة !؟

نصل الان الى النقطة المهمة الثالثة ، نصل الى السؤال الذي يجب ان يطرحه كل ثوري على نفســه: ما العمل ؟ ما هو الطريق الثوري الصحيح والنظرية الثورية الصحيحة ؟ للقيام بمهمة الانقاذ ، مهمـــة انجاز المشروع الثوري الكبـــير الذي يطمح له الكادحون العرب .

يقول العظم حول هذه النقطة : « ومن اسباب ذلك

ان الرد على الهزائم بشكل ثوري لا يمكن أن يأتي عبر مثل هذه الدعوات الطوباوية التجديدية او من خلال وصفات سريعة جاهزة يفترض فيها ان تشكل حلولا فوريا للمعضلات والمآزق التي تواجهها حركة التحرر العربي عامة وحركة التحرر الفلسطيني بشكل خاص . ففي هذا الموضوع لا توجد اية أسرار أو أية حلول خفية ينبغي اكتشافها أو استنباطها بصورة ما باعتبارها المفتاح السحري الذي يمكن الحركة الثورية من السير على طريق تحقيق النصر والنجاح » (ص ٢٤١) .

ويستعرض العظم بعدها عدة حلول مقترحة من قبل بعض قياديي المقاومة الفلسطينية ، فينتقدهم كلا على حدة ويتهم آراء كل من حسام الخطيب ، أبو اللطف ، ناجي علوش ، أبو اياد ومنير شفيق بالتجريدية والطوباوية والبعد عن الواقع ، بسبب عدم تعيينهم للوسيلة التي يجب ان ينفذ بها الاقتراح والطريقة التي يطبق بواسطتها الحل المطلوب .

وفي معرض رده على أبي اللطف واقتراحاته وحلوله ، يطرح العظم المشكلة ، يطرح على بساط البحث أزمة المقاومة التي تتلخص برأيه ، في وجود قيادات قاصرة وانتهازية وقوى مهيمنة على رأس المقاومة ، لايمكن التقدم خطوة واحدة الى الامام دون اعادة النظر فيها وابدالها بقيادات ثورية جذرية جديدة ذات برامج سياسية واضحة ، فيقول عن الموضوع : « والسبب في ذلك تهربه (أبو اللطف) من مواجهة السؤال الاساسي : هل القيادات والقوى التي أوصلت حركة المقاومة الى هزيمة أيلول قادرة فعلا على تنفيذ اقتراحاته الممتازة من حيث المبدأ ؟ يبدو أن أبا اللطف تجنب هذا السؤال المحرج والمهم جدا بالنسبة لمستقبل حركة التحرير الفلسطينية ، لانه افترض ضمنا ان القيادات المعروفة والقوى المهيمنة اياها قادرة على القيام بهذه المهمة » (ص ٢٤٣) . الا ان العظم وقع أيضا في خطأ « تجريدي » و« طوباوي » وبالتالي أعطى حلا وهميا ، عندما حدد بأن المشكلة — الازمة هي في استمرار القيادات ذاتها وسيطرة القوى نفسها على المقاومة ، دون ان يحدد بالمقابل ، كيفية تبديل هذه القيادات ؟ وكيفية ازالة سيطرة تلك القوى المهيمنة ؟ والطريقة الصحيحة لمعالجة الوضع — المأزق . وما هي الوسيلة الاسلم لاسقاط القيادات وتغييرها ؟ وكيف يتم ذلك ؟

ويكرر العظم ملاحظاته — اقتراحاته دون ان يحدد طريقة العمل لتنفيذ ذلك فيقول : « يضاف الى ذلك ان الوضع الجديد الذي نتج بعد كل من هزيمتي حزيران ١٩٦٧ وأيلول ١٩٧٠ أخذ يعزز وقائعه الخاصة التي سيكون لها شأنها بالنسبة لتحديد مستقبل الحركة التحررية العربية والفلسطينية خاصة ، وكل الدلائل تشير الى ان حركة المقاومة أصبحت غائبة عن الواقع الجديد الذي يتكون وغير قادرة على التأثير فيه » ويتابع « مما يعني ان قيادات وتنظيمات مستقلة عن المقاومة التي عرفناها ، مرشحة لان تنشأ كتعبير موضوعي عن التفاعلات الاجتماعية والطبقية الناتجة عن الاستعمار الاسرائيلي الجديد وعن عودة القمع الهاشمي الى السيطرة على جماهير واسعة من الشعب الفلسطيني في الاردن ، وعن العجز العام الذي برهنت عنه منظمات المقاومة ، كل هذا ضمن اطار عربي عام يتسم باستمرار بتدهور الوضع الوطني العربي العام أمام بقاء الاحتلال الاسرائيلي ... » (ص ٢٥٣) . ان هذه الاستنتاجات تبقى وستبقى مجرد اوهام تجريدية ، ومجرد توقعات (نمو طبقة عاملة في الضفة الغربية — نمو تيار وطني في الاردن) اذا لم يرافقها خطة — نظرية عمل للاستفادة من الوضع الجديد ، أي انها مجرد تخمينات لكل مؤمن بحتمية التطور التاريخي ، وحتمية انفجار التناقضات والتحول النوعي في البنى الاجتماعية القائمة في كافة انحاء الوطن العربي ، سواء في الارض المحتلة ام غير المحتلة . الا ان السؤال الاساسي يبقى مطروحا : كيف يمكن الاستفادة من كل هذه الظروف الموضوعية والفرص القائمة ؟ وكيف يمكن ان نختزل طريق الثورة ونختصر طريق التحرير ؟ هذا ما هو مطلوب منا الان بالضبط، وهذا ما لا يجاوب عليه العظم في تساؤلاته العديدة. اذ أنه على العكس من ذلك ، يترك الامور على سجيتها ، متسيبة دون تنظيم ودون تأطير القوى الثورية لمباشرة العمل — التنفيذ ، اذ يقول : « بالرغم عن الموجة اليمينية والمضادة للثورة التي تجتاح المنطقة العربية في الوقت الحاضر والتي تحمل لواءها الطبقات الحاكمة المحلية ، فان الاندفاعة التحررية المعادية للامبريالية الضاربة بجذورها بعمق في حياة الجماهير العربية والفلسطينية ستعود لتؤكد نفسها من جديد بأشكال كفاحية أرقى وعلى أسس تنظيمية وطبقية اكثر جذرية مما عرفناه حتى الان » (ص ٢٥٣) . أظن بأنه ليس هناك من وطني شريف وثوري مخلص يخالف العظم في مثل

هذا الاستنتاج ولمثل تلك التوقعات ، التي ستبقى توقعات تأملية ومستقبلية ، اذا لم يرافقها ممارسة يومية في صفوف الجماهير تبتعد عن التوجيه الفوقي والتشخيص النظري . لان مسألة صياغة واعادة صياغة نظرية الثورة العربية الاشتراكية ، ومسألة نقد واعادة نقد التجارب النضالية الوطنية والطبقية السابقة ، لا تتوقف عند ترك المسألة ، متوقفة على افرازات الواقع وتطور التاريخ ، وما يحمله في احشائه من قوى طبقية جديدة وقوى ثورية جديدة ، دون أي محاولة جادة منا لصياغة نظرية العمل الثورية التي تتلاءم مع ظروف المنطقة العربية والتي لا تتم الا بعملية اكتشاف القوانين الخاصة للثورة العربية الاشتراكية .

ويحاول العظم في نهاية الكتاب ، ان يقدم بعض الاقتراحات « العملية » التي تبقى ايضا نظرية اذا لم نشارك في الممارسة النضالية اليومية التي ، عبر تراكمها الكمي ، تفرز على السطح السياسي قوى ثورية نوعية جديدة وبالتالي نظرية نوعية في العمل الثوري . واقتراحات العظم ثلاثة ، اولا وجود نظرية ثورية (الماركسية ــ اللينينية) ثانيا وجود حزب ثوري (حزب الطبقة العاملة) ثالثا وجوب فرز وتحديد الاعداء من الاصدقاء (البرنامج السياسي) . ان هذه الاقتراحات الثلاثة ، سليمة ولا غبار عليها ، الا أن لا النظرية الثورية يمكن أن تفهم بشكل صحيح ، ولا الحزب الثوري يمكن ان يقوم ، ولا ترتيب سلم التناقضات يمكن ان يستقيم ، اذا لم تكن هناك قوى ثورية تمارس وتحتك بالواقع الموضوعي ، واقع الجماهير ، لتخرج من وسطها حاملة الى ساحة العمل السياسي تفاصيل القوانين الخاصة للثورة العربية الاشتراكية . والا ستبقى كل الاقتراحات مجرد « وصفات جاهزة » وأدوية « ناجزة » نحاول أن نطبق الواقع عليها بدلا من تطبيقها بشكل خلاق ومبدع مع الواقع .

صدر حديثا عن مركز الابحاث

النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه

١٩٠٨ ــ ١٩١٨

بقلم

الدكتورة خيرية قاسمية

والكتاب عبارة عن اطروحة نالت عليها الكاتبة درجة دكتوراه . وينشرها مركز الابحاث ليلقي الضوء على النشاط الصهيوني بالتفصيل وردود الفعل العربية عامة والفلسطينية بشكل خاص على هذا النشاط ، في اوسع وأدق التفاصيل حول الموضوع . والكتاب يتضمن مجموعة ضخمة من الوثائق المتعلقة بالموضوع تنشر لاول مرة .

اطلبه من مركز الابحاث ــ قسم التوزيع
ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت
سعر النسخة ٨ ليرات لبنانية
تضاف اليها اجور البريد : ١٠٠ ق. ل. في العالم العربي
٢٥٠ ق. ل. في اوروبة ، ٥٠٠ ق. ل. في سائر الدول .

شـــهريات

(١) المقاومـــة الفلسطينية

في الوقت الذي كانت فيه حركة المقاومة تواجه ذيول عملية السفارة السعودية في الخرطوم ، بادرت الى متابعة نشاطها الجماهيري فلسطينيا وعربيا ، ولعبت دورا سياسيا بارزا على الصعيد الرسمي اثر انفجار أزمة الحدود بين العراق والكويت . وفي الوقت نفسه كانت عملية الصراع بينها وبين اسرائيل تتطور وتتفاعل حتى وصلت الى ذروة عالية بعد الهجوم الاسرائيلي على مدينة بيروت الذي استهدف بشكل رئيسي اغتيال ثلاثة من القادة هم أبو يوسف وكمال عدوان وكمال ناصر . وفيما يلي تسجيل لابرز مراحل هذا النشاط وأبرز معانيه السياسية في الفترة الواقعة بين ١١ آذار و١٠ نيسان ١٩٧٣ .

١ ــ ختام عملية الخرطوم :

على اثر حملة الاتهام والتشهير التي قادها النظام السوداني ضد حركة المقاومة بعد عملية الخرطوم ، تدخلت أكثر من جهة عربية لايقاف هذا التدهور في العلاقات .

ففي ١٤ آذار وصل الى بيروت السيد مسعدون غيدان وزير الداخلية العراقي قادما من الخرطوم حيث سلم الرئيس نميري رسالة من السيد أحمد حسن البكر ، واجتمع فور وصوله الى السيد ياسر عرفات وابلغه نتيجة اتصالاته .

وفي ١٥ اذار نقل السيد جمال الصوراني رسالة من محمود رياض الامين العام للجامعة العربية الى السيد ياسر عرفات تضمنت نتائج اتصالاته حول ذيول عملية الخرطوم .

كذلك استقبل ياسر عرفات وعدد من اعضاء اللجنة التنفيذية في نفس اليوم السيد عبداللطيف ابو حجلة مدير مكتب المنظمة في الخرطوم حيث نقل اليهم اخر تفاصيل الموقف السوداني .

وعلى أثر هذه الاتصالات ، اجتمعت اللجنة التنفيذية (١٤ اذار) وبحثت في المساعي العربية الجارية مع السودان ، ثم اعلن مصدر مسؤول ان مندوبا خاصا سيصل الى الخرطوم حاملا رسالة من عرفات الى النميري . وفي ١٨ اذار وصل الى الخرطوم وفد فلسطيني برئاسة السيد جمال الصوراني وعضوية عبد اللطيف ابو حجلة ومحمد ابو ميزر . وبعد جولة من الاجتماعات مع المسؤولين السودانيين صرح الوفد الفلسطيني (٢٠ اذار) ان الفدائيين الثمانية الذين نفذوا عملية الخرطوم مسؤولون شخصيا عن العملية ، وكان ذلك يعني تأكيدا جديدا من حركة المقاومة بأن لا علاقة لحركة فتح رسميا بالعملية ، وكان نشر التصريح في الصحف السودانية يعني قبول الحكومة السودانية لمضمون الموقف الفلسطيني ، وتراجعها عن موقفها السابق . وكانت اول بوادر الانفراج بعد ذلك قول المصادر المطلعة في الخرطوم ان الحكومة السودانية قد تكون اقتنعت بوجوب اجراء محاكمة مدنية للمعتقلين ، تفاديا لتأثير نتائج أية محاكمة سياسية على العلاقات بين المقاومة والسودان . وقد كان الاجتماع الحاسم في الموضوع هو اجتماع الوفد الفلسطيني مع الرئيس النميري في ٢١ اذار ، حيث أعلن على اثره عمر الحاج موسى وزير الاعلام بشكل صريح ان النميري لا يعتبر فتح مسؤولة عن الهجوم على السفارة السعودية ، وانه يحصر المسؤولية ببعض موظفي مكتب فتح في الخرطوم (٢٣ اذار) . وحين عاد الوفد الفلسطيني الى القاهرة ابلغ السيد سليم اليافي ، الامين العام المساعد للجامعة العربية ، ان الخلاف انتهى كليا بين المقاومة والسودان . وفي السابع من نيسان تقرر اعادة مكتب فتح في الخرطوم ، كما قررت منظمة التحرير الموافقة على طلب مدير مكتب المنظمة بالانتقال للعمل في مكان اخر . وكان ذلك ختام عملية الخرطوم ، وختام العلاقة التي توترت

بسرعة شديدة بين المقاومة والنظام السوداني ، بسبب الاتهامات التي وجهها .

٢ ـ نشاط المقاومة الجماهيري :

كان استشهاد ثلاثة من قادة الجبهة الشعبية في قطاع غزة اثر معركة ضارية مع القوات الاسرائيلية مناسبة للقيام بنشاط جماهيري واسع لابراز معنى الحادث ونتائجه ومتطلبات تطوير الحالة الثورية التي يعبر عنها . وتعبيرا عن ذلك وجه جورج حبش الامين العام للجبهة الشعبية رسالة الى جماهير غزة أشاد فيها بالدور الذي لعبه الشهداء الثلاثة . وقال ان جماهير شعبنا لا يمكن بأي شكل من الاشكال ان ترضى لنفسها ان تبقى في مخيمات الذل والشقاء ... ان تبقى مشتتة في انحاء العالم بلا وطن ولا كرامة . (١٢ اذار) .

وفي اليوم التالي اقيم احتفال جماهيري في جامعة بيروت العربية للمناسبة نفسها القى فيه الاخ احمد اليماني احد قادة الجبهة الشعبية وعضو اللجنة التنفيذية ، خطابا طويلا ابرز فيه ان المطلوب هو « رأس المقاومة ، وهذا امر محتوم ، والسبيل الى وقف هذه المؤامرة هو وحدة المقاومة ، وعلى حركة المقاومة الا تكتفي ، كما في عادتها ، بقرارات تؤخذ ، كالبرنامج الذي اقره المجلس الوطني قبل شهرين ، بل عليها ان تطبق هذا البرنامج السياسي » . وخلص الى ضرورة الاستفادة من تجربة الهجوم الاسرائيلي على مخيمي نهر البارد والبداوي « حيث اظهرت مختلف فصائل المقاومة تخاذلا ، فمقاتلونا استطاعوا أن يضربوا العدو ، لكن ضرباته كان يجب أن تكون اقل من ضرباتنا » . (١٣ اذار) .

ثم اقيم في الجامعة العربية في بيروت احتفال جماهيري اخر تأبينا لشهداء غزة حضره جورج حبش وصلاح خلف ، وكان حضورهما معا دلالة على علاقات خاصة بين فتح والجبهة الشعبية . وفي هذا المهرجان قال صلاح خلف « هناك بعض الايدي العربية والرجعية تتآمر على هذه الثورة ... لن نقبل ان نكون جزءا من المؤامرة الامبريالية ولن نركع على باب واشنطن ... اننا ماضون ولن نلقي سلاحنا وسنحارب في كل مكان من العالم فيستطيع القتال فيه » . ثم القى جورج حبش خطابا مطولا قال فيه :

ـ ان النقطة المركزية في مخطط العدو في هذه الفترة بالذات ... هو ان يدب اليأس في قلوبنا ...

وواجبنا . واجبنا بالوعي العلمي ان نحبط هذا المخطط .

ـ ان واجبنا تجاه جيفارا غزة هو ان نعلن اليوم للعدو الصهيوني الامبريالي الرجعي ... انه يستطيع ان يغتال ... وان يوجه لنا ضربات جديدة وغير متوقعة . ولكن لن يستطيع ولا يمكن ان يستطيع ان يدمر فينا ارادة القتال .

ـ اننا لا نستطيع ان نحقق الانتصار بمجرد العواطف والمناشدات ... ان اول واجب من واجباتنا هو ان نخوض نضالا ذاتيا في تنظيماتنا حتى نتخلص من كل حالة الترهل التي تعيشها حركة المقاومة .

ـ ان الجبهة الوطنية الفلسطينية المتحدة .... يجب ان تصبح هدفا اساسيا مركزيا ... والى جانب هذا الخط في قضية الوحدة الوطنية يجب ان يترافق معه تحالفات اساسية ايضا بين بعض التنظيمات .

ـ ثم حدد جورج حبش في خطابه ميادين العمل الاساسية للنضال الفلسطيني داعيا الى تعميق العمل الجماهيري في الاراضي المحتلة ، والى الالتحام مع حركة التحرر الوطني الاردني ، والى النضال الدؤوب بين جماهيرنا في لبنان ومع الحركة الوطنية اللبنانية بشكل خاص .

وكانت قد سبقت هذا المهرجان مسيرة جماهيرية في مخيم شاتيلا ... (١٧ اذار) .

وعلى غرار بيروت شهدت مدينة صيدا مهرجانا جماهيريا اخر اقامه « الاعلام الشعبي الفلسطيني » احياء لذكرى الشهداء الفلسطينيين . وتكلم في هذا المهرجان الاخ احمد اليماني الذي كشف النقاب عن وجود تحالف خاص بين فتح والجبهة الشعبية حيث قال « ان لقاءنا وطنيا تم بين فتح والجبهة الشعبية ، وان هذا اللقاء الثوري هو نواة لتحقيق الجبهة الوطنية الفلسطينية بين مختلف فصائل حركة المقاومة ، انه ليس محورا بل نواة الجبهة الوطنية » . ثم وضع لحركة المقاومة خمس مهمات في المرحلة الراهنة هي : ١ ـ تحقيق الجبهة الوطنية الفلسطينية ، ٢ ـ تعبئة الجماهير تعبئة ثورية ، ٣ ـ الالتحام مع حركة التحرر العربية ، ٤ ـ تشكيل جبهة الرفض العربية ، ٥ ـ توثيق تحالفاتنا مع الدول الاشتراكية ... (٢٥ اذار) .

وفي مقابلة مع مجلة الهدف الناطقة بلسان الجبهة

الشعبية اوضح السيد احمد اليماني بصورة اكثر تفصيلا موضوع اللقاء بين فتح والجبهة فقال « ان من حق الجبهة الشعبية اذا ارتأت ان في تعاونها الثنائي مع تنظيم اخر ، ضمن اطار البرامج المقرة في المجلس مصلحة للثورة ودفعا لبناء الجبهة الوطنية ، من حقها ان تقوم بهذا اللقاء . ويجب ان لا يفهم باي شكل من الاشكال من الخطوة هذه، انها محاولة لعزل او محاصرة او تصفية اي تنظيم. ان هذا التعاون يتم ايضا على ضوء الظروف التي يخضع لها عملنا الثوري ... وهنا يدخل موضوع التواجد في الارض المحتلة كمقياس ، والفاعلية العسكرية والجماهيرية كمقياس اخر » . (٧ نيسان) .

٣ ــ الجبهة العربية المشاركة :

الى جانب النشاط الشعبي الفلسطيني ، كان لحركة المقاومة نشاط شعبي عربي مماثل . ففي ٣٠ آذار عقدت الامانة العامة للجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية اجتماعا لها في بيروت. وقد شارك في هذا الاجتماع لاول مرة مندوب الاتحاد الاشتراكي العربي في ليبيا ، واعلنت سوريا عن استعدادها للمشاركة في اعمال الجبهة ، بينما استبدل المندوب المصري السابق السيد احمد بهاء الدين بعد عملية العزل التي تعرض لهاالكتاب والصحفيون المصريون . وفي بداية الاجتماع قدم السيد اديب عبد ربه عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير تحليلا للوضع السياسي الفلسطيني والعربي ابرز فيه استمرار ونمو المقاومة داخل المناطق المحتلة، وخطورة استجابة الانظمة العربية لمشاريع الحلول الاميركية ، وتاثير هذه الاستجابة السلبي على مستقبل النضال داخل الاراضي المحتلة . داعيا الى مواجهة مؤامرات التصفية ببناء جبهات رفض عربية من خلال النضال من اجل الحريات الديمقراطية للجماهير وقواها الوطنية . ثم جرت بعد ذلك مناقشة موسعة لتقرير اللجنة التنفيذية شاركت به معظم الوفود ، وبرز فيها تياران : الاول يدعو الى مجابهة المؤامرات ضد الثورة الفلسطينية ، وحركة التحرر العربية من خلال اطلاق الحريات الديمقراطية للجماهير وقواها الوطنية . بينما يدعو التيار الثاني الى التركيز على القضية الفلسطينية في البحث ، وتجنب كل ما يتعلق بالاوضاع العربية . ثم استمر بروز هذين التيارين عند مناقشة القرارات التنظيمية التي ستخرج عن الاجتماع . فبعد ان اقر تشكيل لجان وطنية في كل قطر عربي لتحويل الجبهة المشاركة من جبهة ذات علاقات فوقية ، الى جبهة ذات قاعدة جماهيرية ، نادى الفريق الاول بان تنبثق هذه اللجان عن مؤتمرات تضم الاحزاب والنقابات والهيئات والشخصيات الوطنية ، بينما طالب الفريق الثاني بأن تتشكل هذه اللجان بقرار يصدر عن الاحزاب المشاركة في الامانة العامة . ولكن الاجتماع اقر في النهاية الاتجاه الاول الداعي لعقد مؤتمرات تنبثق عنها اللجان الوطنية القطرية . كذلك أقر المؤتمر اعطاء المكتب التنفيذي للجبهة صلاحية اقامة لجان وطنية خارج الوطن ، ولجان مناصرة للثورة الفلسطينية ، وحق القيام بكل اشكال النشاط السياسي على اساس برنامج الجبهة والمقررات السياسية للامانة العامة .

وبذلك يمكن القول ان اجتماع الامانة العامة الاخير اسهم في تحديد الفوارق بين الاتجاهات الوطنية والتقدمية الجذرية التي تناضل لتغيير صورة الواقع القائم ، وبين الاتجاهات التي لا تريد الابتعاد عن حدود المواقف العامة التي ترضخ للامر الواقع وتناقضاته . وكانت القضية الفلسطينية واساليب دعمها المحور والمنطلق في الصراع الذي دار بين هذين الاتجاهين .

٤ ــ الوساطة الفلسطينية بين العراق والكويت :

وكما كان لحركة المقاومة نشاط جماهيري فلسطيني وعربي بارز ، كان لها ايضا نشاط رسمي فعال ، ظهر في مهمة الوساطة التي تصدت لها بين العراق والكويت ، بعد انفجار ازمة الحدود بينهما . فمنذ اليوم الاول لانفجار الازمة (٢٠ اذار) بعث السيد ياسر عرفات برسالتين الى صباح السالم الصباح ، واحمد حسن البكر ، اعرب فيهما عن « قلق الثورة الفلسطينية » من حوادث الحدود ، واكد استعداد الثورة للقيام بأي دور يطلب منهما لمعالجة هذا الموقف الطارىء . ويبدو أن العرض الفلسطيني لقي تجاوبا من البلدين ، ففي ٢٧ اذار وصل عرفات الى بغداد وعقد مباحثات واسعة مع المسؤولين العراقيين ، قالت على اثرها مصادر مطلعة في بغداد ان العراق يميل الى اتاحة الفرصة للمقاومة لتلعب دورا مهما في انهاء الازمة . وبعد ذلك انتقل عرفات الى الكويت (٢٩ اذار) وابلغ اجتماعا حضره الشيخ صباح السالم وكبار رجال الدولة وجهة نظر العراق ، واعلنت مصادر كويتية ان الكويت تعلق أهمية خاصة على وساطة عرفات. ونتيجة لهذا الاتصال بالطرفين العراقي والكويتي

صرح عرفات قائلا انه « متفائل جدا بايجاد حل للازمة .... وبأن ما عرضته سيؤخذ به » . وبعد ان قام عرفات بالجولة الاولى من الوساطة تابعت المقاومة مهمتها من خلال مندوبين ، ابو مازن ، الذي كان يتابع الوساطة من بغداد ، وخالد الحسن الذي كان يتابعها من الكويت ، وكان المندوبان على اتصال دائم مع ابو عمار في بيروت . وفي ٣ نيسان اعلن خالد الحسن في الكويت ان وفد المقاومة توصل الى تسوية للازمة بين البلدين وقال « ان الجهود ، مضافة اليها الرغبة في التعاون بين البلدين الشقيقين ، ثم التفهم الذي ابداه مسؤولو كل بلد، جعلتنا نصل الى النتيجة الاخوية الحالية». وعلى اساس هذا الاتفاق ، ابرق عرفات من العراق (٥ نيسان) مبلغا حكومة الكويت ان الرئيس العراقي احمد حسن البكر قد امر القوات العراقية بالانسحاب من الاراضي الكويتية ، ثم حضر الى الكويت (٦ نيسان) برفقة وفد عراقي جاء لبحث المشكلة وحلها بالتفاوض وفي نفس اليوم غادر عرفات الكويت وصرح قبل مغادرته قائلا ان مهمة الوفد الفلسطيني قد انتهت باجتماع وفدي البلدين ،وهذا يعني ان الوساطة الفلسطينية ركزت على منع الاصطدام العسكري ، وعلى اقناع الطرفين بحل المشاكل العالقة بينهما من خلال المفاوضات .

٥ ــ العمليات الخاصة :

بعد مقتل حسين ابو الخير ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في قبرص يوم ٢٥ ك٢ الماضي ، اطلق شاب اردني النار في نيقوسيا على الاسرائيلي سيمحا غيلزر فقتله ، وذكرت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) ان غيلزر عميل للمخابرات الاسرائيلية يتخفى تحت صفة رجل اعمال . ثم أعلنت منظمة ايلول الاسود (١٣ اذار) مسؤوليتها عن الحادث موضحة بأن غيلزر هو الذي دبر حادث اغتيال ابو الخير قبل شهرين . وقد اصدرت السلطات القبرصية مذكرة اعتقال بحق الشاب الاردني الذي اختفى بعد الحادث ، ووجهت له تهمة الاغتيال .

كذلك كانت قبرص ميدانا لعمليات اخرى اشد عنفا. ففي صباح يوم التاسع من نيسان شن فدائيون تابعون لمنظمة تدعى « منظمة الشبيبة القومية العربية لتحرير فلسطين » هجوما مزدوجا على اهداف اسرائيلية في قبرص . الهجوم الاول جرى في مطار نيقوسيا حين هاجم ٦ فدائيين طائرة ركاب اسرائيلية تابعة لشركة العال . وقد واجه هجوم الفدائيين نيران القوات القبرصية ونيران رجال الامن الاسرائيليين من داخل الطائرة . وبعد عشرين دقيقة من تبادل اطلاق النار اصيبت الطائرة باضرار، وقتل فدائي ، وشرطي قبرصي،وجرح ثلاثة فدائيين، وتمكن أحد الفدائيين من الفرار . اما الهجوم الثاني فقد تم في الوقت نفسه على منزل السفير الاسرائيلي أحايم تيمور ، وذلك حين زرع ٣ فدائيين كمية كبيرة من المتفجرات امام المنزل ، وادى الانفجار الى انهيار الواجهة الامامية للمنزل والى تدمير الجزء السفلي من المبنى . وقد سبق الانفجار اشتباك بين المهاجمين والحرس ، قتل فيه شرطي قبرصي . وقال السفير الاسرائيلي ان السلطات القبرصية اعتقلت المهاجمين الثلاثة .

وكان قد جرى قبل ذلك اعتقال شابين عربيين (١٥ اذار) اثناء دخولهما الى فرنسا في سيارة مليئة بالمتفجرات ، قيل انها كانت مخصصة لنسف السفارة الاسرائيلية في باريس ، وان الشابين ينتميان الى منظمة فتح . ولكن حركة فتح نفت رسميا يوم ١٨ اذار اية علاقة لها بالشابين المعتقلين في فرنسا . كذلك تم في باريس يوم ٢٢ اذار اعتقال طبيبة بريطانية ووجهت لها تهمة الانتماء الى منظمة ايلول الاسود ، ثم افرج عنها وغادرت فرنسا متوجهة الى بريطانيا .

وفي باريس نفسها أقدمت المخابرات الاسرائيلية فجر يوم السبادس من نيسان على اغتيال الدكتور باسل القبيسي احد مسؤولي الجبهة الشعبية ، اثناء تواجده في العاصمة الفرنسية للقيام بمهمة سياسية للجبهة تتعلق بالعلاقات بين الجبهة والقوى السياسية الوطنية المغربية .

٦ ــ اسرائيل ولبنان والمقاومة :

قامت اسرائيل منذ منتصف شهر اذار ، وحتى نهاية الاسبوع الاول من نيسان بسلسلة من عمليات الضغط والتهديد على لبنان والمقاومة الفلسطينية . وقد كانت بعض هذه العمليات بادية للعيان وكان بعضها الاخر يجري التحضير له بشكل سري . وحول هذه النشاطات السرية وصلت الى حركة المقاومة معلومات كشف النقاب عنها المتحدث الرسمي باسم منظمة التحرير يوم ١٦ اذار حين حذر من اعتزام المخابرات الاسرائيلية والاميركية والاردنية القيام بعمليات تخريبية على اكثر من أرض عربية وصديقة ، والصاقها بالمنظمات الفلسطينية ،

للضغط على بعض الانظمة العربية ، للاحتكاك بالثورة وضربها . ولم تكد تمضي على هذا التصريح سوى ايام قليلة حتى قام بعض المسلحين المجهولين بالهجوم يوم ٢١ اذار على مخفر للجيش اللبناني في قضاء راشيا . وقتل في هذا الهجوم جنديان لبنانيان وجرح ثالث . وترك المهاجمون في مكان الحادث بندقية كلاشينكوف مكتوب عليها « أبو كفاح ــ الجبهة الشعبية ــ القيادة العامة » . وكان من الواضح منذ البداية ان الحادث مفتعل ، وان القصد منه هو اثارة المشاكل بين المقاومة والجيش اللبناني ، وان البندقية تركت عن عمد لزج اسم فصيل فدائي ، والادعاء أنه مسؤول عن الحادث . وقد تولى الكفاح المسلح الفلسطيني بالتعاون مع الجيش اللبناني التحقيق بصورة مشتركة ، وقال مسؤول الكفاح المسلح « نستنكر الحادث الذي هو عمل جماعة غوغائية قصدها الايقاع بين الجيش والمقاومة . ثم أدلى السيد أحمد جبريل الامين العام للجبهة الشعبية ــ القيادة العامة ، بتصريح جاء فيه « ابلغنا الاخوة في قيادة الجيش اللبناني اننا على استعداد للتعاون معهم من اجل الكشف عن المجرمين الذين حاولوا زج اسمنا في اقذر عمل استهدف علاقاتنا مع الجيش اللبناني ... نعلن استنكارنا للحادث وللاساليب الدنيئة هذه » . كذلك أصدرت القيادة العامة لقوات الثورة بيانا مماثلا قالت فيه انها « تستنكر بشدة هذا العمل الاجرامي ، وتضع كل امكاناتها ... للقبض على الجناة » . ونتيجة لهذه المواقف الصريحة ، فشل الحادث في ان يؤدي الى الغاية المقصودة منه ، ولم تظهر اية بوادر للتوتر بين الجيش والمقاومة ، بينما تأكد للمقاومة ان مخطط التخريب على علاقاتها مع السلطة اللبنانية سيستمر .

وفي يوم السابع من نيسان تعرض شفيق الحوت مدير مكتب منظمة التحرير في بيروت الى حادث اعتداء على حياته ، وذلك حين رميت على شرفة مكتبه في جريدة المحرر قنبلة احدثت اضرارا في المكتب ، بينما كان هو قد خرج منه . وهذه هي المرة الثالثة التي يتعرض فيها شفيق الحوت لمحاولة اغتيال . المرة الاولى كانت حين اطلق اشخاص النار عليه ، وفي المرة الثانية حين قصف مكتب المنظمة بالصواريخ من عمارة مقابلة . ومن المؤكد ان هذا الحادث الجديد قد جاء ضمن سياق عمليات التخريب التي حذرت منظمة التحرير السلطات اللبنانية منها في وقت مبكر .

أما عمليات الضغط والتهديد الاسرائيلية التي كانت بادية للعيان فقد عبر عنها اولا المسؤولون اللبنانيون أنفسهم ، وذلك حين اصدرت وزارة الخارجية اللبنانية يوم ١٦ اذار تحذيرا من عدوان اسرائيلي محتمل على لبنان . قام على اثره السيد جميل كبي وزير الداخلية بالوكالة ، بالاجتماع مع الرئيس سليمان فرنجية حيث اطلعه على حجم التواجد الفدائي في مناطق الحدود الجنوبية ، بينما اعلنت (وفا) ان اسرائيل بدأت حشد قوات كبيرة في المنطقة . وقد كان ملفتا للنظر بعد ذلك ان السيد البير مخيبر ، رئيس الوزراء بالوكالة ، اصدر نفيا لانباء الحشود الاسرائيلية عند مناطق الجنوب (١٧ اذار) . وكما هي العادة لدى التحضير لاي اعتداء اعلنت اسرائيل انها اكتشفت الغاما في منطقة الجليل يوم ٢٤ اذار ، وبعد ذلك بأيام اقتربت زوارق اسرائيلية من مدينة صور في المنطقة المواجهة لمخيم الرشيدية (٢٨ اذار) .

وبحصيلة هذه الحوادث ، توفرت القناعة الاسرائيلية بان تهيئة الجو المضاد للبنان قد تمت ، وحالة التوتر الداخلي بين المقاومة والنظام قد غذيت بحادثي الهجوم على المخفر والقنبلة على جريدة المحرر . فنفذت فجر يوم التاسع من نيسان عدوانها الواسع على مدينة بيروت الذي اغتيل فيه القادة الثلاثة .

بلال الحسن

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

١ ــ غارة قوات الاحتلال على بيروت وضواحيها :

هددت دولة الاحتلال الصهيوني مرات ، ثم نفذت : وما نفذته هذه المرة لم يكن هجوما بريا او بحريا او جويا ، ولم يكن هجوما على قاعدة او معسكر او مكتب فقط . لقد كان غارة من نوع جديد ، على بيوت القيادات ايضا ؟

انها فعلا غارة من نوع جديد . وهي تدل على ان دولة الاحتلال ، قد قررت توسيع نطاق عملياتها ، وتصعيد عمليات العنف تصعيدا لا سابق له . انه الهجوم الشامل الذي تحدث عنه قادة دولة الاحتلال كثيرا ، والذي تريد منه ان يكون رادعا وقاضيا . فما الذي حدا بدولة الاحتلال الى تصعيد حملتها التصفوية الدموية الشرسة ؟

ان هنالك عدة اسباب ، أهمها ما يلي :

اولا : تريد دولة الاحتلال ان توجه ضربات قاصمة للثورة وقد جربت ضرب المعسكرات والقواعد ، فوجدت انها لا تجدي فتيلا . وما دام هنالك قيادات تعبىء وتنظم وتكون كوادر وتعد الخطط فان الثورة تستمر مهما كانت الخسائر في الارواح . ولذلك ، كان لا بد من ان توجه الضربات الى الكوادر والقيادات . وكما يقول المثل الشعبي ، « الضربة في الرأس بتوجع » . استراتيجية العدو اصبحت الان اذن ان يضرب في كل مكان ، وان يركز على الرأس ، على مركز الاعصاب ، وهو يأمل ان يهز الثورة بمثل هذه الضربات ، وان يقودها الى حتفها .

ثانيا : يريد العدو ان يقنع « مواطنيه » ان حياة الرعب التي فرضتها الثورة لن تدوم طويلا ، وان سلطات الاحتلال قادرة على ان ترد الصاع صاعات ، وعلى ان تقتل زعماء منظمات «الارهاب» في بيوتهم . وانها لذلك قادرة على ان تصفي ما تسميه منظمات التخريب .

ثالثا : ويريد العدو ان يقدم « لمواطنيه » الذين سيحتفلون قريبا بالذكرى الخامسة والعشرين لقيام دولة الاحتلال الصهيوني هدية كبرى في هذه المناسبة ، هي رؤوس ثلاثة من قادة الثورة ، لكي يشحنهم بمزيد من الثقة بقوة جيشهم ولكي يضمن مزيدا من التأييد لسياسة العدوان والاضطهاد والقمع .

رابعا : ويريد العدو ان يثبت للولايات المتحدة ، وللدوائر الامبريالية العالمية ، انه قادر على ان يفعل ما يريد في المنطقة ، وانه بالتالي اهل للاعتماد عليه في المعركة التي تقوم بين الامة العربية من جهة والامبريالية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية من جهة اخرى .

خامسا : ويريد العدو ان يرد على بعض عمليات الثورة ، وعمليات ايلول الاسود ، ويظهر للعالم انه وحده القادر على توجيه ضربات «للارهاب» . ولذلك ذكر دايفيد اليعازر عملية الخرطوم على رأس العمليات التي قال بأن عملية بيروت انتقام لها .

سادسا : ويريد العدو ان يساهم مساهمة فعالة في تصفية الارادة الفلسطينية ، لانها ارادة القتال التي تحرك المنطقة وتهزها ، ولانها بالتالي عامل عدم الاستقرار في منطقة المصالح الاميركية الكبرى.

سابعا : ويريد العدو ايضا تصعيد حملته ضد لبنان من اجل خلق اشكالات في لبنان تدفعه الى الدخول في صراع مع الثورة الفلسطينية . ان العدو يريد ان يدفع لبنان الى ما دفع اليه الاردن، وهذا ما يكرره قادة العدو مرارا وتكرارا . المطلوب اذن ليس الاغارة على قاعدة او معسكر فحسب ، وليس قتل رجل او ثلاثة فقط ، بل دفع لبنان الى مجزرة تصفى فيها ارادة القتال بأيد عربية .

ولقد نجح العدو في الوصول الى اهدافه ، وضربها ، والعودة الى مواقعه برجاله وجرحاه وقتلاه وبوثائق ايضا . ولم يجابه العدو الا بمقاومة دفاعية محدودة ، في بعض المواقع (الاوزاعي ، مكتب الديمقراطية) ولم يواجه اية مقاومة في مواقع اخرى (بيوت ابي يوسف وكمال ناصر وكمال عدوان) لان اثنين من رجال الحراسة صفيا مع بدء العملية ، واختفى ثالث ، ولم يكن هنالك غيرهم .

ولكن لماذا حدث ذلك ؟

لن اعالج الموضوع فلسطينيا ، ولكني سأعالجه عربيا . ولما كانت الحادثة قد وقعت في لبنان ، فمن الزاوية اللبنانية .

لقد كان الهجوم على بيروت وضواحيها ، ولكن السلطة لا تعتبر نفسها ذات علاقة ، لان الهجوم

ليس موجها اليها ، ولا الى حلفائها . والسلطة في لبنان لا تعتبر المقاومة حليفا . وقصة الرجل الذي سلم معلومات الى عملاء وكالة المخابرات المركزية الاميركية عن العمل الفدائي معروفة .. لقد القي القبض على الرجل واعترف . وعندئذ اطلقت سراحه المحكمة ، لانه لم يقدم معلومات عن لبنان او عن دولة صديقة . ونشرت الصحف قرار المحكمة وما زال الرجل يسرح ويمرح في بيروت . ومن ثم فان السلطة في لبنان لا تعتبر انها مطالبة بالتصدي لاي هجوم تقوم به قوات الاحتلال الصهيوني على مواقع المقاومة ومراكزها وقياداتها . ولقد حدث في البداوي ونهر البارد ما حدث في بيروت .

وبالطبع فان السلطات في لبنان تستطيع التدخل لو ارادت . ذلك ان العمليات الخمس التي حدثت كانت كلها على مقربة من مواقع للجيش او الدرك. ففي الاوزاعي وقعت العملية على مرمى حجر من حراسات المطار ، وفي فردان لم تكن بيوت القادة أبعد عن ثكنة الدرك السيار . هذا بالاضافة الى ان قوى الامن كانت مستنفرة في تلك الليلة ، وكانت موجودة في كل مكان من بيروت . وكانت تستطيع الوصول خلال خمس دقائق من عدة مواقع لو كانت حريصة على الوصول .

الا ان السلطة ليست حريصة على ذلك ، ولا تعتبر ان هذه مهمتها . وهذه حقيقة يجب ان نبدأ منها ، لاننا ان لم نبدأ منها ارتكبنا خطأ كبيرا .

واذا كانت السلطة قد اتفقت مع الثورة على ان تدافع الثورة عن المخيمات لتدافع السلطة عن بقية لبنان ، فان هذا لا يعني شيئا امام واقع السلطة ، وأمام مواقفها الحقيقية . ان السلطة لا تعتبر نفسها حليفة او صديقة . ولا ترى انها مضطرة للدفاع عن قوى غيرها .

وتتعلل السلطة دائما بأنها لم تستطع التدخل ، لانها ظنت ان الصدام صدام بين الفدائيين أنفسهم، او لان قوات الامن لم تستطع الوصول في الوقت المناسب . وهذه الاعذار الواهية غير مقنعة ، وواضح انها تستخدم للتبرير والتغطية ، لا لاي شيء اخر .

اذا كان هذا موقف السلطة ، فان موقف القطاعات الواسعة من الجماهير مختلف . وبيان الذين يؤيدون الثورة او لا يؤيدونها ، فهم جميعا يحسون بالاذلال والمهانة عندما تغزو قوات العدو ارض الوطن ، فلا ترد عليها القوات المسلحة اللبنانية .

ولذلك كانت مظاهرة تشييع الشهداء مظاهرة لم يشهد لبنان لها مثيلا .

واذا كان ليس مطلوبا من المقاومة ان تقطع الشعرة مع السلطة ، فانه مطلوب منها ان تهتم بأمر هذه الجماهير ، والمؤيدة منها خصوصا ، وان تبدأ مع هذه الجماهير مرحلة اعداد مدروس لمقاومة الاعتداءات المقبلة .

فاذا ما بقيت الجماهير اللبنانية ، كما هي الان ، كانت القوى المضادة (الولايات المتحدة الاميركية ، دولة الاحتلال الصهيوني ، العملاء) قادرة على ان تحسم في موضوع المقاومة في لبنان ، كما حسمت فيه في الاردن وان تم ذلك بالاسلوب المناسب .

واذا ما بقيت الجبهات العربية الاخرى صامتة توجه كل زخم قوات العدو الى لبنان ، لاجباره على الاستسلام . ولن يطول هذا كثيرا اذا ظلت الامور كما هي : اي اذا لم تهتم الجماهير اللبنانية بتنظيم نفسها واعداد قواها للقتال ، واذا ظلت الجبهات العربية صامتة . ان تغيير اي عامل من هذه العوامل يزيد من القدرة على الصمود والاستمرار .

٢ — ردود الفعل العربية على الغارة :

حركت الغارة في كل البلاد العربية تعاطفا واسعا مع الثورة ، كما استثارت استنكارا شديدا للجريمة . وكان هذا التعاطف وهذا الاستنكار عامين ، بحيث لم يشملا الاوساط المؤيدة للثورة فحسب .

ولقد اثار الانتباه في بيروت ان رجالات مثل الشيخ بيير الجميل وريمون اده قد شاركوا في المسيرة التي انطلقت من المسجد العمري والكنيسة الانجيلية الى مقبرة الشهداء . كما اثار الانتباه العدد الكبير من رجال الدين المسيحيين ، ومن مختلف المراتب، الذين حضروا مراسيم جنازة الشهيد كمال ناصر في الكنيسة الانجيلية .

وكانت المظاهرة الكبرى التي ضمت اكثرية من اللبنانيين خير دليل على هذا التعاطف وهذا الاستنكار . ومما اثار الانتباه خلال المظاهرة ان الذين كانوا على الشرفات كان قسم منهم مشاركا في المظاهرة ، كما لو كان في وسطها . وكانت هتافاتهم ذات طابع سياسي معبر .

ولوحظ ايضا ان هتافات المشاركين في المظاهرة كانت تركز على ثلاث قضايا : الاولى : ادانة موقف لبنان الرسمي من الاعتداءات التي تقوم بها قوات

الاحتلال . الثانية : تأييد المقاومة الفلسطينية . الثالثة : المطالبة بالقتال ضد العدو ، وتأكيد ان « الكل فدائية » ، و « كلنا فدائية » كانت تتردد في كل الحلقات على طول المسيرة ، من ساحة البرلمان الى مقبرة الشهداء .

ولقد استقالت الوزارة اللبنانية ، يوم حدوث الغارة . ومع ان رئيس الوزراء لم يذكر في كتاب استقالته اسباب الاستقالة ، الا انه كان واضحا انه استقال بالمناسبة . وقد اكد ذلك حين اعلن استقالته بنفسه قائلا : « ان العدوان الغادر الاثيم الذي وقع صبيحة هذا اليوم على لبنان كانموضوع المداولة ، وبنتيجة اجتماعاتنا مع زملائي الكرام ، رأيت من المصلحة ان اتقدم باستقالتي لفخامة رئيس الجمهورية . وهكذا كان ... » .

وفسرت الصحف الاستقالة بانها نتيجة سوء تفاهم بين رئيس الوزراء وقائد الجيش (العمل ٤/١١/ ٧٣) اما قادة الحركة الوطنية فقد فسروها بأنها ضربة ذكية من صائب . ذلك انه يواجه مصاعب جمة في الداخل ، وكانت الغارة ستزيد هذه المصاعب تفاقما . ولذلك آثر صائب الاستقالة ، ليكسب بعض العطف الشعبي ، وليظهر بمظهر غير المسؤول عما حدث .

وتقول (العمل ٤/١١) ان صائب سلام اجتمع مع الرئيس فرنجية في الساعة ١٠ صباحا ، واطلعه على رأيه فيما حصل ، وان الحديث « توقف عند « سوء تفاهم » حصل بين رئيس الحكومة وقائد الجيش ، اثناء عملية « الكوماندوس » الاسرائيلي. الا ان فكرة الاستقالة لم تكن واردة » . ولكن الوضع تغير بعد الظهر بعد « ان وصلت الى القصر انباء تفيد ان تظاهرات طلابية وغير طلابية قد نزلت الى العاصمة ، وان الياقطات والهتافات التي تطلقها تحمل رئيس الحكومة المسؤولية وتتهمه « بالتواطؤ » ... وفهم ان هناك اتجاها لاستغلال ما حدث على الصعيد السياسي ... » . وهذا يعني ان صائبا استقال ليحرم معارضيه من الهجوم عليه بتهمة « التواطؤ » ومن استغلال الغارة لمزيد من التشهير به وبحكمه .

ومن المحتمل ان يعود صائب ، بعد ان امتص جزء من النقمة ، عن طريق تكليفه برلمانيا مرة اخرى ، او عن طريق تحقيق بعض شروطه (يبدو انه لن يعود فقد كلف غيره) . ولكن عودته او عدم عودته لا يغير من الامر شيئا . ان ما يغير في الامر تبدل موقف السلطة نحو المقاومة ايجابيا . وهذا التبدل ليس في يد رئيس الوزراء ، مع انه احد الاركان ، انه في يد رئيس الجمهورية وقائد الجيش والبرلمان على صعيد السلطة . وليس هنالك ما يدل على ان امكانية تبدل موجودة الان. ذلك ان اي موقع من هذه المواقع غير قابل للتغيير قريبا . حتى والجماهير العريضة تبدي مثل السخط الذي ابدته يوم ٧٣/٤/١٢ في مسيرتها .

وهذا لا يعني ان تغيير رئيس الوزراء لا يعني شيئا ، ولكنه لا يعني حتما تغيير موقف السلطة نحو الافضل تغييرا جديا .

ولذلك فان استقالة الوزارة ، بالمناسبة ، لا يعني شيئا في الواقع . وليس من مستوى الحدث . وليس هذا غريبا ، لقد حدث اكبر منه واعظم ولم يتحرك ساكن من السواكن في هذا الوطن العربي الكبير ، ذي التاريخ المجيد .

ولقد بادرت القوى الوطنية اللبنانية فحملت السلطة مسؤولية ما حدث ، وزادت من حدة حملتها على النظام ومواقفه . وكان جنبلاط واضحا وعنيفا في خطابه الذي كان مقررا أن يلقيه في المسيرة (الشعب٤/١٤/٧٣)كماكان واضحا فيندوتهالصحفية. اما اليمين فقد ابدى تعاطفه مع الثورة ، ولكنه اكد ان لبنان لا يستطيع ان يتحمل عبء الثورة وحده . قالت العمل : « ماذا يعني استشهاد محمد النجار وكمال ناصر وكمال عدوان وغيرهم ، سوى انه الدليل الذي لا يرد على ان لبنان ، الوطن الصغير الذي ما ضاق يوما بوجود الفلسطينيين تحت سمائه ، لا يستطيع ان يكون مساحة الثورة الفلسطينية الوحيدة ودرعها الوحيد في وجه الانتقامات الاسرائيلية » (العمل ٧٣/٤/١٣) . وطرحت « الحياة » نفس الفكرة ، وطالبت ، بأن يحظى قادة العمل الفلسطيني « من حكومات المواجهة العربية بمواقف ايجابية لا تقتصر على لبنان وحده ، بل ولا يجوز ان تعتمد لبنان كأساس، بل ان عليها ان تجد قواعد لا تشوبها الحساسيات ولا تعترضها ... في غير لبنان ايضا ، بل وفي غير لبنان اولا » (الحياة ٧٣/٤/١٢) وكانت الحياة قد شنت حملة على ما اسمته الانظمة الدكتاتورية في الوطن العربي .

وطالبت صدى لبنان (١٩٧٣/٤/١٣) بتوحيد الموقف العربي ، وتوحيد الموقف الفدائي لان « تصفية الاغتصاب الصهيوني ، لارض فلسطين يجب ان لا

يعلو عليها اي هدف او اي مطلب اخر . وعلى هذا ليس معقولا ان يظل التعاون والتعاضد مفقودا بين الجيوش العربية من جهة ، وبينها وبين فصائل المقاومة من جهة اخرى ، بل يجب ان تنتهي هذه الاسطورة . اسطورة عدم ثقة كل فريق بالفريق الاخر » .

وترى صدى لبنان ان البادرة الاولى على هذا الطريق قد بدرت « من الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية في برقيتيه اللتين بعث بهما لكل من الرئيس سليمان فرنجية والسيد ياسر عرفات ، حيث ركز كلامه على جمع الصفوف وحشد الطاقات العربية لاسترداد عزة العرب وكرامتهم ... » وتتبع الجريدة ما سلف وقدمته بهذه المناشدة : « ... فهل تتجاوب الضمائر المخلصة مع هذا النداء المخلص الذي صدر من مهد العروبة والاسلام ؟ وهل يكون الاعتداء على بيروت ، مهمازا يحرك الساكنين او ناقوسا يوقظ النائمين ؟! » . لقد كان رد الفعل في لبنان واسعا وعنيفا . اما في البلاد العربية فقد كان رد الفعل الشعبي واسعا وعميقا ، ولكنه لم يعبر عن نفسه ، كما عبر عن نفسه في لبنان .

ولقد اكتفت الانظمة بعقد الاجتماعات وارسال برقيات التعازي والوفود . (سنواصل متابعة ردود الفعل في العدد القادم) .

٣ — حملة « وقائية » من اجل السيطرة على النفط العربي :

ان الحملة التي حركتها اوساط اميركية اوروبية حول « ثروة العرب الخيالية » لا يجوز أن تمر دون دراسة معمقة . انها تحمل في ثناياها مخاطر كبيرة ، وتكشف عن معالم مرحلة جديدة في تعامل الامبريالية العالمية معنا ونظرتها الينا .

ولما كان مقال مجلة التايم (١٩٧٣/٤/٢) المقال الرئيسي الذي افتتحت به الحملة ، فلا بد من ان نلخص أهم ما جاء فيه . وما جاء فيه يمكن تلخيصه بما يلي :

١ — « ان استهلاك العالم من النفط سيزداد بنسبة ٨ ٪ سنويا ، واستهلاك الولايات المتحدة ، وهو ٤٠ ٪ من المجموع الكلي ، يزداد بنسبة ٨،٧ ٪ ».

٢ — « ان بلدان الشرق الاوسط المنتجة للنفط ، وكلها دول عربية ، ما عدا ايران ، تسيطر على ٦٠ ٪ من الاحتياطي المكتشف في العالم ، وهي تفاوض بمهارة متزايدة » .

٣ — « ان دخل (هذه الدول) الذي كان ٤،٢ بليون دولار سنويا ، قبل خمس سنوات مضت ، ارتفع الى أكثر من عشرة بلايين ، وقد يبلغ سنة ١٩٨٠ مبلغ ٤٠ بليون بسهولة » .

٤ — « اذا صرفت الدول العربية مجتمعة نصف العائدات (الاموال) فقط التي من المتوقع ان تحصل عليها من نفطها من الان الى سنة ١٩٨٥ ، فانه سيكون ما زال لديها قرابة ١٢٠ بليون دولار لم تمس — او مقدار كل الاحتياطي الرسمي في العالم من الذهب والعملات الصعبة اليوم . وهذا كاف لشراء كل أسهم شركات النفط العالمية » .

٥ — « ولاعتبارات عديدة فان عصر الثروة العربية ، والقوة العربية ، قد جاء لتوه » .

٦ — « وكانت أموال النفط عاملا رئيسيا في الازمة المالية التي قادت الى التخفيض الثاني لقيمة الدولار في الشهر الماضي » .

٧ — « ومهما كانت القضية فان رجال البنوك العالميين يشعرون بقلق عميق حول ما سيكون من آثار لقوة العرب المالية المتنامية في السنوات الخمس القادمة . انهم يشعرون ان عقد الاجتماعات في باريس حول مستقبل العملات دون اشتمال العرب أمر خيالي غريب » .

٨ — « ان ثروتهم (العرب) النفطية هي في عملية تغيير لتاريخهم ، جالبة لهم قوة لم يعرفوها منذ الحروب الصليبية — قوة يمكن ان تستخدم للتطور السلمي أو للعنف والانتقام » .

٩ — « ويقال بأن الرئيس نيكسون مقتنع ، على كل حال ، بأن على الولايات المتحدة الا تسمح لنفسها بأن تصبح معتمدة الى هذا الحد على منطقة كتلك بعيدة وغير مستقرة » .

١٠ — « ان العامل الجديد الاكثر أهمية في العالم العربي — بالنسبة للعرب وبالنسبة للاسرائيليين ولكل الامم الصناعية — هو الثورة التي انجزها النفط ، ولكن التغييرات السياسية التي ستصاحب هذه الظاهرة بالضبط لا يمكن التنبؤ بها ، مع ان ارنولد تنجر يعتقد انه كلما استخدمت الدول الحدودية المزدحمة بالسكان ، مثل مصر ، الوسائل الممكنة — بما في ذلك قلب الانظمة المحافظة الغنية بالنفط ، لتتأكد ان نصيبا واقرا من عائدات النفط قد « صرف » في النضال ضد اسرائيل . « انهم

سيحاولون » ، يقول تنجر ، « ان يطوروا سياسة نفطية مصممة لعقاب اصدقاء اسرائيل ولمنفعة اصدقاء العرب ، الذين في هذه الحالة سيشملون بالتأكيد معظم العالم الشيوعي أو كله».

١١ — « وهنالك خلاف واسع حول ما اذا كان العرب يستطيعون معاقبة القوى الغربية بفعالية . ولكنه واضح ان الثورة في النفط، بينما هي تستطيع أن تزود الامم العربية بفائوس علاء الدين من الثروات للتطور ، يمكن ان تزيد حالة التبدل في منطقة غير مستقرة تاريخيا » .

ويبدو من هذا التلخيص الموجز ما تريده الامبريالية من هذه الحملة ، وما تريده يمكن أن يوجز بما يلي:

أولا : ضمان تدفق النفط العربي ، ضمن خطط الاحتكارات العالمية وسياساتها ، دون اشكالات معقدة ، وبأرخص الاسعار .

ثانيا : ضمان بقاء أموال النفط العربية ضمن سيطرة المؤسسات المالية الغربية ، حتى لا يتحول الى سلاح بأيدي العرب اقتصاديا وسياسيا .

ثالثا : ضمان عدم استخدام هذه القوة في الصراع ضد الامبريالية او ضد الاحتلال الصهيوني .

ومع أن الامور لا تستدعي مثل هذا الخوف اليوم ، فان هنالك ظواهر في الوطن العربي تخيف الاحتكارات ، وتجعلها تفكر بالمستقبل . وما تطرحه الصحافة الغربية اليوم هو دعوة للتفكير بالمستقبل والتخطيط له مع اخذ احتمالات الموقف بعين الاعتبار. ان ما يقوله المراقبون الامبرياليون اليوم هو الآتي: ماذا لو تحولت هذه الثروة الى قوة سياسية ؟ ماذا سيحصل لمصالحنا وماذا سيحصل للاحتلال الصهيوني ؟

وهم يثيرون هذه الزوبعة المبكرة ليستنهضوا كل عداء الدوائر الغربية ذات المصلحة ، وليدفعوا الاجهزة المتخصصة الى مزيد من « التخطيط » لمستقبلنا والتآمر عليه .

وليس بعيدا ان تكون دوائر الصهيونية العالمية مشاركة في هذه الحملة مشاركة فعالة . ذلك ان هذه الدوائر تهمها القضية من زاويتين : الاولى : زاوية مصالحها المالية والاحتكارية والثانية : زاوية تأثر الوجود الصهيوني في فلسطين بهذه السياسة (الحوادث ٤/١٣ ص ٢٣) ولكن هذا لا يمنع ان تكون الدوائر الامبريالية كلها ، مهتمة بالقضية لهذين السببين ، ذلك ان دولة الاحتلال الصهيوني ليست أداة بيد الدوائر الصهيونية العالمية وحدها انها أداة للامبريالية العالمية واحتكاراتها .

ان هذه الحملة نوع من « الهجمة الوقائية » . انها تريد ان تستبق الزمن ، وكما تفعل قوات الاحتلال الصهيوني بتوجيه ضربات ساحقة للدول العربية ، قبل أن تستعد ، كذلك تريد الدوائر الامبريالية والصهيونية ان توجه للعرب ضربة ساحقة ، تضرب الظواهر الجديدة في حياتهم ، وتربطهم بالسياسة الامبريالية العالمية الى حين .

وما دامت الولايات المتحدة لا تستطيع ان تعتمد على منطقة غير مستقرة ، فيجب أن تستقر المنطقة . وهذا يعني ١ — زيادة قوة دولة الاحتلال الصهيوني بزيادة مساندتها ماليا وعسكريا وسياسيا ، ٢ — ضرب القوى الوطنية العربية المتنامية واخضاع المنطقة كليا .

ولقد تناولت بعض الصحف العربية هذه القضية ، ونبهت الى خطورتها . وقد قالت الاخبار : « لم يكن البترول والسياسة متلازمين من قبل قط كتلازمهما في الوقت الراهن . فقد صرح مؤخرا الرئيس الاميركي ، نيكسون ، بأن البترول يحمل اكثر من كل السلع الاخرى مضمونا سياسيا » . وتحاول الاخبار ان تفسر ظاهرة الاهتمام بالمنطقة فتبين ان ظاهرة الاهتمام هذه لا تعود الى كون المنطقة « المصدر الرئيسي للطاقة بالنسبة للعالم الغربي ، وخاصة أوروبه الغربية » فحسب بل بسبب مردود استثمارات النفط أيضا . لقد بلغ المردود ٦٩،٥٪ سنة ١٩٦٩ و٧٩،٢٪ عام ١٩٧٠، بينما « بلغت هذه النسبة » في « صناعة التعدين والصهر في الاقطار النامية ، بنفس الفترة ١٩٠٥٪ و١٣،٥ ٪ على التوالي . وبلغت في الصناعات التحويلية في الاقطار الصناعية المتقدمة خلال نفس الفترة ١١،٢ ٪ و١٠،٢ ٪ على التوالي » .

وتستنتج الاخبار من هذا كله : « ... أن الصراع مع الامبريالية الاميركية مرشح الى الاحتدام والتفاقم ، وليس الى الهدوء كما تحاول ان توحي أبواق الرجعية والاستسلاميين على نطاق منطقة الشرق الاوسط كلها ، وليس في منطقة الخليج وحدها » (الاخبار اللبنانية ، ٧٣/٣/٣١) .

اما الصياد (١٢ — ٧٣/٤/١٩ ، العدد رقم ١٤٩١) فقد اعتبرت الحملة اشارة « الى ان شيئا ما يدبر ضد العرب » . وتضيف الصياد أن « من يتذكر

الطريقة التي كانت تكتب بها الصحف الغربية عشية تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ يجد ان هذه الصحف كانت يومذاك تتحدث ايضا عن القدرة غير المحدودة التي بدأ العرب يمتلكونها » .

وتتساءل الحوادث (٧٣/٤/١٣) بعد أن تنبه الى مخاطر الحملة وأهدافها : « فلماذا لا يقرر العرب، او على الاصح دول النفط العربية ، القيام بمشروع جبار لتطوير العالم العربي ككل ؟ لماذا لا يذهب المال العربي (بدلا من سرقته) لبناء العالم العربي والانسان العربي ؟ »

أما لماذا لا يتم ذلك فهو معروف : ان الدول العربية عموما ما زالت خاضعة للسياسات الامبريالية ، وما زالت لا تمثل ارادة جماهيرها وتطلعات هذه الجماهير نحو الوحدة والتقدم . ولهذا يجب ان تناضل الجماهير العربية وقواها الوطنية من أجل ان تصبح هذه الثروة الهائلة « ثروة للعرب » ، ومن اجل ان تخلق « ثورة » في حياة العرب . وعليها ان تناضل من اجل أن تصبح هذه الاموال أداة لمواجهة التخلف ولمواجهة دولة الاحتلال الصهيوني والامبريالية العالمية ، بقيادة الولايات المتحدة الاميركية . وعليها ، قبل ذلك ، ان تجعل النفط العربي نفطا عربيا ، وتخضعه للسيطرة العربية مادة وانتاجا وتسويقا .

٤ — الجبهة العربية المشاركة :

عقدت الامانة العامة للجبهة العربية المشاركة للثورة الفلسطينية اجتماعا طارئا يوم السبت ٧٣/٤/١٣ ، ناقشت فيه موضوع الغارة التي قامت بها قوات الاحتلال الصهيوني على لبنان ، والتي استشهد خلالها ثلاثة من قادة الثورة الفلسطينية . وكانت بادرة حيوية وفعالية ان تعقد الامانة العامة اجتماعا بهذه السرعة .

وكانت البادرة الاخرى المثيرة للانتباه ان معظم اعضاء الامانة العامة قد حضروا الاجتماع . وكان الحضور : كمال جنبلاط الامين العام ، جلول الملائكة عن جبهة التحرير الوطني الجزائري ، والدكتور محمد طلبة عويضة عن الاتحاد الاشتراكي العربي في مصر ، وعبد الخالق السامرائي عن حزب البعث العربي الاشتراكي (العراق) ومحمد حسن الصايب عن الاتحاد الاشتراكي العربي في ليبيا ، ومصطفى عبدالخالق عن الجبهة القومية في جمهورية اليمن الديمقراطية والدكتور أحمد الخطيب عن الحركة الوطنية في الكويت والخليج ، ومحمد عايش وهادي ناصيف عن الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ، وياسر عبد ربه وأبو لطف والدكتور عبد الوهاب الكيالي وأبو حاتم وصلاح صلاح وتوفيق صفدي عن منظمة التحرير، ونديم عبدالصمد ومحسن ابراهيم ورغيد الصلح وتوفيق سلطان ومحيي‌الدين أغا من الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية .

ناقش المجتمعون التقريرين المقدمين من ممثلي منظمة التحرير والحركة الوطنية اللبنانية . وجاء في البيان أن التقريرين كانا حول : « الاعتداء الاسرائيلي الاخير ومضاعفاته ، ومشاركة الولايات المتحدة مباشرة في الاعتداء واطلاقها التهديدات والتحديات الوقحة ضد الشعوب العربية ، وكذلك حول تغاضي السلطات اللبنانية واحجامها عن اتخاذ اي تدبير على الاطلاق للدفاع عن المقاومة في قلب العاصمة بيروت وتضييقها على المقاومة ومنعها من امكان الدفاع عن النفس » .

ولقد نوقشت هذه القضايا جميعا مناقشة مستفيضة واتخذت مجموعة من القرارات تنص على ما يلي :

١ — الدعم الكامل للمقاومة والحركة الوطنية اللبنانية .

٢ — المطالبة باطلاق حرية العمل الفدائي في مختلف الاقطار العربية ، وخصوصا دول المواجهة واتخاذ مواقف حازمة ضد الامبريالية الاميركية ومصالحها الاقتصادية والسياسية .

وما من شك في ان هذه القرارات « هامة » ولكن من يضعها موضع التنفيذ ؟ ان كثيرا من القوى الاعضاء في الجبهة العربية المشاركة أحزاب حاكمة ، ولديها امكانيات التنفيذ ، وبعضها الاخر يقود قوى وطنية وجماهير واسعة . اننا سننتظر لنرى ، ونأمل أن تعالج القوى المشاركة في الجبهة أزمة عجزها عن تحويل قراراتها الى ممارسات .
(هنالك قرارات اخرى للجبهة العربية المشاركة ، سنقدمها في العدد القادم) .

ناجي علوش

تقرير : الدورة الاخيرة لمجلس الجامعة العربية

عقد مجلس جامعة الدول العربية دورته التاسعة والخمسين ، التي ابتدأت في نهاية الشهر الماضي ، واستمرت المناقشات فيها مدة ثمانية ايام ثم اعتبرت الدورة مفتوحة حتى الان ، لكي تناقش بتمهل اقتراحات السيد محمود رياض الأمين العام للجامعة والخاصة بالتنظيم الجديد للجامعة .

وبين الموضوعات العديدة المدرجة على جدول اعمال الدورة كان ثمة موضوعان اهتمت بهما منظمة التحرير الفلسطينية بصفة خاصة :

الموضوع الاول : يتعلق بالموقف من سياسة الجسور المفتوحة . لقد أثير هذا الموضوع قبل ذلك، وشكلت الامانة العامة للجامعة ، بناء على توصية الدورة السابقة ، لجنة درست الموضوع من جوانبه المختلفة ، ثم قدمت مذكرة وافية للدورة الاخيرة .

وقد تضمنت المذكرة ، التي نوقشت مليا في كل من اللجنة السياسية واللجنة الاقتصادية ثم في مجلس الجامعة ، تضمنت وجهات نظر منظمة التحرير الفلسطينية ، والحكومة الاردنية ، والمركز الرئيسي لقاطعة اسرائيل . كما تضمنت وجهة نظر احد خبراء القانون الدولي .

وبالطبع دافعت الحكومة الاردنية عن سياستها ووصلت الى حد وصف فتح الجسور بأنه مهمة وطنية . وتستند الحكومة الاردنية في موقفها الى ما تسميه هي بالاعتبارات الاقتصادية ، وبضرورة المساعدة على تصريف انتاج الضفة الغربية وقطاع غزة . بينما تلتزم الصمت فيما يختص بحركة السفر الهائلة بين الضفتين ، وتقدم وعودا غامضة باجراءات ستتخذ للتخفيف منها .

اما وجهة نظر المقاطعة ، فتتلخص ، كما صرح بذلك السيد محمد محجوب المفوض العام للمقاطعة ، في ان « استمرار فتح الجسور يعني انهاء المقاطعة عمليا » وقد أوضحت الوثائق التي استند اليها المفوض العام للمقاطعة ان الجسور اصبحت نافذة يتسرب منها راس المال الاسرائيلي الى البلاد العربية بأشكال متعددة . وطالب على ضوء ذلك باغلاق الجسور .

وأيدت منظمة التحرير المفوض العام ، وأوضحت ، من الناحية السياسية ، ان بقاء الجسور مفتوحة هو جزء من سياسة تستهدف تكريس واقع الاحتلال وجعله مقبولا ، كما تستهدف خلق الاساس المادي للتعايش مع العدو الذي يحتل وطننا .

وبين وفد المنظمة ان التذرع بالحجج الاقتصادية مردود ، وان بالامكان في حالة اغلاق الجسور ان نجعل هذا الانتاج مشكلة للعدو وليس وسيلة يستغلها لتصريف انتاجه هو كما يحدث الان .

وكان مؤتمر تنشيط التجارة الخارجية العربية الذي انعقد في ظل الجامعة قد اوضح بدوره ان ضرر فتح الجسور يفوق كثيرا نفعه واوصى باغلاقها .

وفي ختام مناقشات الدورة لهذا الموضوع أكد مجلس الجامعة وجهة نظر المقاطعة ، وتبنى وجهة نظر مؤتمر تنشيط التجارة الخارجية العربية ، وصوت المجلس باجماع الاصوات (عدا الاردن) على توصية تدعو لاغلاق الجسور ولحث الدول العربية على وضع سياسة اكثر فعالية لدعم صمود سكان المناطق المحتلة .

الموضوع الثاني : يتعلق بانشاء الصندوق الخاص بالشهداء الفلسطينيين . وكان مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، الذي سبق الدورة الاخيرة ، قد أقر انشاء صندوق للشهداء الفلسطينيين تموله الدول العربية ، وشكل لجنة ثلاثية (من الامانة العامة لجامعة الدول العربية ومنظمة التحرير والعراق) مهمتها دراسة الموضوع دراسة تفصيلية واقرار نظام تمويل وعمل الصندوق ، على ان تقدم اللجنة نتائج عملها لاقرارها في الدورة العادية التاسعة والخمسين . وقد قامت اللجنة بمهمتها بالفعل ، فاتصلت بالجهات الفلسطينية المختصة وتلقت البيانات الوافية الخاصة بعدد الشهداء واحتياجات الصرف على أسرهم .

وقدرت اللجنة استنادا للبيانات المدققة التي تلقتها أن الصندوق بحاجة الى انفاق مليونين ونصف مليون استرليني سنويا ، وهذا مبلغ قابل للزيادة مع تزايد عدد الشهداء .

وأوصت اللجنة بأن تقوم الدول العربية الاعضاء في الجامعة بتمويل هذا الصندوق ، على ان تدفع كل دولة جزءا من المبلغ المطلوب يتناسب مع نسبة مساهمتها في ميزانية الجامعة .

وقدمت اللجنة الثلاثية للدورة التاسعة والخمسين

مشروع نظام عمل الصندوق ، بحيث يصبح الصندوق هيئة لها اعتبار خاص ترتبط بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ويتولى ضابط اتصال (يعين لهذا الغرض) تنظيم العلاقة بين الصندوق وبين جامعة الدول العربية فيما يتعلق بالتمويل ، وبحيث تتلقى الجامعة العربية تقريرا سنويا عن نشاط الصندوق وصرفياته .

وقد عرض مشروع النظام هذا امام اللجنة السياسية ، فأثير أول اعتراض ضده وهو شكلي تماما . كان المعترض هو مندوب احدى الدول العربية (الذي يرئس اللجنة القانونية الدائمة في الجامعة ويعترض بهذه الصفة) وملخص اعتراضه ان المشروع لم يمر على لجنته قبل عرضه على الدورة ، وهذا مخالف للوائح !

وتوالت الاعتراضات بعد ذلك ، وكان واضحا انها كلها أشبه بالتنصل منها بالاعتراض ، وقد اضطر وفد منظمة التحرير الى التلويح بالانسحاب .

ثم تدخل السيد محمود رياض الامين العام للجامعة وأعاد وضع النقاش في اطاره الصحيح مؤكدا ان الاعتراضات الشكلية لا مبرر لها ، وان الامر أساسا يتعلق بالمبلغ المطلوب دفعه (٢٫٥ مليون استرليني) وبدل اللف والدوران حول الموضوع يتوجب على ممثل كل دولة أن يوضح ما اذا كانت دولته مستعدة للالتزام بدفع حصتها ام لا .

وفيما عدا ممثل العراق (الذي تبرعت دولته مسبقا بمبلغ مليون دولار) أوضح الجميع انهم بحاجة للعودة الى حكوماتهم لاخذ رأيها ، وهذا كما لاحظ الجانب الفلسطيني والسيد الامين العام ، أمر يدعو الى الاسف ، لان مثل هذه الاستشارة كان يجب ان تتم قبل انعقاد الدورة وفي الفترة التي أعقبت قرار مؤتمر وزراء الخارجية علما بانه ما من دولة تحفظت آنذاك على القرار عدا المملكة العربية السعودية التي فعلت ذلك لاسباب تتعلق بموقفها من تمويل منظمة التحرير ككل .

وبعد طلب الاستشارة اصبح واضحا ان النية تتجه لارجاء الموضوع الى الدورة المقبلة (تنعقد بعد ستة أشهر) وهنا تدخل الامين العام مرة اخرى وقال ان قرار انشاء الصندوق قد صدر فعلا والمسألة تتعلق بالالتزام المالي ويستطيع كل ممثل أن يعود لحكومته منذ الان .

وبما أن الدورة مفتوحة فانه سينتظر تلقي الاجوبة حتى نهاية شهر نيسان فاذا كانت كلها ايجابية يعتبر الموضوع منتهيا ، واذا لم تكن كذلك فانه سيدعو الى عقد جلسة في اطار هذه الدورة ذاتها لبحث الموضوع على ضوء اجابات الدول العربية . وبهذه المناسبة فمن المعروف ان هناك الان اكثر من جهة تتولى الصرف على أسر الشهداء ، وأبرز الجهات كلها : جمعية أسر الشهداء التي تلبي في حدود امكانياتها احتياجات أسر شهداء المنظمات الفدائية . والصندوق القومي الفلسطيني في منظمة التحرير الذي يتولى رعاية أسر شهداء جيش التحرير وقوات التحرير الشعبية .

وتعول منظمة التحرير الفلسطينية كثيرا على انشاء الصندوق الموحد ، وترى ان تولي الدول العربية تمويل الصندوق ، فضلا عن انه قيام بالحد الادنى من الواجب العربي وفاء لمن قدموا أرواحهم دفاعا عن حرية العرب وكرامتهم ، يقصد منه تأمين مورد ثابت في هذا المجال الذي لا يجوز العبث به بأي حال من الاحوال .

وانشاء الصندوق ، زيادة على هذا وذاك ، يعني قيام مؤسسة وطنية فلسطينية موحدة في سياق العمل الجاد لبناء مؤسسات الوحدة الوطنية الفلسطينية وفي وقت تشتد فيه الحاجة لمثل هذه المؤسسات .

مراسل شؤون فلسطينية

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

منذ فترة غير قصيرة والدبلوماسية الامريكية تعتمد في تعاملها مع الصراع العربي الاسرائيلي على الايحاء بشتى الطرق للحكومات العربية بأنها تنوي التحرك بصورة من الصور لاخراج أزمة الشرق الاوسط من المأزق الذي وصلت اليه، ولكن مع ابقاء هذا التحرك قيد الاعداد المستمر بحيث لا يتحقق ابدا ، في الوقت نفسه كان المسؤولون الامريكيون يطلقون تصريحات يفهم منها ان حكومتهم لا تنوي التحرك أصلا الا ضمن حدود اقناع مصر بضرورة التفاوض مع اسرائيل على اعادة فتح قناة السويس لا أكثر . على سبيل المثال أعلن وزير الخارجية الامريكي وليم روجرز في ١١ اذار انه تشجع كثيرا بالمحادثات التي اجراها اخيرا مع الملك حسين وحافظ اسماعيل وغولدا مائير لانهم راغبون في ان تبدأ المفاوضات حول التسوية السلمية ، وستبذل الحكومة الامريكية كل ما في وسعها لاطلاق هذه المفاوضات . من الواضح ان تصريح روجرز مدروس بحيث يوحي بأن محادثات امريكا مع الاطراف المعنية بالنزاع في الشرق الاوسط قد حققت تقدما ولكنه تقدم من النوع الذي لا يتعدى اطار البدء بالمفاوضات التي تطالب بها اسرائيل والتي لا يمكن لمصر ان تقبل بها ، بهذا الشكل السافر على أقل تعديل . كما أنه يحدد دور الولايات المتحدة على أنها مجرد الساعي الى جمع الطرفين للبدء بالمحادثات لا أكثر . الا ان المسألة الملفتة للانتباه ، بهذا الصدد ، هي انه بعد انتهاء واشنطن من استقبال ضيوفها الثلاثة من الشرق الاوسط ، وبعد مرور فترة زمنية مناسبة على اطلاق التصريحات اللبقة المعتادة اثناء الزيارات وبعدها مباشرة ، اخذت السياسة الامريكية تبتعد تدريجيا عن اسلوب الايحاء المذكور اعلاه وتتجه نحو الافصاح عن حقيقة مراميها ومواقفها من النزاع في منطقتنا ، والتي تتلخص بتزيد اسرائيل تفرض « السلام » الذي تريده على الدول العربية ، لذلك تركز الموقف الامريكي على مواضيع مثل ضرورة اجراء المفاوضات بين مصر واسرائيل ، واعادة فتح قناة السويس ، وعدم رغبة الاتحاد السوفياتي في الوصول الى حد المجابهة الخطرة مع امريكا بسبب النزاع في الشرق الاوسط ، وعدم رغبة الولايات المتحدة في الضغط على اسرائيل للقبول بحلول لا تريدها (مما يعني اطلاق يد اسرائيل للعمل على هواها في المنطقة).

ففي ٣ اذار أعلن سيسكو ان حكومة بلاده ابلغت مصر انها لا تستطيع ان تجعل اسرائيل تلتزم بالانسحاب الكامل من الاراضي المصرية قبل البدء بالمفاوضات حول اتفاق اعادة فتح قناة السويس. وبين أن اسرائيل وافقت على اجراء محادثات غير مباشرة للوصول الى مثل هذا الاتفاق ولكنها رفضت أية شروط مسبقة بشأنها . واستنتج ان الهوة بين موقف مصر واسرائيل واسعة ولا يمكن ردمها في المستقبل القريب . كما أوضح سيسكو ان زيارة الرئيس نيكسون لموسكو قد أسفرت عن تعهد من قبل الجانبين بتجنب أية مواجهة بينهما مهما توتر الوضع في الشرق الاوسط .

في المقابلة التي اجرتها المجلة الاسبوعية الامريكية « نيوزويك » مع الرئيس السادات (٩ نيسان ١٩٧٣) تكشفت معالم هذا الموقف الامريكي بوضوح كامل ، كما تم شرحها لمستشار الرئيس المصري لشؤون الامن القومي ، حافظ اسماعيل ، اثناء زيارته الاخيرة لواشنطن حيث قابل الرئيس نيكسون وكبار المسؤولين الامريكيين . ومن اهم معالم هذا الموقف :

(أ) مطالبة مصر بتقديم تنازلات علنية اضافية لاسرائيل مثل الاعلان صراحة عن شرعية موقف اسرائيل وقضيتها ، والقبول بالتزامات من جانب واحد لصالح اسرائيل ، ونزع السلاح عن سيناء ، معادعا السادات الان يقول في المقابلة انه لو اجرى حافظ اسماعيل محادثاته مع غولدا مائير نفسها لتوصل الى نتائج أقل بدعاة المبيضرية ، مما توصل اليه مع نيكسون .

(ب) لم تمارس الولايات المتحدة ، وهي لن تمارس في المستقبل ، اي ضغط على اسرائيل من اجل حل الازمة على اساس يمكن ان تقبل بها الحكومات العربية .

(ج) لقد أصبح التطابق بين السياسة الامريكية والاسرائيلية في الشرق الاوسط كاملا سواء من حيث الاهداف أو الوسائل ، مما جعل السادات يقول في المقابلة ان حصيلة الاتصالات المزيفة بامريكا كانت « الفشل واليأس الكاملين » .

(د) لم تتقدم واشنطن بأي جواب على اعلان

الرئيس السادات بأنه يريد التوصل الى عقد اتفاقية سلام نهائية مع اسرائيل (على أساس تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢) .

(هـ) لا تعتزم الولايات المتحدة التقدم بأية مبادرة جديدة للسلام في المنطقة حتى بعد زيارة الزعيم السوفياتي ليونيد بريجنيف لواشنطن في شهر حزيران المقبل .

(و) الولايات المتحدة مقتنعة بأن الوضع القائم في الشرق الاوسط يخدم مصالحها وليس ثمة من داع يدعوها لان تضغط على اسرائيل لتغييره طالما ان الوجود السوفياتي في مصر قد انتهى وعلاقاتها مع الدول النفطية في الخليج وثيقة جدا وممتازة ، ولا توجد أية قوى فعالة تهدد الاستقرار الامبريالي في المنطقة . على سبيل المثال : (١) يعتبر السناتور جاكسون (الذي قاد حملة ناجحة للضغط على الاتحاد السوفياتي من أجل تسهيل هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل) ان اسرائيل تشكل جبهة امامية للغرب في محاربة « التخريب الشيوعي » في المنطقة وفي منع « التسلل السوفياتي » اليها (صحيفة « اللوموند » ، ٢١ اذار ١٩٧٣) . (٢) وصلت المصالح الاحتكارية البترولية الكبرى في امريكا الى قناعة بأن اسرائيل في وضعها الحالي تشكل عامل استقرار أساسيا في الشرق الاوسط ، في حين كانت هذه المصالح تتخوف في السابق من الصراع العربي الاسرائيلي بسبب تاثيراته السلبية الممكنة على الانظمة البترولية الرجعية : أي نجحت هذه الاحتكارات أخيرا في الجمع بين ولاء الانظمة البترولية لها وبين فرض الاستقرار على المنطقة (أي ضرب حركة التحرر العربي) من خلال القوة الاسرائيلية المتعاظمة باستمرار . (٣) بين احد المسؤولين الكبار في وزارة الخارجية الامريكية ان اسرائيل هي الحليف الافضل لامريكا ، في العالم ، افضل حتى من فيتنام الجنوبية لانها « أنقذت عرش الملك حسين اكثر من مرة ، وزودت سلطات الحبشة بالمعونات العسكرية ضد الثورة في اريتريا ، وبنت جيشا من أفضل الجيوش في العالم موضوعا في خدمة استراتيجية امريكا في الشرق الاوسط » (المرجع السابق) . (٤) بامكان امريكا ان تنظر الى المستقبل في الشرق الاوسط بكثير من الاطمئنان خاصة بعد عودة علاقاتها الدبلوماسية مع الخرطوم وصنعاء والحد من فاعلية حركة المقاومة في لبنان وتقوية التيار المعادي للشيوعية والاتحاد السوفياتي وتدهور اوضاع الانظمة التقدمية في المنطقة .

(ز) ان عرض الرئيس السادات بالتنازل عن شرم الشيخ الى « المجتمع الدولي » او الى « الدول الخمس الكبرى » او الى « مجلس الامن » لم يترك أي اثر على توجهات السياسة الامريكية في المنطقة . بعبارة اخرى لقد استقرت السياسة الامريكية في الشرق الاوسط على الحفاظ على « الامر الواقع » الامبريالي من خلال الهيمنة المستمرة للقوة العسكرية الاسرائيلية ، مما يعني التراجع الكامل عن قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ومهمة يارينغ ومشروع روجرز (الذي أدى دوره المطلوب في ضرب حركة المقاومة في الاردن ووقف اطلاق النار على الجبهات العربية) ، وأية وساطة أخرى غير الوساطة الامريكية. واستقرار السياسة الامريكية على هذا الموقف يعني مجرد الانتظار الامبريالي من مواقع القوة الى ان تقرر الانظمة العربية تحت ضغط الظروف التي تعيشها التكييف كليا مع المخطط الامريكي الاسرائيلي للمنطقة .

ومن المفيد هنا الاشارة الى التصريح الذي ادلى به سيسكو في ٤ نيسان امام لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الامريكي (برئاسة السناتور وليم فولبرايت) حيث عرض استعداد بلاده لاستئناف العلاقات الدبلوماسية مع مصر في أي وقت وبدون أية شروط مسبقة ، وبيّن ان حكومته تنتظر تبدلا في موقف مصر (أي مزيدا من التنازلات انسجاما مع الموقف الامريكي) لكي تتبدل طبيعة العلاقات بين البلدين . كما أعرب عن تشاؤمه بالنسبة لاحتمالات ردم الهوة بين الموقف المصري والاسرائيلي في المستقبل المنظور ، وعاد لتأكيد فكرة المفاوضات من اجل الوصول الى اتفاق حول اعادة فتح قناة السويس . اما السناتور فولبرايت المتأثر جدا بالتفكير القديم لمصالح الاحتكارات النفطية القائل بضرورة اتباع سياسة امريكية متوازنة بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي خوفا على المصالح البترولية الامريكية وعلى الانظمة العربية الحامية لها ، فقد وجه النقد لسياسة بلاده الحالية بسبب تطابقها الكامل مع السياسة الاسرائيلية واشاد بضرورة العودة الى مشروع روجرز باعتباره يمثل السياسة الامريكية المتوازنة في الشرق الاوسط . ومن اجل تدعيم التفوق العسكري الاسرائيلي قررت الولايات المتحدة تزويد اسرائيل بـ ٢٤ طائرة فانتوم و ٢٤ طائرة سكاي

هوك اضافية وعدد من الطائرات الهجومية التي تفوق سرعتها سرعة الصوت ، هذا بالاضافة الى المعونات اللازمة لصنع طائرة سوبر ميراج في اسرائيل وهي مبنية على أساس تصاميم الميراج ٣ والميراج ٥ ومزودة بمحرك جنرال اليكتريك المستخدم في طائرات الفانتوم . وقد تم الاتفاق على هذه الصفقة أثناء زيارة غولدا مائير الاخيرة لواشنطن . ولم تصدر اية انباء بعد حول رد فعل الحكومة الامريكية ازاء طلب اسرائيل التزود « بالقنابل الذكية » (سمارت بومب) الموجهة بأشعة «الليزر» والتي استخدمتها القوات الامريكية في فيتنام في عمليات القصف الجوي الدقيق جدا . كما ستمنح الحكومة الامريكية للوكالة اليهودية ٤٩ مليون دولار من اجل اسكان اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل .

وعلى صعيد آخر ركزت السياسة الامريكية انتباهها بشكل علني وبارز في الفترة الاخيرة ، على موضوع البترول ومنطقة الخليج العربي والارصدة المالية العربية . وتكمن عدة عوامل وراء هذا التركيز أهمها : (أ) أزمة الطاقة التي أخذت تعاني منها الولايات المتحدة بصورة مباشرة ، على سبيل المثال أعلنت شركة تكساكو في أواخر شهر آذار — وهي أكبر شركة لبيع النفط بالمفرق — فرض نظام التقنين في عدد من محطات المحروقات التابعة لها ، كما أعلنت شركات أخرى اتخاذ خطوات مشابهة في كاليفورنيا وفي ولايات الساحل الشرقي من البلاد . ولم تعرف أمريكا نظام التقنين بالنسبة للمحروقات السائلة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية . (ب) شعور الدول الرأسمالية الصناعية (أمريكا، اليابان ، أوروبا الغربية) بأنها مضطرة للاعتماد بشكل متزايد على البترول العربي ومصادر الطاقة العربية وذلك لفترة طويلة في المستقبل ، بالاضافة الى تخوفها من تراكم كميات هائلة من العملات الصعبة في ايدي الدول العربية النفطية مما يعطيها سلاحا فعالا يمكن ان تستخدمه في يوم من الايام ، ومع نشوء الظروف المناسبة لخدمة القضايا العربية الوطنية والتحررية ولمقارعة السيطرة الامبريالية على المنطقة. وفي مواجهة هذا الوضع تتبع الولايات المتحدة في الوقت الحاضر سياسة قائمة أولا على الاستفادة المباشرة من مصادر الطاقة العربية كما في الصفقة التي عقدتها مع الجزائر لاقامة اكبر مشروع في العالم لانتاج الغاز الطبيعي السائل وتصديره الى الولايات المتحدة ، مما سيساعد على تخفيف حدة أزمة الطاقة التي اخذت بوادرها تؤثر في الحياة الامريكية اليومية . ثانيا ، العمل على نزع كل صفة سياسية ممكنة عن التعامل بالبترول ومشاكله عن طريق الاتفاق مع الدول البترولية على النظر الى النفط كسلعة تجارية محض لا صلة لها بالمشاكل السياسية للمنطقة . وواضح ان من أهداف اتفاقيات المشاركة التي تعقدها امريكا مع بعض الدول البترولية العربية تحييد النفط سياسيا وعزله عن بقية قضايا المنطقة واحكام السيطرة الامبريالية على مصادره والتعامل به وكأنه سلعة عادية يتم تبادلها بين بائع ومشتر لا أكثر . وقد عبر سيسكو مؤخرا عن هذا الاتجاه في التصريح الذي أدلى به في أواخر شهر آذار حيث قال : يجب ألا تتعرض المصالح المشتركة لمنتجي البترول ومستهلكيه لاية اخطار بسبب الخلافات القائمة او بسبب النزاع العربي الاسرائيلي . كما وجه الانتباه بصورة قوية باتجاه منطقة الخليج بتأكيده على اهميتها القصوى بالنسبة لامريكا . وقال ان الامريكيين تعودوا ألا يفكروا الا بالنزاع العربي الاسرائيلي عندما يوجهون انظارهم نحو الشرق الاوسط . أما الان فعليهم أن يفكروا جيدا بمنطقة الخليج . ولم يخف سيسكو ان حكومة بلاده كانت تفضل لو ان بريطانيا لم تسحب قواتها من الخليج عام ١٩٧١ لانها كانت تشكل عامل استقرار في المنطقة ، كما أعرب عن ارتياح بلاده لقيام دولة الامارات العربية المتحدة ودعا الى قيام تعاون اقليمي يرتكز حول ايران والمملكة العربية السعودية . والاتجاه نحو عزل الخليج عن المشاكل الوطنية والسياسية لبقية المنطقة العربية واضح من كلام سيسكو . ان تحييد النفط وتحويله الى سلعة تجارية محض من قبل الامبريالية والطبقات الحاكمة المحلية يعني ايضا وبالضرورة العزل السياسي للخليج عن محيطه العربي على النحو المذكور . ثالثا ، اتخاذ كافة الاجراءات الوقائية لمنع امكانية قيام أي وضع يسمح للدول العربية باستخدام البترول كسلاح في خدمة مصالحها الوطنية . وكان الجانب الظاهر ، في الفترة الاخيرة ، لهذا النوع من الاجراءات دعوة مستشار الرئيس نيكسون لشؤون النفط في ٢١ آذار لانشاء جبهة امريكية — اوروبية — يابانية مشتركة تقف في وجه الدول المنتجة للنفط وخاصة الدول العربية بينها . شن حملة اعلامية واسعة هدفها التهويل بالقوة العظيمة التي تملكها الدول العربية المعنية نتيجة وجود مخزون بترولي ضخم في

أراضيها ونتيجة امتلاكها لأرصدة مالية ضخمة (وتزداد ضخامة مع مرور الايام) قادرة على التأثير الحاسم على الاقتصاد الرأسمالي العالمي . وتريد هذه الحملة اظهار العرب بمظهر من يشكل خطرا كبيرا في المستقبل القريب على « العالم » بسبب حاجاته المتزايدة للبترول العربي ، وبسبب تأثير أرصدتهم على استقرار الاوضاع الاقتصادية والمالية الدولية ، والايحاء بأن العرب سيسيئون بالضرورة استخدام القوة الموضوعة بين ايديهم وسيستعملونها لغايات أنانية حتى لو كان ذلك يعني خراب «العالم» من حولهم . ان رسم مثل هذه الصورة عن العرب لا بد ان يكون مقدمة لاجراءات لاحقة هدفها وضع حد لقوة « هذه الفئة » التي تتهدد أمن « العالم » واستقراره. وواضح من هذه الحملة ان الامبريالية تحسب ألف حساب وتتخوف كثيرا من اليوم الذي تقوم فيه ظروف سياسية معينة في الوطن العربي تجعل من البترول والارصدة سلاحا استراتيجيا ماضيا في خدمة قضايا المنطقة الوطنية والتحررية والمعادية للامبريالية . عندئذ سيشكل « العرب » خطرا ليس على استقرار « العالم » واقتصادياته، بل على استقرار العالم الرأسمالي واقتصادياته الامبريالية بالتحديد .

أخذت هذه الحملة لارعاب « العالم » من قوة العرب الفائقة شكلا منظما ومنسقا ، فعلى سبيل المثال دعت امريكا لجنة الدول المجتمعة في امستردام لدراسة الازمة النقدية الاخيرة الى ايجاد صيغة لتفاهم امريكي — اوروبي — ياباني — هدفها ضمان استمرار تدفق النفط من الشرق الاوسط . ثم خرجت مجلة « تايم » الامريكية (٢ نيسان ١٩٧٣) وعلى غلافها صورة الرئيس الليبي معمر القذافي كمدخل لموضوعها الاساسي الذي يدور حول الأخطار الناجمة عن حاجة العالم للنفط العربي ، وعن الارصدة العربية وتأثيراتها الممكنة على الاوضاع النقدية والتجارية العالمية . وذهبت المجلة الى حد الكلام عن امكانية قيام امراء النفط العرب بشراء المشاريع الاقتصادية والصناعية الكبرى في امريكا نفسها ، وهولت بامكان سيطرة أموال الارصدة العربية على اقتصاديات الولايات المتحدة بطريقة مشابهة لسيطرة الرأسمال الامريكي على حياة أوروبا الاقتصادية . (التحدي العربي لامريكا في مقابل ما سمي بالتحدي الامريكي لاوروبا — على حد تعبير المجلة) . وفي اليوم التالي صدرت صحيفة « الواشنطن بوست » بافتتاحية تكلمت فيها عن الرئيس القذافي والبترول العربي في محاولة لخلق نفس الانطباع الذي عملت على نشره الصحف الاخرى عن العرب. وفي ٢٥ آذار نشرت «النيويورك تايمز » مقالا افتتاحيا بعنوان « الكنوز المرصودة في جزيرة العرب » خصصته ايضا للحديث التهويلي عن اهمية مخزون البترول العربي ، والارصدة العربية وتأثيراتها الممكنة على استقرار « العالم » واقتصاده . واعتبرت الصحيفة ان ضخامة هذه الارصدة تخلق مشكلة عالمية (أي يحق للجميع التدخل فيها) لانها تضر ضررا كبيرا بالعملات العالمية الرئيسية . واقترحت « النيويورك تايمز » ربط عائدات البترول بشروط تلزم الدول المنتجة على استثمارها مباشرة في المشاريع الامريكية ولكن بدون ان يؤدي ذلك الى اية سيطرة اجنبية على الصناعات الامريكية . كما دعت الى اتباع سياسة منسقة بين الدول المستهلكة للنفط لمواجهة الدول المنتجة . وفي الفترة نفسها نشرت صحيفة « الفايننشال تايمز » اللندنية مقالا مطولا عن الموضوع نفسه قالت فيه انه سيكون بمقدور المملكة العربية السعودية في اواخر السبعينات شراء شركات نفطية عالمية كبرى بمعدل شركة كل سنة . لكن على الرغم من هذه الحملة الواسعة لا توجد اية دلائل تشير الى ان البترول العربي او الارصدة العربية سيستخدمان في المستقبل المنظور كأسلحة لخدمة القضايا الوطنية وفي مقدمتها مواجهة توسع اسرائيل المستمر وسيطرتها المتزايدة على منطقتنا.

وتبينت النوايا الامريكية بالنسبة لهذا الموضوع بمزيد من الوضوح في منتصف شهر نيسان عندما أعلن مسؤول أمريكي في ندوة دراسية حول أزمة الطاقة بأن الولايات المتحدة قد تواجه قريبا ضرورة الاختيار بين القبول بتدابير مشددة للمحافظة على انتاج النفط المحلي وبين ارسال قوات الى الشرق الاوسط للسيطرة على حقول البترول هناك . وهذا اول تلميح امريكي علني شبه رسمي بأن الولايات المتحدة مستعدة للذهاب الى أقصى الحدود من اجل استمرار سيطرتها على مصادر الطاقة البترولية في منطقتنا .

● بالنسبة للاتحاد السوفياتي تحسنت علاقاته مع مصر في الفترة الاخيرة بعد الفتور الذي ساد علاقات البلدين منذ انهاء الوجود السوفياتي في مصر . وكان هذا واضحا في الاشارة التي جاءت في نهاية مقابلة الرئيس السادات مع مجلة «نيوزويك» حول موضوع السلاح حيث قال ان الاتحاد

السوفياتي يمد مصر الان بكل شيء يستطيع ان يمدها به ، وانه راض كل الرضى عن الوضع الراهن للعلاقات بين البلدين . واثناء زيارة كوسيغين الاخيرة لاسوج اكد في مؤتمر صحافي (٥ نيسان) ما اشار اليه السادات حول امداد مصر بما تحتاج اليه من السلاح والاعتدة وقطع الغيار عندما اجاب على سؤال حول الموضوع بقوله ان معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين ما زالت سارية المفعول وان القيادة السوفياتية تعتقد انه من حق مصر ان يكون عندها جيش قوي يستطيع الدفاع عن البلاد ضد العدوان وقادر على تحرير الاراضي المحتلة . وأكد كوسيجين من جديد الموقف السوفياتي القائل بأن اسرائيل يجب ان تبقى وان تنال ضمانات لوجودها واستقلالها ولكن بدون ان يعني ذلك تأييد عدوانها على اراضي الدول العربية لان مسألة العدوان هذه لا يمكن التساهل فيها . اما بالنسبة لامتناع الاتحاد السوفياتي عن اقامة علاقات دبلوماسية مع اسرائيل فقد قال كوسيجين ان اقامة مثل هذه العلاقات يعني ان ينظر الاتحاد السوفياتي بميزان واحد الى الدولة المعتدية والى ضحايا العدوان ، وهنا شدد على الاضطهاد القومي الواقع على الشعب الفلسطيني بسبب العدوان الاسرائيلي .

وتوفرت فرصة اخرى لمزيد من التوثيق في العلاقات العربية السوفياتية في الزيارة الرسمية التي قام بها صدام حسين ، نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقي ، في النصف الثاني من شهر اذار لموسكو حيث قابل ليونيد بريجنيف وكبار المسؤولين في العاصمة السوفياتية . وذكرت الانباء ان المحادثات بين الطرفين جرت في جو ودي وحار وتطرقت الى قضايا اساسية مثل تطوير العلاقات الثنائية على اساس معاهدة الصداقة والتعاون المعقودة بين البلدين ، ومشكلة الشرق الاوسط المستمرة بسبب استمرار العدوان الاسرائيلي والنشاط التخريبي الذي تقوم به الامبريالية والقوى الرجعية في المنطقة ، ورغبة العراق في الحصول على المزيد من الاسلحة السوفياتية للمحافظة على توازن القوى في الخليج العربي بعد صفقات الاسلحة المهمة التي تم الاتفاق عليها بين ايران وأمريكا . وقد ذكرت وكالات الانباء الغربية ان الاتحاد السوفياتي قابل مطلب العراق التزود بمزيد من السلاح ببعض التحفظ ، خاصة وان الشاه اكد لكوسيغين اثناء زيارته الاخيرة لطهران بأن ايران تؤيد سياسة الهدوء والاستقرار في منطقة الخليج . وعلى أثر الزيارة صدر بيان صحافي مشترك اكد من جديد انه لا يمكن احلال السلام في الشرق الاوسط بدون تحرير كل الاراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، وبدون استمرار الدعم لحركة المقاومة الفلسطينية كجزء عضوي من حركة التحرر الوطني العربية . كما اكد ضرورة توطيد التعاون العربي السوفياتي واحباط كل المحاولات الامبريالية والرجعية لنسف الصداقة العربية السوفياتية وتخريبها، بالاضافة الى تقوية تلاحم الدول العربية وتعبئة جميع طاقاتها لمكافحة الامبريالية والصهيونية والرجعية في المنطقة .

● لقد تعرض الاتحاد السوفياتي لحملة ضغط واسعة من الدوائر الامبريالية كي يتساهل في موضوع هجرة اليهود السوفيات الى اسرائيل ، وهي الهجرة التي يعتبرها الجانب العربي عموما والفلسطيني خاصة مضرة كثيرا بمصالحه الحيوية، والتي تتذرع بها القوى الرجعية العربية في تهجمها على الاتحاد السوفياتي وعلى علاقاته العربية . وكان اخر مظهر من مظاهر الضغط قيام السيناتور هنري جاكسون بعرقلة عملية الموافقة على الاتفاقية التجارية بين امريكا والاتحاد السوفياتي في مجلسي الشيوخ والنواب . وعمد جاكسون الى ادخال تعديل على الاتفاقية ، حظي بموافقة الاكثرية في المجلسين ، يمنع رئيس الجمهورية من تنفيذها « مع دولة تطبق قوانين هجرة غير عادية » . ومن الواضح ان المعني بهذا التشريع الضريبة التي يفرضها الاتحاد السوفياتي على المهاجرين من اراضيه (أي اليهود المهاجرين الى اسرائيل بصورة رئيسية) . وفي هذه الاثناء قام وزير الخزانة الامريكي ، جورج شولتز ، بزيارة لموسكو حيث قابل ليونيد بريجنيف لمدة ثلاث ساعات اجرى اثناءها محادثات هدفها تذليل العقبات التي تعترض الابرام النهائي للاتفاقية التجارية بين البلدين . وصرح شولتز في مؤتمر صحافي انه لمس خلال محادثاته رغبة لدى المسؤولين السوفيات بالتغلب على المشاكل التي قد تنشأ نتيجة تطبيق الاتفاق التجاري . وعلى اثر ذلك نشر الصحافي السوفياتي المعروف فيكتور لويس مقالا في صحيفة « يديعوت احرونوت » الاسرائيلية قال فيه ما معناه ان حكومة بلاده لن تتراجع عن قانون ضريبة الهجرة الا انها ستتساهل كثيرا في تنفيذها . وبالرغم عن هذا الموقف السوفياتي فانه من المرجح ان تتم الموافقة

على اقتراح السيناتور جاكسون كي يكون سلاحا موجها دائما ضد الاتحاد السوفياتي بحيث تتعرقل اتفاقية التجارة فيما لو عادت السلطات السوفياتية للتشدد في تطبيق قانون ضريبة الهجرة على الخارجين من البلاد . ولا بد من الملاحظة هنا انه حتى عندما كان قانون ضريبة الهجرة قيد التطبيق استمر وصول اليهود السوفيات الى اسرائيل ولكن بأعداد اقل من السابق ، وبعد التساهل الذي اعلن عنه فيكتور لويس في شهر اذار عاد عدد المهاجرين الى الازدياد من جديد .

● على صعيد اخر ذكرت انباء مصدرها وكالة انباء كوريا الديمقراطية ان وفدا عسكريا مصريا برئاسة سعد الدين الشاذلي قام بزيارة لم يعلن عنها رسميا للصين في الاسبوع الاول من شهر نيسان . وذكرت هذه الانباء ان هدف الوفد شراء اسلحة صينية . ويبدو ان موقف السلطات الصينية هو انها مستعدة لتزويد مصر بالاسلحة المناسبة اذا رفضت السعي للحصول على تسوية سياسية للصراع مع اسرائيل وقررت تحرير الاراضي المحتلة باتباع اسلوب حروب التحرير الشعبية . وجاءت زيارة الوفد العسكري المصري في اعقاب الزيارة التي قام بها وزير خارجية مصر — محمد حسن الزيات — للصين في منتصف شهر اذار (في نطاق جولة الى ايران وباكستان). وكان الهدف المعلن للزيارة اطلاع السلطات الصينية على « الوضع المتفجر » في الشرق الاوسط باعتبار ان الصين هي من الاعضاء الدائمين في مجلس الامن وواحدة من الدول الخمس الكبرى . وقد اجرى الزيات محادثات مع وزير خارجية الصين ولكنه لم يقابل شو ان لاي رئيس الوزراء . واعلن الوزير الصيني ان الدول الكبرى (أي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي) هي المسؤولة عن ابقاء حالة اللاحرب واللاسلم في الشرق الاوسط لانها تخدم مخططاتها التوسعية وجهودها للاستيلاء على مصادر الطاقة في المنطقة . كما ندد في خطابه بالصهيونية والاعمال العدوانية لاسرائيل واكد مساندة بلاده للشعبين المصري والفلسطيني وغيرهما من الشعوب العربية في كفاحها العادل من اجل استعادة اراضيها المحتلة وضمان حقوق شعب فلسطين . كذلك كرر موقف بلاده القائل بأنه ليس باستطاعة العرب تحقيق الانتصار الا بالاعتماد على جهودهم الخاصة وتقوية وحدتهم ومواصلة نضالهم — اي عدم الاعتماد كثيرا على المساعدات الخارجية والوساطات الدولية لاخراجهم من المأزق الحالي الذي وصلوا اليه في مواجهتهم مع اسرائيل والامبريالية .

● بالنسبة لاوروبا الغربية لم تطرأ اية تطورات هامة في مواقف دولها من النزاع العربي الاسرائيلي. لكن لا بد من رصد بعض الاحداث الجزئية . (١) كانت الحكومة البلجيكية تدرس اقامة مصنع على اراضيها بمشاركة اسرائيل والولايات المتحدة لانتاج طائرات وصواريخ اسرائيلية (راجع « شؤون فلسطينية »، عدد ٢٠ ، نيسان ١٩٧٢ ، ص ٢١٣) وقد اعلن مؤخرا بصورة رسمية ان السلطات البلجيكية رفضت السماح بتنفيذ المشروع على اراضيها ورفضت المساهمة فيه . ويبدو ان الجهود الدبلوماسية العربية لعبت دورا هاما في اقناع الحكومة البلجيكية بعدم المشاركة في المشروع . (٢) عقد تجمع الشباب الاشتراكي الراديكالي في المانيا الغربية مؤتمره في اواسط آذار واتخذ قرارات على جانب من الاهمية بالنسبة لمسألة النزاع العربي الاسرائيلي وحقوق الشعب الفلسطيني . وتجمع الشباب الاشتراكي هو التنظيم الشبابي والطلابي التابع للحزب الاشتراكي الديمقراطي الحاكم في المانيا الغربية . وقد خرج التجمع بوضوح عن سياسة حزبه الرسمية بالنسبة للشرق الاوسط واعلن رفضه لها عندما تبنى قرارات تدعو اسرائيل الى الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة والى ضمان حق العودة للفلسطينيين الذين طردوا او اضطروا للفرار من ديارهم ، والى ضرورة اتاحة الفرصة امام الشعب الفلسطيني ليقرر بحرية ما اذا كان يريد انشاء دولة جديدة او الانضمام الى دول اخرى في الشرق الاوسط . كما حث المؤتمر حكومة بلاده على لفت انتباه اسرائيل الى قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن المتعلقة بالشرق الاوسط . وقد انسحب الوفد الممثل لحزب العمال الاسرائيلي من الاجتماعات احتجاجا على القرارات التي وافق عليها المؤتمر . ويبدو ان القطاع الطلابي والشبابي في الحزب الحاكم قد تأثر بالتأييد الذي حظيت به الثورة الفلسطينية والنضال التحرري العربي في اوساط اليسار الاوروبي بعد انفضاح الطبيعة التوسعية والامبريالية لدولة اسرائيل انفضاحا كليا . (٣) لقد اعلن رسميا ان المستشار الالماني الغربي فيلي براندت سيقوم بزيارة رسمية لاسرائيل في النصف الاول من شهر حزيران المقبل . وترددت انباء لم تؤكد رسميا ان المستشار الالماني يعد العدة لزيارة عدد من العواصم العربية ايضا

في الخريف المقبل . (٤) بمناسبة زيارة الرئيس النميري لبريطانيا في اواخر شهر اذار اطلق وزير الخارجية السوداني ، منصور خالد ، تصريحا دعا فيه الرساميل البريطانية لدخول السودان . قال الوزير ان باستطاعة رؤوس الاموال البريطانية ان تستثمر بكل ثقة في السودان لان حكومة البلاد سنت تشريعا لضمان الرساميل الاجنبية . وواضح ان هذه الزيارة والتصريحات المرافقة لها تعكس اتجاه التقرب السوداني الشديد من الغرب والمعسكر الرأسمالي ، مما يزيد الامبريالية اطمئنانا على مستقبل مصالحها .

● في منتصف شهر اذار القى ثلاثة صحفيين كبار محاضرات في بيروت حول الوضع في الشرق الاوسط بدعوة من مؤسسة كامل مروة التذكارية . وقد افتتح سلسلة المحاضرات روبرت ستيفنز محرر الشؤون الخارجية في صحيفة « الاوبزرفر » البريطانية وهو معروف باهتمامه بقضايا الشرق الاوسط وكانت له لقاءات متعددة مع الرئيس عبد الناصر . قدم ستيفنز مراجعة لاهم التطورات التي شهدتها المنطقة في صراعها مع الاستعمار منذ تأميم قناة السويس ثم ذكر ان الاسباب التي دعت الولايات المتحدة لتقديم الدعم الكلي لاسرائيل في حرب ١٩٦٧ وبعدها (بخلاف الموقف الامريكي خلال العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦) هي (١) حرب اليمن وتهديد مصر للنظام في السعودية ، (٢) تأييد مصر للحركات المتطرفة (أي الحركات المعادية للاستعمار والرجعية المحلية) وحملتها على الانظمة الملكية والمحافظة ، (٣) تحرك بعض الانظمة العربية بشكل متزايد نحو اليسار . وخلص المحاضر الى تقديم نصيحة الى العرب بالقبول « بسلام سيء » في الوقت الحاضر اقتداء بمعاهدة برست ليتوفسك التي عقدها لينين مع المانيا ومن ثم توجيه جهودهم الى التنمية الداخلية . وعلى الرغم من مسحة السرد الموضوعي للاحداث التي تلبس بها ستيفنز فانه توصل الى مطالبة العرب بالاستسلام الكامل أمام المطالب الاسرائيلية التوسعية والهيمنة الامبريالية على المنطقة وتصفية قضية فلسطين متناسيا انه عندما عقد معاهدة برست ليتوفسك كانت السلطة البلشفية قد وصلت لتوها الى السلطة في روسيا وكان امامها المستقبل كله لانجاز المهمات الثورية الملقاة على عاتقها ، في حين يعترف ستيفنز نفسه ان الانظمة العربية الحالية « تميل بصورة متزايدة نحو الغرب وباتجاه اليمين » وليس أمامها اي مستقبل ثوري يمكن ان تبرر على أساسه عقد معاهدة استسلامية مع اسرائيل امام الجماهير .

أما المحاضر الثاني فكان الصحافي الفرنسي جان لاكوتور الذي يكتب في صحيفة « اللوموند » ومجلة « النوفيل اوبزرفاتور » وهو معروف باهتمامه بقضايا الشرق الاوسط والهند الصينية ، وقد الف كتابا معروفا عن الرئيس عبد الناصر . وتلخصت الفكرة الرئيسية التي طرحها في تحليله لاوضاع الشرق الاوسط في القول بانتقال محور الاهتمام الدولي من قناة السويس ومصر الى منطقة الخليج بسبب تزايد اهمية البترول الناتج عن ازمة الطاقة في العالم الغربي وازدياد استهلاكه للنفط بشكل هائل ، وبسبب تقلص قدرة مصر على المبادرة السياسية على الصعيدين العربي والدولي . كما اشار لاكوتور الى صعود القوى اليمينية في الدول العربية منذ هزيمة ١٩٦٧ والى الدور الذي يقوم به المحور المعادي لنهضة العرب وتقدمهم المؤلف من بلدان مثل ايران وتركيا واسرائيل ، هذا بالاضافة الى نمو التيار الديني المعادي للشيوعية على حساب التيار العروبي العلماني الذي طور روابط قوية مع دول المعسكر الاشتراكي . ويمكننا ان نقول ان لاكوتور اكتفى برسم صورة قاتمة للواقع العربي الراهن والمأزق الذي وقعت فيه الانظمة في مجابهتها العاجزة مع اسرائيل والولايات المتحدة الداعمة لها ، لكنه لم يقدم اي استشراف جدي للمستقبل المنظور ، بل اكتفى بالاشارة الى الجهود التي يبذلها الجيل الشاب في تحسس طريقه الى مستقبل افضل عن طريق نقد تجارب الماضي .

وكان المحاضر الثالث الصحافي السوفياتي ايغور بلاييف معلق الشؤون السياسية في صحيفة « البرافدا » الذي عرض موقف بلاده المعروف من النزاع في الشرق الاوسط القائم على علاقات الصداقة مع الدول العربية المعنية وعلى الدعوة والعمل لايجاد سلام عادل ومستقر في المنطقة بدون ان يكون ذلك على حساب الشعوب العربية . وهذا يعني ان تنسحب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة مع ضمان حقوق الشعب الفلسطيني . وشدد بلاييف على نقاط هامة مثل : (١) اشارته ان الحديث في الاوساط العربية يميل دوما الى القول ان كل شيء في ازمة الشرق الاوسط يعتمد على الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بدلا من القول ان كل شيء يعتمد في الواقع على العرب انفسهم وعلى توحيد قواهم

وجهودهم . (٢) ان الاتحاد السوفياتي يساند المقاومة الفلسطينية ولكنه يستنكر العمليات « الارهابية » الفردية مثل عملية احتلال السفارة السعودية في الخرطوم وما نجم عنها من نتائج ، ويريد من المقاومة ان تكون ثورة حقيقية تقف في وجه الامبريالية بنجاح . (٣) ان الاتحاد السوفياتي قدم لمصر وغيرها من الدول العربية الاسلحة ذاتها التي استخدمتها الثورة الفيتنامية في قتالها الطويل ضد اعدائها ، مما يعني ان المشكلة لا تكمن في السلاح نفسه بقدر ما تكمن في معرفة استخدام السلاح وفي مدى الاستعداد العربي جيوشا وشعوبا لدخول الحرب . وهنا قال بلاييف بتعجب « أنا لا أفهم لماذا لا يحسن العرب استخدام هذه الاسلحة بفعالية ! » (٤) ان الاتحاد السوفياتي ضد حالة اللاسلم واللاحرب السائدة في المنطقة وهو ليس مسؤولا عنها لان الرئيس عبد الناصر هو الذي قبل بمشروع روجرز وباتفاقية وقف اطلاق النار عام ١٩٧٠ ، كما ان الرئيس السادات هو الذي قرر تمديد مهلة وقف اطلاق النار بدون حدود ولا شأن للاتحاد السوفياتي في هذا القرار . وشدد بلاييف على انه اذا كان العرب يريدون السير على طريق الثورة والتحرير العنيف فما عليهم الا التقدم بهذا الاتجاه ولن يقف الاتحاد السوفياتي عقبة في وجههم بالتأكيد .

● على صعيد هيئة الامم نددت لجنة حقوق الانسان في منتصف اذار بجرائم الحرب التي ترتكبها اسرائيل في الاراضي المحتلة ، وجاء ذلك في قرار وافقت عليه اللجنة بعد ان تقدم به عدد من البلدان الافرو ــ اسيوية مدعومة من قبل الاتحاد السوفياتي . واعتبر القرار انتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان في الاراضي المحتلة « جرائم حرب واهانة للانسانية » . وقد صوتت الولايات المتحدة ضد القرار . كما قابل ماكسيموس الخامس حكيم، بطريرك انطاكية والقدس وسائر المشرق للروم الكاثوليك ، الامين العام لهيئة الامم ، فالدهايم ، حيث دعا البطريرك الى الاسراع في تنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقدس وبقية الاراضي العربية المحتلة ، والى تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، كما لفت نظر فالدهايم الى ان عشرة ملايين مسيحي في الشرق الاوسط قد حرموا من زيارة القدس بسبب الاحتلال الاسرائيلي ورفض السلطات السماح للعرب المسيحيين بزيارتها .

صادق جلال العظم

(٤) المناطق المحتلة

حركة الاستيطان : شهدت حركة الاستيطان ظاهرة فريدة من نوعها تمثلت في قيام سلطات الاحتلال بحل مستوطنة ناحال يام الواقعة على بحيرة البردويل والغائها ، وقد رافقت عملية الغاء المستوطنة تحليلات توحي بأن الخطوة الاسرائيلية قد جاءت عقب ضغط اميركي من اجل تسهيل التوصل الى حل مع مصر ، اما السلطات الاسرائيلية فقد فسرت خطوتها بأنها تعود الى عاملين الاول اقتصادي والثاني سياسي ، فبالنسبة للعامل الاول واجهت المستوطنة صعوبات في اعمال صيد الاسماك علاوة على ان المنطقة تفتقر الى المياه العذبة التي من شأنها ان تساعد على اقامة مزارع هناك ، وبالنسبة للعامل الثاني ــ وهو الاهم ــ يعتبر مكان المستوطنة وفق تصور مبرمجي خريطة الاستيطان خارج الخريطة التي تعتزم اسرائيل عدم الانسحاب منها . والجدير بالذكر هنا ان التيارات الرئيسية الفاعلة في اسرائيل تجمع على ان الحدود الجديدة ستكون ما بين شرم الشيخ ونقطة على البحر المتوسط في منطقة ما بالقرب من العريش ، وليس بالقرب من مستوطنة ناحال يام القريبة من جبهة القنال .

ان قرب المستوطنة التي اصبحت بذمة التاريخ ، من خط وقف اطلاق النار يعيد الى الاذهان صورة طريفة ابان حرب الاستنزاف ، ارتسمت فوق رمال سيناء ، فقد حدث ان هاجمت الطائرات المصرية المستوطنة في وضح النهار ، بينما كانت فتيات الناحال يغتسلن في الحمامات ، ولشدة الصدمة المباغتة لم تتمكن الفتيات من ارتداء ملابسهن ، فأخذن يركضن الى الخارج ويهمن على وجوههن عاريات فوق رمال سيناء خوفا من القصف ، كما ذكرت الصحف الاسرائيلية في ذلك الوقت .

بالاضافة الى الظاهرة الجديدة استمرت سلطات الاحتلال في خلق وقائع جديدة في المناطق التي تصر على عدم الانسحاب منها حتى ولو مقابل اتفاقية

سلام . وتمثلت هذه الاعمال في :

١ ــ تعزيز الاستيطان في شرم الشيخ ، حين احتفلت سلطات الاحتلال في أواخر شهر آذار الماضي بتدشين محطة للركاب في مطار « اوفيرا » وتدشين محطة لباصات « ايجد » وبلغت تكاليف محطة المطار مليوني ليرة اما محطة الباصات فقد بلغت تكاليفها مليون ونصف المليون ليرة . ومن المعروف ان مطار شرم الشيخ استقبل خلال العام الماضي ٧٢ الف مسافر قدموا الى هناك بواسطة طائرات « اركيع » الاسرائيلية ، وتتكهن وزارة المواصلات الاسرائيلية بأن يصل عدد السياح في عام ١٩٧٥ ، الى ١٢٠ الف سائح ، وفي عام ١٩٨٠ ، ٢٠٠ الف سائح .

ومن الجدير بالذكر ان وزير المواصلات شمعون بيرس عبر في كلمة القاها بمناسبة الاحتفال بتدشين محطة الركاب عن أمله بأن يكون بوسع مطار اوفيرا في المستقبل ، استقبال طائرات اضخم من تلك التي يستقبلها الان وان يغدو مطارا مدنيا دوليا ، وشدد على ان الجمهور الاسرائيلي موحد تجاه مصير منطقة شرم الشيخ التي تصر اسرائيل على عدم الإنسحاب منها . وقد ربط بيرس عملية تكريس الاحتلال بخطاب الرئيس السادات الذي قال فيه انه لم يبق أمامنا الا المعركة بقوله : « ان خطاب السادات الاخير هو بمثابة خطاب وداع لاية تسوية ممكنة ، وضربة مميتة لاية تسوية ، وان الجواب الاسرائيلي لن يكسون خطابات على غرار تلك الخطب ... » ومن الواضح ان الجواب الاسرائيلي جاء على شكل تكريس للاحتلال بواسطة تدشين المحطتين المذكورتين ، وتوسيع رقعة الاستيطان هناك بواسطة اقامة فنادق كبيرة تتسع لالفي سرير ، وتشجيع السكان اليهود على الاستيطان في مدينة اوفيرا التي يقدر الاسرائيليون بأن عدد العائلات اليهودية التي ستستوطنها سيبلغ في عام ١٩٧٨ حوالي الف عائلة .

٢ ــ العمل على اقامة فندق في منطقة « نعمة » في جنوب سيناء يتألف من ٨٠ غرفة ، وتبلغ تكاليف انشائه مليونين وربع المليون ليرة .

٣ ــ اعتزام سلطات الاحتلال اقامة مستوطنة رابعة في قطاع غزة شمالي خانيونس تحمل اسم «سميري» ، وذكر ان المستوطنة ستعتمد على الزراعة .

٤ ــ تحويل مستوطنة « مخورا » في منطقة بيت غوريك شرقي نابلس الى مستوطنة دائمة ، حيث يجري العمل على قدم وساق لاقامة المباني الجديدة في منطقة تبلغ مساحتها الف دونم . ومن المعروف ان سلطات الاحتلال استولت عقب حرب حزيران على اراض واسعة للقرية العربية واغلقتها بحجة الامن ، وقد أقيمت المستوطنة على جزء من هذه الاراضي ، وازاء احتجاج سكان القرية على ذلك ، ادعت سلطات الاحتلال بأنها لم تستول على ٢٥ الف دونم كما ذكر الاهالي ، وان كل ما في الامر ان صفقة قد عقدت بين السكان وادارة ارض اسرائيل ، حيث « وضعت ادارة ارض اسرائيل يدها على الف دونم من الاراضي الصخرية وفي المقابل تلقى سكان القرية الف دونم من الاراضي الزراعية » والحقيقة ان هذا القول يتسم بالسخافة والاستخفاف بالعقل والمنطق ، فهل تملك ادارة ارض اسرائيل ارضا في منطقة بيت غوريك لتقوم بعملية المبادلة ؟

٦ ــ العمل على ربط مستوطنات الغور بشبكة الكهرباء الاسرائيلية ، فقد تمت الموافقة اخيرا على ربط شبكة المستوطنات (١٢ مستوطنة) بشبكة الكهرباء ، بغرض جعلها امتدادا طبيعيا لمستوطنات بيسان في الشمال ، ومن المحتمل ان تستكمل العملية خلال عام .

حول حق اليهود شراء اراض في الضفة : تمشيا مع سياسة الضم والمصادرة والتعويضات لتكريس الاحتلال واضفاء صفة الشرعية عليها ، اقدم وزير الدفاع موشيه ديان على خطوة خطيرة حين قدم مشروع اقتراح يسمح بموجبه لليهود الاسرائيليين بشراء اراض في الضفة الغربية وتسجيلها في الطابو ، وقبل التطرق الى ردود الفعل لدى التكتلات السياسية الاسرائيلية ومواقفها من اقتراح ديان سنتحدث قليلا حول الدوافع الكامنة وراء هذا الاقتراح . هنالك دوافع ايديولوجية صهيونية تجيش في صدر ديان، اذ انه يعتبر فلسطين بكامل أجزائها ومناطق عربية اخرى محتلة او غير محتلة تعتبر «أرض اسرائيل» ، ولذا فانه لا يستطيع فهم عدم السماح لليهود بشراء الاراضي في الضفة ، « ينبغي ان توضحوا لي ، لماذا لا يحق لليهود شراء الاراضي من عرب المناطق ؟ لقد منعتنا حكومة الانتداب من شراء الاراضي ، والان نأتي ونمنع انفسنا ... لقد وقف الجعبري ضد بيع الاراضي لليهود ، ولكن هل الجعبري يعتبر مرشدا للصهيونية ؟ » (معاريف ١٩٧٣/٣/٣٠).

لقد خلق اقتراح ديان ثلاثة اتجاهات داخل الحكومة ، الاتجاه الاول يدعم الاقتراح ويقف

على رأسه بالاضافة الى ديان ، وزراء كتلة رافي سابقا ، مثل شمعون بيرس الذي يعتبر ان حق اليهود في تملك الاراضي في الضفة الغربية بمثابة امر بديهي شريطة ان تتم عملية البيع عن طيب خاطر ، وكذلك وزراء الحزب الوطني المتدين الذي يدعو الى عدم الانسحاب من الضفة الغربية ولو مقابل اتفاقية سلام ، مثل الدكتور زيرح فارهفتج وميخائيل حزاني .

اما الاتجاه الثاني فانه يعارض الاقتراح بيد انه لا يعارض « حق » اليهود في شراء الاراضي ، ويدعو الى ان يكون هذا « الحق » مرتبطا بموافقة الحكومة مثل وزير الخارجية ابا ايبن الذي قال ان بيع الاراضي للاسرائيليين في الضفة الغربية ليس موضوعا يمكن وضعه تحت تصرف الافراد وان الحكومة يجب ان تكون هي التي تقر ما اذا كان يجب شراء مثل هذه الاراضي وكيف ومتى ، وقال انه حتى الان كانت السياسة المتعلقة بهذا الامر اختيارية وانتقالية واعرب عن امله بان يستمر هذا الخط ، وايضا مثل وزير التجارة والصناعة باروليف الذي يعتقد ان شراء الاراضي في المناطق يجب أن يبقى في هذه المرحلة بواسطة هيئة حكومية.

اما الاتجاه الثالث فيعارض بشكل اقوى اقتراح ديان ، ويقف على رأسه الوزير شمطوف (مبام) ويعتقد هذا الاتجاه ان عملية شراء الاراضي في هذه الفترة من شأنها ان تسيء الى سمعة اسرائيل في العالم ، وان تعيق احتمالات السلام . ومن الجدير بالذكر هنا ان شمطوف وجه سؤالا الى ديان اذا كان اقتراحه يشمل حق العرب ايضا في شراء اراض اسرائيلية ، اجاب ديان انه من الناحية المبدئية ضد بيع الاراضي للعرب. « اننا نقيم هنا دولة يهودية وليس دولة عربية ... اننا ننقل الملكية الفردية من العرب الى اليهود ، ان اقامة دولة يهودية دون الغاء الكيان العربي هما امران لا يمكن تحقيقهما معا » .

وبالرغم من ايمان الاتجاهات الثلاثة داخل أعماقها بأقوال ديان ، الا انها اتفقت في هذه المرحلة على البقاء على ما هو عليه سابقا ، اي السماح لليهود بشراء الاراضي شريطة ان تكون عملية البيع انتقالية ومراقبة من قبل الحكومة .

موضوعان لهما علاقة بالجسور المفتوحة :

انهمكت الزعامة التقليدية في الضفة الغربية بدراسة موضوعين لهما علاقة بالجسور المفتوحة على ضفتي نهر الاردن ، الموضوع الاول يتمثل في الاجراء الاردني الذي اتخذ قبل حوالي اربعة اشهر والذي فرضت بموجبه قيود على المواطنين الاردنيين الذين يزورون الضفة الغربية حددت بموجبها فترة الزيارة باسبوعين واشترطت بان لا يتجاوز المبلغ الذي يحمله الزائر ٥٠ دينارا. وقد عادت الحكومة الاردنية عند مطلع شهر نيسان والغت تلك القيود بعد تزمر سكان الضفة الغربية من النتائج المتمخضة عنها ، وفي اعتاب تحرك الزعامة التقليدية والغاء القيود . وكان على رأس المتحركين رئيس بلدية الخليل الذي يحظى بتأييد السلطتين الاسرائيلية والاردنية معا ، بعد ان كان في الماضي يحظى بتأييد السلطة الاسرائيلية فقط ويصب هجماته على الملك حسين وجده عبدالله ، فقد ارسل الجعبري كتابا الى « صاحب الجلالة الملك حسين المعظم » تطرق فيه الى الجوانب السلبية المتأتية عن تلك القيود ومستشهدا بآيات قرآنية ليصل في النهاية الى القول : « يا صاحب الجلالة ان اهالي الضفة الغربية الذين تعلنون انهم من الرعية يهيبون عدالة الحسين بأن يأمر بالغاء هذه التعليمات والاوامر الجديدة لتدوم الوحدة الوطنية التي لم نفرط فيها ، وتدوم الالفة والمحبة ، وحب الوطن والسعي اليه من الايمان . اما اذا دام العمل بهذه التعليمات والاوامر فاننا نعتقد بان هذه اول بادرة تنذر بالفرقة والتباعد وهذا ما لا يرضاه الحسين وجد الحسين » ... وقد استجاب الملك بعد اسبوع لطلب الجعبري .

اما الموضوع الثاني الذي حرك الزعامة التقليدية فيتمثل في اقتراح قدمه لبنان يدعو الى غلق الجسور المفتوحة امام البضائع من الضفة الغربية لكيلا تتسرب البضائع الاسرائيلية الى الاسواق العربية ، فقد قام رؤساء البلديات والغرف التجارية ووجهاء في الضفة في اواخر شهر اذار بالتوقيع على عريضة موجهة الى جامعة الدول العربية طلبوا فيها عدم الموافقة على اقتراح لبنان ، وشكلت وفدا مكونا من ثلاثة اشخاص يمثلون الغرف التجارية في نابلس ورام الله والقدس للاشتراك في مؤتمر رؤساء الغرف التجارية في الاردن لتأكيد الخطورة الناجمة عن الاقتراح اللبناني اذا ما تمت الموافقة عليه بالنسبة لسكان الضفة الغربية، ومن المقرر ان يسافر الوفد بعد ذلك الى القاهرة لاقناع الجامعة العربية بعدم الموافقة على الاقتراح

اللبناني . ومن الجدير بالذكر هنا ان هذا الاقتراح ليس الاول من نوعه الذي يطرحه لبنان ، فقد قدم لبنان في عام ١٩٧١ اقتراحا مشابها ، اثار ضجة كبيرة الا ان النجاح لم يحالفه .

« الجامعة العربية » في الضفة الغربية : بعد حوالي اكثر من عامين من الحديث عن اقامة جامعة في الضفة الغربية ، تمت مؤخرا موافقة سلطات الاحتلال على اقامة الجامعة . وقد جاءت الموافقة الاولى عندما صادق الحاكم العسكري ١٣ اذار في الضفة الغربية على قرار الحكومة بهذا الشأن ، واستكملت الموافقة باجراء اخير عندما قام وزير الشؤون الاجتماعية بتقديم رخصة لاقامة الجامعة بعد ان تم تسجيلها كجمعية عند مطلع شهر نيسان.

ومن المعروف ان الجامعة التي تقرر ان تدعى « الجامعة العربية » بدل الجامعة الفلسطينية ، لازالة تحفظات السلطتين الاردنية والاسرائيلية ، ستشمل عدة فروع متوزعة على مدن رام الله والخليل ونابلس وطولكرم ، وحسب انظمة الجامعة كما تقول المصادر الاسرائيلية فانها « لن تنهمك في أية موضوعات سياسية بل ستكرس عملها في الشؤون الاكاديمية فقط » .

وذكرت المصادر الاسرائيلية ، ان برامج التدريس في الجامعة ستتم الموافقة عليها شريطة ان لا تتضمن تحريضا ضد اسرائيل والشعب اليهودي . ومن المقرر ان تقوم لجنة مؤسسي الجامعة بارسال وفود الى الدول العربية بغرض أخذ موافقتها على اقامة الجامعة اولا وبغرض جمع الاموال والطاقم التدريسي . ثانيا (للاستزادة حول تحليل مواقف السلطتين الاردنية والاسرائيلية تجاه اقامة الجامعة انظر شهريات المناطق نشر في عدد ٣ ، ١٥) .

العمال العرب : لم يطرأ تغيير ملموس على عدد العمال العرب الذين يعملون في المرافق الاقتصادية الاسرائيلية ، اذ وصل الرقم حسب ما أعلنه مستشار وزير العمل لشؤون المناطق المحتلة حوالي ٥٧ الف عامل ، بين منظم وغير منظم ، وتوزع العمال المنظمون (٤٠ الف) على الفروع التالية : البناء ٢٠ الف ، الزراعة ٦٥٠٠ و١١ الفا في فرع الصناعة والباقون يعملون في مجالات أخرى .

كان من نتيجة تسابق المقاولين اليهود على الايدي العاملة العربية الرخيصة ، ان بدأت تتشكل ظاهرتان : الاولى تتمثل ببروز « أسواق عمل » شبيهة بأسواق النخاسة في العهود السابقة ، والثانية تتمثل في تحول الاطفال العرب من تلاميذ يتلقون علومهم في المدارس الى عمال يبذلون عرقهم وجهدهم في اعمال رثة في المجتمع اليهودي ، ونكتفي هنا باقتباس فقرة من صحيفة اسرائيلية لوصف الظاهرة الاولى ، ظاهرة « سوق العبيد في يافا » : « في حوالي الساعة السادسة صباحا يبدأ الاسرائيليون بالوصول ، لاختيار بهائم للعمل . يأتون بسياراتهم ، يتوقفون ، ليهرع العرب الى السيارات لكي يحظوا بالعمل . ان الاسرائيلي يختار جيدا ، يصوب بصره نحو العضلات (لحسن الحظ لا يقوم بفحص الاسنان) ، ويأخذ معه الغنيمة ، اما اولئك الذين لم يحظوا بالعمل ، فيعودون للانتظار في الحديقة ، بين الاشجار ، ويقوم بعض العرب باداء صلاة الفجر ، بينما يقوم آخرون بقضاء حاجتهم في زاوية من الحديقة ، لعدم وجود مرحاض هناك ... » (هعولام هزيه ١٩٧٣/٣/٢٨) .

اما الظاهرة الثانية فانها تنطوي على خطورة مضاعفة : هروب الاطفال من المدارس وتعرضهم لاستغلال بشع . وقد اخذت هذه الظاهرة تشغل بال الاهالي ومدراء المدارس ، وقدم بعض رؤساء البلديات احتجاجا الى الحاكم العسكري على هذه الظاهرة ، وقد وصفت صحيفة « القدس » حالة المدارس في الضفة الغربية بقولها : « ... يشكو مدراء المدارس ، في عدد كبير من القرى في قضاء نابلس (وهذا الوضع ينطبق على معظم الضفة الغربية) من الوضع الدراسي فيها ، والذي يسير من سيء الى أسوأ نتيجة لتزايد هروب الطلاب من مدارسهم للعمل في اسرائيل ، حيث يؤكد مديرو هذه المدارس بانها فقدت ٥٠٪ من طلابها ، فهل من علاج لهذا الامر الخطير ؟ (القدس ١٩٧٣/٢/١٣) .

ردود الفعل على عملية بيروت في المناطق المحتلة :

تركت العملية الوحشية التي نفذتها اسرائيل في بيروت وادت الى استشهاد القادة الثلاثة ابو يوسف ، كمال ناصر ، وكمال عدوان ردود فعل عنيفة على الصعيد الجماهيري داخل الارض المحتلة اضطرت معها الاذاعة الاسرائيلية باللغة الانكليزية الى وصفها بانها « كانت غير متوقعة » [اذاعة اسرائيل بالانكليزية ، الساعة ٨،٣٠ مساء ١٩٧٣/٤/١٢] ، واضطرت معها دايان الى القول « انه ساد بين سكان المناطق المحتفظ

بها جو من الحداد بعد عملية بيروت ، فلقد ايدوا زعماء المخربين الذين قتلوا حتى انهم عبروا عن ذلك في الصحف الصادرة في المناطق » [نشرة رصد اذاعة اسرائيل العدد ٢١١ في ١٩٧٣/٤/١٣].

وقد أكد هذه المشاعر دافيد البعازر رئيس اركان الجيش الاسرائيلي حين قال : « ان نشر صور كمال ناصر وهو الذي يدعو الى تدمير اسس دولة اسرائيل ، في صحف الضفة الغربيـة والقطاع الشرقي من القدس وما رافقها من بيانات التعزية ، ان هذا أمر له مغزاه بالنسبة الينا ، انه يعني ان الموقف العربي التقليدي الذي يدعو الى العمل من اجل تصفية اسرائيل لا يزال مقبولا من عدد كبير من العرب » . (النهار ١٩٧٣/٤/٢٠) .

هذا وقد جاء في تقرير خاص وصل الى مركز الابحاث الوصف الحي التالي لردود الفعل في المناطق المحتلة :

١ ــ **يوم الاربعاء ١٩٧٣/٤/١١** : شن اضراب عام وشامل مدينة نابلس فاقفلت كل المحـلات التجارية والعامة ، وخلت شوارع المدينة مـن السكان وفي بيوتها يستمعون لاجهزة الاعلام ويتابعون اخبار المجزرة .

٢ ــ اضراب عام في كل مدارس الضفة الغربية يوم الخميس امس ، حيث تجمع الطلاب في ساحات المدارس وامتنعوا عن دخول قاعات الدرس وقسم منهم لم يأت للمدرسة وقسم آخر غادر . وفي ساحات المدارس جرت مظاهرات وهتافات ضد اسرائيل وضد العدوان وحياة المقاومة وفلسطين.. ورددت اناشيد صوت فلسطين خاصة نشـيد بلادي نحن ثورة ضد الاعادي ... وقد هوجمت المدارس الثانوية في كل من نابلس ورام الله وبيت لحم وجنين وطولكرم والقيت قنابل مسـيلة للدموع واعتقل عدد كبير من الطلبة .

من الصباح الباكر **يوم الخميس ١٩٧٣/٤/١٢** تقاطرت مئات السيارات من كل من **الضفة الغربية وقطاع غزة** (لمدينة برزيت) لتتجمع في بيت (آل ناصر) للتعزية بالشهيد كمال ناصر . ولدى ملاحظـة السلطات التجمع الكبير داخل المدينة فقد أقفلت الطريق المؤدية لبيرزيت بحواجز شائكـة تحرسها قوى مدرعة ومحمولة من قوات الجيش الاسرائيلي واوقفت السيارات ومنعت الركاب من دخـول المدينة وكان الناس يترجلون ويتجمعون في هذه النقطة . وقد وصل عدد السيارات الى اكثر من ٣٠٠ سيارة حتى الساعة ١٢ ظهرا . وبدأ قسم منهم بالسير على الاقدام الى برزيت وقسم آخر بدأ يهتف ضد السلطات مما دعـا لتعزيز قوات الجيش في هذه النقاط واجبروا القسم المتبقي منها على العودة .

ثم قام تجمع داخل المدينة بتظاهـرة الى جانب السكان قدرها شاهد عيان بـ ٣٠٠٠ شخص على الاقل . بدأت بهتافات وطنية ورفعت العلم الفلسطيني مما اهاج الجماهير ولدى تقدم قوة بوليـس لانزال العلم تعاركت الجماهير بالايدي مع افراد هذه القوة واوسعوهم ضربا مما اضطرهم للانسحاب وظل علم فلسطين مرفوعا والجماهير مستمرة في مظاهرتها . وكانت الهتافات على النحو التالي :

ياللي استشهدوا جوا بيروت
دم الثوار عمـرو مـا يفوت

على لحن دلعونا الشعبي الفلسطيني . ثم هتاف بلادي ، بلادي بلادي ، انت ثورة على الاعادي . وهتف المتظاهرون بسقوط الاحتلال والقتلة المجرمين كما وهتفوا بحياة الشهداء الثلاثة وبالاسماء . ثم سارت جنازة رمزية داخل المدينة . وفي نهاية مسيرة المظاهرة والجنازة الرمزية عقدت تجمع تأبين وخطب عدد من الخطباء بينهم مدرس ندد بالعدوان وبالاحتلال . وقام اخر بالقاء قصيدة مشهورة للشهيد كمال ناصر (عن القدس) .

ــ في قرى الضفة والقطاع . كان الناس يؤلفون تجمعات في الشوارع يتبادلون اخر اخبار المجزرة ويعزون بعضهم بالشهداء . وعمت حالة وجوم وركود عام في معظم قرى الضفة . وقد حولت بعض الافراح الى مظاهرات واهازيج الافـراح حورت عن شهداء بيروت وآلام الهجوم ولم يذهب قسم كبير من العمال للعمل في اسرائيل وقسـم آخر منهم تعارك في داخل المصانع مع عمـال واداريين اسرائيليين لدى مناقشتهم للاحداث التي جرت خلال ذلك اليوم .

ــ **يوم الجمعة ١٩٧٣/٤/١٣** صمت ووجوم عـام حتى الصباح وكان يتوقع خروج مظاهرات من المساجد بعد صلاة الجمعة .

عبد الحفيظ محارب

(٥) القضيـــة الفلسطينية عسكريا

تحليل عسكري لحديث الرئيس انور السادات :

من ابرز النقاط العسكرية التي وردت في حديث الرئيس انور السادات مع ارنو بورغراف مدير تحرير نيوزويك الامريكية والذي نشر في عـــدد (١٩٧٣/٤/٩) النقاط التالية :

١ ــ ان لا بديل للمعركة لاسترداد الحق وتحرير الارض المحتلة بعـد ان استنفدت القاهـرة جميع الوسائل الاخرى لتحقيق السلام العادل .

٢ ــ ان الموقف في الشرق الاوسط سيكون أخطر من الموقف في فيتنام . وان الولايات المتحـدة ترتكب أكبر الاخطاء اذا اعتقدت ان العـــرب مشلولون تماما .

٣ ــ ان الولايات المتحدة ستستيقظ قريبا على صدمة في المنطقة فهي لم تدع للعرب سبيلا آخر .

٤ ــ ان من المتعذر على اسرائيل ان تحقـق انتصارا شاملا على العرب ، وان الغزاة مهزومون في النهاية كما هزم جميع الغزاة عبر التاريخ .

٥ ــ ان الايام المقبلة ستثبت عجز اسرائيل عن البقاء في حالة اللاسلم واللاحرب .

٦ ــ ان من الممكن ضمان حرية الملاحة في شرم الشيخ بعد تسليم هذا الموقع للمجتمع الدولي . كتسليم مهمة حماية الملاحة مثلا للدول الخمس الكبرى في مجلس الامن (الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا والصين) .

٧ ــ ان استمرار القتال شرط هام واساسي لاجراء مباحثات السلام .

وليست النقطة الاولى في حديث الرئيس السادات جديدة كليا ، فهي تكرار لما قاله من قبـل حول ضرورة المعركة المسلحة بالاضافـة للاسـاليـب السياسية والدبلوماسية كوسيلة لقهر ارادة العدو واجباره على التخلي عن مطامعه التوسعية . كما انها تطبيق لمبدأين اطلقهما الرئيس عبد الناصر : « لا صوت يعلو فوق صوت المعركة » و « ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » . والجديد هنا هو ان المعركة المسلحة تقدمت في جدول أفضليات الوسائل التي يمكن استخدامها حتى أصبحت على رأس هذا الجدول بعد ان فشلت كافة الوسائل السياسية ــ الدبلوماسية بسبب التعنت الاسرائيلي المدعوم بمباركة امريكية كاملة على كل المستويات. والحقيقة ان القاهرة لم تأل جهدا في محاولة ايجاد حل بمختلف الوسائل. فلقد قبلت المبادرات المتعددة وقدمت مبادراتها الخاصة . وسارت على الطريق السياسي مستخدمة كافة السبل لتجد في النهاية ان عليها ان تستخدم الوسيلة النهائية ــ الحرب ــ كامتداد عنيف لسياستها . فلماذا انتهى الموقف الى هذا الطريق المسدود الذي يهدد بالانفجار ؟

لقد ادت حرب ١٩٦٧ الى احتلال اراض عربية معينة ، وامتلكت اسرائيل بذلك اوراقا متعددة (اراضي ، ومصادر ثروة ، ومواقع استراتيجية ، وسكان) ، واخذت تستخدم هذه الاوراق في اللعبة السياسية الرامية الى تحقيق هدف الحرب المزدوج (الامن والتوسع) . وهي لا تنكر رغباتهـــا التوسعية التي تشمل في اكثر الاتجاهات الاسرائيلية اعتدالا الجولان والقدس وشرم الشيخ . وتمتد في الاتجاهات الاخرى الى مناطق واسعة في سيناء والضفة الغربية . كما انها تخفي هذه الرغبات وراء ضرورات الامن ومتطلباته . واذا كـــان المتطرفون الاسرائيليون يدعون بأن من الضروري الحفاظ على جميع الاراضي المحتلة لتحقيق حلم اسرائيل الكبرى فان اكثر الاسرائيليين اعتدالا يرون ان كل ما تود اسرائيل الحفاظ عليه من اراض لا يستهدف سوى ايجاد حدود آمنة .

بيد ان الحقيقة تفرض علينا فصل الهدف المزدوج (التوسع والامن) الى هدفين : اولهما هدف يرغب الاسرائيليون تحقيقه وهو التوسع عـــلى قدر الامكان وبأكبر قسط يسمح به الوضع العربي والدولي الحاليين .

اما الثاني فهو هدف يطرحونه دعاويا لتحقيـق اغراض اخرى رغم انه محقق بالفعل عن طريق حجم القوة المتفوقة الرادعة التي ضمنت الولايات المتحدة تفوقها بحجة تهدئة المنطقة .

ان اسرائيل التي تتحدث عن الامن كانت منـــذ وجودها عنصر الخطر في المنطقة ، ولم تكن في يوم من الايام معرضة لخطر جدي ماحق ، كما انها حققت أمنها منذ عام ١٩٤٨ حتى اليوم عن طريق الردع والمعلومات وضمانات الدول الامبريالية لا عن طريق الحدود الامنة . أي ان امنها كان ــ ولا

يزال — امن قوة ديناميكية لا امن حدود جيو — طوبوغرافية ملائمة .

وهكذا يمكننا ان نقول ان معطيات الموقف الاسرائيلي — المدعوم امبرياليا — هي التمسك برهينة والمساومة عليها لتحقيق هدف التوسع مع طرح هدف الامن لاغراض دعاوية . اما معطيات الموقف العربي فهي : الرغبة الملحة في تحرير الارض العربية كلها ومنع أي توسع مقبل ، وتحقيق الامن على الارض العربية خاصة وان العدو الاسرائيلي يعرض هذا الامن للخطر على الحدود وفي عمق الاراضي العربية ، ويهدد بتوسيع حدود نشاطه التخريبي الى بلدان عربية بعيدة جغرافيا عن جبهة الصراع (الكويت ، السعودية ، ليبيا ...الخ).

وما دامت معطيات الموقفين العربي والاسرائيلي متناقضة الى هذا الحد (توسع وتهديد مقابل تحرير وأمن) ، وما دام العدو المعتدي يملك الرهينة ، وما دام المجتمع الدولي عاجزا عن اجباره على التخلي عنها ، فان على الطرف المعتدى عليه ، والذي استنزف كل الامكانات السياسية والدبلوماسية، ان يلجأ الى الحكم الاخير وهو المعركة التي لن تكون نتائجها مهما سساءت أسوأ من النتائج التاريخية الرهيبة (قوميا وحضاريا) المترتبة على الاستسلام لشروط العدو. من هنا جاء حديث الرئيس السادات عن المعركة ذلك « الباب الضيق » الذي لا بد من اقتحامه بعد رحلة العمل السياسي — الدبلوماسي التي دامت ست سنوات دون ان تصل الى أية نتيجة . علما بأنه كان بوسع التحليل العلمي المبني على تحديد صحيح للقوى المعادية وحجم مصالحها وترابطها واهدافها والشراسة التي سيستخدمها العدو للحفاظ على هذه المصالح وتحقيق تلك الاهداف ان يصل مسبقا — وقبل اضاعة ست سنوات — الى ان الجهود السياسية — الدبلوماسية ستكون عقيمة ، وان الكفاح المسلح (المعركة) هو السبيل الوحيد « لاسترداد الحق وتحرير الارض » وهذا ما وصلت اليه المقاومة الفلسطينية عندما اطلقت الرصاصة الاولى .

وتأتي خطورة الموقف المذكورة في النقطة العسكرية الثانية من حساسية موقع الشرق الاوسط وأهميته الاستراتيجية والاقتصادية وحجم القوى التي يبدو ان الامبريالية الامريكية مستعدة لاستخدامها للحفاظ على موطىء قدم في بلادنا ، ومتابعة نهب ثرواتنا.

كما انها تأتي من ضخامة القوى البشرية التي يستطيع العرب زجها في المعركة وسعة الاراضي التي ستندلع عليها نيران القتال واطلال هذه الاراضي على العديد من البحار والممرات الحساسة بالنسبة للاستراتيجية الامريكية في مجابهة الاتحاد السوفييتي ، واهمية المصادر الاقتصادية التي يمكن للعرب استخدامها في الصراع كما يمكن ان تتدمر خلال القتال وأثر ذلك على الاقتصاد العالمي كله ، وقرب الاتحاد السوفييتي من مسارح العمليات واحتمالات تدخله بقوى تقليدية تصعد العملية الى صراع بين العمالقة ، ووجود قوى عربية رجعية مرتبطة بعجلة الامبريالية ومستعدة لتحويل المعركة من حرب بين العرب وعدوهم الامبريالي — الاسرائيلي الى حرب مختلطة معقدة يمتزج فيها الصراع ضد الغزاة الخارجيين مع حرب اهلية عربية — عربية . بالاضافة الى ان ضخامة « هدف الرهان » بالنسبة للعرب واسرائيل، وطبيعة العدو الاسرائيلي وارتباطاته مع الصهيونية العالمية ووجود قوات مسلحة اسرائيلية تقاتل مع شعب اسرائيلي مستورد ومعبأ تعبئة عنصرية حاقدة وبشكل قاعدة متينة الى حد ما تقف وراء القوات المسلحة عبارة عن عوامل تميل الى زيادة حدة القتال وتصعيد خطورة الموقف .

ان « الكابوس المفزع الذي يضع نهاية لكل الاحلام المفزعة » الذي تحدث عنه الرئيس السادات سيكون في تصورنا حربا طويلة شاملة ضد الامبريالية واسرائيل تمتد على كل الارض العربية وتهدد جميع المصالح الامبريالية في وطننا الكبير وتشترك فيها الولايات المتحدة بشكل متدرج اشتراكا ظاهرا وخفيا يحمل في طياته بذور صدام غير محدود مع قوى غير محدودة .

وتتحدث النقطة الثالثة عن الصدمة التي ستوقظ الولايات المتحدة ، « فلقد آن الاوان لصدمة » . وهذا تهديد باستخدام السلاح — دون تحديد ما اذا كان هذا السلاح حربيا ام اقتصاديا ام سياسيا . ويدخل هذا التهديد بمضمونه في مجموعة التهديد الذي وجهه الرئيس السادات الى نيكسون من قبل بانتظار « خريف ساخن » والتهديد الذي سبقه باستخدام البترول في المعركة والتهديد المعروف باعلان « سنة الحسم » . ونقطة الضعف في التهديد الجديد هي انخفاض مصداقية التصريحات العربية في العالم بعد سلسلة من التصريحات والتهديدات التي لم تنفذ . ولا شك في ان الرئيس

السادات قد وعى هذه الحقيقة وغير سبب عدم تنفيذ التهديدات السابقة بقوله : « كانت لدي خططي في ذلك الوقت ، ولكنها تغيرت لاسباب عديدة . أعطيت كلمتي بان انتظر الانتخابات الامريكية قبل ان أتحرك . وانتظرت ، ولكن خططي تغيرت » مؤكدا بذلك جدية تهديداته في ظروف لحظة اطلاقها ، وتعذر تنفيذها بعد ذلك بسبب تغيرات داخلية وخارجية كبيرة .

ولكن ترى كيف يمكن ان تكون الصدمة . وهل ستكون ضربة اقتصادية بترولية اساسا ، أم ضربة عسكرية ، أم عودة عسكرية سوفييتية على نطاق واسع تنفيذا لمعاهدة دفاع لا تزال قائمة ؟. ان الرئيس السادات لا يذكر ذلك . ولكنه يحدد بأن الجهود الديبلوماسية ستستمر « قبل واثناء وبعد المعركة » .

وتؤكد النقطة الرابعة تعذر انتصار اسرائيل الشامل على العرب وانها ستصل في النتيجة الى الهزيمة . ومن المؤكد ان اسرائيل تعرف ذلك جيدا وتعي ان انتصاراتها العسكرية ستبقى في اطار ربح المعارك لا ربح الحرب ، وتعرف ان قوتها العسكرية ستذوب في النهاية وسط البحر العربي الواسع . فلقد حققت في عام ١٩٦٧ انتصارا عسكريا لا جدال فيه ، ولكن هل حققت ما تصبو اليه ، وهل انتهت حالة الحرب التي يعيشها الانسان الاسرائيلي منذ ٢٥ عاما ؟ وهل ستنتهي هذه الحالة اذا ما وصلت جيوشها الى دمشق وعمان والقاهرة ؟ كلا . انها ستبقى دائما جسما غريبا مغروسا في محيط معاد ، وستعيش دائما في جو التوتر والكراهية وراء جدار الدم الذي بنته بنفسها ، والذي سينهار في النهاية فوقها ، وسيبقى الاستعداد الحربي شغلها الشاغل وخبزها اليومي ، وستبقى دائما دولة تعيش على فوهة بركان لا بد ان ينفجر .

ان المجتمعات لا تبني حضاراتها بهذا الاسلوب . ولا تستطيع أية دولة ان تبقى في حالة حرب مع جيرانها الى الابد ، ولا يعرف التاريخ امة غازية استطاعت البقاء منتصرة الى الابد . هذا قانون تاريخي ثابت على مر العصور . ولكن ثباته سيبقى حقيقة كامنة لا تتحول الى حقيقة ملموسة الا اذا استيقظت الجماهير العربية وصنعت تاريخها بنفسها طاوية بذلك صفحة من صفحات غزوات الابادة والوحشية التي تعرضت لها امتنا .

وعندما سأل بورغراف الرئيس انور السادات « ولكن هل الموقف الراهن [اللاحرب واللاسلم] افضل من سيناء منزوعة السلاح ؟ » اجابه الرئيس : « دعنا نرى ما اذا كانوا قادرين على البقاء على هذا النحو . انني أقول انهم لن يستطيعوا ، وسوف ترى في القريب العاجل اننا على صواب » . والتهديد موجه هذه المرة الى اسرائيل والولايات المتحدة معا وهو تهديد واضح في الزمان (القريب العاجل) والمكان (سيناء) فهل يعني ذلك القيام قريبا بمعركة في سيناء ؟ ان الجماهير المصرية والعربية تضغط باتجاه الحرب. وتقف سوريا من اسرائيل موقفا متشددا تزداد صلابته مع تزايد الاستقرار وتنامي الوحدة الوطنية في سوريا . ويضغط الرئيس معمر القذافي مطالبا بشن معركة تحرر سيناء مهما كانت التضحيات. ولا بد أن كل هذه العوامل ستلعب دورا ايجابيا في اخذ قرار المعركة . ولكن العامل الاهم سيكون دائما القوة التي يمكن استخدامها في هذه المعركة اي : طبيعة تماسك الجبهة الداخلية ، ومدى استعداد القوات المسلحة النظامية وغير النظامية، وقدرة القيادة السياسية — العسكرية على استخدام هذه القوات على ارض المعركة .

اما ضمان حرية الملاحة الاسرائيلية في شرم الشيخ بضمانات دولية (النقطة السادسة) فهو يدخل ضمن اطار اعادة جوهر الوضع في شرم الشيخ الى ما كان عليه في يوم ٤ حزيران ١٩٦٧ . فلقد كان هذا الممر تحت حراسة قوة من الطوارىء الدولية حتى سحب الرئيس عبد الناصر هذه القوة واغلق خليج العقبة في وجه الملاحة الاسرائيلية . ومن الواضح عسكريا ان هذه الخطوة تعني حرمان مصر في أي صراع مقبل يجري ضمن اطار الاستراتيجية غير المباشرة من تنفيذ الخنق الاستراتيجي القريب ، الامر الذي لا يعني بالضرورة حرمانها من الخنق الاستراتيجي البعيد الذي قد يكون اكبر اثرا وأشد فعالية .

والنقطة السابعة والاخيرة الخاصة بضرورة استمرار القتال كشرط هام واساسي في مباحثات السلام هي أهم النقاط الواردة في حديث الرئيس السادات وأكثرها حيوية في الوضع الراهن الذي تضغط فيه القوى الدولية باتجاه ضرورة ايجاد حل سلمي للنزاع في منطقتنا .

وتأتي اهمية هذه النقطة من ان المباحثات

والمفاوضات في اي نزاع هي اساسا جزء من هذا النزاع وامتداد له . اذ ان النزاع يبدأ سياسيا ويتصاعد حتى الذروة العسكرية، ثم يعود بعد المعركة الى الحقل السياسي حيث تجري تصفية الامور وتقديم التنازلات والتخلي عن هذا الربح او ذاك مقابل تحقيق ربح اخر ضمن اطار حل وسط . وتكون مواقف كل طرف من الطرفين المتنازعين ومطالبهما خلال المباحثات متناسبة مع وضعه العسكري ، ونتيجة القتال السابق ، والضغوط السياسية — الديبلوماسية —الاقتصادية الدولية ، ومستوى التماسك الداخلي ، وتوقعات الخسارة المقبلة في حالة تجدد الاشتباكات، واهمية هذه الخسارة بالنسبة للربح المنتظر من التصلب . لذا يحاول كل طرف من الاطراف تحسين هذه النقاط لصالحه قبل بدء المباحثات او خلالها (وهذا ما يفسر عنف العمليات العسكرية وكثافة النشاط السياسي — الدبلوماسي في فترة ما قبل المباحثات أو في فترات انقطاعها لسبب من الاسباب) ، كما يحاول اطالة أمد الصراع لاقناع الطرف الاخر بامكانية تقديم تنازلات كانت من قبل مرفوضة .

واذا طبقنا هذا المبدأ على واقع المباحثات التي يلح المجتمع الدولي علينا لاجرائها كمدخل لحل النزاع بعد اختفاء كثير من بؤر التوتر في العالم وجدنا أن تصلب اسرائيل ورغبتها في اجبار العرب على توقيع صك استسلام كامل ناجمان عن التفوق العسكري الاسرائيلي المضمون امريكيا ، ووجود رهينة كبيرة بيد العدو يساوم عليها ويلوح بالاحتفاظ بها ، وضعف الضغوط الداخلية لدرجة كبيرة داخل معسكر العدو،وانخفاض تأثير الضغوط الدوليةبسبب التأييد الامريكي على جميع المستويات . والنقطة الوحيدة التي يمكن تبديلها بشكل ملحوظ والتأثير بذلك على العدو هي : تجديد القتال بصورة تؤكد بأن الخسائر التي سيتكبدها العدو اكبر من المكاسب التي يساوم عليها . اما بالنسبة للعرب فان اية خسائر يتكبدونها خلال الصراع ستبقى على المدى التاريخي اقل خطورة من الاستسلام .

والسؤال هو ما هي القوات التي ستجدد القتال ؟ وهل ستجدده باسلوب الحرب التقليدية الشاملة ، أم بحرب استنزاف ، ام بتسخين الجبهات وخاصة جبهتي قناة السويس والحدود السورية ، ام عن طريق تدعيم حركة المقاومة الى أبعد مدى وفتح المجال امامها للعمل بحرية كاملة ، ام بشكل يجمع الاساليب كلها بنسب متفاوتة ؟ ان رئيس اركان الجيش الاسرائيلي يهدد بأنه لن يسمح للعرب بممارسة « لعبة الحرب المحدودة في الوقت والمكان والاسلوب»وانه سيقلب مثل هذه العمليات الىحرب شاملة (نشرقرصد اذاعة اسرائيل العبرية رقم ٢٠٩) ولا يحدد الرئيس السادات في حديثه اسلوب الحرب المنتظرة ، ولكنه يؤكد ان عملية الحشد اللازمة لتجديد القتال قائمة « وكل شيء يتغير هنا ايضا ... من اجل المعركة » .

ان تحليل المسائل العسكرية الواردة في حديث الرئيس انور السادات مع مجلة نيوزويك يلقي كثيرا من الاضواء على مستقبل الصراع واحتمالاته وآثاره . وستبقى الصور المشرقة التي رسمها هذا الحديث أملا يدغدغ نفوس الجماهير العربية حتى تندلع احداث ترفع المصداقية العربية الى مستوى لم يعرف من قبل ، وتقلب آمال جماهيرنا الى حقائق ملموسة .

وصول القوات المغربية الى سوريا :

اعلنت سفارة المملكة المغربية في الشهر الماضي عن وصول القوات المغربية التي أرسلها الملك الحسن الثاني لدعم الجيش العربي السوري الذي غدا بعد تراجعات النظام الاردني ، وانسحاب القوات العراقية الى مناطق تجمع بعيدة واقعة قرب الحدود العراقية — الاردنية، وتضييق الخناق على حركة المقاومة منذ ايلول ١٩٧٠ حتى اليوم، القوة العربية الاساسية في الجبهة الشمالية .

ولقد كثر الحديث داخل المغرب وفي الاقطار العربية قاطبة عن الاسباب السياسية الكامنة وراء ارسال هذه القوات ، وعن العوامل التي دفعت ملك المغرب الى اتخاذ هذه الخطوة . ولقد قيل من جملة ما قيل أن الغاية من هذا العمل ابعاد بعض القوات المغربية المعارضة للحكم وخاصة بعد تزايد النقمة داخل الجيش على أثر حادثتي الصخيرات، ومحاولة اسقاط طائرة الملك وما تلاهما من ملاحقات ومحاكمات وتصفيات داخل الجيش وخارجه . وقيل أن تصاعد النقمة الشعبية في المغرب ، وتزايد الحركة الجماهيرية المعارضة للنظام واحتمالات انفجار الكفاح المسلح الريفي والمديني بقيادة الحركة الاشتراكية الرئيسية المعارضة (اتحاد القوى الشعبية) دفعت الملك الى القيام بهذه الخطوة لاكتساب سمعة جماهيرية في بلد يتأجج شعوره القومي ، وينظر باهتمام الى الصراع العربي — الاسرائيلي ، ويعتبر المشرق

العربي كعبته ومصدر وحيه الحضاري .

ولقد نظرت الحكومة السورية الى الامر من زاوية اخرى ، ورأت فيه خطوة محدودة على طريق عروبة المعركة وزج الامكانات العربية كلها في القتال . لذا قبلت العرض المغربي ووافقت على قدوم قوات قوامها متطوعون من الجيش المغربي . ويذكر رئيس الوزارة السورية الاستاذ محمود الايوبي عن ملابسات هذا الموضوع : « نحن بعد المعارك الاخيرة زرناهم وشرحنا موقفنا . فقال لنا المغاربة: نستطيع ان نساعدكم ببعض القطعات من القوات المسلحة . وفي السابق لم تكن بيننا اتصالات تذكر. قبلنا العرض المغربي . والقوة التي ستأتي هي من المتطوعين من الجيش المغربي . وستأخذ هذه القوة موقعها في الجبهة بحسب حجمها » (الصياد عدد ١٤٨٩ ، ٣/٢٩ — ١٩٧٣/٤/٥) .

واذا ما درسنا المسألة من زاويتها العسكرية وجدنا ان للمسألة مدلولين هما : المدلول المبدئي، والمدلول العملي . ويتمتع المدلول المبدئي باهمية استراتيجية بالغة لان قدوم قوات عربية مغربية او غير مغربية لاخذ مواقعها على الجبهة السورية او المصرية عمل صحيح يتطابق مع أبسط قواعد الحشد وتجميع القوى . وينسجم مع فكرة تقريب القوى من العمق الاستراتيجي العربي الكبير الى العمق التكتيكي او العملياتي على الاقل لتكون قوة مؤثرة قادرة على الاشتباك بفاعلية في حالة الصدام مع العدو بمعركة تقليدية سريعة ، او بمعركة استنزاف طويلة الامد .

وينبع المدلول العملي من حجم القوات المقترنة باتجاه مسرح العمليات وطبيعة تسليحها وتدريبها ومستوى قياداتها . ولقد تناقلت وكالات الانباء ان هذه القوات ستضم عدة الاف. ولم ينشر حتى الان العدد الصحيح للقوات المكلفة بالذهاب الى سورية او التي وصلت واخذت مواقعها على الحدود .

وكل ما يعرف حتى اليوم هو أنها قوات مزودة بكامل سلاحها وعتادها . وتتمتع بمعنويات رائعة وكفاءة قتالية . ولا تقل أهمية هذه القوات بأي حال من الاحوال عن أهمية الوحدات الكويتية التي رابطت على قناة السويس الى جانب قطعات الجيش المصري منذ حرب ١٩٦٧ . ولكنها تبقى مع ذلك قوة محدودة لا تؤثر على ميزان القوى البرية على خط المواجهة مع العدو .

ولا تشمل القوات المغربية المتطوعة للعمل في سورية قوات جوية أو وحدات دفاع متقدمة تقنيا (صواريخ) مع ان مساعدة الطيران السوري لزيادة فاعليته الهجومية والدفاعية أمر بالغ الاهمية بالنسبة للمواجهة مع اسرائيل . ومن المعروف ان المساعدة الجوية (طائرات — طيارين — أجهزة رصد وكشف — فنيين .. الخ) اكثر تكلفة من المساعدة البرية ولكنها اسهل منها بكثير لانها لا تتطلب نقل اعداد كبيرة من الاشخاص — وما يعقب ذلك من تعقيدات ادارية — بل تعتمد على زيادة القوة بشكل ملحوظ عن طريق زيادة عدد اسراب الطائرات وبطاريات الصواريخ المضادة أو تقديم عدد من الطيارين والفنيين المؤهلين تأهيلا عاليا . والحقيقة ان الدول المتحالفة او الصديقة — غير الذرية — التي تود مساعدة بعضها تبدأ قبل كل شيء بتقديم المعدات القتالية المتطورة (طائرات ، صواريخ ارض — جو ضد الطائرات، بطاريات صواريخ ارض — أرض ، بطاريات مدفعية محمولة ، مدرعات ثقيلة ، مدرعات برمائية قطع بحرية .. الخ) بالاضافة الى الكوادر العالية والفنيين النادرين الذين يحتاج اعدادهم زمنا طويلا . ثم تقدم بعد ذلك قوات مدرعة كاملة تمتاز بقلة رجالها وضخامة قوتها النارية ، لتصل في النهاية الى تقديم القوات البرية التقليدية . وكان من الممكن ان يكون اثر القوات المغربية اكبر بكثير لو تمت المساعدة وفق هذه المبادىء .

ولا يمكن فهم الاسباب التي حددت حجم القوات المغربية الا بعد القاء الضوء على القوات المسلحة المغربية — عدا القوات شبه العسكرية — حسب معطيات كتاب : The Military Balance 72-1973 الصادر عن معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن .

ان ميزانية الدفاع المغربية لعام ١٩٧٢ هي ١٢٤ مليون دولار . وتضم القوات المسلحة المغربية :

أ — **الجيش** ٤٨٠٠٠ رجل .

— ١ لواء مدرع
— ٣ ألوية مشاة آلية
— ١ لواء أمن خفيف
— ١ لواء مظلات
— ٩ كتائب مشاة مستقلة
— ١ كتيبة حرس ملكي
— ٢ مجموع كتيبتي هجانة
— ٣ كتائب فرسان صحراوية

— ٥ مجموعات مدفعية
— ٢ كتائب مهندسين
— دبابات متوسطة ت — ٥٤ عدد ١٢٠
— دبابات خفيفة آ — ام — اكس عدد ١٢٠
— سيارات مدرعة ي ب ر — ٧٥ عدد ٣٦
— سيارات مدرعة آ — م — ل ٢٤٥ وم — ٨ عدد ٥٠
— ناقلات جنود مدرعة نصف مجنزرة م—٣ عدد٤٠
— ناقلات جنود مدرعة تشيكية عدد ٩٥
— مدافع ذاتية الحركة س — يو — ١٠٠ وآ — ام — اكس ١٠٥ عدد ٢٥
— مدافع هاوتزر ٧٥ و١٠٥ مم
— طائرات عمودية (هليكوبتر) آلويت عدد ٦

ب — **الاسطول : ١،٥٠٠ رجل**

— ١ فرقاطة
— ٢ خفر سواحل
— ١ زورق دورية
— ١١ زورق دورية (أقل من مائة طن)
— ١ سفينة انزال .

ج — **القوات الجوية : ٤٠٠٠ رجل**

— ٤٨ طائرة مقاتلة منها ٢٠ طائرة معترضة ف — ٥ آ ، و٤ طائرات معترضة ف — ٥ ب، و٢٤ طائرة ماجستير مسلحة .
— ٣٥ طائرة تدريب ت — ٦ و ٢٥ طائرة ت — ٢٨
— ١٠ طائرات نقل سي — ٤٧
— ١١ طائرة نقل سي — ١١٩
— طائرات عمودية آب — ٢٥ عدد ١٢
— طائرات عمودية هـ هـ ٤٣ عدد ٦
— طائرات عمودية و هـ — ١٣
— ١٢ طائرة ميغ ١٧ (في المخزن)

فاذا أخذنا القوات السورية المسلحة كدليل للمقارنة بغية تكوين صورة ملموسة عن القوات المسلحة المغربية وجدنا أن تعداد الجيش المغربي (٤٨ الفا) يعادل نصف تعداد الجيش السوري (١٠٠ الف) . أما دباباته ومدفعيته وناقلاته المدرعة فلا تكاد تعادل خمس دبابات السوريين ومدفعيتهم وناقلاتهم المدرعة. ويملك السلاح الجوي المغربي من الطائرات المقاتلة نحو ربع ما يملكه الطيران السوري معتفوق طائرات السوخوي والميغ ٢١ السوفياتية الصنع تفوقا ساحقا لا حدود له على الطائرات المعترضة ف — ٥ ب و — ف ٥ آ الامريكية الصنع وماجستير الفرنسية الصنع . والوضع مشابه بالنسبة لسلاح البحرية فالاسطول المغربي أصغر من الاسطول السوري الذي يعتبر في الاصل صغيرا ، كما انه لا يضم غواصات او مراكب حاملة صواريخ بحر — بحر على حين تضم البحرية السورية عددا من الغواصات الراسية في الموانىء المصرية و٦ زوارق سوفياتية من طراز كومار مزودة بصواريخ بحر — بحر .

وتصل بنا دراسة جداول القوات المسلحة المغربية ومقارنتها مع قوات دولة من دول المجابهة [سوريه] الى الملاحظات التالية :

١ — ان حجم القوات المسلحة المغربية كلها صغير جدا بالنسبة لعدد السكان (٥٣٤٥٠٠ رجل من سكان عددهم ١٦٤٥٠٠٤٠٠٠ نسمة مقابل ١١٢٤٠٠٠ جندي سوري من اصل سكان عددهم ٦٤٥٠٠٠٠ نسمة) .

٢ — ان مصروفات التسلح ضئيلة بالنسبة للدخل القومي (٣٤٦ ٪ مقابل ١١٤٤ ٪ في سورية) .

٣ — ان الطائرات المقاتلة المغربية محدودة العدد وغير متطورة ، ومعظمها امريكي الصنع .

٤ — القوات المدرعة محدودة نسبيا ونصفها من الدبابات الخفيفة الفرنسية آ — ام —اكس— ١٢٠.

٥ — ان القوات البحرية محدودة وغير مجهزة بغواصات او بمراكب سطح حديثة ، ولا تعدو أن تكون اسطول حراسة صغير .

٦ — قوات المظلات كبيرة بالنسبة للقوات المظلية السورية (لواء مظلي مغربي مقابل كتيبة مظلية سورية) . ولكن عدد الطائرات العمودية (الهليكوبتر) في المغرب يعني ان هذا اللواء مظلي تقليدي من الطراز الذي قل استخدامه في الحرب الحديثة لا مظلي محمول بالهليكوبتر صالح للقتال في ظروف المعركة المعاصرة .

٧ — عدم وجود وحدات صواريخ أرض — جو ووحدات صواريخ ارض — ارض ووحدات ودبابات مضادة للطائرات او دبابات برمائية او بطاريات مدافع محمولة ذاتية الحركة في الجيش المغربي .

وتعني الملاحظتان ١ و٢ [ويمكن ان نصل الى النتائج نفسها اذا ما ادخلنا في المقارنة العراق

ومصر والاردن* مقابل السعودية وليبيا وتونس] ان البلدان العربية الواقعة على خط المجابهة مع اسرائيل او القريبة من هذا الخط تكرس لقواتها المسلحة طاقة بشرية واقتصادية تفوق بكثير الطاقة التي تكرسها الدول العربية البعيدة عن خط المجابهة [باستثناء الجزائر] . رغم ان دول المجابهة بحاجة ملحة لهذه الطاقة في سبيل تنفيذ برامج التنمية الرامية الى رفع مستوى الحياة والخروج من حالة التخلف ، وتقوية القدرة على المجابهة ايضا .

وتعني الملاحظة الثالثة ان الدعم الجوي الذي يمكن للمغرب (حاليا) ان يقدمه دعم محدود بقلة عدد الطائرات المقاتلة ، وبتحديدات الولايات المتحدة التي تمنع ارسال الطائرات الى منطقة الشرق الاوسط بغية الحفاظ على التفوق الاسرائيلي . ولكن وجود ١٢ طائرة ميغ ١٧ في المخزن يترك المجال مفتوحا امام ارسال هذه الطائرات السوفياتية غير الخاضعة لشروط الانتقال الى منطقة المواجهة ، كما يضيء السبيل أمام قدرة المغرب على كسر طوق السلاح وتزويد سوريا او غيرها من بلدان المجابهة بطائرات سوفياتية جديدة.

وتعني الملاحظة الرابعة ان الدعم البري بوحدات مدرعة مزودة بدبابات سوفياتية متوسطة ت ــ ٥٤ أمر ممكن لا يخضع للتحديدات ، على حين ان ارسال وحدات مدرعة مزودة بدبابات فرنسية خفيفة آ ــ ام ــ اكس قد يلاقي معارضة باريس التي قررت بعد حرب ١٩٦٧ حظر شحن الاسلحة الى منطقة المجابهة .

وتجيء الملاحظة الخامسة لتؤكد تعذر تقديم دعم بحري مغربي في الوقت الحاضر .

اما الملاحظة السادسة فتعني ان بوسع المغرب دعم سورية بقوات مظلية قادرة على تنفيذ مهمات خاصة فعالة لا على تنفيذ مهمات مشاة عادية وذلك اذا ما زود هذه القوات بطائرات هليكوبتر لنقل الرجال والمعدات وطائرات هليكوبتر للقتال والحماية . ومع عدد من التقنيين .

وتعني الملاحظة السابعة عدم قدرة المغرب (حاليا) على رفع كفاءة الدفاع الجوي السوري أو زيادة ضخامة القوة النارية السورية عن طريق تزويد سورية بصواريخ ارض ــ جو وصواريخ ارض ــ ارض وشبكات الرادار والتقنيين المدربين اللازمين لاستخدام هذه المعدات المتطورة .

يتدلنا هذه الملاحظات بشكل لا يدع مجالا للشك على ان حركة تقريب القوات من المدى الاستراتيجي الى المدى العملياتي او المدى التكتيكي لا يمكن ان تعطي ثمارها وتؤثر على موازين القوى الا اذا تصرفت الدول العربية البعيدة عن ساحة الصراع بشكل ينسجم مع حجم الخطر الامبريالي ــ الاسرائيلي ، وكرست لقواتها المسلحة طاقة بشرية واقتصادية كبيرة تتناسب مع امكاناتها البشرية ودخلها القومي المرتفع ، وتخلصت نهائيا من قيود التسليح التي تفرضها الولايات المتحدة الامريكية على العرب بغية تأمين تفوق العدو ومساعدته على تكريس عدوانه وفرض شروطه .

ان القوة المغربية التي وصلت الى سوريه لتعزيز قدرتها العسكرية تبقى ــ رغم أهمية الفكرة الاستراتيجية الكامنة في مثل هذا العمل ــ قوة رمزية لا تلعب دورا مؤثرا في تبديل ميزان القوى . وهي كما وصفها رئيس الوزارة السورية الاستاذ محمود الايوبي « ليست حاسمة في المعركة » (الصياد عدد رقم ١٤٨٩) . ولا يمكن تقييمها الا كبداية محدودة تستقي أهميتها من أنها تفتح أمام العرب بعدا جديدا ضروريا هو بعد « عروبة المعركة » بالمعنى الفعلي لا الدعاوي لهذا الشعار القومي الهام .

المقدم الهيثم الايوبي

* ان ذكر الاردن هنا لا يعني انه يقف بالنسبة للصراع العربي ــ الاسرائيلي في مستوى مصر وسورية والعراق رغم ان الملاحظات الخاصة بحجم التسليح بالنسبة لحجم القوة البشرية والاقتصادية يضعه الى جوار هذه الدول . ويرجع سبب استثناء الاردن هنا الى تصورنا للدوافع الامريكية الكامنة وراء تقوية الاردن عسكريا لا للصراع ضد اسرائيل بل للقيام بدور فعال ضد حركات التحرر الوطني العربية عندما ستلجأ الامبريالية الامريكية الى فتنمة الشرق الاوسط على نطاق واسع ، وتحويل الصراع من صراع عربي ضد الامبريالية واسرائيل الى صراع عربي ــ عربي يخفف حدة النقمة العالمية على الولايات المتحدة ، ويأخذ طابع حرب اهلية تخفي القبضة الحديدية الامبريالية وراء قناع عربي اسلامي .

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٣/١٣ — ١٩٧٣/٤/١٣

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة مفقود	جريح	قتيل	المصدر	تاريخه
١ —	٣/١٥	—	ميناء عسقلان	تفجير	عبوات ناسفة وحارقة	غيرمحدد	اشعال خزانات البترول على امتداد عدة كيلومترات	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٣	٣/١٦
٢ —	٣/١٧	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير سيارة قرب مدرسة الغزالية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٤	٣/١٨
٣ —	٣/١٧	—	القدس	تفجير	قنبلة حارقة ومتفجرة	عدد من الاصابات	حرق وتدمير مطعم «ماناريت» في شارع الزهراء	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٥	٣/١٨
٤ —	٣/١٧	—	يـافا	كمين	غير محدد	١	—	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٦	٣/١٨
٥ —	٣/٢٣	—	نابلس	تفجير	عبوات ناسفة	عدد من الاصابات	تدمير باص لشركة « دان »	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٧	٣/٢٣
٦ —	٣/٢٤	٩٤٣٠	رفح	كمين	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	عددمن الاصابات	غير محدد	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٨	٣/٢٤
٧ —	٣/٣٠	—	الخضيرة/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة محطة الباصات المركزية لشركة ايجيد	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧٠٩	٣/٣٠
٨ —	٣/٣٠	١٢٤٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مبنى بلدية القدس باضرار	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٠	٣/٣٠
٩ —	٢/١٤	—	تل ابيب(*)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير فيمصنع للحقائب الجلدية في شارع الملك جورج	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١١	٤/ ٤
١٠ —	٣/١١	١٧٤٠٠	الخليل(*)	كمين	اسلحة رشاشة وقنابل يدوية	عددمن الاصابات	تدمير باص لشركة ايجيد بين خويلفة وبئر السبع	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٢	٤/ ٧

١١ — ٣/٢٠	١٢٠٠٠	القدس(*)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية تحمل انابيب غاز وصهاريج وقود واصابة بعض المباني بأضرار	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٣ ٤/ ٧
١٢ — ٤/ ٩	٨٠٣٠	بتاح تكفا/تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير محطة الباصات رقم ١٢ التابعة لشركة ايجيد	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٤ ٤/ ٩
١٣ — ٤/ ٩	٩٠٠٠	بتاح تكفا/تل ابيب	تفجير	عبوات متفجرة	غيرمحدد	تدمير جزء من بناية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٥ ٤/١٠
١٤ — ٤/١٣	١٤٠٠	كريات جات/عسقلان	كمين	اسلحة مختلفة	غيرمحدد	تدمير سيارة عسكرية	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٦ ٤/١٣
١٥ — ٤/١٠	١٩٠٠٠	كفرالما/الجولان(*)	اشتباك	اسلحة مختلفة وقذائف صاروخية	غيرمحدد	عدد من الاليات (١)٣	—	—	—	تصريح عسكري رقم٧١٧ ٤/١٣
١٦ — ٤/١٠	١٤٠٠	بيروت	اشتباك	اسلحة مختلفة	عدد من الاصابات	عدد من الاسلحة والذخائر (٢)٨	—	—	وفا	٤/١٠

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٣/١٣ — ١٩٧٣/٤/١٣

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	٣/١٤	٢٢٤٠٠	قرية ابو سنان/الجليل الغربي	تفجير	الغـــام	٣	١	اصابة سيارة جيب	—	—	—	ن٠ عدد١٨٧ ص٥	٣/١٦
٢	٣/١٧	١٢٤٤٠	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة سيارة قرب مدرسة الغزالية	—	—	—	ن٠ عدد١٨٩ ص٢	٣/١٩
٣	٣/٢٣	—	نابلس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة اوتوبيس لشركة دان	—	—	—	ن٠ عدد١٩٢ ص٧	٣/٢٣
٤	٣/٢٤	—	رفح	القاء قنبلة	قنبلة يدوية	—	—	—	—	—	—	ن٠ عدد١٩٤ ص٣	٣/٢٦
٥	٣/٢٤	٦٤٠٠	زرعيت	اشتباك	اسلحة رشاشة	—	—	—	—	—	—	ن٠ عدد١٩٤ ص٣	٣/٢٦
٦	٣/٣٠	٦٤٤٥	الخضيرة	تفجير	عبوة ناسفة	—	٤	تفجير في محطة اوتوبيسات شركة ايجيد	—	—	—	ن٠ عدد١٩٨ ص٧	٣/٣٠
٧	٣/٣٠	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تفجير في حديقة اوستر امام مبنى البلدية	—	—	—	ن٠ عدد١٩٩ ص٦	٣/٣١
٨	٤/ ٩	٩٤٤٥	بتاح تكفا/تل ابيب	تفجير	عبوة ناسفة	—	٢	جرى الانفجار في احد المنازل	—	—	—	ن٠ عدد٢٠٦ ص٨	٤/ ٩
٩	٤/١٠	١٤٠٠	بيروت(٢)	اشتباك	اسلحة مختلفة	٢	٢	—	٤٠	اصابة		ن٠ عدد٢٠٧ ص٨	٤/١٠
١٠	٤/١١	٢٤٠٠	كفار علما/الجولان	تفجير	عبوات	—	—	—	٣	—	—	ن٠ عدد٢٠٨ ص٦	٤/١١

* — اوردنا العمليات في هذا الجدول حسب تسلسل البيانات الصادرة من القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية وبالتالي فان هذه العمليات ليست بتسلسل زمني متتابع ٠

١ — الشهيد سليمان يوسف « ابو جعفر » — الشهيد خليل عليان مسلم « ربيع » — الشهيد محمد محمود صادق « ابو الرائد » ٠

٢ — قام العدو بهجوم واسع النطاق استهدف عددا من مساكن قيادات الثورة الفلسطينية في مدينة بيروت وكذلك بعض المكاتب ونشر الرعب في احياء اخرى في كل من بيروت وصيدا ، واستشهد في هذا الهجوم :

١ — الاخ الشهيد محمد يوسف النجار « ابو يوسف » .
٢ — الاخ الشهيد كمال عدوان .
٣ — الاخ الشهيد كمال ناصر .
٤ — الاخ الشهيد صلاح صبحي السبع « جابر » .
٥ — الاخ الشهيد دياب موسى ابو شحادة « ابو السعيد » .
٦ — الاخ الشهيد غانم عبد الرحمن المحامرة .
٧ — الاخ الشهيد زياد فاروق لويس « ابو العيس » .
٨ — الاخ الشهيد محمد سالم ابو سعدة « فتحي خليل ابو النمر » .

كما استشهد من جراء الاشتباكات عدد من الاخوة المواطنين ورجال الامن اللبناني وجرح عدد آخر .

٣ — لمزيد من التفاصيل حول ما ادعته اذاعة العدو حول هذا الاعتداء يرجى مراجعة نشرة رصد اذاعة اسرائيل الاعداد ٢٠٧ و٢٠٨ و٢٠٩ .

تعريف بالمصطلحات الوارد ذكرها

— تصدر التصاريح العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

— ن : نشرة رصد اذاعة اسرائيل اليومية التي تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

— وفا : وكالة الانباء الفلسطينية تصدر يوميا عن دائرة الاعلام والتوجيه القومي بمنظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

تقريـــر

عن تصاعد العمليات في الارض المحتلة ١٩٧٢/٨/١ — ١٩٧٣/٢/٢٠

مقدمة : يجمع هذا التقرير الاجزاء المتعلقة بتصاعد العمليات في الارض المحتلة التي وردت في ثلاثة تقـارير سياسيـة صـدرت عن مركز التخطيـط الفلسطيني . ولهذا جاء مقسما على اساس ثلاث فترات تاريخية . ان الاهمية الخاصة لجمع تلـك الاجزاء في تقرير واحد تكمن في الحاجة لمعرفة اوضاع الثورة المسلحة في الارض المحتلة بعد ان تعرضـت لحملة تعتيم اعـلامي مقصود ، ادى الى جعـل الكثيرين حتى ممن يتابعون اخبار الثورة او مـن المنضمين لصفوف الثورة ، يظنـون ان العـدو الصهيوني قد نجح بتصفية خلايا التنظيم في الداخل، وقضى على العمليات العسكرية . ولا شك في ان الهدف من وراء ذلك التعتيم ، ومحاولة الايحـاء بتصفية نشاط الثورة في الارض المحتلة ، يرمي الى التمهيد لعزل الثورة الفلسطينية على اعتبار انها انتهت وما عادت هنالك ضرورة لبقائها ، ما دامت لم تعد قادرة على مواصلة الكفاح المسلح ضـد العدو الصهيوني على ارض فلسطين .

ان هـذه الدراسـة المرتكزة على حقائق لا يمكـن انكارها ، وقد اعترف العدو نفسه بأكثرها ، لا تبدد التعتيم الاعلامي فحسب ، وانما ايضا ، تشحـن الثورة بثقة اكيدة على امكانية مواصلة الكفـاح المسلح ، من اجل المضي ، بكل حماسة وعلمية ، لتصعيده . من هنا يجب ان تؤخذ هذه الدراسة بكل جد من قبل كل المناضلين والثوار .

تقرير عن تصاعد العمليات في الارض المحتلة

ما بين ٧٢/٨/١ و ٧٢/١٢/٣١

بالرغم من الضربات العديدة والانتكاسات التـي منيت بها الثورة الفلسطينية في المرحلة الماضية فان الثورة مصممة على الاستمـرار في نضالهـا حتى التحرير الكامل . ويأتي انتصار ثورة فيتنام ليؤكد لشعوب العالم المستضعفة ولكل القوى المتخاذلة في الصفوف العربية ان الطريق الوحيد لهزيمـة العدو المتغطرس ، مهما عظمت قوته هو طريـق الكفاح الشعبي المسلح طويل الامد . وان الثورة الفلسطينية التي آمنت بذلـك منذ انطلاقتهـا ، استعادت المبادرة من جديد ونجحت في اعادة تنظيم صفوفها داخـل الارض المحتلة لتعود الى كيـل الضربات الى العدو الصهيوني الـذي ادعى ان الثورة الفلسطينية قـد انتهت داخل الاراضـي المحتلة .

ان العمليات المتصاعدة داخل الاراضي المحتلـة تضطر مراجع العدو نفسها الى الاعتراف بها ، بالرغم من صمت اجهزة الاعلام العربية وتعتيمها .

ان هذه العمليات تأتي مع انتصار ثورة فيتنـام لتؤكد ان الثوار الفلسطينيين يسيرون على خطـى رفاقهم في فيتنام مصممين على النضال الطويل حتى النصر .

بعد هدوء دام بضعة اشهر في اعقاب مجازر تموز ١٩٧١ في الاردن عادت الالغام والقنابل تنفجر في غزة والضفة والوطن المحتـل ١٩٤٨ ، وعـادت الوحدات المقاتلة تشتبك وجها لوجه مع دوريـات العدو الصهيوني . وبالرغم من محاولات فـرض جو الهزيمة والاستسلام والتراجعات على الوطـن العربي ، وبالرغم من الحصار المضروب علـى الثورة الفلسطينية ، فقد استمرت عمليات ثوارنا في التصاعد داخل الارض المحتلة . وقد رافق دوي القنابل والرصاص صمت اعلامي رهيب من جانب الاذاعات والصحف العربية . كل ذلك من اجـل انكار وجود الثورة داخل الارض المحتلة ، ونفـي قدرتها على الاستمرار تمهيدا لضربها واشاعة روح الهزيمة والاستسلام . يهدف التعتيم الاعلامي على تصاعد عمليات ثوارنا داخل الارض المحتلة الـى اظهار الثورة وكأنها انتهت تماما ، ولم تعد ثمـة امكانات لتطوير الكفاح المسلح ، او الاستمرار به حتى لا تبقى من جدوى غير البحـث عن حلـول تصفوية من خلال الترامي على اعتاب الدول الكبرى والعرش الهاشمي والعدو الصهيوني .

ان هذه المراجعة للعمليات العسكرية التي قامت بها الثورة الفلسطينية داخل الارض المحتلـة في خمسة الاشهر الماضية ، والتي اعترف العـدو باغلبها ، تتطلب اخذها بكل جدية والخروج منهـا بالاستنتاجـات الصحيحـة ليس لدحض الافكـار والاتجاهـات الاستسلامية ودحـر كل المشاريـع التصفوية والمؤامـرات الرامية لتكيس البنـادق والتخلي عن طريق الثورة فحسب وانما ايضا من

اجل تكريس خط الثورة ، والانطلاق بعزيمة اشد وايمان في طريق تطوير الوضع الذاتي لثورتنا وتقويته والمحافظة على بنادقنا وتوسيع كفاحنا المسلح ونضاله الجماهيري . وكان هناك الى جانب العمليات العسكرية نشاط ملحوظ في اعادة التنظيم والبناء في الداخل ويدل على ذلك اعتراف العدو بالقاء القبض على خلايا فدائية والعثور على مخابىء اسلحة وانتشار موجة توزيع المناشير التي لم يخف العدو انزعاجه الشديد منها .

ومن هنا فان مراجعة تفصيلية لجداول العمليات المرفقة تؤكد ان الاستنتاجات اعلاه مبنية على وقائع وحقائق لا يمكن لاحد انكارها ، كما ان ذلك يتيح تلمس الخطوط العريضة للمهمات المرحلية التي يجب على الثورة تنفيذها ، خاصة ، مسالة تطوير الكفاح المسلح كميا ، ونوعيا . ولكن قبل اجراء هذه المراجعة لجداول العمليات لا بد من لفت النظر الى : ١ — ان العمليات التي تشملها الجداول المرفقة تغطي الفترة بين ٧٢/٨/١ الى ٧٢/١٢/٣١ وهي التي وردت في بلاغات صادرة عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية والعمليات التي اعترف بها العدو ولم تصدر بها بلاغات عن القيادة العامة ، والعمليات التي صدرت عن القيادة العامة واعترف بها العدو . اما العمليات التي قامت بها مختلف فصائل الثورة والتي لم يعترف بها العدو ولم ترد بها بلاغات من القيادة العامة فانها لا تدخل في جدول العمليات . ٢ — بالنسبة لجدول عمليات المرتفعات السورية (الجولان) فقد يحدث ان يعترف العدو بعدة عمليات في يوم واحد ، وتصدر عن القيادة العامة بلاغات عن عمليات حصلت في اليوم نفسه ولكن في اماكن مختلفة وليس واضحا ما اذا كانت هذه العمليات متطابقة وان اختلاف المناطق ليس اختلافا وقد تكون المنطقة المذكورة في بلاغات القيادة العامة تشمل المنطقة التي اعترف العدو بوقوع الحادث فيها او العكس . ٣ — ان العدو يعترف في اذاعته باللغة العبرية بالعمليات التي تقع امام مشهد اليهود ولا يأتي على ذكرها في اذاعته العربيةوكذلك يفعل بالعمليات التي تقع على مشهد العرب حيث يعترف بها في اذاعته باللغة العربية ولا يأتي على ذكرها في اذاعته باللغة العبرية . ولعل هذا ما يفسر عدم تطابق بلاغات الثورة مع ما يعترف به العدو في المرتفعات السورية .

لذلك فان مجموع العمليات لا يمكن ان يكون دقيقا بشكل كامل. والمهم في الامر ملاحظة نوعية العمليات في المناطق المختلفة ونسبة ما يعترف به العدو .

والمناطق التي شملتها العمليات مقسمة على النحو التالي : الاراضي المحتلة ١٩٤٨ ، الضفة الغربية، قطاع غزة ، المرتفعات السورية (الجولان) .

أ — الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ :

اعترف العدو في اذاعته باللغة العبرية ان مجموع الاعمال الفدائية داخل الخط الاخضر خلال سنة ١٩٧٢ بلغ ١٨ عملية . ولكن الناطق العسكري الصهيوني ، كما ورد في « وفا » ، كان قد اعترف في ٨/١ بوقوع ١٤ عملية في المناطق المحتلة خلال شهر تموز فقسط : ٩ عمليات على الساحل الفلسطيني ، ٤ عمليات في الجليل الاعلى وعملية في النقب . تبقى ٤ عمليات ، حسب اعتراف الناطق الصهيوني ، نفذت خلال السنة كلها فيما عدا شهر تموز . وهذا يتناقض بشكل فاضح مع اعترافات العدو التي نشرت خلال الاشهر الخمسة الاخيرة من عام ١٩٧٢ . اذا نظرنا الى الجدول اعلاه نجد ان مجموع العمليات بلغ اكثر من ٣٩ عملية ، ويرتفع هذا الرقم اذا ادخلنا في الحساب الحرائق المتعمدة التي اعترف بها العدو وخاصة في بئر السبع والجليل الغربي . اما عدد العمليات التي اعترف بها العدو بطريقة مباشرة او غير مباشرة (مثل الاشارة الى عطل في محطة كهرباء ، او حريق) فقد بلغ اكثر من ٢٩ عملية .

تركزت معظم العمليات في منطقة تل ابيب كما شملت مناطق : حيفا ، الجليل ، يافا ، ناتانيا ، العفولة ، بئر السبع ، عكا وايلات . والاغلبية الساحقة من العمليات تمت بوضع عبوات ناسفة وحارقة في اماكن يصعب الوصول اليها مثل المطاعم والمصانع والمباني ، اي في اماكن ليست بعيدة عن التجمعات البشرية . وحدثت ثلاث عمليات مواجهة: فقد حصل اشتباك بحري في الشريط بين نهاريا وحيفا ، ووقع اشتباك مع فدائي تسلل من الاردن قرب ايلات ، كما تم اعداد كمين لناقلتي جنود وشاحنة ذخيرة على طريق حيفا — عكا . ومن ابرز هذه العمليات : عملية مصنع اسلحة عوزى ، عملية المدرسة العسكرية في عسقلان ، عملية مطعم العفولة ، عملية مبنى شالوم وعملية مصنع تروم اسبست .

(الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨)

**١ — ٨/١ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في مبنى الصندوق القومي .

* ٢ — ٨/٦ تل ابيب ، انفجار قنبلة في حي .

* ٣ — ٨/١٢ تل ابيب ، انفجار عبوات ناسفة وحارقة في محلات « داليا » .

* ٤ — ٨/٢٢ ناتانيا ، اكتشاف عبوة زنتهـا ١٤٥ كيلو .

٥ — ٨/٢٧ عسقلان ، عبوات ناسفة حارقة في المدرسة العسكرية .

** ٦ — ٩/٧ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في منجرة ومستودع اخشاب .

** ٧ — ٩/٨ بين حيفا ونهاريا ، اشتباك بحري بالمدافع الثقيلة .

٨ — ٩/٩ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في محطة كهرباء .

** ٩ — ٩/١٣ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في مبنى ليلي .

١٠ — ٩/١٣ بتاح تكفا ، تفجير عبوات حارقة في مستودع خشب .

١١ — ٩/١٥ بتاح تكفا ، تفجير عبوات ناسفة في متاجر وبنايات .

** ١٢ — ٩/١٧ بين تل ابيب وبتاح تكفا ، تفجير عبوات حارقة في مستودعات كريات حوليم .

١٣ — ٩/١٨ بين مجيدو وحيفا ، تفجير عبوات ناسفة في مصنع اسلحة عوزي .

١٤ — ٩/٢٢ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في سيارة .

** ١٥ — ٩/٢٩ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة بإحد مصانع سكب الحديد .

* ١٦ — ١٠/٥ رحوفوت ، حريـق في محكمة الصلح .

** ١٧ — ١٠/١٣ ناتانيا ، تفجير عبوات ناسفة في بنك العمال .

** ١٨ — ١٠/١٥ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في محطة كهرباء .

** ١٩ — ١٠/١٥ حيفا ، تفجير عبوات ناسفة في محطة كهرباء .

** ٢٠ — ١٠/١٩ كريات اوتو/تل ابيب ، تفجير عبوات في سيارة شحن .

** ٢١ — ١٠/٢٩ العفولة ، تفجير عبوات ناسفة في مطعم .

** ٢٢ — ١٠/٢٩ بئر السبع ، حرق مستودع اعمدة كهرباء .

٢٣ — ١٠/٣٠ كريات آسا/حيفا ، تفجير عبوات ناسفة في مبنى .

** ٢٤ — ١٠/٣١ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في مبنى شالوم .

* ٢٥ — ١٠/٧ تل ابيب ، حريق في المركز العام لكوبات حوليم .

٢٦ — ١٠/٧ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة حارقة في مركز زيادة الانتاج العمالي .

** ٢٧ — ١١/٩ بئر السبع ، حريق في منجرة ومستودع اخشاب .

٢٨ — ١١/١١ يافا ، تفجير عبوات في متاجر .

** ٢٩ — ١١/١٨ اشدوت يعقوب ، انفجـار الغام بجنود العدو .

** ٣٠ — ١١/١٩ حيفا ، تفجير عبوات حارقة في ملهى بيجال .

* ٣١ — ١١/٢٣ سفوح الكرمل ، حرائق في بساتين .

* ٣٢ — ١١/٢٨ لهبوت هباشان ، انفجـار بشابين .

٣٣ — ١٢/١ تل ابيب ، حريق في مصنع للتوابل .

* ٣٤ — ١٢/٧ بئر السبع ، انفجار قنبلة .

** ٣٥ — ١٢/٣ بين حيفا وعكا ، كمين اسلحة مختلفة لسيارتين عسكريتين ذخيرة وشاحنة .

** ٣٦ — ١٢/١٠ عكا ، تفجير عبوات في مصنع تروم اسبست .

* ٣٧ — ١٢/١٥ ايلات ، اشتباك مع فدائي .

** ٣٨ — ١٢/٢١ تل ابيب ، القاء عدة قنابل مولوتوف على مستودعات للمواد الاستهلاكية .

* شهر ٩ بئر السبع ، ٥ حرائق متعمدة .
* ١١/٢٣ الجليل الغربي ، ٨ حرائق في بساتين .

ملحوظة :

النجمتان على يمين العملية في هذا الجدول — وفي الجداول الاخرى — تشير الى العمليات التي اعترف بها العدو واصدرت قيادة الثورة بلاغا بها . اما النجمة الواحدة فتشير الى العمليات التي اعترف بها العدو ولم يصدر بلاغ رسمي في قيادة الثورة بها . اما العمليات التي لا تحمل نجومها فهي التي صدر بها بلاغ من قيادة الثورة ، ولم يعترف بها العدو .

ب — الضفة الغربية :

اما في الضفة الغربية فقد بلغ مجموع العمليات ٣٣ عملية اعترف العدو بـ ٢٢ منها . وهناك ملاحظة بالنسبة لعمليات الخليل ، حيث انه من ٨/١ — ٩/١٢ اعترف العدو بعمليتين فقط في منطقة الخليل ولكنه في اعترافه بالعملية الثانية لاحظ العدو ازدياد النشاط « التخريبي » في منطقة الخليل وفي هذه الفترة كانت الثورة قد اعلنت عن ٦ عمليات. ان الطابع المميز لعمليات الضفة الغربية هو الكمائن والهجوم بالاسلحة الخفيفة بالدرجة الاولى واستعمال القنابل اليدوية بالدرجة الثانية جنبا الى جنب مع الاسلحة الرشاشة . واهم الاهداف هي الدوريات العسكرية ، وسيارات نقل للعدو . وقد تركزت الكمائن والهجمات والاشتباكات التي سيطر عليها طابع المواجهة في منطقة الخليل اذ بلغ مجموعها ١٠ عمليات مواجهة . وقد حدثت عمليات مواجهة في مناطق اخرى ولكن بكثافة اقل ، في نابلس ، طولكرم ، بيت لحم ، رام الله والقدس . اما وضع العبوات الناسفة والحارقة فقد تركزت بشكل رئيسي في القدس . وتأتي هذه العمليات في المرتبة الثانية بعد عمليات المواجهة . واهم هذه العمليات عملية السوبر ماركت ، ومصنع الكرتون، ومبنى البريد ، ومبنى شتراوس ومبنى تجمع الشباب في القدس . وقد احتلت نابلس المرتبة الثانية بعد القدس من ناحية وضع العبوات الناسفة ولكن الاماكن التي وضعت فيها ليست على درجة اهمية الاهداف في القدس . ان عودة التحرك في نابلس قد جعلت العدو يقوم بحملات تفتيش واعتقالات كبيرة في المدينة .

الضفة الغربية

١ — ٨/٢ القدس ، كمين لاثنين من جنود العدو .

٢ — ٨/٥ قبلان/نابلس ، تفجير في مبنى دائرة العمل (عبوات ناسفة) .

٣ — ٨/٨ جنين ، تفجير عبوات ناسفة وصواريخ على مقر الحاكم العسكري .

٤ — ٨/٢٢ طريق عجور — بيت جبرين/الخليل ، كمين اسلحة خفيفة ورشاشة .

٥ — ٨/٢٥ بين يطا والخليل ، كمين قنابل يدوية ورشاشات .

** ٦ — ٨/٣١ طريق القدس — نابلس/نابلس ، كمين اسلحة خفيفة على باص .

** ٧ — ٩/٢ بين رام الله والقدس ، كمين لباص بالمدافع الرشاشة .

٨ — ٩/٧ الخليل ، كمين لباص صهيوني (حادث صدام*).

٩ — ٩/١٠ منطقة دورا ، كمين ، هجوم بالار. ب. ج. ورشاشات خفيفة .

** ١٠ — ٩/١١ بين حلحول والخليل ، كمين لسيارة عسكرية : قنابل يدوية ورشاشات .

* ١١ — ٩/١٢ بين حلحول والقدس ، هجوم على سيارة ركاب بالبازوكا .

** ١٢ — ٩/١٥ الخليل ، هجوم اسلحة مختلفة على دورية .

١٣ — ٩/١٥ يطا — الخليل ، اشتباك مع دورية — اسلحة خفيفة .

* ١٤ — ٩/٢٩ يدحنا/طولكرم ، اكتشاف شحنة مفخخة .

** ١٥ — ٩/٢٩ القدس ، تفجير عبوات ناسفة في سوبر ماركت .

** ١٦ — ٩/٢٩ بزاريا/طولكرم ، هجوم اسلحة رشاشة على دورية .

** ١٧ — ١٠/٢ القدس ، عبوات ناسفة في مصنع كرتون .

١٨ — ١٠/٧ القدس ، شاب يطعن جندي صهيوني .

١٩ — ١٠/١٩ غرب الخليل ، هجوم قنابل واسلحة رشاشة .

** ٢٠ — ١٠/٣٠ بيت لحم ، كمين اسلحة رشاشة .

** ٢١ — ١٠/٣١ نابلس — طولكرم ، تفجير عبوات ناسفة على طريق .

* ٢٢ — ١٠/١٠ الخليل ، انفجار عبوة قرب المقبرة .

** ٢٣ — ١١/٢ القدس ، عبوات في مبنى البريد وحرق الارشيف .

** ٢٤ — ١١/١١ نابلس ، عبوة ناسفة في سيارة .

** ٢٥ — ١١/١٢ بين اللطرون ورام الله ، كمين اسلحة مختلفة لشاحنة .

** ٢٦ — ١١/٢١ القدس ، حريق في مبنى شتراوس نتيجة تفجير عبوات حارقة .

** ٢٧ — ١١/٢٩ القدس ، عبوات ناسفة حارقة في مبنى تجمع الشباب .

** ٢٨ — ١١/٢٩ القدس ، حرق باص ايجد .

٢٩ — ١٢/١ بير النحاس/ الخليل ، هجوم اسلحة مختلفة .

** ٣٠ — ١٢/١٠ القدس ، القاء قنبلة مولوتوف على باص ايجد .

** ٣١ — ١٢/١٢ القدس ، عبوات ناسفة في مستودعات (اعتراف بالحريق) .

* ٣٢ — ١٢/١٥ نابلس ، انفجار عبوة ناسفة قرب مكتب العمل .

* ٣٣ — ١٢/١٦ نابلس ، اكتشاف عبوة موقوتة لم تنفجر بالقرب من المسلخ البلدي .

ملاحظة : * اعتبرت القدس الجديدة في منطقة الضفة الغربية وليس في منطقة ما وراء الشريط الاخضر .

* للنجوم ذات المدلول كما في الجدول الاول .

ج — قطاع غزة :

اما في قطاع غزة فقد كان مجموع العمليات ٢٩ عملية اعترف العدو بمعظمها (٢٦ عملية) . وهناك ملاحظة هامة بالنسبة للقطاع وهي انخفاض عدد العمليات في القطاع في شهر كانون الاول انخفاضا كبيرا . وفي حين كانت الكمائن بالاسلحة الخفيفة هي الطابع المسيطر على عمليات الضفة الغربية فان القاء القنابل اليدوية كان الطابع المميز لعمليات القطاع وتأتي الاسلحة الخفيفة بالدرجة الثانية . والقاسم المشترك بين عمليات الضفة وعمليات القطاع هو تميز العمليات بطابع المواجهة ان في الكمائن او الهجوم او الاشتباكات . اما الاهداف فقد كانت بشكل اساسي دوريات العدو وسياراته وباصاته . والعملية البارزة في القطاع هي محاولة اغتيال الشوا التي استعملت فيها القنابل اليدوية والمسدسات وتأتي بعد عمليات المواجهة عمليات وضع العبوات الناسفة والالغام ولكن في الاماكن البعيدة عن التجمعات البشرية مثل الطرقات وسكك الحديد . وبذلك تختلف عمليات وضع العبوات عن عمليات المناطق المحتلة ١٩٤٨ وعمليات القدس حيث توضع العبوات بشكل رئيسي في اماكن يصعب الوصول اليها .

ملاحظة : ورد في صحيفة هاتسوفيه بتاريخ ١٥/ ٧٢/١٢ ان : ١ — عدد العمليات في قطاع غزة خلال اب وايلول بلغ ٣٢ عملية . واذا نظرنا الى الجدول نرى ان هذا العدد لم يتجاوز العشرة حسب اعترافات الناطق الصهيوني في اذاعته العبرية . ٢ — يعاني القطاع نقصا في السلاح بعد تسييج مشارف رفح وقطع الطريق على وصول الاسلحة الموجودة بكثرة في سيناء الى القطاع ولعل هذا ما يفسر الطابع المميز لعمليات غزة الا وهو القاء القنابل اليدوية . فقد اشارت صحيفة هاتسوفيه بتاريخ ٧٢/١٢/١٥ انه « .. خلافا لسنوات سابقة يعاني القطاع الان نقصا شديدا في الاسلحةومعدات التخريب ، بعد ان كان مليئا بالمعدات العسكرية . لذلك واجه « المخربون » .. صعوبات . فقد كان معظم القنابل التي القيت في الحوادث الاخيرة صدئا ، او دون جهاز ، او كانت قنابل فقدها الجيش الاسرائيلي ، كما يبدو » . وبالرغم من ذلك فان ارادة القتال لم تتوقف وكسان « من بين ما استعمله « المخربون » العبوات الموقوتة وقد دربوا على اعداد مواد كيماوية يمكن الحصول عليها من سوق المدينة ومن الصيدليات » . حسب تعبير الصحيفة .

قطاع غزة

* ١ — ٨/٢٥ غزة ، القاء قنبلة على سيارة مدنية .

** ٢ — ٨/٢٧ جباليا ، القاء قنبلة على سيارة عسكرية .

* ٣ — ٨/٣٠ خان يونس ، القاء قنبلة على باص ايجد .

** ٤ — ٨/٣١ دير البلح ، القاء قنبلة على سيارة للبلدية .

* ٥ — ٩/١ دير البلح ، القاء قنبلة على سيارة عسكرية .

** ٦ — ٩/١ خان يونس ، انفجار لغم بسيارة دورية .

** ٧ — ٩/٤ غزة ، كمين لرشاد الشوا : قنابل ومسدسات .

* ٨ — ٩/١٤ غزة اطلاق نار على سيارة .

٩ — ٩/٢٥ دير البلح ، كمين قنابل ورشاشات .

١٠ — ٩/٢٤ خان يونس ، عبوات ناسفة في سكة الحديد .

** ١١ — ٩/٢٦ البريج ، كمين قنابل ورشاشات لدورية .

** ١٢ — ٩/٢٩ غزة ، القاء قنبلة يدوية على سيارة عسكرية .

** ١٣ — ١٠/٢ غزة ، القاء قنبلة يدوية على سيارة عسكرية .

** ١٤ — ١٠/٥ غزة ، القاء عبوة ناسفة على سيارة عسكرية .

** ١٥ — ١٠/١٣ غزة ، القاء قنبلة يدوية .

** ١٦ — ١٠/١٤ جباليا ، انفجار عبوة ناسفة في الشارع بسيارة عسكرية .

* ١٧ — ١٠/١٥ خان يونس ، اطلاق الرصاص على باصين ايجد .

** ١٨ — ١٠/١٩ رفح ، القاء قنبلة على باص ايجد .

* ١٩ — ١٠/٢٢ العريش ، تفجير قذيفة هاون في مبنى البريد .

٢٠ — ١٠/٢٧ الشاطىء ، كمين لدورية .

** ٢١ — ١٠/٣١ الشاطىء ، اشتباك اسلحة مختلفة : رشاشات وقنابل .

** ٢٢ — ١١/٢ الشاطىء ، كمين لدورية : عبوات ناسفة مسيطر عليها فنيا .

** ٢٣ — ١١/٥ الشاطىء ، القاء قنبلة يدوية على دورية .

** ٢٤ — ١١/٧ غزة ، عبوات ناسفة في سكة الحديد .

* ٢٥ — ١١/٧ غزة ، القاء عبوة على سيارة مدنية .

* ٢٦ — ١١/١٣ خان يونس ، انفجار لغم بجرار زراعي .

* ٢٧ — ١١/١٦ غزة ، العثور على قنبلة لم تنفجر .

* ٢٨ — ١٢/٢٤ خان يونس ، عبوات ناسفة في سكة الحديد .

* ٢٩ — ١٢/٢٦ غزة ، هروب باص من دورية صهيونية .

د — المرتفعات السورية (الجولان) :

كان مجموع العمليات في المرتفعات السورية (الجولان) ٦١ عملية اعترف العدو بـ ٣٠ منها . ومن الملاحظ ان العمليات التي تصدر عن القيادة العامة لا يعترف بها العدو في حين يعترف بعمليات لم تصدر عن القيادة العامة . وقلما ترد بلاغات متصلة بين القيادة العامة ومصادر العدو . وكما اشرنا في السابق قد يكون عدم التطابق ناتج عن كيفية تحديد المناطق التي تحصل فيها العمليات . وبالرغم من ان العدو اعترف بـ ١٢٢ عملية في الجولان خلال سنة ١٩٧٢ وكان هذا اكبر عدد بالنسبة لبقية المناطق ، الا ان عدم اعتراف العدو بالعديد من العمليات التي اعلن عنها الناطق باسم القيادة العامة ما هو الا نتيجة تطبيق سياسة العدو في عدم الاعتراف بالعمليات التي تحدث على الحدود بعيدا عن اعين المستوطنين الصهاينة ، او العرب. ان الطابع المميز لعمليات الجولان هو القصف بالصواريخ والقذائف . وتأتي بالدرجة الثانية الالغام التي تزرع على الطرق وفي المزارع وتنفجر بالدوريات والجرارات الزراعية . اما معارك المواجهة كالكمائن والاشتباكات واطلاق الرصاص على دوريات فانها قليلة نسبيا ، وليس واضحا فيما اذا كان الهجوم بالصواريخ يحمل طابع المواجهة ام لا .

الجولان

* ١ — ٨/٢ ناحال هاجولان ، هجوم بالكاتيوشا .

* ٢ — ٨/٥ موقع في الجولان ، قذيفة بازوكا .

٣ — ٨/٨ معسكر ابو زيتون ، قصف مدفعية ثقيلة .

** ٤ — ٨/٢٠ سعد بطاح ، هجوم قذائف صاروخية واسلحة مختلفة .

٥ — ٨/٢٠ حيفل وجبين ، قصف هاون وقذائف صاروخية ورشاشات .

٦ — ٨/٢٢ خربة العرايس ، هجوم صواريخ ثقيلة .

٧ — ٨/٢٩ شعار هاجولان ، هجوم صواريخ ثقيلة .

٨ — ٨/٢٩ بين الدبوسية والفرضاوي ، انفجار لغم بالية .

* ٩ — ٨/٢٩ ناحال هاجولان ، قصف قذيفة .

* ١٠ — ٨/٣٠ ناحال هاجولان ، قصف قذائف .

١١ — ٨/٣١ العال وجبين وحتيل ، قصف هاون ومدفعية ثقيلة ورشاشات .

١٢ — ٨/٣١ معسكر ابو خيط ومعسكر ابو الخيطان ، هجوم مدفعية هاون ثقيلة .

* ١٣ — ٨/٣١ رمات مغشيميم ، قصف مدفعية هاون ثقيلة .

* ١٤ — ٩/٣ مجدل شمس ، هجوم على دورية.

* ١٥ — ٩/٤ بقعاتا ، تفجير الغام .

* ١٦ — ٩/٤ القنيطرة ، قصف قذائف .

* ١٧ — ٩/٨ خسفين ، قصف قذائف .

* ١٨ — ٩/١١ معسكر ابو خيط ، هجوم مدفعية هاون ثقيلة .

١٩ — ٩/١٢ القنيطرة ، هجوم قذائف صاروخية .

* ٢٠ — ٩/١٢ حصنية ، قصف بازوكا .

٢١ — ٩/١٤ بانياس ، كمين .

٢٢ — ٩/١٥ تل ابو السعي ، قصف هاون .

٢٣ — ٩/١٥ ابو خيط ، تفجير الغام .

٢٤ — ٩/١٥ بين رويسة الحمراء وسحيتا ، تفجير الغام .

* ٢٥ — ٩/١٥ ناحال هاجولان ، قصف قذائف .

* ٢٦ — ٩/١٥ خسفين ، قصف قذائف .

* ٢٧ — ٩/١٥ رمات مغشيميم ، تفجير الغام .

* ٢٨ — ٩/١٥ مجدل شمس ، العثور على عدة الغام .

٢٩ — ٩/١٦ القنيطرة ، قصف صواريخ .

٣٠ — ٩/١٦ تل ابو الذهب ، قصف مدفعية هاون.

** ٣١ — ٩/١٧ القنيطرة وناحال جولان ، قصف صواريخ .

٣٢ — ٩/١٧ جبين ، قصف صواريخ .

٣٣ — ٩/١٨ جبين ، هجوم اسلحة مختلفة على دورية .

٣٤ — ٩/١٨ بين القنيطرة والخشفية ، تفجير عبوات ناسفة في جسر .

٣٥ — ٩/١٨ مسعدة/القنيطرة ، قصف صواريخ .

٣٦ — ٩/١٩ ناحال هاجولان ، قصف قذائف .

٣٧ — ٩/٢٠ تل ابو الذهب ، الغام .

٣٨ — ٩/٢٠ الجولان ، قصف صواريخ .

* ٣٩ — ١٠/١٠ بقعاتا ، عبوة ناسفة على طريق ترابي .

** ٤٠ — ١٠/٢٤ شمالي بقعاتا ، انفجار في جسر .

** ٤١ — ١٠/٢٤ ناحال هاجولان ، تفجير عبوة.

٤٢ — ١٠/٢٨ تل شيحة ، تفجير الغام ببلدوزر .

** ٤٣ — ١١/٢ بقعاتا ، اشتباك اسلحة مختلفة ، معركة مواجهة .

٤٤ — ١١/٦ جبين وحتيل ، هجوم صواريخ وهاون .

* ٤٥ — ١١/٦ ناحال هاجولان ، هجوم بقذائف الهاون .

** ٤٦ — ١١/٨ بقعاتا ، انفجار عبوة بجرار زراعي .

٤٧ — ١١/٩ كفر الماء ، هجوم صواريخ .

٤٨ — ١١/١٦ الجولان ، هجوم اسلحة مختلفة .

** ٤٩ — ١١/١٧ بين خسفين وناحال هاجولان ، تفجير الغام.

* ٥٠ — ١١/١٧ ناحال هاجولان ، اطلاق رصاص.

* ٥١ — ١١/١٧ الجولان ، الغام وقذائف هاون.

* ٥٢ — ١١/٢١ ناحال هاجولان ، تفجير الغام .

٥٣ — ١٢/٣ الجولان ، تفجير شبكة الغام .

٥٤ — ١٢/٧ الدبوسية ، هجوم قذائف صاروخية واسلحة خفيفة ، اشتباك .

٥٥ — ١٢/٧ جسر الرقاد ، صواريخ في موقع .

* ٥٦ — ١٢/١٥ وادي رقاد ، قذائف هاون .

* ٥٧ — ١٢/١٥ ناحال هاجولان ، العثور على قذيفتي بازوكا وثلاثة الغام .

٥٨ — ١٢/٢١ تل موسى ، اشتباك قذائف صاروخية واسلحة مختلفة .

* ٥٩ — ١٢/٢٦ ناحال هاجولان ، هجوم بالقذائف الموقوتة .

* ٦٠ — ١٢/٢٩ الجولان ، العثور على بقايا انفجار كاتيوشا .

٦١ — ١٢/٣٠ تل الصرفان ، هجوم قذائف صاروخية واسلحة مختلفة ومدفعية هاون .

خلاصة عامة :

اذا كانت الارقام تشير الى تصاعد كمي بارز في العمليات العسكرية فان هذا ليس كل ما يحمله هذا التصاعد من دلالات . فهناك مسألة نوعية تلك العمليات واماكن تنفيذها حيث يلاحظ ان اغلبية العمليات قد نفذت في العمق على طول الشريط الممتد من غزة جنوبا حتى الجليل شمالا بما في ذلك نقاط في العمق تقع في قلب مواقع العدو مثل تل ابيب وناتانيا والعفولة ، وهي مناطق ليس من السهل وصول الثورة اليها . والاهم ان تلك العمليات شملت عمليات القاء قنابل يدوية على السيارات العسكرية الصهيونية والغام وعبوات في مواقع استراتيجية ، وقذائف واشتباكات باسلحة خفيفة حسب اعتراف الناطق الصهيوني نفسه . ولكل ذلك دلالته على قدرة الثورة على مواصلة الكفاح المسلح وتصعيده والمضي حتى النهاية في حرب التحرير .

موقف العدو من تصاعد العمليات :

ان العمليات الفدائية ، والخلايا التي لم تقم بأي عمل عسكري ، والمناشير التي توزع ، كل هذه اثارت العدو وجعلت قادته يصدرون التصريحات المتضاربة حول تصاعد نشاط المقاومة في الداخل ، فالعمل في الداخل يفسر تارة على انه نتيجة للفشل في الخارج وطورا يفسر العمل في الخارج على انه نتيجة للفشل في الداخل .

في ١٠/٢٩ قال حاييم هرتسوغ : « نحن نواجه صراعا مع « المخربين » خارج البلاد نتيجة لفشلهم المنزل هنا وعلى طول الحدود » . وقال اهارون ياريف في ١٠/٢٩ : « ان المنظمات « التخريبية » لجأت الى اعمال الارهاب لانها حشرت في الزاوية الا اننا يجب ان نرى هذه العمليات كجزء من مقاومة اعمال عديدة ومتنوعة » . اما هليل فقد قال في ١٠/٢ : علينا ان نعد انفسنا لمواجهة تجدد « الارهاب » على طول الحدود وداخل اسرائيل . وقد دعا الوزير الجماهير في اسرائيل الى زيادة يقظتها . وفي ١٠/١٢ دعت صحيفة هآل همشمار الى الاستعداد جيدا ضد « الارهاب » داخل دولة اسرائيل لانه كلما قل خطر الصدام العسكري في الجبهة يتزايد خطر « التخريب والارهاب » . اما العميد شلومو غازيت ، المسؤول عن تنسيق الاعمال في المناطق المحتفظ بها فقد تحدث معمراسل اذاعة العدو العسكري روني دانييل في ١٠/١٤ واعتبر ان الاسباب الرئيسية لتجدد وازدياد اعمال « التخريب » في اسرائيل متشعبة . وقال : « قبل كل شيء انا اعتبر هذا محاولة متجددة تقوم بها منظمات « التخريب » لاستئناف النشاط بأي ثمن خصوصا نتيجة لفشلهم في كل مكان اخر . وحتى نشاطهم خارج البلاد الذي يظل في نطاق الاعمال الاستعراضية ، فان الامكانيات المتوفرة له ضيقة جدا . ومن هنا ، فقد كان عليهم ان يحاولوا بكل ثمن القيام باية عملية ، اذا ارادوا ان يثبتوا انهم ما زالوا موجودين » . اما عن الاسباب لزيادة العمليات في هذه الفترة بالذات فقد ارجعها غازيت الى اربعة اسباب :

١ — حركة الزيارة في المناطق في فصل الصيف الذي هو اكثر سهولة وراحة . (ان التنقل بين الاراضي المحتلة و « اسرائيل » كان سهلا في فترة الصيف وخاصة ان اسرائيل كانت تريد ان تفيد الى اكبر درجة من الناحية الاعلامية وفي حربها النفسية ضد العرب ولذلك سهلت الزيارات في المناطق وحسب التقارير الداخلية الواردة فانه كان من السهل جدا التنقل في كل انحاء اسرائيل دون ان يسأل الزائر عن تصريح او هوية) . ٢ — الفترة الزمنية التي يتطلبها اعداد وتشغيل الشبكات الجديدة بعد كل فشل تمنى به شبكة « تخريبية » .

٣ — الاعمال الاستعراضية خارج البلاد — عملية طائرة سابينا — « مذبحة » اللد ، وعملية ميونيخ. هذه الاعمال خارج البلاد بالذات تشكل حافزا وعوامل ضغط على الشبكات الداخلية لمحاولة القيام باعمال في الداخل ايضا . ٤ — ارسال بعض الافراد غير القلائل لاقامة الشبكات من جديد، لتجنيد الافراد ، تنظيمهم وتدريبهم وتوجيههم وبعض هؤلاء جاءوا عبر الجسور المفتوحة ومن بينهم بعض الزوار الصيفيين .

وتقول هآرتس ١٠/١١ انه « بعد حوادث ميونيخ حدث انتعاش كبير بين منظمات « التخريب » في منطقة الضفة الغربية ولدى دوائر الامن معلومات بأن بضع عشرات من الشبان العرب انضموا في الاونة الاخيرة الى المنظمات التي اخذت تجدد اتصالاتها بمراكز « المخربين » في الدول العربية ». يتضح من هذا ان العمليات الخارجية تشكل حافزا للشباب في الداخل للانضمام الى المنظمات وان الجسور وحرية التنقل النسبية في الداخل تسهل اقامة الاتصال بين الداخل والخارج ونقل

المعلومات والتعليمات ومن ثم تجديد العمل العسكري في الداخل .

استنتاج :

١ ــ ان حركة التنقل بين « اسرائيل » والمناطق ، والتي هي اكثر سهولة في فصل الصيف (ولكن يمكن أن تستمر في الشتاء) تجعل التنقل سهلا وهذا يساعد على سهولة الاتصال مع الداخل ونقل المواد والمعلومات ودراسة الاهداف والقيام بعمليات .

٢ ــ ان فترات الهدوء التي تعقب نشاط المقاومة نتيجة لضربات القوى المضادة يجب ان لا تفسر على أنها نهاية الثورة . المهم ان لا يتوقف العمل وان لا يكون هناك تنازل عن الاهداف اذ أنه من الممكن ان تولد باستمرار خلايا جديدة ويعاد تنشيط الخلايا القديمة لتقاتل العدو وتكمل المسيرة . المهم ان لا نسارع الى اصدار الحكم على الثورة بعد فترة من الهدوء في النشاط العسكري .

٣ ــ ان العمليات الخارجية يمكن ان تستغل جيدا من أجل بناء التنظيم في الداخل والا فقدت مبررها . اذ يجب ان ترتبط نتائج مثل هذه العمليات باحياء التنظيم الذي سيكون الاداة لمنع التسويات ولكن الاهم من هذا دوره في التحرير . ان مهمة العمليات الخارجية هي بناء التنظيم من ناحية ، كما ويكون لها دور ايجابي ــ وباعتراف العدو ــ في تصعيد الكفاح المسلح في الداخل ورفع معنويات الجماهير وربطها بالثورة من ناحية اخرى . ان كل التقارير الواردة من الداخل ــ وكذلك اعترافات العدو ــ تشير الى ان معنويات الجماهير ترتفع ويبدأ الكل بالحديث عن الثورة دون خوف وابداء تأييدهم للمناضلين الذين يقومون بمثل هذه العمليات . ولكن لا يجوز ان تبقى ردود فعل الجماهير في الداخل عفوية وعاطفية وغير مرتبطة بالعمل التنظيمي . يقول غازيت : « من ناحية المشاعر لم يتغير العامل الذي يمكن اجماله بأن هناك عطفا على منظمات « التخريب » وعلى عملياتهم واستطيع القول انه كان هناك تأييد لمذبحة ميونيخ على ما فيها من وحشية . ولكن لا يوجد الان ميل لدى سكان الضفة الغربية ، ومن الممكن القول ايضا في قطاع غزة ، للمشاركة الفعالة في نشاط المنظمات . ويميل الجو العام في المنطقة ، نحو عودة الحياة الى مجراها الطبيعي والاستفادة من الرفاهية وجميع المنافع مثل حرية الحركة وحرية التجارة ورفع مستوى المعيشة وخلافه » . ان العطف على المنظمات الفدائية يمكن ان يطور في اتجاه المشاركة الفعالة ومن مهمات التنظيم توعية الجماهير على مخططات العدو التي تعمل على فرض التعايش والهدوء .

٤ ــ ما دامت الجسور مع العدو مفتوحة يجب استغلالها بشكل فعال من أجل بناء التنظيم في الداخل . فبناء على اعتراف غازيت هناك خلايا في الداخل ولكن الوسائل لتنفيذ العمليات غير متوفرة تقريبا ويقول ان ليست لديه معلومات على ان الذين عبروا الجسور اشتركوا فعليا في تنفيذ العمليات . ولكنه يقول « انه يعلم جيدا انهم جاءوا لاعادة تنظيم الشبكات او لنقل المعلومات والتعليمات ، لا كمنفذين » . ان الخلايا الموجودة في الداخل مشلولة عن العمل لان الاتصال بها مقطوع . ان الاتصال بالداخل ممكن وضروري وتقول تقارير القادمين من الارض المحتلة انه بعد عبور الجسر لا احد يسأل عن الهويات ويمكن للانسان ان يتنقل بسهولة وليس المهم نقل المواد عبر الجسور اذا كان التفتيش دقيقا اذ أن الحصول على المواد بطرق اخرى والعمليات التي حصلت تستخدم فيها المواد المنقولة عبر الجسور حسب ما يعترف به العدو . ان الاتصال بين الداخل والخارج واقامة العلاقات العضوية امر ضروري . يقول غازيت : « مما لا شك فيه ان الجسور المفتوحة تشكل خطرا فالاتصال الممكن للاشخاص ، ونقل الاوراق ، والرسائل والسندات والاوراق المالية ، وادخال المنظمين والمدربين كل هذه الامور تسهل اعادة تنظيم الشبكات « التخريبية » .

ان العدو يعترف بتأثير ما يحدث في الخارج على ما يحدث في الداخل ان كان من الناحية النفسية او التنظيمية وهذا يتطلب ان يعزز تنظيم الثورة في الخارج من اجل ان يمتلك القدرة على احياء التنظيم في الداخل واقامة العلاقة العضوية به لان تطوير النضال الثوري في الخارج ــ التنظيم ، العلاقة بالجماهير ، القوات الفدائية على الحدود ــ يلعب دورا حاسما في تطوير النضال الثوري في الداخل كما أن هذا بدوره يعود فيطور النضال الثوري في الخارج .

تصاعد العمليات من ١٢/٣١ الى ٧٣/٢/٤

اتساع النضال السياسي والعسكري في الوطن المحتل :

في تصريح لموشي دايان وزير دفاع العدو حول امن المناطق المحتلة بتاريخ ٧٣/١/١٣ قال : « ان الوضع اليوم هادىء تماما ، فلقد انتهت مرحلة المظاهرات والاضرابات ، وتم القضاء على العمل التخريبي في هذه المرحلة بصورة نهائية تقريبا ، وان كان هذا لا يعني انه لم تبق هنا وهناك نوبات لبعض منظمات التخريب ، وان النشاط التخريبي لن يتجدد بأي حال من الاحوال » . ولكن الوقائع — للنظرة الاولى — تكذب هذا التصريح . فالنضال ضد الاحتلال الصهيوني الامبريالي يتصاعد ، ويتعمق ، ويتسع نطاقه ، ويكتسب الى صفوفه كل يوم أفواجا جديدة من المناضلين برغم كل عمليات القمع .

ومن السمات الخاصة والهامة والتي تشير الى تعمق النضال الوطني الفلسطيني واتساع نطاقه حملة الاعتقالات التي شنها العدو في الجليل والناصرة والتي أسفرت عن اعتقال عشرات المناضلين كان اكثر ما ازعج العدو هو وجود عدد من اليهود بينهم .

وفوجىء العدو بعد ذلك بنكسة اخرى ، فطوال اكثر من عشرين عاما وهو يعمل جاهدا على كسب المواطنين الدروز في الارض المحتلة عام ١٩٤٨ ، وتجريدهم من هويتهم العربية ، وفي الاسابيع الاخيرة تصاعد نضال المواطنين العرب من أبناء الطائفة الدرزية وامتد الى الجولان، واخذ نضالهم الجماهيري شكل مؤتمرات مطلبية (مؤتمر مزارعي التبغ احتجاجا على استغلال الشركات الاحتكارية) وتوزيع منشورات لالغاء التجنيد الاجباري المفروض على الدروز في الجيش الاسرائيلي ، وغير ذلك من النشاطات الجماهيرية ، ثم امتد هذا النضال ليأخذ طريقه الى تشكيل خلايا مسلحة . لقد اعترفت صحف العدو بأن ما كشفت عنه حملات الاعتقال ضد المناضلين العرب من ابناء الطائفة الدرزية هو نكسة خطيرة ودلالة فشل سياسة اسرائيل طوال عشرين عاما مع أبناء الطائفة الدرزية . كذلك أدى تصاعد النضال الى شن حملة اعتقالات واسعة اخرى في القدس ونابلس وجنين وقلقيلية .

العمليات من ٧٢/١٢/٣١ — ١٩٧٣/٢/٤

** ١ — ١٢/٣١ تل ابيب ، القاء قنابل مولوتوف في مستودعات للمواد الاستهلاكية .

٢ — ١٢/٣١ تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في المحطة المركزية .

** ٣ — ١/١ حيفا ، تفجير عبوات ناسفة شديدة الانفجار في مستودعات حبوب (اعتراف حريق) .

** ٤ — ١/٢ داجانيا (ب) انفجار لغم باحد افراد العدو (اعتراف في دافار ١/٢١) .

** ٥ — ١/٣ تل ابيب ، تفجير عبوة ناسفة في سيارة .

** ٦ — ١/٥ — العفولة — جنين — اللدون ، انفجار شبكة الغام في سيارة عسكرية محملة بالجنود (اعتراف في دافار ١/١٦) .

٧ — ١/٥ جان/بتاحتكفا ، تفجير عبوات حارقة في سينما (اعتراف حريق) .

** ٨ — ١/٥ ناحال هاجولان، تفجير الغام بجرار زراعي .

٩ — ١/٦ حيفا ، عبوات ناسفة في معامل كيم. .

** ١٠ — ١/٧ جسر الرقاد ، هجوم صواريخ ورشاشات ثقيلة .

* ١١ — ١/٧ القنيطرة ، مهاجمة دورية اسرائيلية : رشاشات خفيفة .

* ١٢ — ١/٨ منطقة بركة ، اطلاق النار من أسلحة خفيفة .

* ١٣ — ١/١٠ غزة ، محاولة تدمير سكة قطار.

* ١٤ — ١/١٠ تل ابيب ، اضرام النيران في متهى .

* ١٥ — ١/١١ بتاح تكفا ، انفجار في احد اقسام مصنع آسيا .

* ١٦ — ١/١٨ جبل الشيخ ، اطلاق قذائف بازوكا على سيارة .

١٧ — ١/٢٣ عاليا هاخاشا / الجليل ، هجوم على نادي بالمدافع الرشاشة والقنابل اليدوية .

١٨ — ١/٢٣ رمات جان / تل ابيب ، تفجير عبوات ناسفة في بناية .

* ١٩ — ١/٢٤ حيفا ، انفجار عبوة في سيارة بـاص .

* ٢٠ — ١/٢٦ القدس ، انفجار شحنة متفجرات في سيارة في كاراج .

* ٢١ — ١/٢٧ القدس ، انفجار قنبلة مولوتوف في احدى ادارات وزارة الداخلية .

* ٢٢ ــ ١/٢٧ القدس ، انفجار قنبلة في احد مراكز الشباب .

** ٢٣ ــ ١/٢٨ خان يونس ، انفجار عبوة ناسفة في خط السكة .

* ٢٤ ــ ١/٢٨ الجولان ، انفجار لغم بمزارع .

* ٢٥ ١/٢٩ القدس ، القاء مصباح مشتعل في احد مكاتب وزارة الداخلية .

** ٢٦ ــ ٢/١ تل ابيب ، انفجار عبوة ناسفة في سيارة (اعتراف بانه عمل انتقامي) .

** ٢٧ ــ ٢/٢ نابلس ، انفجار عبوة ناسفة في مكتب العمل .

* ٢٨ ــ ٢/٢ تل ابيب ، انفجار شحنة مواد ناسفة عند مدخل مطعم .

٢٩ ــ ٢/٢ القدس ، انفجار عبوات ناسفة شديدة الانفجار في باب العامود (وكالة رويتر) .

* ٣٠ ــ ٢/٢ تل ابيب ، القاء قنبلة على ثكنة عسكرية فارغة .

* ٣١ ــ ٢/٢ تل ابيب ، انفجار قنبلة في مبنى .

** ٣٢ ــ ٢/٣ دورا/الخليل ، تفجير شبكة الغام في كمين لسيارات دورية العدو .

* ٣٣ ــ ٢/٤ نابلس ، اكتشاف شحنة مواد متفجرة في ميدان الساعة .

* ٣٤ ــ ١/٣٠ بني براق/تل ابيب ، انفجاران في صندوقي بريد .

ملاحظة : للنجوم ذات المدلول كما في الجداول السابقة .

من الجدول السابق يمكننا ملاحظة ما يلي :

١ ــ ان العمليات العسكرية ضد الاحتلال ، تجري بمعدل عملية كل يوم ، (٣٤ عملية في ٣٥ يوما) . واذا اخذنا بالاعتبار ان غالبية هذه العمليات جرت من الداخل ، فان اهميتها مضاعفة، لكونها تجري في ظروف أمنية غاية في الصعوبة .

٢ ــ ان العدد الاكبر من العمليات وقع في المناطق المحتلة ١٩٤٨ ، وفي منطقة تل ابيب ثم في حيفا ، الامر الذي يلقي على الثورة الفلسطينية مهمة توجيه عناية كبيرة لبناء خلايا تنظيمية وعسكرية بين صفوف عرب الاراضي المحتلة ١٩٤٨ .

٣ ــ تركزت عمليات الضفة الغربية في القدس بشكل خاص ، وتلتها نابلس بالدرجة الثانية . وتستدعي الضرورات السياسية الراهنة اعطاء منطقة القدس اهمية خاصة عند توجيه العمليات العسكرية ، نظرا لكونها موضع مساومات ومباحثات ، ولاهميتها الخاصة بالنسبة لاسرائيل . حيث نلاحظ اكثر من أية منطقة اخرى محاولات التعتيم على عمليات القدس من قبل السلطات الاسرائيلية .

٤ ــ الطابع المميز للعمليات في المناطق بشكل عام هو وضع العبوات الموقوتة في الاماكن التي يصعب الوصول اليها . ومن وجهة النظر الامنية فان هذه العمليات محبذة .

٥ ــ هناك انخفاض ملحوظ في عمليات قطاع غزة خلال الشهر الاخير من العام الماضي وشهر كانون الثاني . ورغم الظروف الموضوعية الصعبة المحيطة بالقطاع ، سياسيا وعسكريا ، فان الوضع ما زال قابلا لتجديد عمليات الثوار هناك .

٦ ــ هناك انخفاض في عمليات الجولان والجليل. وهو الوضع الناشىء عن الاجراءات والقيود المفروضة على تحرك المقاتلين عبر خطوط وقف اطلاق النار .

٧ ــ من مجموع العمليات العسكرية وعددها ٣٤ عملية اعترف العدو بـ ٢٥ عملية . من هذه العمليات عدد كبير من العمليات التي لم يصدر بها بلاغ رسمي عن القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية ، مما يستدعي اهتمام الهيئات المسؤولة بمزيد من رصد ومراقبة اذاعات العدو.

٨ ــ يستدعي تزايد عمليات الداخل مزيدا من التنوير الاعلامي حولها في صحافة واذاعات الثورة ، كما يستدعي حث الصحافة العربية عموما والصديقة خصوصا على اعطاء هذه العمليات حجمها في النشر ، لما لها ، في الظروف الراهنة، من تأثير ايجابي على روح ومعنويات الجماهير الفلسطينية والعربية ، ولمواجهة موجة التنازلات العربية الرسمية .

تصاعد العمليات وتطور النضال من ٧٣/٢/٥ ــ ١٩٧٣/٢/٢٠

بعد أن شن العدو هجومه على مخيمي نهر البارد والبداوي في ٧٣/٢/٢١ ، ذكرت صحفه أسبابا عديدة لهذا الهجوم وكان من أهم تلك الاسباب ربط الهجوم بتصاعد النشاط العسكري والسياسي للثورة الفلسطينية في داخل الارض المحتلة فقد قالت

يديعوت احرونوت: « يجب ان نفهم العملية الاخيرة على أساس النشاط الاخذ في التزايد «للمخربين» والذي تجلى في وضع الغام في الجليل والجولان وتسلل عملاء الى داخل اسرائيل ... » . وقالت معاريف : « ان جيش الدفاع الاسرائيلي يعمل على أساس النظرية التي تقول بوجوب ضرب مصدر الشر واقتلاعه من جذوره ، وليس معالجة الوحدات الشريرة كل على حدة » . (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، مركز الابحاث الفلسطينية ٢/٢١/ ١٩٧٣) .

ونظرة سريعة الى جدول العمليات ما بين ٢/٥ — ٢/٢٠ تؤيد استمرار تصاعد عمليات ثوارنا الفلسطينيين في الداخل :

* ١ — ٢/٧ ناحال هاجولان ، اطلاق عيارات نارية على دورية ، والعثور على بقايا قذائف بازوكا موقوتة وآثار انفجار شحنة متفجرات .
* ٢ — ٢/٧ ناحال هاجولان ، اشتباك مع دورية تفتيش .
** ٣ — ٢/١٠ سويمة / غور الاردن ، اشتباك بالاسلحة الرشاشة مع مجموعة لفتح كانت تعمل في جبل الخليل مدة ثلاث سنوات .
* ٤ — ٢/١١ طبعون / حيفا ، حريق .
* ٥ — ٢/١١ معسكر الشاطىء / غزة ، قتل ذيب الهريبطي بست رصاصات .
* ٦ — ٢/١٢ غزة ، محاولة اغتيال الشوا بواسطة الرشاشات .
* ٧ — ٢/١٤ معلوت / ترشيحا ، انفجار لغم بشاحنة .
** ٨ — ٢/١٥ طريق عكا / صفد ، انفجار لغم بعبارة واصابة سيارة .
* ٩ — ٢/١٥ غزة ، اكتشاف عبوة ناسفة موقوتة .
* ١٠ — ٢/١٥ ناحال هاجولان ، اطلاق قذائف .
** ١١ — ٢/١٥ جفعتايم / تل ابيب ، انفجار عبوة ناسفة في مدخل مسكن مدير سجن الرملة .
* ١٢ — ٢/١٨ بني براك / تل ابيب ، حريق في معامل الكوكا كولا .
* ١٣ — ٢/١٧ سلواد / رام الله ، مقتل صهيوني يسعى لشراء ارض .
١٤ — ٢/٢٠ بين القنيطرة وتل الصرفان / الجولان، تدمير ٢٠٠ متر من الاسلاك الشائكة وتدمير حقل الغام .

** ١٥ — ٢/٢٠ منطقة تل الصرفان / الجولان، هجوم قذائف صاروخية واسلحة مختلفة واشتباك.

ملاحظة : للنجوم ذات الدلالة كما في الجداول السابقة .

ان دراسة هذا الجدول تظهر ما يلي :

١ — تنفيذ خمس عشرة عملية خلال خمسة عشر يوما ، اي بمعدل عملية كل يوم موزعة على المناطق كما يلي : أ) ٥ عمليات في الجولان . ب) ٣ عمليات في غزة (اعلن العدو عن محاولة اغتيال جديدة ولكنه قال أن لا صلة لها كما يبدو بالحدثين السابقين (باعتراف نشرة رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٢/١٢) الهريبطي والشوا ولكننا لم ندخلها في الجدول لعدم التأكد من طبيعة العملية . ج) عمليتان في الضفة الغربية . د) ٥ عمليات في المناطق المحتلة ١٩٤٨ .

٢ — اعترف العدو بـ ١٤ عملية من العمليات الـ ١٥ . ويلاحظ ان بلاغات القيادة العامة حول العمليات أقل من العدد الذي اعترف به العدو . فقد أعترف العدو بـ ١٤ عملية في حين اصدرت القيادة العامة خمسة بلاغات فقط . (التقرير لا يأخذ بعين الاعتبار البلاغات التي تصدر باسم المنظمات على اعتبار ان القيادة تمثل كل المنظمات وفقا للاتفاق الخاص بالاعلام الموحد ، ولكن حتى لو اضيفت بلاغات المنظمات الاخرى فسيظل ما اعترف به العدو اكثر من عدد البلاغات الصادرة عن الثورة) .

٣ — يلاحظ ان العمليات العسكرية التي حدثت في الفترة ما بين ٢/٥ — ٢/٢٠ تتميز بطابع سياسي مباشر ، خاصة في غزة وسلواد . فقد جرى اعدام ذيب الهريبطي في ٢/١١ تتويجا للحملة السياسية التي شنتها الثورة ضد دمج المخيمات في مدن القطاع ، كما أن محاولة اعدام الشوا حملت الطابع نفسه اذ جاءت منسجمة مع النضال السياسي والجماهيري ضد مخطط العدو لاخراج مجلس بلدي ورئاسة بلدية من خلال مجالس الاحياء التي شكلها بالضغط والتهديد على سكان الاحياء . وقد اثبتت التجربة ان العمل السياسي النشط في الداخل والخارج ضد مخططات العدو اذا ما اقترن بعمل عسكري منسجم معه ولخدمة اهدافه يؤدي في الغالب الى افشال مخططات العدو حيث اضطرت مجالس الاحياء الى الاستقالة او تجميد نفسها .

وبهذا فشل مخطط العدو وحققت الثورة انتصارا تكتيكيا هاما . قال مراسل اذاعة اسرائيل في غزة امنون نداف : « ... ان ما يمكن فهمه من الحديث مع السكان المحليين هو انه اذا لم يتم الانسحاب فمن المحتمل ان يطرأ جمود على التعاون المتزايد بين الزعامة التي اخذت تتبلور في غزة وبين الحكم الاسرائيلي ... ولكن الانتخابات المحلية التي اخذ الحديث عنها يزداد في غزة ، أصبحت ابعد مما كانت ... » . (نشرة رصد اذاعة اسرائيل في ١٩٧٣/٢/١٢) .

في الواقع ، يجب ان ينظر الى افشال مخطط العدو في تكوين لجان واخراج مجلس بلدي ورئاسة في مدينة غزة وكذلك في مختلف مدن القطاع ، على انه كان اخطر من انتخابات البلديات في الضفة الغربية ، لان التجربة اثبتت ان الدور الذي يلعبه مجلس بلدي في غزة خطر للغاية في اضعاف الكفاح المسلح ومحاولة تغطية الاحتلال بوجوه غزاوية ، والعمل على تجيير القطاع بين الاحتلال وحكم الملك حسين ، كما حدث في عهد رئاسة الشوا للبلدية . ومن هنا كان احباط هذا المخطط نصرا تكتيكيا احرزته الثورة، خاصة ، ضمن هذه الظروف التي تتميز باشتداد المخاطر والصعوبات التي تواجه الثورة الفلسطينية .

كما أن اعدام السمسار الصهيوني في عملية سلواد بتاريخ ٢/١٧ جاءت منسجمة مع الحملة السياسية ضد بيع الاراضي . فقد أشارت جريدة هآرتس أن جاكوب شابيرو وزير العدل قد ألمح في اجتماع عقدته الهيئة البرلمانية لحزب العمال الحاكم يوم ٢/١٣ حول السماح لليهود بشراء اراض في الضفة الغربية . ويلاحظ ان بعض السماسرة العرب قد أخذوا ينشطون في شراء الاراضي في الضفة الغربية استعدادا لبيعها لاسرائيليين فضلا عن ملاحظة انخفاض اقامة المستعمرات في الجولان . واتجاه التركيز على الضفة وخاصة منطقة نابلس والقدس والغور الامر الذي يعطي عملية سلواد اهمية خاصة ويتطلب من الثورة الاستمرار في عملها السياسي والعسكري ضد مخطط بيع الاراضي من أجل احباطه . ان النية في بدء تنفيذ خطة السماح لليهود بشراء الاراضي في الضفة الغربية يجب أن يؤخذ بعين الجدية فبالاضافة الى ما صرح به شابيرو فقد كتب دان برغليت في هآرتس ٧٣/٢/٢ مقالا قال انه : يعتمد على اقوال ادلى بها دايان في اجتماع مغلق (ن. د. ف. ، ٧٣/١٢/١٦) « ... اذا اراد يهودي شراء ارض في بيت لحم ، او في سفوح جبل جرزيم المطل على نابلس ، واذا ارادت هاشومير هتسعير ، او حركة المستوطنات دق وتد قرب جنين ، كما يريد اخرون بناء مساكن لهم في منطقة النبي صموئيل فيجب تمكينهم من ذلك » .

٤ — ثمة اهمية خاصة لعملية الاشتباك الذي جرى في السويمة بين مجموعة من الفدائيين وبين قوات العدو حيث كشف ان المجموعة كانت مطاردة في جبال الخليل منذ سنة ١٩٧٠ ويقول مراسل اذاعة اسرائيل « انه نسب لافراد المجموعة عمليات « تخريب » عديدة وقعت في منطقة جبل الخليل في عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ منها اطلاق قذائف كاتيوشا على القدس وزرع لغم بالقرب من بيت جبرين تسبب انفجاره بمقتل اربعة من ضباط جيش الدفاع الاسرائيلي » (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ٢/١٢/ ٧٣) . وهذا يدل على انه بالامكان ان تعمل مجموعات مسلحةفي جبال فلسطين لفترة طويلة وهي مطاردة من قبل العدو .

بالاضافة الى العمليات العسكرية فقد اتسمت الفترة بين ٢/٥ — ٢/٢٠ :

أ) بتوزيع سلسلة من المنشورات ضد اللجان المحلية في قطاع غزة وضد بيع الاراضي في الضفة الغربية . فقد ورد في نبأ لوكالة رويتر من القدس بتاريخ ٢/١٦ انه وزعت منشورات في البلدة القديمة من القدس تدعو السكان العرب الى التضامن ضد الخطوات الاسرائيلية لاجلاء العرب عن حي باب السلسلة في البلدة القديمة واسكان يهود محلهم . كما وزعت منشورات في ٢/١٧ في مدينة القدس تفضح عملية شراء الاراضي من قبل الصهاينة وتحذر من مخطط لتهويد المدينة . كما وزعت منشورات في غزة تأمر لجان الاحياء التي انتخبت مؤخرا بعدم التعاون مع الحكم العسكري . (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٢/١٨) .

ب) جرت سلسلة من اعتقالات واسعة في قطاع غزة والضفة الغربية والجليل والجولان مما يدل على تصاعد النشاط السياسي والعسكري لخلايا المقاومة فقد : ١ — اعلن العدو عن اعتقال ١٨ « مخربا » في غزة . ٢ — جرت حملة اعتقالات اخرى في ضواحي مدينة الخليل اثر القبض على عناصر كانوا يعملون في المنطقة منذ ثلاث سنوات . ٣ — كما تم اكتشاف شبكة فدائية في شمال قضاء

نابلس وأنه تم اعتقال عشرة اشخاص معظمهم من قرية تباطية قرب جنين وقد اعتقلوا في اعقاب اعتقال شاب بعد عودته من الاردن عن طريق جسر دامية وهو يحمل مواد متفجرة . ٤ — اعتقل في ٢/١٤ عدد من الاشخاص من القرى العربية في منطقة عكا اثر انفجار لغم في منطقة معلوت في الجليل . كما اعتقل في ٢/١٧ اثنا عشر مواطنا فلسطينيا من سكان قريتي بعنه ودير الاسد في الجليل اثر اصابة سيارة للعدو وتدمير عبارة على الطريق ما بين عكا وصفد . وقد وصفت وكالة الاسوشيتدبرس ان هذه هي الشبكة الثالثة التي يعلن الاسرائيليون عن اكتشافها منذ كانون الاول الماضي . واهمية هذه « الشبكة » انها تأتي بعد اكتشاف اعضاء الجبهة الحمراء . ٥ — اما بالنسبة لتنظيم الجولان فقد وصل عدد المعتقلين الى ٣٩ شخصا . وعلى اثر عمليات التفتيش التي جرت في قرى مسعدة ومجدل شمس وبقعاتا تم اكتشاف بعض الرشاشات من نوع كلاشينكوف وقنابل يدوية وذخيرة . (نشرة رصد اذاعة اسرائيل ٢/٢٠/ ١٩٧٣) . وقد كشف العدو ان ما اسماها بشبكة الجولان كانت قد أحبطت مشروعين للعدو احدهما تعيين لجان محلية لادارة اعمال القرى على غرار المجالس المحلية في اسرائيل وثانيهما اقامة محكمة شرعية من ابناء الطائفة . وبهذا دحض العدو رغما عنه ادعاءه بأنها شبكة تجسس وكشف انها خلية سياسية مناضلة .

يلاحظ مما تقدم ان ثمة نشاطا متصاعدا فعلا في تنظيم الخلايا وممارساتها لمختلف اشكال النضال العسكري والسياسي والجماهيري . فلولا تصاعد هذا النشاط لما تصاعدت الاعتقالات ، ولما اضطرت صحف العدو ووكالات الانباء الى الاعتراف بهذه الحقيقة .

مركز التخطيط في م. ت. ف.

An International Law Appraisal of the
Juridical Characteristics of the
Resistance of the People of Palestine :
the Struggle for Human Rights

by
W. T. MALLISON, Jr
and
S. V. MALLISON

Published recently by the
PALESTINE RESEARCH CENTER
P. O. Box 1691 - Beirut

38 pages
Price : 1.00 Lebanese Pound or equivalent a copy
Plus postal charges : 0.50 L.L. Arab World
1.00 L.L. Europe
2.00 L.L. Other countries

تقريران :

الهجوم الاسرائيلي على بيروت

(٩ ــ ١٠/٤/١٩٧٣)

التقرير الاول

مقدمات ونتائج

الهجوم الاسرائيلي الذي استهدف مدينة بيروت ، وأدى الى مقتل ١٦ شخصا من الفدائيين والمدنيين، بينهم القادة الثلاثة : محمد يوسف النجار وكمال عدوان وكمال ناصر ، ليس الا جزءا من الحرب المعلنة بين حركة المقاومة الفلسطينية والعدو الاسرائيلي . ولكن هذه الحقيقة لا تنفي ان للمخطط الاسرائيلي في هذه المرحلة اهدافا خاصة ، تركز اهتمامها على ضرب حركة المقاومة من الداخل ، بعد ان فشلت كل محاولات القضاء عليها كقوة عسكرية وسياسية ، فرضت نفسها على خارطة الشرق الاوسط بسرعة كبيرة .

ويركز الاعلام الاسرائيلي على ان هذا الاسلوب في العمل ضد حركة المقاومة ، انما هو رد فعل على عمليات ايلول الاسود ، وخاصة عملية ميونيخ الشهيرة. ولكن الوقائع القريبة كافية وحدها لنسف هذا الادعاء من أساسه . فقبل بروز أيلول الاسود قامت المخابرات الاسرائيلية بنسف منزل الدكتور وديع حداد ، أحد قادة الجبهة الشعبية بالصواريخ . وبعد ذلك بفترة وجيزة قامت اسرائيل أيضا بعملية مماثلة على مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت . وتثبت هذه الوقائع ان الارهاب سياسة معتمدة من قبل اسرائيل قبل عملية ميونيخ ، ولكنها حتى ذلك الوقت كانت جزءا من العمل الروتيني لجهاز المخابرات ، اما بعد عملية ميونيخ فقد جرى تعميم هذا الروتين ونقله من اطار المخابرات ، الى اطار أجهزة الدولة الاسرائيلية بكاملها . فأقره اولا مجلس الوزراء ، ثم باركه الكنيست بأغلبية ساحقة ، وخصص له بعد ذلك مسؤول كبير ملحق بمكتب رئيسة الوزراء جولدا مئير هو اهرون ياريف الرئيس السابق للاستخبارات الاسرائيلية . وهذا التعميم والتوسيع لاطار الارهاب الاسرائيلي مرتبط بظروف موضوعية ابرزها :

١ ــ ضرب الوجود العلني لحركة المقاومة في الاردن، والذي أدى حتى الان الى تهدئة اكبر قطاع من قطاعات جبهة المواجهة مع اسرائيل . والذي كان مفروضا على اسرائيل من خلاله ، ان تواجه **القوة العسكرية لحركة المقاومة** . اما بعد غياب هذه القوة ، واستمرار فعلها في الارض المحتلة بأساليب عمل سرية ، فان متابعة التصدي لها تقتضي انتهاج اساليب تهدف الى **القضاء على بنيتها الداخلية** من خلال ضرب القادة ، وضرب المسؤولين عن مفاصل العمل الاساسية .

٢ ــ اقدام النظام الاردني ، من خلال مشروع المملكة العربية ، على ترتيب شؤون التسوية السياسية مع اسرائيل باتجاهين : اتجاه الحل الثنائي ، واتجاه ابراز قيادات فلسطينية عميلة تتولى شؤون القطر الفلسطيني في اطار المملكة المتحدة . وهذا لا بد ان يقود في النهاية الى العمل **لتصفية قيادات حركة المقاومة بالذات** ، باعتبار انها القيادة التي تمثل الشعب الفلسطيني رسميا من خلال منظمة التحرير ، وفعليا من خلال العمل الفدائي وما فرضه من وقائع نضالية .

٣ ــ فشل الولايات المتحدة ، ووسائلها الدبلوماسية العلنية والسرية ، في ترويض حركة المقاومة الفلسطينية ، واقناعها بقبول التسويات السياسية المنتظرة ، او الدخول في لعبتها ، تنفيذا لمخططها

الرامي الى فرض هيمنتها السياسية الكاملة على منطقة الشرق الاوسط لضمان الحصول على النفط العربي . وذلك يقتضي بالطبع ضغطا متواصلا على حركة التحرر الوطني العربية لتركيعها ، وهو يقتضي بشكل خاص عملا مباشرا ضد حركة المقاومة باعتبار انها اكثر فصائل حركة التحرر العربي حيوية واثباتا للوجود في هذه المرحلة .

وبقدر ما تشكل هذه النقاط الثلاث ، الاساس الموضوعي لاندفاع اسرائيل نحو اسلوب الارهاب لمواجهة حركة المقاومة ، بقدر ما تشكل الاساس الموضوعي لقيام تعاون وتنسيق بين اسرائيل والولايات المتحدة والاردن ، انطلاقا من المصلحة الواحدة التي يشكل القضاء على حركة المقاومة قاسمها المشترك . ويفرض هذا التعاون بين الاطراف المذكورة ، التشاور ، وتبادل المعلومات ، واقتراح الخطط ، ثم اقتراح افضل الجهات للتنفيذ . وهنا من المفيد ان نستعيد للذاكرة سلسلة العمليات التي دبرها النظام الاردني في بيروت ، اما لتشويه سمعة المقاومة والايقاع بينها وبين النظام اللبناني (القاء القنابل على الكنائس) ، أو لضرب واغتيال قيادات المقاومة انفسهم . وقد كان الشهيد ابو يوسف احد الذين كشفوا هذه العمليات (عملية مساعد الملحق العسكري الاردني) وسلموا أشخاصها بالجرم المشهود للسلطة اللبنانية . كذلك من المفيد ان نستعيد للذاكرة مبادرات الولايات المتحدة (المخالفة للاعراف الديبلوماسية) حين سربت للصحافة تقارير السفير الاميركي في بيروت عن وضع الفدائيين الفلسطينيين وعلاقاتهم بالمواطنين اللبنانيين . كذلك حين تبرعت بنشر اسماء كثيرة لبعض قادة حركة المقاومة على أساس انهم من قادة ايلول الاسود . وكأن هذا النشر للاسماء كان تمهيدا وتهيئة للرأي العام حتى يتقبل عمليات الاغتيال التي ستحدث فيما بعد .

وانطلاقا من هذه الوقائع لم يكن غريبا على الاطلاق أن تقول حركة المقاومة في بيانها الرسمي عن الحادث ان العدو اعتمد «على عناصر للاستخبارات الاميركية في بيروت ... وشوهدت عدة سيارات تتجه الى مقر السفارة الاميركية في عين المريسه ، وكذلك حاول بعض قوارب العدو الاقتراب من الشاطىء من تجاه السفارة لاخذ هذه العناصر ».

كذلك لم يكن غريبا على الاطلاق ان يعلن السيد كمال جنبلاط ، الامين العام للجبهة العربية المشاركة في مؤتمره الصحفي ان الطائرة التي تنقل حرس السفارة الاميركية الى بيروت قد أدخلت ١٥ شخصا ثم غادرت وهي تحمل ٤٥ شخصا ، ويتساءل عن هوية هؤلاء الذين غادروا خلافا للاعداد المألوفة في كل مرة .

ان ذكر هذه الوقائع ليس غريبا ، لانها تنسجم مع كثير من الشواهد والمواقف المعلنة من قبل . واذا كان الكنيست الاسرائيلي قد أقر رسميا سياسة الارهاب ، فان الرئيس الاميركي نيكسون تولى شخصيا الاشراف على رسم سياسة الولايات المتحدة ضد الارهاب ، وكذلك فعل النظام الاردني حين تابع حربه ضد المقاومة ونقلها الى خارج حدوده . والارهاب عند هذه الاطراف الثلاثة ، يتلخص في النهاية باعلان الحرب ضد حركة المقاومة ، وضد كل تواجد فلسطيني ، مهما كانت الوسيلة التي يعبر بها عن نفسه .

اسرائيل تهدد بالاستمرار

ان توجه اسرائيل والقوى المعنية معها ، لضرب البنية الداخلية لحركة المقاومة ، لا يلغي ان لهذا التوجه هدفا آخر ، هو الاستمرار في ضرب المقاومة كقوة عسكرية . ودائما كانت اسرائيل تتبع من اجل ذلك وسيلتين : وسيلة الضرب المباشر لقواعد الفدائيين ، ثم وسيلة ضرب المواقع العربية لدفع الحكومات العربية نحو سياسة التضييق على العمل الفدائي ، وصولا الى ايقافه ومنعه . وقد مورست هذه السياسة أولا ضد الاردن ، ثم مورست بشكل مكثف ضد لبنان بعد مجازر أيلول ١٩٧٠ . وقد اثمرت هذه السياسة الاسرائيلية اتفاق تجميد العمل الفدائي المنطلق من لبنان ، ولكن اسرائيل كما ثبت بالتجربة تريد مواصلة الضغط من اجل دفع لبنان الى القيام بانهاء وجود العمل الفدائي من أساسه . وبعد الهجوم الاسرائيلي على بيروت توالت التصريحات الاسرائيلية التي تعبر عن هذا الموقف بوضوح ، كما تعبر عن عزم اسرائيل على الاستمرار في هذا النوع من العمليات . ففي اليوم التالي للعملية قال مراسل الاذاعة الاسرائيلية « ان قوات الجيش الاسرائيلي ستفعل في العاصمة اللبنانية الامور التي تعتقد اسرائيل بأن الحكومة اللبنانية يجب ان تفعلها بنفسها . واذا استمرت حكومة لبنان في منح « المخربين » حرية العمل فوق أراضيها ، واستمر الجيش الاسرائيلي في أعماله في بيروت ، فان ذلك من شأنه ان يضع حكومة

لبنان امام ضغط عام يؤدي في النهاية الى تصفية ، او تخفيف ، الاعمال « التخريبية » من لبنان » . وفي اليوم نفسه أدلى ديفيد اليعازر رئيس الاركان الاسرائيلي بتصريح قال فيه « انني لا أعتزم تقديم تفاصيل حول العملية ... لاننا سنستخدم الاساليب ذاتها في المستقبل ... وينبغي على حكومة لبنان ان تتعظ من هذه العملية ، ذلك لانه لا توجد امكانية للمحافظة على سيادة لبنان ، في الوقت الذي يحظى فيه المخربون بحرية العمل لاقامة القواعد » .

نتائج العملية في لبنان

وعلى ضوء هذه الاهداف الاسرائيلية الواضحة تماما في التصريحات العلنية لكبار المسؤولين ، ما هي التوقعات المنتظرة في الموقف اللبناني ؟ هنا لا بد من الاشارة الى القضايا الاساسية التالية :

١ ــ برزت ملاحظات هامة وعديدة حول تصرف السلطات اللبنانية اثناء وقوع الهجمات على بيروت. ولخص بيان الجبهة العربية المشاركة هذه الملاحظات بالنقاط التالية: عدم وجود اي دوريات في الشوارع أثناء الهجوم ، وعدم الاقدام على وضع الحواجز على الطرق بحيث يمكن القبض على العناصر المنفذة .قطع الكهرباء عن مدينة بيروت بطريقة بدا معها وكأن قطع الكهرباء يساعد العناصر على الهرب . منع النجدات الفدائية من الوصول الى قلب العاصمة . اعتقال قائد الكفاح المسلح الذي كان يحاول الوصول الى مناطق الاشتباكات . قطع خطوط التلفون عن بعض مكاتب الفدائيين الرئيسية. وقد تساءلت الجبهة المشاركة في بيانها عن معنى كل هذه المواقف بلهجة شديدة تحمل الكثير من الادانة.

٢ ــ حين أعلن الرئيس صائب سلام تقديم استقالته برز سؤال آخر أكثر اهمية . فقد تسرب ان سلام يطالب كشرط لبقائه في رئاسة الوزارة ، اقالة قائد الجيش لانه لم ينفذ الاوامر التي صدرت اليه بالرد على الهجوم الاسرائيلي . وتسربت بالاضافة الى ذلك انباء تقول بأن هناك خلافا بين الوزارة والجيش حول الجهة التي تقع مسؤولية التصدي للهجوم على عاتقها ، فبينما يعتبر الفريق المدني ان التصدي لانزال عسكري على الشاطىء هو من مسؤولية الجيش ، يعتبر الفريق العسكري ان مواجهة ما يجري في المدينة هو من مهمة قوى الامن الداخلي .

وبغض النظر عن هذا الجدل الدائر في الكواليس ، فان الحقيقة الثابتة أن العدوان قد أحدث هزة عنيفة في أوساط النظام ، زاد من حدتها رد الفعل الشعبي الغاضب والمستنكر . وازاء هذه الهزة وما رافقها من توتر جماهيري فان تقديم ضحية هو أفضل ما يمكن عمله لامتصاص حالة النقمة ، واشعار الجماهير بأن ثمنا قد دفع . ويبدو ان استقالة الوزارة تشكل من ضمن اللعبة البرلمانية ، حلا ينسجم مع طبيعة النظام اكثر من تقديم ضحية أخرى .

٣ ــ أصبح من المؤكد ان مبدأ الوجود الفدائي كان ولا يزال موضوع بحث لدى أعلى المراجع اللبنانية. وقد أثير هذا الموضوع بشكل رئيسي في اللقاءات التي جرت مع السيد حسن صبري الخولي الذي أوفده الرئيس السادات بعد الحادث مباشرة . فقد قالت المصادر الصحفية انه تم في هذه الاجتماعات بحث ثلاث قضايا : اولا قضية حدود الوجود الفدائي في لبنان ، وما يترتب عليه من مسؤوليات لبنانية ، على اساس ان لبنان يؤثر بسبب اوضاعه العسكرية ، عدم التسبب باعتداءات اسرائيلية لا قدرة له على صدها . ثانيا قضية المخيمات الفلسطينية ، والمطالبة بأن تكون السلطة اللبنانية مسؤولة عنها كليا والا فانها لا يمكن ان تتحمل اية مسؤولية . ثالثا تحركات المقاومة التي تتم دون تنسيق مع السلطات اللبنانية ، مما يجعل من المتعذر على الجهات المختصة معرفة حقيقة ما يجري . ورددت الانباء الصحفية ان الحوار حولها انتهى الى ضرورة البحث في كافة هذه المسائل بين المقاومة والمسؤولين اللبنانيين من ضمن منطق التمسك بالاتفاقيات المعقودة وعدم الاخلال بها ، على أن تجري مشاورات عربية سريعة لدى بروز أي خلاف قد يقود الى التوتر ، ليتم حل المسائل على اساس هذه المشاورات .

٤ ــ في الوقت الذي كانت تدور فيه هذه المناقشات حول مبدأ وجود العمل الفدائي في لبنان ، كانت أكثر من جهة سياسية لبنانية تطرح موضوع سرية العمل الفدائي . ومما لا شك فيه أن موضوع السرية من المواضيع الاساسية والحيوية التي يتوجب على حركة المقاومة ان تعطيها اهتماما خاصا ، وفي هذه المرحلة بالذات ، تكميلا لابحاث وخطوات جرت فعلا ونفذ العديد منها . ولكن موضوع السرية الذي يطرح في لبنان ، وعلى لسان شخصيات معروفة اتخذ ولا يزال معنى مغايرا

للمعنى الذي تبحث حركة المقاومة على اساسه . فبينما تبحث حركة المقاومة موضوع السرية من زاوية الامن ، ومن زاوية بناء كادرات جديدة غير معروفة ، لتصعيد نشاطها وتمكينه من مواجهة المخططات المضادة ، فان الشخصيات السياسية اللبنانية المعنية تقصد بسرية العمل الفدائي ، اخلاء القواعد المتواجدة في جنوب لبنان ، والاختفاء من داخل المخيمات . وبكلمة أخرى الغاء اتفاق القاهرة وما تفرع عنه من بروتوكولات لتنظيم العلاقات اليومية ، وهو ما ترفضه حركة المقاومة من حيث المبدأ .

٥ ــ والى جانب هذا الحوار الرسمي حول مواجهة الهجوم الاسرائيلي والموقف من حركة المقاومة ، كان هناك حوار آخر يجري على الصعيد الشعبي باتجاهات ومواقف مختلفة ، عبرت عنه كافة الاحزاب والمنظمات الشعبية بالبيانات التي أصدرتها وركزت فيها على تخاذل السلطة في الرد على الهجوم الاسرائيلي . كما عبرت عنه عشرات المظاهرات التي نظمت في كافة المدن اللبنانية ورفعت شعارات حاسمة وواضحة ضد موقف السلطة ، وتأييدا لحركة المقاومة . وحين تم تشييع الشهداء (يوم الخميس ١٢ نيسان) كان زحف الجماهير اللبنانية للمشاركة في التشييع أبلغ دليل على طبيعة الموقف الجماهيري وتأييده الكاسح لحركة المقاومة . والجدير بالذكر هنا ان السلطة تركت لحركة المقاومة أمر تنظيم التشييع ، وبسبب معرفة الجماهير ، الذين تجاوز عددهم ربع المليون، لهذه الحقيقة ، فقد أبدت انضباطا رائعا أذهل كافة الذين راقبوا الجناز ، وفاجأ كافة الذين كانوا يجزمون بأن التشييع سيتحول الى عملية فوضى تتولد عنها اصطدامات واضطرابات عديدة .

ان هذه الصورة لرد الفعل اللبناني ، بما تحمله من تناقضات ، وبما عبرت عنه من تجنب للكثير من الصراعات ، الا انها تنطوي بداخلها على احتمالات تستدعي المراقبة الحذرة . فالهجوم الاسرائيلي على بيروت ليس حدثا يمر بسهولة ، والتحرك الجماهيري الذي عبر عن تأييده للمقاومة ليس تحركا ضئيل الدلالة ، واستمرار الحفاظ على التوازن بين هاتين الصورتين أمر لا يمكن الجزم به ، سلبا أو ايجابا ، بمجرد الاستقراء المنطقي للامور .

ب٠ ح٠

جريمة بلا عقاب

سجل للارهاب الصهيوني ــ الاسرائيلي ١٩٣٩ ــ ١٩٧٢

بقلم : سامي هداوي

منشورات مركز الابحاث الفلسطيني ، ص.ب ١٦٩١ ــ بيروت

١٠٠ صفحة باللغة الانجليزية

سعر النسخة ليرتان لبنانيتان ، تضاف اليها أجور البريد : ٥٠ ق.ل. في العالم العربي ، ١٠٠ ق.ل. في أوروبا ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول

التقرير الثاني

تقييم عسكري سياسي لعملية ٩ ــ ١٠ نيســـان في بيروت

« حيثما يوجد قهر توجد مقاومة . ان البلاد تريد الاستقلال ، والامم تريد التحرر ، والشعوب تريد الثورة . هذا هو الاتجاه التاريخي الذي لا يمكن مقاومته » . ولكن الطغمة العسكـرية الفاشية الحاكمة في اسرائيـل تود تجاهل هذا الاتجـاه التاريخي ومقاومته بمختلف الاساليب ، وتعتقد ان العنف وسيطرة القوة ستحقق لها اغراضها متناسية ان العنف القمعي المستعبد غـير العادل يلد في النهاية العنف الثوري المحرر العادل الذي قهـر امبراطوريات العدوان في كل زمان ومكان .

وليعذرني القـارىء اذا بدأت حديثي عن عمليـة ٩ ــ ١٠ نيسـان في بيروت بتكرار بديهيات معروفة عن العنف واختلاف النظرة الاخلاقية اليه حسبما يكون عنفا تحريريا أم عنفا قمعيا ، ثوريا ام مضادا للثورة ، عادلا ام غير عادل . فلقـد اضطررت لاختيار هذه البداية عندما وجدت صحيفة الغارديان البريطانية تكتب في ٤/١١ « ان من الممكن تبرير » عملية الجيش الاسرائيلي واعتبارها عادلة ، وذلك لان ضحاياها صرحوا علانيـة ان « العنف هـو سلاحهم السياسي » ، وعندمـا رأيت ان جميع الدلائل تشير الى ان الولايات المتحدة « المدافعة عـن الديموقراطية ! والحـرية ! في العـالم » ستستخدم حق الفيتو في مجلس الامن اذا ما قررت غالبية اعضاء هـذا المجلس ادانـة العـدوان الاسرائيلي على بيروت والذي راح ضحيته ثلاثة من ابرز قادة المقاومة وعشرات الشهداء والجرحى . وان اقصى ما يمكن للولايـات المتحدة ان تقدمه للعرب مقابل نهب ثرواتهم وكتم انفاسهم واذلالهم والحصول من حكوماتهم على صك البراءة من دم شهداء العدوان ، بالاضافة الى التعهدات بتصفية الحركة الثورية العربية والمقاومة الفلسطينية هو أنها ستندد بالعنف الذي يزيد خطورة الموقف في الشرق الاوسط دون تمييز بين عنف الغزاة وعنف المدافعين ، بين عنف من يمارسـون القمع لقهـر الانسان العربـي وتشتيت الشعب الفلسطينـي والاستيلاء على ارضه بل وابادته ، وعنف مـن يلجأون الى العنف [الكفاح المسلح] كآخـر وسيلة لاسترداد الحق السليب .

ويحق للمرء هنا ان يتساءل : الى أين تود الولايات المتحدة قيادة الانسانية ، وما هي طبيعة الحضارة التي ستسود العالم اذا ما سـاد الامريكيون انصار « الديموقراطية » و« الحرية » ؟ لقد هب العالم بأسره في النصف الاول من هذا القرن وناضل ضد جرائم الفاشية والنازية وضد خطرهما على القيم الانسانية والحضارة العالمية . ولا بد ان يناضل احرار العالم كله ، بما في ذلك ليبراليو العالـم الرأسمالي لتدمير الوحش الامبريالي الجديد الذي يوشك ان يبتلع حضارة عمرها آلاف السنين .

ولنعد الان الى عملية ٩ ــ ١٠ نيسان نفسهـا لنبحثها عسكريـا من زوايا : **الهـدف** والاعداد والتوقيت والتنفيذ واستثمار النصر والدروس .

الهدف : يقول الاسرائيليون في بلاغاتهم ان هـدف العملية كان يتمثل في قتل قادة المقاومة الثلاثة وتدمير مكتب الجبهة الشعبية الديموقراطية في بيروت وعدد من البيوت والاماكن التي يتم فيها تدريب الفدائيين وتخزين اسلحتهم واصلاح سياراتهم في جنوب بيروت وصيدا . ولقد أشار المراسل العسكري للاذاعة الاسرائيلية الى انه « **لا يجب** اعتبار هذه العملية كعملية انتقامية مباشرة بل تعبيرا آخر عن سياستنا التاضية بضرب « المخربين » [رجال المقاومة] دون هوادة **حيثما وجدوا** » (ر. أ. أ. عدد ٢٠٧). بيد ان رئيس الاركان الاسرائيلي دافيد العـازار صرح في مؤتمر صحفي بتاريخ ٤/١٠ تصريحا مناقضا لذلك عندما قال بأن الحملة جرت « **ردا** على عمليات المخربين [رجال المقاومة] في اوروبا وفي أماكن أخرى في الشهر الماضي » (ر. أ. أ. عدد ٢٠٨). ولقد ربطت اذاعة اسرائيل العملية المعادية ببعض عمليات المقاومة عندما قالت « بعد مرور ١١ يوما على الانفجارات التـي وقعت في الخضيرة وفي القدس ، وبعد ساعات معدودة على الهجومين في قبرص، خرجت قوات جيش الدفاع الاسرائيلي...» (ر. أ. أ. ملحق عدد ٢٠٧) . فما هو الهدف الحقيقي من العملية وهل هي رد على عمليـات عربية وفق مبدأ العين بالعين ، أم هي حلقة من سلسلة عمليات مخططة بشكل مسبق ؟

الحقيقة ان الامر متشابك الى حد بعيد ، فالعملية جزء من خطة مجهزة مسبقا لضرب قواعد المقاومة

وقياداتها ومفكريها وأجهزتها ومؤسساتها العسكرية والسياسية والاعلامية داخل الارض المحتلة وفي البلدان العربية وبلدان العالم بغية اخذ المبادرة من المقاومة وشل عملياتها وحشرها في مواقع دفاعية ، ودفعها الى مواقع اليأس والاستسلام وتقديم التنازلات — وفق توقعات الجنرال الاحتياطي هرتسوغ في حينا في ندوة لكبار الضباط في جيش الاحتياط وزعماء المؤسسات (ر. أ. أ. عدد ٢٠٩).

ولقد أعلن قادة العدو أهداف خطتهم بعد عملية ميونيخ اكثر من مرة . ثم عاد رئيس الاركان دافيد العازار الى تكرار هذه الاهداف في ٧٣/٤/١١ أمام المؤتمر الرابع لجمعية الصحف الاسرائيلية في حينا عندما حدد الاهداف الثلاثة التي يضعها الجيش الاسرائيلي نصب عينيه في العام المالي القادم ، وذكر ان احد هذه الاهداف هو « مواصلة الحرب ضد منظمات التخريب [المقاومة] من اجل تقليص نشاطها ، وتخفيف الاضرار داخل البلاد وخارجها » (ر. أ. أ. ملحق عدد ٢٠٩) ، واشار الى ان اسرائيل لن تحدد نفسها « بحدود الزمان والمكان والاسلوب » اذا مارس العرب ضدها العمليات المحدودة (ديلي تلغراف ٧٣/٤/١٢) .

والعملية بالاضافة الى ذلك رد فعل هجومي على تصعيد عمليات المقاومة داخل الارض المحتلة . فلقد شهد الشهر الماضي ومطلع الشهر الحالي تزايدا واضحا في العمليات التي شملت كافة مناطق الارض المحتلة (الاراضي المحتلة في عام ١٩٤٨ — الضفة الغربية — قطاع غزة — الجولان) واتسمت بعنفها وتنوعها (زرع الغام — هجوم بالصواريخ — نسف محلات عامة — نسف سكة حديد — اعدام جواسيس — قتل جندي منعزل وتجريده من سلاحه — كمين — اشعال حريق — نسف سيارات مدنية وعسكرية — مهاجمة دوريات عسكرية) بالاضافة الى العمليات الخارجية التي نفذت او لم تنفذ لسبب ما .

وهكذا يمكن القول ان العملية كانت **فعلا ورد فعل بآن واحد** . بيد ان العدو الاسرائيلي الذي يتبجح بنجاح عمليته يعترف بأنها لا يمكن ان تكون حاسمة وانها ليست سوى جزء من حرب مضادة طويلة المدى ضد قوى حركة المقاومة . ولقد صرح العازار بانه « لا يجب اعتبار عملية واحدة كافية لانهاء الحرب ضد العصابات . على ان سلسلة من العمليات ضد الارهابيين [رجال المقاومة] سيكون لها تأثير تراكمي يمكن ان يقلص حجم نشاطهم » (ديلي تلغراف ، ٧٣/٤/١٢) . ويمكننا تحديد أهداف العملية بما يلي :

١ — دفع المقاومة الى خنادق الدفاع .

٢ — تدمير القوى المادية والمعنوية للمقاومة ضمن خطة حرب استنزاف مضادة طويلة الامد .

٣ — ضرب الجهاز العصبي القيادي للمقاومة بغية شله ومنعه من التخطيط لعمليات جديدة وعرقلة الاعدادات القائمة لتصعيد العمليات داخل الارض المحتلة وخارجها بمناسبة مرور ٢٥ عاما على اغتصاب فلسطين وانشاء دولة اسرائيل .

٤ — الحصول على وثائق هامة من اي نوع كانت (يبدو ان العدو كان يتوقع وجود وثائق في بيوت قادة المقاومة بدليل انه فتش البيوت المهاجمة بشكل دقيق) .

٥ — خلق جو من التوتر واللاثقة بين المقاومة والسلطات اللبنانية ، واعطاء هذه السلطات المبرر اللازم لتصفية المقاومة على الطريقة «الهاشمية» .

٦ — دفع الجماهير اللبنانية الى المطالبة بابعاد المقاومة عن لبنان بحجة انه بلد لا يستطيع الدفاع عن نفسه امام هجمات الجيش الاسرائيلي .

٧ — الرد على عمليات الداخل والخارج المتزايدة باستمرار بغية رفع معنويات الاسرائيليين والحفاظ على مستوى مصداقية التهديدات الاسرائيلية .

٨ — الرد على عملية الخرطوم (لحساب الاستخبارات الامريكية وبمساعدتها) وعلى مقتل الدبلوماسيين الامريكيين على يد منظمة ايلول الاسود .

الاعداد : تدعي اسرائيل للتغطية والتمويه ان العملية تمت بقوات الجيش الاسرائيلي . ولكننا نعتقد كل الاعتقاد انها نفذت بعناصر من مجموعات العمليات الخاصة (تفيكديم ميوحاديم) بالتعاون مع عناصر من الاستخبارات العسكرية (موديعين تسفائي) . ولقد ساعد في اعداد العملية وجمع المعلومات اللازمة لها عناصر وعملاء الاستخبارات المركزية الامريكية في لبنان بالاضافة الى الاستخبارات الاردنية التي وجهت اليها والى اللواء رسول الكيلاني اصابع الاتهام من قبل مجلة الفجر الصادرة في القدس (المحرر ٧٣/٤/١٧ عن رويتر).

ولقد بدا واضحا منذ عملية ميونيخ ان مجموعات

العمليات الخاصة (تفيكيديم ميوحاديم) العاملة برئاسة المستشار الخاص لغولدا مايير الجنرال الاحتياطي أهارون ياريف* هي المكلفة بالحرب المضادة ضد المقاومة في العالم . وتحظى مجموعات أهارون ياريف بتعاطف يهود العالم ومساعدتهم . ولقد كانت تعمل في اقطار العالم في البداية بحذر شديد ، ولكنها بدأت تعمل بشكل أكثر جرأة عندما أعطاها الرئيس نيكسون الضوء الاخضر ومنحها بركاته السياسية ودعم وكالة المخابرات المركزية بعد عملية الخرطوم التي أعلن الرئيس نيكسون على اثرها ضرورة البدء بالنضال ضد الارهاب .

وتستخدم مجموعات العمليات الخاصة « تفيكيديم ميوحاديم » ، والاستخبارات العسكرية « موديعين تسفائي » ، والمخابرات العامة « شين بيت » وقوات الجيش الاسرائيلي [في داخل الارض المحتلة وخارجها كل حسب اختصاصه] اسلوبين للصراع ضد المقاومة الفلسطينية . الاول دفاعي يستند الى الابواب المصفحة والاسلاك الشائكة ، والاسلاك المكهربة ورجال الامن وكاميرات التلفزيون والدوريات والكمائن والحراس ... الخ وكل التدابير الدفاعية المطبقة على هذا الهدف او ذاك حسب طبيعته وموقعه وأهميته ، والتي سخر اوري دان المحرر العسكري لصحيفة معاريف من فعاليتها في الخارج عندما قال : « وكأن في امكان خط بارليف ان يمتد الى كل الاهداف والممثلين الاسرائيليين في العالم » (ن. م. د. ف عدد ٧٣/٣/١٦) . والثاني هجومي يعتمد على تشديد الضربات المتلاحقة الى مصادر الخطر بغية درء الاحداث قبل وقوعها . ولقد تحدث الجنرال العازار بعد عملية ٩ — ١٠ نيسان بهذا الصدد قائلا : « منذ شهر كانون الاول [١٩٧٢] غير الجيش الاسرائيلي توجهه الدفاعي ودمجه بتوجه هجومي، وهو التوجه الذي أعطى ثماره بانخفاض مستمر في نشاط المخربين [رجال المقاومة] وعدد مصابينا ، الى جانب ارتفاع عدد الاصابات بينهم ، وهدوء الحدود مع لبنان وسوريه» (ر. ا. ا. عدد ٢٠٩).

يعد العدو الاسرائيلي هجومه عادة بوضع جدول للاهداف مع تحديد الافضليات . ويلي ذلك البدء بالاستطلاع وجمع المعلومات واعداد الخطة التفصيلية المرنة لضرب كل هدف وتحديد القوى اللازمة لذلك . وما ان يتم هذا الاعداد حتى تتحرك القوة المكلفة لتنفيذ المهمة . وتختلف سماة الحركة حسب طبيعة الهدف . فاذا كان الهدف ثابتا ومعروفا ولا بد من ضربه فورا تحركت القوة المنفذة من مكان التجمع (اسرائيل أو أي مكان آخر) متجهة مباشرة نحو الهدف (قواعد المقاومة ومكاتبها في مخيم نهر البارد ، معسكر التدريب في البداوي ، بناية مقر قيادة الجبهة الشعبية الديموقراطية في صبرا ، كراج صيدا .. الخ) اما اذا كان الهدف ثابتا ومعروفا ولكن من الضروري انتظار الظرف الملائم لضربه (ضجة عالمية ضد الارهاب ، أو للرد السريع على ضربة تقوم بها المقاومة بشكل يظهر للعالم سرعة رد اسرائيل وديناميكيتها) فان القوة المنفذة تتحرك من مكان التجمع البعيد الى داخل البلد الذي سيجري التنفيذ فيه وتبقى على شكل قوة كامنة تنتظر اشارة البدء (ويمكن اعتبار بيوت قادة المقاومة الثلاثة الذين استشهدوا في ليلة ٩ — ١٠ نيسان من هذا النوع او من النوع الاول حسبما يثبت التحقيق بالدليل القاطع قدوم المنفذين من خارج البلاد في ليلة الهجوم نفسها او عدم قدومهم) . واذا كان الهدف متحركا يبدل مكانه بسرعة تجعل من المتعذر الافادة من معلومات رصد سابقة استخدم العدو القوة المنفذة الكامنة . وهو يقسم القوة المنفذة في هذه الحالة الى مجموعتين : مجموعة استطلاع ومجموعة تنفيذ . وتكون المجموعتان في البلد الذي سيتم التنفيذ فيه، وتبقيان على اتصال دائم . والفرق بينهما ان مجموعة الاستطلاع تمارس عملها على حين تبقى مجموعة التنفيذ في حالة تأهب . وما ان يظهر الهدف أمام مجموعة الاستطلاع حتى تعلم المنفذين للقيام بمهمتهم . ولا تنجح مثل هذه المجموعات الا اذا أمنت ما يلي : ١) سرعة الاتصال بين مجموعة الاستطلاع ومجموعة التنفيذ ، ٢) سرعة حركة مجموعة التنفيذ ، ٣) خضوع مجموعة الاستطلاع لمراقبة دقيقة من مجموعة التنفيذ حتى تختفي هذه الاخيرة اذا ما انكشفت مجموعة الاستطلاع ووقعت في الاسر . واخيرا فان هناك الاهداف الطيارة ، أي الاهداف الصغيرة العابرة التي يتم كشفها ووضع الخطة وتنفيذها بالوسائل المحلية المتوفرة في منطقة ظهور الهدف دون الحاجة للاستعانة بوسائل اكبر. (حادثة استشهاد حسين ابو الخير في قبرص، واستشهاد الدكتور باسل قبيسي في باريس ...الخ)

---

* كان الجنرال الاحتياطي أهارون ياريف رئيسا للاستخبارات العسكرية قبل استلام منصبه الجديد كمستشار لرئيسة الحكومة الاسرائيلية .

وسواء أثبت التحقيق قدوم المجموعات التي اغتالت قادة الثورة الثلاثة من الخارج (اي استخدام العدو للطريقة الاولى) أم اثبت العكس (اي استخدام العدو للطريقة الثانية) فان من المؤكد ان في لبنان، وفي بلدان عربية اخرى مجموعات كامنة مغطاة بغطاء تجاري او سياحي او اعلامي او ثقافي ، وتتمتع بحماية ومساعدة سفارات الدول الامبريالية. وستكون مهمة هذه المجموعات تنفيذ الطريقتين الثانية والثالثة حسب مقتضيات الظروف وطبيعة الاهداف . كما ان في البلدان الاجنبية مجموعات مستعدة لمجابهة الاهداف الطيارة . الامر الذي يتطلب قيام حركة المقاومة في البلدان الاجنبية وحركة المقاومة واجهزة الامن في الدول العربية المضيفة بالبحث بجدية عن هذه المجموعات لتدميرها .

وما دمنا في معرض الحديث عن التخطيط فان علينا ان نعترف بدقة تخطيط العملية التي نحن بصددها. ولكن علينا ايضا ان لا نبالغ في تقييم هذه الدقة ، ولا نعيدها لعبقرية العدو وتغلغل اجهزته ... الخ بل نعيدها الى اسبابها الحقيقية وهي : ١ ــ صحة المعلومات الناجمة عن انكشاف الاهداف وضعف امن المقاومة ، ٢ ــ تنفيذ العملية في بلد سياحي مفتوح يعتمد جزء كبير من ازدهاره على منح اكبر حرية ممكنة للاجانب من السواح ورجال الاعمال ، ٣ ــ قرب البحر والحدود الاسرائيلية بشكل يساعد على وضع خطة الانسحاب ، ٤ ــ معلومات الاستخبارات التي تقدمها الدول الامبريالية ، ٥ ــ عدم استخدام بعض قيادات المقاومة لمبدأ المراكز المتحركة، ٦ ــ عدم تطبيق مبادىء وأساليب التملص من المراقبة والتملص من المطاردة خلال الحركة .

التوقيت : لقد تم اختيار التوقيت العام في الفترة التي سبقت العمليات المنتظرة بمناسبة مرور ٢٥ سنة على انشاء دولة اسرائيل بحيث يكون للعملية تأثير سلبي على مجموعات الداخل . اما التوقيت التنفيذي ، اي ساعة الصفر فقد اختير بشكل تستفيد به اسرائيل من الضجة الاعلامية الناجمة من عمليتي قبرص ضد منزل السفير وضد طائرة العال . ومن الملاحظ ان التوقيت جاء في فترة هدوء جبهات القتال العربية واستمرار حالة اللاحرب واللاسلم الذي ترك يدي اسرائيل حرتين للتعامل مباشرة مع الاطراف العربية الاضعف : لبنان وحركة المقاومة . ومن المؤكد ان العدو ما كان ليجرؤ على القيام بمثل هذا العمل لو انه كان مشتبكا بحرب استنزاف مع البلدان العربية ، أو لو انه كان يتوقع ردا عربيا عنيفا على مستوى الاحداث . ولكن الايام علمته ان الانظمة العربية التي لا تقاتله هي في حالة حياد سلبي معه ، وان ردها سيكون لفظيا غير رادع ، الامر الذي شجعه على توسيع العدوان مع حرية في اختيار **الزمان والمكان والاسلوب** .

التنفيذ : جرى تنفيذ عملية صيدا بمجموعة واحدة أما عملية بيروت فقد تم تنفيذها بثلاث مجموعات (مجموعة صبرا ومجموعة الاوزاعي ومجموعة شارع فردان) مختلفة التكوين والتسليح ، ومتباعدة عن بعضها مسافة ٥ كيلومترات . وهذا يعني أنها كانت تعمل بصورة منعزلة وببداهة منفذيها . ولن نكرر هنا وصف العملية الذي أوردته الصحف العربية والاجنبية بتفصيل لا يخلو من الاثارة الصحفية والمعلومات غير المؤكدة ، والاشارات المقصودة او غير المقصودة لبراعة المنفذين . ولكننا سنكتفي بالاشارة الى نقاط ثلاث : المفاجأة ، والدور الامريكي ، ودور السلطات اللبنانية .

المفاجأة : اذا كان من المبرر نسبيا مفاجأة حرس قادة المقاومة في شارع فردان نظرا للاسلوب الذي استخدمه المهاجمون (سيارات مدنية ــ البسة مدنية ــ مسدسات كاتمة ــ تنكر بهيئة الهيبيين ــ الوجود داخل بناية يسكنها مواطنون آخرون... الخ) فان من غير المبرر أبدا ان تنقلب هذه المفاجأة المحلية المحدودة الى مفاجأة كاملة لكل قوى الامن خاصة اذا ثبت ان مجموعات شارع فردان جاءت عن طريق البحر او عن طريق الجو (هليكوبتر) وبقيت على الارض اللبنانية حوالي ٤٠ دقيقة (حسبما تقول النشرة الاعلامية رقم ٧٣/١ الصادرة عن الشعبة الخامسة في الاركان العامة لقيادة الجيش اللبناني ، النهار ٧٣/٤/١٧)*. أما بالنسبة للمفاجأة في صبرا والاوزاعي وصيدا فهي أمر كارثوي لا يقبل أي تبرير ، ولا يمكن تفسيره الا باهمال المقاومة لتدابير الحماية والحراسة والرصد والانذار وضعف استعدادات الميليشيا الشعبية وضآلة قدرتها على كشف العدو وصده

---

* انتشر في الايام الاولى بعد العملية نبأ يقول ان مدتها كانت ساعتين ونصف . وتقول النشرة المذكورة أعلاه ان المدة كانت ٤٠ دقيقة فقط . وتفسر الاختلاف بين الرقمين الى ان العدو ترك وراءه قنابل موقوتة انفجرت بعد انسحابه بشكل أوحى للناس بأن القتال لا يزال مستمرا .

ومطاردته ، واهمال السلطات اللبنانية لحراسة الساحل اللبناني وحمايته وانعدام تدابير الرصد والانذار على طول الشاطىء ، واذا كانت حماية الشواطىء من الهجمات مهمة تتجاوز امكانات القوات المسلحة واجهزة الامن فان حراسة هذه الشواطىء والانذار بوجود مراكب متقدمة أمر ممكن ولازم ويمكن تنفيذه بوسائط محدودة بل وبدائية . ولو كان هذا العمل من باب المستحيلات لكانت عمليات التهريب ، وفرار المجرمين العاديين عن طريق البحر أمرا مألوفا في كل بلد يطل على بحر. وهذا ما لا يدخل في مجال العلم العسكري او في مجال المنطق المجرد .

ان علينا ان نعترف بصراحة بأن المفاجأة تمت بكل بساطة نظرا لانعدام تدابير الامن والرصد والانذار. ولو كانت هذه التدابير مؤمنة لوقعت معركة تصادمية — ولا بأس ان كانت غير متكافئة — في المياه الاقليمية او على الشاطىء او في العمق . ولكن شيئا من هذا لم يقع ، وقام العدو بالتقرب والنزول والتسلل والضرب تحت ستار من المفاجأة الكاملة . ولو ان المتفجرات والرصاصات التي استخدمها كانت بلا صوت لتم الانسحاب ايضا في جو من السرية الكاملة . ولقد قال العميد ريمون اده في تعليقه على الاحداث « هذه اكبر فضيحة عرفها لبنان ، وهي اكبر من فضيحة المطار . ولقد كان علينا ان نتخذ الاحتياطات اللازمة للحؤول دون تكرار مثل هذه الحوادث المؤسفة » (النهار ٧٣/٤/١١) وانني لاضيف الى قول العميد بأن اول هذه [الاحتياطات] يتمثل في خلق جهاز رصد وانذار متكامل يغطي البلاد كلها ، ويمنع العدو من اقتطاف ثمار المفاجأة .

الدور الامريكي : في ١٩٧٣/٤/١٠ اصدرت القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية بلاغا ذكرت فيه ان هجوم العدو « اعتمد على عناصر للاستخبارات الامريكية في بيروت » وان عدة سيارات من سيارات المهاجمين « شوهدت تتجه الى مقر السفارة الامريكية في عين المريسة » . ولقد نظرت الولايات المتحدة الى هذا الاتهام بشكل جاد ، واعتبرته عملا خطيرا يستثير مشاعر الجماهير العربية ويهدد أرواح الرعايا الامريكيين ومصالحهم ومؤسساتهم في البلدان العربية . واسرعت وزارة الخارجية الامريكية الى نفي النبأ ووصفته بأنه « لا يستند الى اساس » . وفي اجتماع مجلس الامن بتاريخ ٤/١٢ تحدث المندوب الامريكي طويلا عن هذا الموضوع وانكر اشتراك امريكا في العملية ووصف الخبر الوارد في بلاغ القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية بانه « غير صحيح » و« كذبة كبيرة ». وفي اليوم التالي استدعى وزير الخارجية ويليام روجرز ١٣ ديبلوماسيا عربيا الى وزارة الخارجية لينفي دور الولايات المتحدة في الغارة . وطلب منهم ان ينقلوا النفي الامريكي وفي اسرع وقت الى حكوماتهم والتأكد من اذاعته في المحطات الرسمية. بيد ان وكالة الانباء الفلسطينية — وفا — ذكرت ان طائرة عسكرية امريكية من طراز هيركوليس قامت من بيروت بنقل ٤٥ شخصا مساء يوم الثلاثاء الماضي ، اي بعد اقل من اثنتي عشرة ساعة من تنفيذ العملية . وقالت انها انزلت ١٥ شخصا فقط (في عملية روتينية لتبديل حرس السفارة) ومن الطبيعي ان تأخذ ١٥ شخصا فقط وهو عدد الحرس الذين يتم تبديلهم بصورة دورية . فمن اين جاء الثلاثون الباقون ؟ ثم قالت الوكالة بأن الايام القادمة ستحمل « وثائق اكثر وأخطر » عن التدخل والاشتراك الامريكي في عملية بيروت . (المحرر ٧٣/٤/١٤) .

وهكذا بدأت الحملة العربية ضد الولايات المتحدة الامريكية ، والحملة الامريكية المضادة للتخلص من التهمة . وليس بوسعنا انتظار الوثائق وانتهاء الحملة لنقول كلمتنا بهذا الصدد . ان رأينا واضح لا يقبل اللبس وهو انه سواء اثبتت الوثائق اشتراك السفارة الامريكية الفعلي في العملية ام لم تثبت ، وسواء اعترفت الولايات المتحدة بالمشاركة الجرمية أم لم تعترف فان الولايات المتحدة شريكة متواطئة في هذه العملية والعمليات التي سبقتها والعمليات التي ستليها . وتتمثل مشاركتها الجرمية في انها تزود المجرم بالسلاح والمعلومات اللازمين للجريمة ، وتتستر على عملياته ، وتحميه من غضبة المجتمع الدولي وعقوباته ، وتنجيه من العقاب بشكل يدفعه الى تكرار جريمته ، وتؤمن تفوقه العسكري للحفاظ على الاراضي المغتصبة كمكافأة على عدوانه . ولا اعتقد ان بوسع وزارة الخارجية الامريكية ان تنكر ذلك مع ان المشاركة الجرمية الثابتة هنا — باعتراف المجرم نفسه — عمل يستهدف قتل شعب كامل لا قتل عشرات الاشخاص .

تقول صحيفة لوموند الفرنسية : « ان الولايات المتحدة التي كانت بعد حرب الايام الستة [حرب ١٩٦٧] تود الحفاظ على « توازن » عسكري بين

اسرائيل وجيرانها العرب ، ترى اليوم بعد خروج الخبراء السوفييت من مصر ان التفوق الاسرائيلي الساحق هو افضل ضمانة ضد عودة القتال » (لوموند ٧٣/٤/١١) . وهذا يعني ان التفوق الاسرائيلي الساحق الذي تضعه واشنطن بين يدي اسرائيل سيمنع الحرب على نطاق واسع ، اي سيسمح لاسرائيل بالبقاء في الاراضي المحتلة نظرا لعجز العرب عن اخراجها بالقوة ولعدم رغبتها في الخروج بدون قوة . وهذا التفوق نفسه هو الذي يسمح لاسرائيل بضرب قواعد المقاومة ومخيمات اللاجئين بكل حرية « حيثما وجدت » . **وهكذا يؤدي الدعم الامريكي الى تفوق اسرائيلي يشل العرب من جهة ويطلق يدي اسرائيل لابادة الشعب** الفلسطيني من جهة اخرى . فهل هذا الدعم مشاركة واضحة في جريمة الابادة ام لا ؟ وهل ينبغي علينا تقديم شرح افضل لفهم دور الولايات المتحدة الاجرامي ؟ المأساة كل المأساة هي ان الكثير من العرب الذين يملكون مفاتيح القوة لم يفهموا هذه المعادلة الصعبة . أو انهم فهموها فحسب دون ان يتصرفوا وفق مقتضيات هذا الفهم .

دور السلطات اللبنانية : في ٧٣/٤/١٠ اصدرت الاحزاب والقوى التقدمية في لبنان بيانا اتهمت فيه السلطة اللبنانية بالتواطؤ مع « المخطط التخريبي الجديد الذي تشترك في وضعه الاستخبارات الامريكية والبربرية العسكرية الصهيونية لتصفية المقاومة الفلسطينية والقوى التقدمية » (النهار ٧٣/٤/١١). وصرح الاستاذ كمال جنبلاط للصحفيين عند عودته الى البلاد « مش ممكن الانسان الا ان يعتقد ان هناك تواطؤا بين الحكومة اللبنانية والسلطات الاسرائيلية . ويجب محاكمة المسؤولين على هذا الشيء . وفي البلدان الاخرى يحاكمونهم بتهمة الخيانة الوطنية » ... « ما في تعابير يمكنها ان تصف الوضع الذي وصلنا اليه . البلاد بلاد جواسيس ، والحكم بلا شرف وما في شهامة » . (النهار ٧٣/٤/١١) . وقال الرئيس رشيد كرامي: « الجميع باتوا قلقين على المصير نتيجة فقدان الحماية ، ونتيجة هذا الغياب المطلق للسلطة الذي هو أشد خطرا من اعتداءات العدو الذي بات يسرح ويمرح حتى في العاصمة » (النهار ٧٣/٤/١١) . ووصف النائب الدكتور علي خليل عجز الحكومة عن حماية ارواح مواطنيها بانها « اللامنطق غير المبرر » (النهار ٧٣/٤/١١) . وأعلن حزب البعث العربي الاشتراكي : « نحن نرى ان النظام العميل في لبنان يهيىء الفرص للعدو الاسرائيلي للاستمرار في شن اعتداءاته البربرية على ارض لبنان والجماهير الفلسطينية اللبنانية عندما يتخاذل عن المواجهة او القيام بأية اجراءات احترازية او تنبيهية » (النهار ١٩٧٣/٤/١١) .

هكذا بدأت الحملة ضد السلطة اللبنانية لعدم اشتراكها الفعلي في كشف المعتدين، او في مجابهتهم خلال التنفيذ ، او في مطاردتهم وتدميرهم بعده . واستعد المجلس النيابي لمحاسبة الحكومة على التقصير . ونزلت الجماهير الى الشوارع منددة بالعدوان الاسرائيلي ، والتواطؤ الامريكي ، وتهاون السلطة . (الصحف اللبنانية في ١١ و ١٢ و ١٣/ ١٩٧٣/٤) وفجأة استقالت الحكومة . وقيل على لسان رئيس الحكومة الرئيس صائب سلام « انه اشترط للبقاء في الحكم اقالة قائد الجيش باعتباره مسؤولا عن عدم تنفيذ الاوامر بالمقاومة » ولم ينف رئيس الحكومة هذا الخبر او يؤكده . ولكن رئيس الجمهورية رفض الشرط . وقبل الاستقالة بعد تأجيل . وطرحت مسألة عدم تدخل القوات المسلحة في المعركة ضد المعتدين على بساط البحث دون ان تصدر بيانات رسمية اتهامية او دفاعية . بيد ان خصوم الرئيس صائب سلام طرحوا الاسئلة التالية : لماذا لم تتدخل قوى الامن الداخلي وهي على بعد خطوات من مكان الحادث ولديها من الامكانات ما يؤهلها لضرب القوات الاسرائيلية المهاجمة المحدودة ؟ وكيف يتدخل الجيش قبل ان تستنفذ قوى الامن طاقاتها وامكاناتها ؟ وهل ينبغي محاسبة الجيش لعدم تنفيذ الاوامر دون النظر الى قدرة هذا الجيش على الدفاع اذا ما صعد العدو العمليات لانقاذ مخربيه ؟ ولقد اوجز الشيخ بيار الجميل الرأي المدافع عن الجيش بقوله : « لا اوافق قطعا على اعتبار قائد الجيش وضباط الجيش هم المسؤولون لان جيشنا لم يدخل في حرب مع الغزاة . فانا اعرف بأنه كان ممكنا تدخل الجيش ضد عشرات او مئات الاسرائيليين الذين غزوا بيروت وضواحيها ، ولكن هل ان هؤلاء وحدهم اسرائيل ؟ الا نعرف ان غواصات وطائرات حربية اسرائيلية كانت في حالة تأهب للتدخل في لبنان اذا تعرض الكوماندوس الاسرائيلي للخطر؟ الا نعرف انه ليس بامكان كل الدول العربية الصمود في وجه اسرائيل ، فكيف يستطيع لبنان الصمود ؟ واذا كانت الدول العربية قادرة على مواجهة اسرائيل ، فمن الجريمة الا تبدأ القتال

حالا . اما ان يطلب من جيش صغير مثل جيش لبنان ان يواجه اسرائيل وحده فهذه خيانة وطنية. اني متأكد ان أي قتال جدي بين لبنان واسرائيل سيؤدي الى احتلال المطار والمرفأ وتدميرهما ، كما سيؤدي الى احتلال المناطق التي تريدها اسرائيل من جنوب لبنان . فكفى مكابرة وبهورة ، وعلينا ان نقيس الامور بميزان العقل» (النهار ٧٣/٤/١٢)

فلنترك سعيد المحاورات بين رجال السياسة ولننظر الى الامور نظرة عسكرية ذات محتوى سياسي — استراتيجي . ان الوضع العسكري اللبناني ، والجمود العسكري العربي يدفعنا لان نقول :

١ — هناك خطأ يقع على عاتق الجيش وسلطات الامن الداخلي في مجال رصد وكشف التحركات الاسرائيلية الجوية والبحرية ، والانذار بوقوع الهجوم .

٢ — كانت قوى الامن الموجودة في المدينة (ثكنات او دوريات آلية) قادرة على الاشتراك في مجابهة المعتدين ومطاردتهم والحاق الخسائر بهم داخل المدينة وخارجها . ولقد قامت دورية من الفرقة ١٦ بالاشتباك وتكبدت عددا من الخسائر . ولكننا لا ندري حتى الان لماذا لم يكن التدخل اوسع نطاقا . وليس لدينا من المعلومات ما يفسر ذلك .

٣ — كانت قوات الجيش البرية قادرة على التدخل بفاعلية في المجابهة والمطاردة خلال الليل على الاقل نظرا لضعف فاعلية الطيران ضدها ليلا . ولكنها لم تتدخل . وتقول النشرة الاعلامية رقم ٧٣/١ المذكورة سابقا ان سبب عدم التدخل يرجع الى ان الجيش لم يتأكد من ان الحادث يتعدى حدود الاحداث الداخلية وتقوم به قوات معادية الا في الساعة ١٤٥٠ اي بعد انتهاء الحادث في شارع فردان بعشرين دقيقة . وانه ارسل الدوريات الى فردان والشاطىء ولكن العدو كان قد انسحب. واذا كان الامر كذلك ، فان الجيش غير مسؤول عن الصد . ولكن مسألة المطاردة تبقى مطروحة على بساط البحث . واذا كانت المطاردة البرية متعذرة نظرا للتأخر بالتبليغ وطلب التدخل ، فان المطاردة الجوية والبحرية بقيت ممكنة بعد ذلك . واغلب الظن ان عدم تدخل القوات المسلحة في هذه المطاردة ، رغم ما تتسم بهذه القوات من جرأة وحمية وطنية،ترجع الى وقوعها تحت تأثيرات الردع بشكل كامل شلها وجعلها تقف متفرجة على المجرمين وهم يتسللون من بين اصابعها وتحت انظارها دون ان تبادر الى القيام بأي اجراء مضاد.

هنا لا بد لنا من ذكر نقطتين بالنسبة للقوات المسلحة . نقطة لها ونقطة عليها . اما النقطة التي لها فهي ان القوات المسلحة (اليد الضاربة) تنفذ دائما خطط السياسة (الروح والعقل) ، ضمن حدود الامكانات الموضوعة تحت تصرفها . ولقد دابت الاوضاع السياسية اللبنانية والعربية بصورة عامة منذ حرب ١٩٤٨ حتى الان الى وضع القوات المسلحة في موقف استراتيجي غير ملائم ، يؤدي الى شللها الاستراتيجي وهزيمتها على مسرح المعارك تكتيكيا وعملياتيا . وليس ذنب الجيش ان سياسة البلد الدفاعية جعلت حجمه وتسليحه وميزان القوى في غير صالحه لدرجة تجعله امام احتمالين : فاما ان يحجم عن القتال بتأثير الردع ، او يقبل المعركة الانتحارية ويتلقى الموت بشرف .

ان التاريخ المعاصر لم يعرف حالة تم فيها ردع الطرف الاضعف بسبب اختلال ميزان القوى سوى حالة تشيكوسلوفاكيا عندما احتلتها قوات حلف وارسو لمنعها من السقوط في احضان الغرب. وها هي لبنان تقدم لنا حالة ثانية مشابهة من زاوية الردع فقط مع وجود اختلافات كبيرة وجوهرية بين الحالين بالنسبة لمعطيات الموضوع الاخرى . ولكن التاريخ المعاصر نفسه تدم لنا دولة بولونيا كمثل رائع لدولة قررت قواتها المسلحة — وحجمها بالنسبة لحجم القوات النازية كحجم قوات لبنان بالنسبة للجيش الاسرائيلي — الاشتراك في حرب يائسة تنهزم فيها بشرف بدلا من الشلل والاستسلام امام قوة الردع . ولماذا نذهب بعيدا وقد قدم لنا الجيش اللبناني نفسه في معركة ١٦ — ١٩٧٢/٩/١٧ مثلا حيا لو انه تكرر في ليلة ٩ — ١٩٧٣/٤/١٠ وخلق ملحمة تنير سبيل الاجيال المقبلة .

ان الحساب قبل المعركة وخلالها امر عقلاني لا بد منه ، ولكن ما ان يتعرض امن الوطن وسلامته لخطر داهم حتى يصبح الحساب عملا اضافيا وترفا لا محل له . ويغدو اندفاع القوات المسلحة نحو الموت شرفا لها ومبررا تاريخيا لوجودها .

٤ — كانت قوات المقاومة الاحتياطية ووحدات الكفاح المسلح الفلسطيني قادرة على التدخل خلال المطاردة ، ولكن قوى الامن منعتها بالقوة ، واصابت قائدها المقدم خالد بجروح في رأسه (بيان الاحزاب والقوى التقدمية اللبنانية .

استثمار النصر : ما أن نفذ العدو هدفه العسكري

حتى بدأ استثمار النصر باتجاهين رئيسيين هما :
١ — استغلال الوثائق المستولى عليها لاعتقال خلايا الداخل واحباط العمليات المعدة . وتقول الانباء الواردة من الارض المحتلة ان اجهزة امن العدو اعتقلت عشرات المواطنين العرب في قضاء عكا والجليل الغربي والناصرة وقرى المثلث مستندة الى معلومات مستقاة من الوثائق . واغلب الظن ان في هذه الانباء مبالغة مقصودة لان مصادر المقاومة تؤكد ان المعلومات المستولى عليها قليلة الاهمية . ٢ — استغلال النجاح العسكري الناجم عن المفاجأة التكتيكية في الهجوم (بسبب اخطائنا) والغطاء الامني في الانسحاب (بسبب ردع توانا) بغية تحطيم معنويات قيادات المقاومة وقواعدها ووضعها في وضع التحفز القلق، ٣ — استغلال العملية كلها لخلق شرخ بين اللبنانيين والفلسطينيين، أو بين اللبنانيين والمقاومة الفلسطينية على الاقل . ولقد بدأت وسائل العدو الاعلامية ووسائل الغرب الموالية حملة دعاوية تستند على التهويل والتهديد . ففي ١٠/٤/١٩٧٣ قال مراسل الاذاعة الاسرائيلية اوري دانيال « واذا لم يكن هناك مناص فان قوات الجيش الاسرائيلي ستفعل في العاصمة اللبنانية الامور التي تعتقد اسرائيل بان الحكومة اللبنانية يجب ان تفعلها بنفسها » (ر.ا.أ ملحق عدد ٢٠٨) . واشارت صحيفة دافار في صبيحة ٤/١١ « ان من السابق لاوانه ان نقع في خطأ الوهم بانه بذلك — أي بالعملية — قد اقتلع اساس الارهاب واذا ما استمر العمل الارهابي فانه سيكون مطلوبا تنفيذ عمليات اخرى » ونسجت صحيفتا اومر وشعاريم على المنوال نفسه (ر.ا.أ ملحق عدد ٢٠٨) . وذهبت صحيفتا تريبونا واويكلت الى ابعد من ذلك عندما طلبتا من سورية وليبيا والقاهرة تعلم الدرس من الغارة (ر.ا.أ. ملحق عدد ٢٠٨) . وفي ٤/١٢ كتبت صحيفة هآرتس « ان العملية اثبتت لاول مرة لحكومة لبنان ان ما هو معلق وقائم بينها وبين حكومة اسرائيل هو مجرد وجود المخربين [المقاومة] على الاراضي اللبنانية » . وتحدثت هتسوفيه وعل همشمار باللهجة التهديدية ذاتها (ر.ا.أ. ملحق عدد ٢٠٨) . وكان الجنرال اليعازر قد صرح « بأن الاسرائيليين سيواصلون غاراتهم على لبنان وعلى بيروت نفسها ما دام للفدائيين حرية العمل والتحرك واعداد العمليات » (النهار ٧٣/٤/١٢) . وفي اجتماع مجلس الامن بتاريخ ٤/١٢ تحدث مندوب اسرائيل يوسف تكواع عن لبنان ووصفه بأنه « مركز للارهاب العربي » ثم قال « ان لبنان يطالب بالحصانة تحت ستار أنه دولة تسعى من اجل السلام . لكن احترام سيادة لبنان لن يكون ممكنا الا اذا أبعد الفدائيين عن أراضيه » (ر.ا.أ. ملحق عدد ٢١٠) ولقد صعد موشي دايان وزير الدفاع التهديدات عندما قال في مقابلة تلفزيونية في٤/١٣ بأن لبنان سيتعرض للضرب كدولة اذا استمر في السماح لمنظمات المقاومة باقامة مقر قياداتها في اراضيه وان الضربات المقبلة ستوجه الى لبنان لا الى اهداف المقاومة فقط . (المحرر ١٩٧٣/٣/١٤) . ولم تترك الولايات المتحدة الفرصة تفوتها للاشتراك في حملة الضغط المعنوية على العرب عامة والمقاومة الفلسطينية بشكل خاص فلقد طالبت الدول العربية رسميا بأغلاق محطات الاذاعة الفلسطينية التي تهاجم امريكا وتعتبرها شريكة في العدوان . وفي يوم ١٤ نقلت الاسوشيتدبرس « ان الولايات المتحدة تضغط على لبنان لكي يلجم الفدائيين الفلسطينيين داخل اراضيه . وفهم ان الحكومة الامريكية لا تقبل الرد القائل ان لبنان لا يستطيع فرض قيود اشد على الفدائيين » (النهار ٤/١٥/ ٧٣) .

ولقد ردت الجماهير العربية على الحملة بمزيد من الالتفاف حول حركة المقاومة وطالبت ببيان ٤/١٠ الذي اصدرته الاحزاب والقوى التقدمية في لبنان بأن تكون « كل الحرية للمقاومة للعمل وحماية نفسها » وهب حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب التقدمي الاشتراكي وحركة التوعية وحركة ٢٤ تشرين والتنظيم الناصري والتجمع الوطني للجنوب والمجلس الاسلامي والنقابات والمجلس النسائي واتحاد الكتاب اللبنانيين والطلاب وغيرهم من القوى الوطنية وطالبوا بدعم المقاومة والالتفاف حولها ومنحها حرية العمل وحرية الدفاع عن النفس . ورفضت الحكومات العربية الاذعان لمطلب واشنطن باغلاق الاذاعات الفلسطينية العاملة على ارضها . وساعد قدوم عدد من الشخصيات العربية الرسمية على تلطيف الجو ومنع التوتر بين السلطات اللبنانية وحركة المقاومة رغم شراسة الحملة الدعاوية ورغم عملية نسف خزانات التابلاين في الزهراني التي قالت دوائر التحقيق العسكري انها توصلت الى شبه قناعة بأن مرتكبيها اشخاص من خارج المقاومة يستهدفون « الايقاع بين السلطة اللبنانية والمقاومة » . (النهار ٧٣/٤/١٦) .

الدروس المستفادة : لن تكون الدروس المستفادة هنا سوى عناوين . ولكن الدروس الحقيقية وتطبيقاتها تستحق اكثر من عناوين . وبوسعنا ان نلخص العناوين بما يلي :

ـ ان في الافق غيوم ضغوط امبريالية ستؤدي عاجلا ام اجلا الى فتنمة الصراع في وطننا .

ـ **الامن ادفاعي ضرورة حيوية لبقاء المقاومة** الفلسطينية على ان يرافقه امن هجومي .

ـ الرصد والانذار اول عمل امني دفاعي وشرط لازم ولكنه غير كاف لتحقيق سلامة حركة المقاومة .

ـ لا يمكن لميليشيا المقاومة ان تلعب دورها بفاعلية الا اذا تمتعت بحذر ثوري عال .

ـ التلاحم مع الجماهير العربية شرط مهم لاحباط تصفية المقاومة مهما كانت هوية القوة القائمة بهذه التصفية .

ـ ان الردع الاسرائيلي قادر على شل الانظمة ولكنه عاجز عن شل المقاومة بسبب ارتفاع مستوى اهمية « هدف الرهان » وصغر اهداف المقاومة .

ـ ان خطورة التهديد المعادي يجعل حماية قواعد المقاومة القتالية واجهزتها القيادية لا تتم الابالعمل السري والتصرف على الارض العربية وكأنها في عمي منطقة محرمة No Man's Land

ـ ان اجهزة المقاومة الاعلامية والاجهزة الاخرى المضطرة للعمل العلني بحاجة لتدابير خاصة تجعلها بمأمن من ضربات العدو مهما كان نوع هذه الضربات . ولا يمكن التحدث هنا عن نوع هذه التدابير لانها جزء من اسرار المقاومة .

ـ ان أمن القواعد والاشخاص والمؤسسات أمر هام لانه يضمن حماية القوى الثورية خارج الارض المحتلة . ولكن أمن الوثائق والمعلومات اهم من ذلك بكثير لان يضمن حماية الخلايا الثورية السرية العاملة وراء خطوط العدو ، وهي على الصعيد العسكري ـ السياسي ـ المعنوي اهم بكثير من القوى الموجودة في الخارج .

ـ ان على المقاومة والقوى التقدمية في البلدان العربية المضيفة ان تناضل حتى تحصل المقاومة من السلطات المحلية على كافة التسهيلات التي تساعدها على تأمين حماية نفسها بشكل فعال (رفع القيود عن التسليح ، واعطاء صلاحيات اكبر في اقتناء ونقل السلاح ... الخ) .

والخلاصة : ان عملية ٩ ـ ١٠/٤ اثبتت بأن هناك اخطاء لا تغتفر على صعيد الرصد والانذار وحفظ الوثائق ، وأن العمل الرسمي مشلولا بسبب الردع الشامل . وان المقاومة في لبنان بشكلها السابق كانت غير محمية تماما وان الحماية لا تكون بالحراسة فحسب بل بالتلاحم التام مع جماهير البلد العربي المضيف ، وبخوف العدو من الرد بعنف ثوري على كل عنف قمعي . ان الوضع العربي المهادن الحالي يجعل الشعب الفلسطيني وحده في فوهة المدفع ، ويفرض على هذا الشعب ان يتحمل وحده شراسة الغزوة الفاشية الصهيونية . والى ان يلتف الشعب العربي حول المقاومة ، والى ان تصبح المقاومة في كل بلد عربي جزءا من كيان هذا البلد لا هدفا فلسطينيا يطارده العدو ، والى ان تكسر الانظمة طوق الركود الذي يخنقها سيبقى الشعب الفلسطيني وحده حاملا لواء الكفاح المسلح باسم العرب اجمعين مهما دفع من تضحيات . وهو قادر ـ باعتراف العدو ـ على تحقيق هذه المهمة التاريخية . ويقول اوري دان المحرر العسكري لصحيفة معاريف « لم ينحن الفلسطينيون على رغم كل الخسائر التي انزلناها بهم . فقدوا قواعدهم في الاردن . ويفقدون بين الحين والاخر قواعد في لبنان ، لكنهم لم ييأسوا . فهم يطورون يوما بعد يوم وسائلهم واساليبهم القتالية . وهم الوحيدون الذين يحولون دون امكان التسوية بين الدول العربية واسرائيل » (نيودف ٧٣/٣/١٦) . فالى هذا الشعب الذي يرفض الركوع ، ويقدم بسخاء قوافل الشهداء تحيات اعجاب وتقدير .

هـ . أ .

اسرائيليـــات

رئيس اشكنازي رابع تتويج للتفرقة العنصرية

كانت احداث اسرائيل الداخلية ، هي الموضوع الاساسي الذي شغلت به الصحف الاسرائيلية في شهر آذار الماضي ، وكان ترشيح ثم انتخـــاب « رئيس الدولة » الجديد ، هو الاهم بين تلـك المواضيع ، خاصة بما افرز هذا الحدث مـن معان ، بل — زيادة في الدقة — ما رسخه مـن معان ، وابرزها اثنان :

● استمرار وزيادة الشعور بالغربة لدى اليهود الشرقيين — السفاراديم — وعجز هؤلاء عن ايصال أي منهم الى « فوق » في سلم المسؤوليات داخل اسرائيل .

● استمرار بقاء بنحاس سابير — وزير مالية العدو — رجل « حزب العمل » الحاكم القوي ، وبالتالي رجل اسرائيل القوي .

وقبل الدخول في تفاصيل ما حدث ، يجدر بنا ان نقف — ولو قليلا — عند السؤال : كيف ينتخب رئيس الدولة ؟ ثم ما هي صلاحياته ؟

على الشق الاول من السؤال ، يمكن الاجابة ، باختصار ، على النحو التالي :

« ١ — ينتخب رئيس الدولة من قبل الكنيست لمدة خمس سنوات ، تحسب بالتقويم العبري .

٢ — كل مدني اسرائيلي ، مقيم في اسرائيل يحق له ان يكون مرشحا للرئاسة . ومن يشغل هذا المنصب فترتي رئاسة متواليتين ، لا يحق له الترشيح لفترة الرئاسة التالية . (اقرت الكنيست ذلك يوم ١٩٦٤/٦/١٦) .

٣ — يجري انتخاب الرئيس في فترة لا تسبق باكثر من تسعين يوما ، ولا تتأخر باكثر من ثلاثين يوما عن يوم انتهاء فترة الرئاسة. وفي حال شغور كرسي الرئاسة قبل الفترة المحددة لذلك ، يجري انتخاب الرئيس الجديد خلال خمسة واربعين يوما ...

٤ — بعد تحديد يوم الانتخاب ، يحق لاي عشرة على الاقل من اعضاء الكنيست تقديم مرشح ، ويكون الترشيح كتابة ويسلم الى رئيس الكنيست، مرفقا بموافقة المرشح كتابة او برقيا ، خلال فترة لا تقل عن عشرة ايام قبل يوم الانتخاب .

٥ — يعلن رئيس الكنيست لجميع اعضاء الكنيست كتابة ، وخلال فترة لا تقل عن سبعة ايام من يوم الانتخاب ، عن كل مرشح وعن اسماء اعضاء الكنيست الذين رشحوه .

٦ — يكون انتخاب رئيس الدولة بالاقتراع السري في الجلسة المخصصة لذلك الموضوع فقط .

٧ — المرشح الذي ينال غالبية اصوات اعضاء الكنيست — أي اكثر من ٦٠ صوتا — يكون هو الفائز ، وما لم يفز أي من المرشحين بمثل هذه الاغلبية يجري الاقتراع ثانية ، وما لم يفز في هذه المرة ايضا أي من المرشحين بالاغلبية المذكورة يجري الاقتراع ثالثة بعد استثناء ترشيح الحائز على أقل نسبة من الاصوات ، وهكذا الى ان يفوز احد المرشحين في الاقتراع الثالث او الـــذي يليه بالاغلبية المذكورة ، ويصبح هو الرئيس ...» (معاريف ١٩٧٣/٣/١) .

اما ابرز ما في صلاحيات رئيس الدولة فهي :

« ١ — توقيع كافة القوانين ، باستثناء تلك المتعلقة بصلاحياته .

٢ — توقيع المعاهدات بعد اقرارها في الكنيست .

٣ — تعيين مندوبي الدولة الديبلوماسيين بموجب توصية من وزير الخارجية . وتسلم اوراق اعتماد المندوبين الديبلوماسيين للدول الاجنبية لـــــدى اسرائيل .

٤ — استلام التقارير عن جلسات الحكومة .

٥ — قبول استقالة الحكومة والعمل على تشكيل

حكومة جديدة عن طريق الاستشارات مع قوائم الاحزاب في الكنيست ، والقاء مهمة تشكيل الحكومة على احد اعضاء الكنيست .

٦ ــ اصدار العفو وتخفيف العقوبات عن المسجونين ، بموجب توصية من الجهات الحكومية المختصة .

٧ ــ تعيين مراقب الدولة ، وعميد بنك اسرائيل ، والقضاة المدنيين ، والقضاة الشرعيين للطوائف المختلفة ... » (كتاب « من ومن في اسرائيل (بالعبرية) ، ٧١ ــ ١٩٧٢ » ، الجزء الثاني ــ المؤسسات ، الطبعة العبرية ص ٢٣٣) .

هذا على الصعيد القانوني ، فماذا على الصعيد العملي ؟

يقول الصحافي الاسرائيلي مايزلس في معاريف (١٩٧٣/٣/١) انه « بموجب القانون تنتخب الكنيست رئيس دولة اسرائيل ، لكن التجربة تعلمنا ان انتخاب المرشح للرئاسة « يطبخ » بداية في مطابخ الاحزاب المختلفة ، ويقدم بعد ذلك كطبخة معدة من قبل حزب واحد ، كان سابقا « حزب ماباي » ، وهو حاليا « حزب العمل » ، المكون من ثلاثة احزاب هي : ماباي ، احدوت هعفودا ورافي » .

من هنا كان واضحا سبب اهتمام ومتابعة الاسرائيليين ، لما يحدث داخل حزب العمل بالذات حول هذا الموضوع ، رغم ان صلاحيات الرئيس ــ كما ذكر آنفا ــ هي صلاحيات فخرية واسمية فقط .

منذ اواسط شهر شباط (فبراير) الماضي ، بدأت مسألة اختيار حزب العمل لمرشح منصب الرئاسة تتفاعل ، وكان بين اوائل المهتمين بهذا الموضوع ، عضو الكنيست اريه اليعاف ، سكرتير حزب العمل سابقا ، واحد اشهر ثلاث « حمائم » في اسرائيل ، « حيث اقترح اليعاف بكتاب الى السكرتير الحالي لحزب العمل اهرون يدلين ، قاضي المحكمة العليا الياهو ماني كمرشح للرئاسة . وكان اليعاف قد رشح ماني في آخر انتخاب لرئيس الدولة ...، والياهو ماني هو يهودي شرقي ، من اصل عراقي، ولد في الخليل ، واثار ترشيحه حماسا في الحزب، خاصة لدى الاعضاء من اصل شرقي ، وانضم لهؤلاء عدد كبير من اعضاء مركز الحزب » (معاريف ١٩٧٣/٣/١) .

وكان اعضاء آخرون في الحزب ، قد رشحوا عددا كبيرا من الاعضاء لتسلم منصب الرئاسة ومن بين هؤلاء المرشحين ، يعقوب تسور ، رئيس ادارة الكرن كييمت ، واسحق نافون ، وبسرائيل يشعياهو ، رئيس الكنيست ، واميل نجار ، سفير اسرائيل في روما ، والبروفيسور نتان روتنشترايخ، والبروفيسور افرايم كاتشالسكي ، والياهو ناوي، رئيس بلدية بئر السبع ...، وكانت كل الدلائل تشير الى انه في هذه المرة ، سيحصل صراع دراماتيكي داخل « مطبخ » حزب العمل ، حول اختيار المرشح للرئاسة ، ولن ينتقر ذلك الصراع الى اشارات وعلامات طائفية ». (المصدر السابق).

وفيما يتعلق بالاحزاب الاسرائيلية الاخرى ، « فان مناحيم بيغن ، رئيس حزب حيروت ، قال ان كتلة غاحال ستفضل هذه المرة احد ابناء الطوائف الشرقية ، كمرشح للرئاسة ،... وبين الذين وردت اسماؤهم كمرشحين من قبل حزب العمل ، يبدو ان الافضل بالنسبة لغاحال هو قاضي المحكمة العليا الياهو ماني ، نظرا لكونه من ابناء الطوائف الشرقية من ناحية ، وليست عليه دمغة حزبية واضحة من الناحية الثانية » .

« والافضل بالنسبة لحزب المفدال (الحزب الديني الوطني) من بين مرشحي حزب العمل ، هو احد اثنين : عضو الكنيست اسحق نافون (وهو يهودي شرقي) او يعقوب تسور » .

« وفي وسط « حزب مبام » (الذي يشكل مع حزب العمل ما هو معروف باسم « المعراخ » ــ أي التجمع) هناك رأي بتفضيل رئيس من اصل شرقي هذه المرة ، مثل عضو الكنيست اسحق نافون ، الذي يستطيع ان يمنع زيادة الاستقطاب الطائفي والاجتماعي في الدولة » (المصدر السابق) .

وكان واضحا مما حوته الصحف الاسرائيلية في الاسبوع الاول والثاني من شهر آذار ، ان هناك اتجاها قويا لـ « ارضاء » اليهود الشرقيين بانتخاب احدهم لمنصب الرئاسة في اسرائيل ، بعد توالي ثلاثة يهود غربيين هم حاييم وايزمان ، واسحق بن تسفي ، وزلمان شازار على رئاسة الدولة ، وكان واضحا اكثر ايضا ، ان عضو الكنيست اسحق نافون ، هو الاسعد حظا بين جميع المرشحين ، نظرا لما له من شعبية داخل حزبه وخارجه على السواء .

وفي هذا الجو من التكهنات ، شكل مكتب حزب

العمل ، يوم ١٩٧٣/٣/١٣ « لجنة الستة » (المكونة من الوزراء بنحاس سابير ، ويسرائيل غاليلي ، ويعقوب شمشنون شابيرا ، وشمعون بيرس ، بالاضافة الى عضوي الكنيست موشي برعام ، رئيس ادارة الائتلاف الحكومي ، واهرون يدلين ، سكرتير حزب العمل) بهدف ان تقدم هذه الى مكتب الحزب توصية بمرشح او بعدد من المرشحين ، استعدادا للانتخابات المصيرية في مركز الحزب (وقد جرت بتاريخ ١٩٧٣/٣/٢٢) ، واتضح منذ ذلك اليوم ان المعركة قد دخلت مرحلتها الحاسمة » (يديعوت احرونوت ١٩٧٣/٣/٢٣) .

وبدل ان تختار « لجنة الستة » واحدا من المرشحين الباقين — بعد انسحاب عدد منهم مثل الياهو ماني ويعقوب تسور وابلاغ البروفيسور كاتشالسكي للوزير شمعون بيرس عدم قبوله الترشيح — بدأ عدد من اعضاء اللجنة ، وابرزهم يسرائيل غاليلي وبنحاس سابير اجراء الاتصالات مع كاتشالسكي الذي كان اذاك في بوسطن بالولايات المتحدة ، لقبول الترشيح ، وذلك ما فاجأ وازعج نافون ، خاصة وانه كان من قبل قد استمزج آراء كل من غولدا مئير وبنحاس سابير حول قبوله الترشيح ، وابلغه هذان انهما لن يتدخلا في هذا الموضوع . (معاريف ٧٣/٣/٢٣).

وفي الاتصالات الهاتفية مع كاتشالسكي ، « اشترط هذا لقبول الترشيح ان لا يدخل منافسه ، وان يكون هو المرشح الوحيد في مركز الحزب ، وقيل له ان وضع هذا الشرط سيكون فيه الحاق للضرر بسير الديموقراطية ، وان عليه الاكتفاء بالتأكيد من قبل زعامة المعراخ ان تعمل كل ما من شأنه ان يؤمن انتخابه » (المصدر السابق) ، وزادت جريدة يديعوت احرونوت في التاريخ ذاته على ذلك ، ان بنحاس سابير شخصيا هو الذي اجرى تلك المكالمة مع كاتشالسكي ، وهو الذي قدم له الوعد بالدعم وضمن له الانتصار على المنافس القوي اسحق نافون .

وكان كاتشالسكي قد طلب مهلة مدتها ٢٤ ساعة لاعطاء جوابه النهائي حول قبول الترشيح او رفضه ، وسأل اثناء المكالمة « ان كان باستطاعة رئيس دولة ان يكون مرشحا لجائزة نوبل ، فجاءه الجواب ايجابيا ، وفي مكالمات هاتفية مع عدد من الحائزين على جائزة نوبل في انحاء العالم ، والذين كانوا قد اوصوا من قبل بترشيح كاتشالسكي لهذه الجائزة ، قال هؤلاء ان انتخابه لرئاسة الدولة لن يقدم ولا يؤخر في مناقشات لجنة الجائزة ، وان كان لا بد من تأثير فانه سيكون تأثيرا ايجابيا ». (المصدر السابق) .

وغالبية المعلقين الاسرائيليين ، رأوا في دفع سابير لكاتشالسكي ، وتشجيعه على قبول ترشيح نفسه للرئاسة ، في الايام الاخيرة قبل انتخاب مركز حزب العمل لمرشحه كان مناورة ذكية منه لافشال اسحق نافون ، ومنعه من الوصول الى كرسي رئاسة الدولة .

والجواب على سؤال « لماذا هذا الاصرار من قبل بنحاس سابير » يرتكز على عدة نقاط ، لعل اهمها :

١ — « ان لاسحق نافون شعبية قوية بين اعضاء حزبه ، وكان قبل سنة تقريبا قد حصل في الاقتراع داخل الحزب لانتخاب مرشح لرئاسة الكنيست — بعد موت رئيسها السابق كديش لوز — على ٢٨ صوتا مقابل ٣٠ صوتا حصل عليها منافسه يسرائيل يشعياهو — رئيس الكنيست الحالي — ، أي بفارق صوتين فقط ، رغم ان قادة الحزب — ومنهم بنحاس سابير وغولدا مئير ويسرائيل غاليلي — كانوا مصرين على انجاح يشعياهو » . (معاريف ١٩٧٣/٣/٦) .

٢ — « في اذار — مارس — سنة ١٩٦٨ ، كان نافون قد اقترح — داخل حزبه — ان تعطى لرئيس الدولة صلاحية حل الكنيست ، في حال عدم نجاح المرشحين الذين يلقي عليهم مهمة تشكيل حكومة جديدة ، وكان نافون يريد بذلك ان يعطي لمؤسسة الرئاسة مكانة اهم في الحياة السياسية » (المصدر السابق) .

٣ — ان نافون ، رغم كونه حاليا عضوا في حزب العمل ، الا انه — وذلك ما لم ينسه له سابير — كان قد انفصل عن حزب مباي لدى تشكيل حزب راقي سنة ١٩٦٥ ، وما زال اعضاء حزب العمل حتى الان يصنفون حسب ولاءاتهم السابقة ، رغم انهم رسميا اعضاء حزب واحد .

٤ — اما السبب الرابع — وربما الاهم — فهو انه ليس في « قانون اساسي : رئيس الدولة » (وهو احد القوانين القليلة المسماة قوانين اساسية، أي ان لها قوة الدستور في اسرائيل ، رغم ان اسرائيل ما زالت بدون دستور) ، أي نص رسمي يلزم رئيس الدولة بالقاء مهمة تشكيل الحكومة على

عضو محدد ، من اعضاء الكتلة البرلمانية الاكبر في الكنيست ، رغم انه من المتعارف عليه — بصورة غير رسمية — ان يطلب رئيس الدولة من المرشح رقم واحد في قائمة انتخابات الكتلة البرلمانية او من يرشحه الحزب ، تشكيل حكومة جديدة . ومن هنا ، فانه لا يستبعد ان يكون سابير قد خشي من احتمال طلب نافون — لو نجح واصبح رئيسا للدولة — من دايان مثلا ، وهو احد زعماء رافي سابقا ، تشكيل الحكومة الجديدة وسد الطريق بذلك امام سابير او من يرشحه في حال استقالة غولدا مئير ، او تنحيها عن رئاسة الحكومة ، ولعل في اقتراح زيادة صلاحيات رئيس الدولة التي اقترحها نافون — كما ذكر — ما يشكل اكثر من اشارة لمثل هذا الاحتمال .

يضاف الى كل ذلك ، ان اسحق نافون الذي يفاخر كثيرا بكونه من مواليد البلاد — وهو من اصل مغربي — ، وكثيرا ما كان يلمح ساخرا الى التمييز ضده نتيجة لعدم كونه يهوديا غربيا ، وعلى سبيل المثال فانه « قبل سنة تقريبا ، عندما انتخب رئيسا للجنة التنفيذية الصهيونية ، اجاب على سؤال لصحافي عما اذا كان هو صهيونيا ام لا ، بقوله : نعم ، انا صهيوني ، ولكن هناك نقصا في صهيونيتي ، فانا ولدت في البلاد ، ولم اتمكن — نتيجة ذلك — من ان انفذ وصية الهجرة الى ارض اسرائيل » ! (معاريف ١٩٧٣/٣/٦) .

وازاء التأييد الكبير الذي لنافون — من اليهود الشرقيين داخل حزب العمل من ناحية ومن اعضاء رافي من ناحية ثانية ، ومن خارج حزبه من الناحية الثالثة — فانه لم يكن من المتوقع تمكن منافس عادي من الصمود في وجه نجاحه بترشيح حزب العمل له لرئاسة الدولة . ومن هنا جاء اختيار سابير لكاتشالسكي ، وقبل ايام معدودة فقط من حسم هذا الموضوع .

وقد لاحظ الاسرائيليون ذلك ، حيث انه « كان واضحا ان الشخصية الاساسية وراء انتخاب كاتشالسكي ، هو — دون شك — رجل حزب العمل القوي ، وزير المالية بنحاس سابير ، وبدون ان يكشف هذا عن اتجاهاته كان واضحا انه — أي سابير — ليس سعيدا بشكل خاص لمظاهر التأييد والدعم التي حظي بها عضو الكنيست اسحق نافون ، حتى قبل ان يعلن « للجنة الستة » عن موافقته على ان يكون مرشحا ، وكان هناك مجال للتوقع بان يتخذ مبادرة ذات دلالة من جانبه » . (يديعوت احرونوت ١٩٧٣/٣/٢٣) .

كذلك فانه « كان لرئيسة الحكومة غولدا مئير ما تقوله حول هذا الموضوع ، رغم أنها حرصت على قوله بعيدا عن صفحات الصحف وعن الميكروفونات. وفي مشاورات داخلية مع كبار وزراء حزب العمل (وابرزهم سابير طبعا) لمحت غولدا مئير الى انها ما كانت لتنظر بارتياح الى وضع يلقي عليها فيه ، سكرتير سابق لرئيس الحكومة الاسبق دافيد بن غوريون (وهو زعيم رافي سابقا) هو اسحق نافون، مهمة تشكيل الحكومة المقبلة بموجب منصبه كرئيس ، اذا انتخب فعلا لهذا المنصب الرفيع ، واذا وافقت هي فعلا ، كذلك ، على الاستمرار في منصبها الحالي » (المصدر السابق) .

كل ذلك يصل بنا الى السؤال عن ذلك « الحصان القوي » ، البرفيسور افرايم كاتشالسكي ، الذي تمكن بنحاس سابير من اقناعه بدخول حلبة السباق والمراهنة عليه ، واحراز الفوز به بعد ذلك .

« افرايم كاتشالسكي مجاز في العلوم ودكتور في الفلسفة ، ولفتننت كولونيل (احتياط) — في جيش الاحتلال — وبروفيسور ورئيس قسم البيوفيزياء في معهد وايزمان للعلوم في رحوفوت — جنوب تل ابيب — منذ سنة ١٩٥١ . ولد — في بولونيا — بتاريخ ١٩١٦/٥/١٦ ... وهو خريج الجامعة العبرية في القدس ، وحصل على جائزة تشرينخوفسكي سنة ١٩٤٨ ، وجائزة وايزمان ١٩٥٠ ، وجائزة اسرائيل في العلوم الطبيعية ١٩٥٩ ، وجائزة روتشيلد في العلوم الطبيعية ١٩٦١ ، كما حصل على ميدالية ليندرستروم لنغ الذهبية سنة ١٩٦٩ ، وهو كاتب مقالات وابحاث كثيرة في موضوع الزلاليات والحوامض ، وعضو في الاكاديمية الوطنية للعلوم ، والمجلس الوطني للابحاث والتطوير ، ومجلس التعليم العالي ، والرابطة البيوكيميائية الاسرائيلية ، والرابطة الكيمائية الاسرائيلية ، وكان ايضا العالم الرئيسي في وزارة الدفاع الاسرائيلية من سنة ١٩٦٦ حتى سنة ١٩٦٨ — اي في الفترة التي سبقت وتلت حرب حزيران — ، وعضو في روابط دولية هي: الاكاديمية الوطنية الاميركية للعلوم ، والاكاديمية الاميركية للفنون والعلوم (عضو شرف اجنبي) ، واكاديمية العلوم في لاوبولدينا ، الشركة الاميركية للكيميائيين

البيولوجيين (عضو شرف) ، ومؤسسة «سيفا» ، والرابطة الدولية للبيوكيمياء ، روابط عديدة اخرى ، وهو أيضا في هيئات مجلات شهرية دولية مختلفة متخصصة في العلم والتكنولوجيا » . (« من ومن في اسرائيل ، ١٩٧١ — ١٩٧٢ » ، ص ١٩٣ — ١٩٤) .

وقد ذكرت جريدة يديعوت احرونوت (٧٣/٣/٢٣) ان العديد من الخدمات التي قدمها كاتشالسكي لاسرائيل ، عبر عمله في تطوير أسلحة جيش العدو ، ما زالت سرية نظرا لنوعيتها وطبيعتها .

وكان يمكن ان يظل البرفيسور افرايم كاتشالسكي، بالنسبة الى الاسرائيلي العادي ، مثل غيره من العلماء غير المعروفين ، لولا حدثان ، او صدفتان :

اولهما : انه شارك وظهر على شاشة التلفزيون الاسرائيلي عبر مسلسل من اعداد عضو الكنيست اسحق نافون اياه ، منافسه في الترشيح لمنصب الرئاسة .

وثانيهما : انه شقيق البرفيسور اهرون كتسير الذي كان بين قتلى مطار اللد في العملية التي نفذها الفدائيون اليابانيون الثلاثة يوم ٧٠/٥/٣٠ .

وقد اكتسب افرايم كاتشالسكي ، نتيجة مقتل اخيه ، صورة « المسكين » الذي فقد شقيقه ، خاصة وان صحف اسرائيل قد كتبت بايجابية مطلقة عن كتسير بعد موته ، و« خسارة اسرائيل العظيمة له ولكفاءاته وخدماته » .

ولم يخل مقال عن كاتشالسكي بعد ذلك ، الا وذكر القارىء بأنه شقيق « الشهيد » البروفيسور اهرون كتسير ...

وبرغم جميع صفات كاتشالسكي المذكورة ، اضافة الى « صفاته الاخرى » ، وبرغم دعم قادة الحزب المؤثرين له ، فقد جاءت نتيجة الاقتراع مفاجئة للجميع ، حيث فاز افرايم كاتشالسكي على نافون بأغلبية ضئيلة .

« ومن بين أعضاء مركز حزب العمل ، وعددهم ٦١٢ عضوا ، تواجد في قاعة « اوهل » في تل ابيب حيث جرى الاقتراع ٥٠٣ اعضاء،وكان ابرز الغائبين موشي دايان ، ومن المتواجدين اقترع ٢٧٩ عضوا الى جانب ترشيح البروفسور افرايم كاتشالسكي، واقترع ٢٢١ عضوا الى جانب ترشيح اسحق نافون ، وامتنع عضوان عن الاقتراع، ورفض صوت واحد ، وبذلك فاز كاتشالسكي بـ ٥٥،٨ ٪ من الاصوات ، مقابل ٤٤،٢ ٪ من الاصوات لنافون ، وهكذا خسر نافون ولكن « بشرف » . (يديعوت احرونوت ، ومعاريف ٧٣/٣/٢٣) . « ثم دعي جميع الاعضاء بعد ذلك للاقتراع العلني لصالح المنتصر ، فنال — بموجب التقليد — المرشح لرئاسة الدولة كاتشالسكي ١٠٠ ٪ من الاصوات ، للتدليل على أن المرشح هو مرشح الحزب بجميع اعضائه » (المصدر السابق) .

وبعد يومين من انتخاب حزب العمل لمرشحه للرئاسة ، اي صباح يوم ٧٣/٣/٢٤ ، بثت اذاعة العدو (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٣/٢٧) ، مقابلة مع اسحق نافون ، كانت هي — حتى الان — اخطر واوضح ما أدلى به مسؤول اسرائيلي في الحزب الحاكم عن وجود التفرقة العنصرية داخل اسرائيل .

قال نافون : « ان ما أشعر به خلال هذا اليوم ، وليلة أمس ، هو خيبة امل العديد من الاشخاص، الذين علقوا امالا كثيرة ، واشعر أن كتفي قد ناءتا بحمل هذه الامال . اريد أن اتحدث بوضوح: هنالك موضوع يسمى « اسرائيل الثانية » هذا اولا وقبل كل شيء ، ولا أعلم لماذا ، ولا اعلم كيف ، ولكن هكذا حدثت الامور ، على الرغم من انني لا اذكر مطلقا انني شعرت شعورا طائفيا، لقد حصل ان المراكشيين يدركون انني مراكشي ، واليهود الشرقيين يعرفون انني شرقي ، وحصل ان ترى التعمير والمستوطنات والفهود السود من كافة الانواع ومن كافة الاتجاهات ، اعتقدوا بأنهم وجدوا اخيرا مناسبة لتحقيق تلك الامنية : ان يصل واحد منهم الى فوق ! » .

وعندما سئل نافون : هل سيلحق التطور الاخير ضررا بالحزب بصورة عملية في رأيك ؟ ، اجاب : ماذا تعني بقولك « سيلحق ضررا » ؟ لقد أضر وانتهى الامر ، وانهى نافون حديثه عبر اذاعة العدو بعد التذكير بأنه ترشح قبل ذلك لمنصب رئيس الكنيست ، وفشله قادة الحزب ، بقوله : « انني احمل اسم « نافون » (وهي كلمة عبرية تعني عاقل او ذكي)وينبغي ابداله باسم«تميم»...» (وهي كلمة عبرية تعني بسيط ، او ساذج) .

واخيرا ، في العاشر من نيسان الحالي عقدت الكنيست جلسة خاصة لانتخاب رئيس جديد لدولة اسرائيل ، وفاز بالمنصب ، البروفيسور افرايم

كاتشالسكي ، وغير اسمه الى افرايم كتسير ، وكان منافسه في هذه الجولة البروفيسور اورباخ مرشح حزب المفدال .

هل ستقود هذه التطورات الى ازدياد شعور اليهود الشرقيين بالتفرقة ضدهم ، او : هل يأخذ مثل هذا الشعور — بعد بلوغه الى اعلى المستويات التي بلغها اليهود الشرقيون — ابعادا جديدة ؟

يبدو أن مثل هذا الاحتمال وارد ، بل هو وارد جدا ، خاصة وان هذه السنة هي سنة الانتخابات البرلمانية العامة في اسرائيل ، وستشهد شهورها المقبلة نتيجة ذلك نشاطا سياسيا واسعا على صعيد المواطن العادي ، وستظل — كما يبدو — قصة خذلان قادة الحزب الحاكم الاشكناز للمرشح اليهودي الشرقي قصة تروى ، ويذكر بها العديدون ، علما بأن اليهود الشرقيين يشكلون ٦٠٪ تقريبا ، او اكثر ، من يهود اسرائيل ، ولم يتسلم اي منهم حتى الان منصب رئاسة الدولة او رئاسة الحكومة ، او اي من الوزارات الهامة في دولة العدو .

عماد شقور

صدر عن مركز الابحاث

كتـــاب

العرب في ظل الاحتلال الاسرائيلي منذ ١٩٤٨

بقـــلم

حبيب قهوجي

يقدم حبيب قهوجي المناضل الفلسطيني ومؤسس حركة الارض في فلسطين المحتلة ، يقدم في هذا الكتاب سجلا كاملا لحياة العرب تحت الاحتلال منذ ١٩٤٨ مدعوما بالوقائع والشواهد والاسماء التي لا يمكن لاي باحث ان يلم بها ما لم يكن قد عاشها بنفسه . والكتاب عمل ضخم يقع في أحد عشر فصلا تتناول الوضع السكاني والجغرافي والطائفي والمهني والاجتماعي والتعليمي والثقافي لعرب الارض المحتلة ، كما تتناول السياسات الاسرائيلية تجاه الاراضي العربية ويقدم بالوقائع شواهد مذهلة عن صمود القرية العربية وعن تمسك العرب بهويتهم الوطنية رغم كل الوسائل الرامية الى تشويه هذه الهوية وطمسها .

٥٩٠ صفحة من الحجم الكبير **١٠ ل.ل.**

تضاف أجـور البريد : ١٠٠ ق. ل. في البـلاد العربيـة ٢٥٠ ق. ل. في اوروبه ، ٥٠٠ ق. ل. في سائر دول العالم

PALESTINE LIVES

INTERVIEWS WITH LEADERS OF THE RESISTANCE

للمرة الاولى يصدر باللغة الانجليزية تحليل شامل لحركة المقاومة الفلسطينية ، ومن قبل ستة من قادة المقاومة ذاتها ، يتناول مختلف جوانبها .

يمثل الكتاب مجموعة من المقابلات مع قادة المقاومة ، بحيث يعطي الرؤية الكاملة لحركة المقاومة الفلسطينية ممثلة بمنظماتها الاساسية ، وتعكس محاولة مخلصة وصريحة في النقد الذاتي واستخلاص الدروس البناءة بتفكير واقعي هادىء بعيدا عن العاطفة. تقدم هذه المقابلات اجابات امينة بالفعل بعيدا عن الانفعال او اية اعتبارات دعاوية . وهي ، من جهة اخرى ، تعكس محاولة جدية من قبل المنظمات للتوصل الى خطة موحدة تمثل الاتفاق على سياسة الحد الادنى ، فتجربة أيلول القاسية جعلت الجميع يدرك اهمية الاعتماد على النفس وضرورة التعاون بين الجميع .

لا بد وان يخرج القارىء من هذا الكتاب بفهم حقيقي لحركة المقاومة لانه سيتعرف على افكار زعمائها مباشرة ، لا من خلال التقارير غير الموضوعية التي تقدمها وسائل الاعلام الغربية .

منشورات مركز الابحاث الفلسطيني : ص.ب ١٦٩١ ، بيروت .

ثمن النسخة ٨ ل.ل. ، يضاف اليها اجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي ، ٢٥٠ ق.ل. في أوروبه ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر دول العالم .

ايروفلوت

الخطوط الجوية السوفياتية بدمشق

افضل الخطوط لكافة رحلاتكم عبر موسكو
على طائراتها ايل يو ١٣٤ النفاثة الحديثة
حيث تتأمن الراحة والسرعة والامان

- دمشق - موسكو - وبالعكس
- دمشق - تيكوسيا - موسكو - وبالعكس

ثلاث رحلات اسبوعياً من دمشق الى موسكو وبالعكس

طيران الشرق الاوسط الخطوط الجوية اللبنانية
In association with AIR FRANCE

تحيطك بعناية فائقة

للاستعلامات وحجز التذاكر :
دمشق - برزى - ت ٢٢٤٩٩٣ - حلب - شارع بارون - ت ٢٠٥٠١

MEA

الوكالة العامة لمركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية لكافة الامور المتعلقة باشتراكات واعلانات المجلة في الجمهورية العربية السورية يرجى مراجعة الوكيل المعتمد مكتب الصحفي السيد محمد بدر الدين البستاني .

دمشق بوابة الصالحية ــ بناية طبي وسلو

ص.ب ٢٤٥٢ ــ هاتف ٢٢٦٠٠٦

الخطوط الجوية الكويتية

شبكة خطوط عالمية تغطي مختلف بقاع العالم العربي وأوروبا والشرق الأوسط بطائرات بوينج ٧٠٧ النفاثة

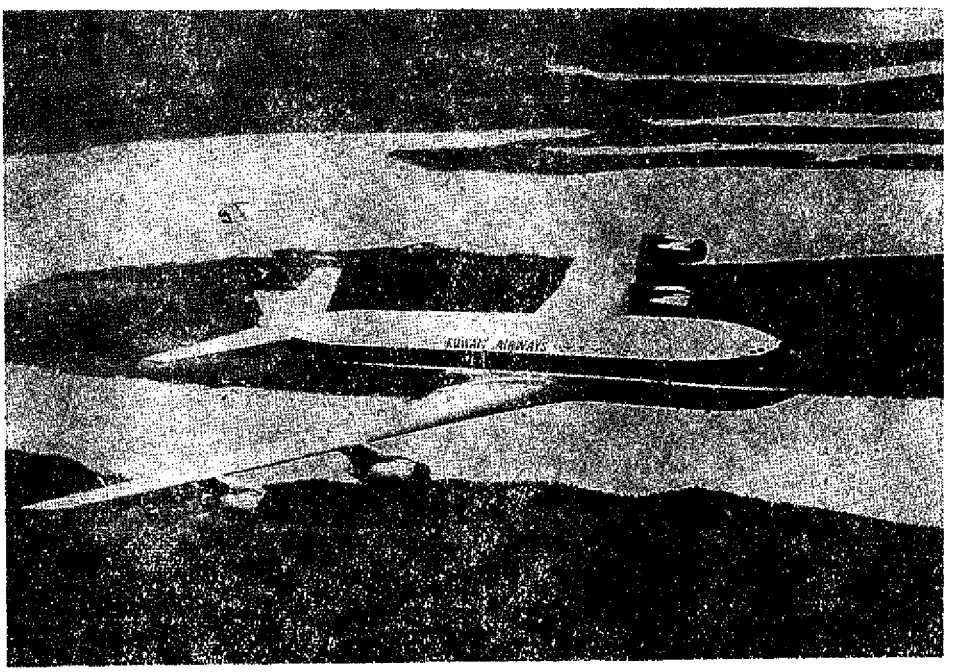

مكاتب رئيسية في كل من :

الكويت ـ البحرين ـ الدوحة ـ دبي ـ الظهران ـ عدن ـ عمان ـ دمشق ـ بيروت ـ القاهرة
طهران ـ عبدان ـ اثينا ـ جنيف ـ فرانكفورت ـ باريس ـ روما ـ لندن ـ نيويورك ـ هيوستون
شيكاغو ـ ديترويت ـ تورونتو .